



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



جامعة غرداية
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (LMD) في العلوم السياسية

تخصص: إستراتيجية وعلاقات دولية

إشراف الدكتور:

أ د/ بابا عربي مسلم

المشرف المساعد:

أ د/ نهائي راجح

إعداد الطالب:

بلعور حمزة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
حاج بشير جيدور	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
مسلم بابا عربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
عمراني كربوسة	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مناقشا
فريدة طاجين	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مناقشا
أحلام طواهرية	أستاذ محاضر (أ)	جامعة غرداية	مناقشا
إيمان الأخضر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: 2023-2024

Universit  de Ghardaia

Vice rectorat charg  de la formation
sup rieure de troisi me cycle, l'habilitation
universitaire, la recherche scientifique, et la
formation sup rieure de post-graduation.



جامعة غرداية
نيابة المديرية للتكوين العالي في الطور الثالث والتأهيل
الجامعي والبحث العلمي وكذا التكوين العالي فيما بعد التدرج.

نموذج التصريح الشرفي بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز أطروحة دكتوراه

أنا المضي أدناه،

السيد: بلعور حمزة
الصفة: طالب دكتوراه
الحامل البطاقة التعريف الوطنية رقم:
بتاريخ:

المسجل بكلية: الحقوق والعلوم السياسية.
قسم: العلوم السياسية
والمكلف بإنجاز أعمال بحث أطروحة دكتوراه،

عنوانها: أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية علاقات استراتيجية بين الجزائر ودول
الساحل الإفريقي.

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة
الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ:

إمضاء المعني



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



جامعة غرداية
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (LMD) في العلوم السياسية

تخصص: إستراتيجية وعلاقات دولية

إشراف الدكتور:

أ/د/ بابا عربي مسلم

المشرف المساعد:

أ/د/ نهائي راجح

إعداد الطالب:

بلعور حمزة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
حاج بشير جيدور	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
مسلم بابا عربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
عمراني كربوسة	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مناقشا
فريدة طاجين	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مناقشا
أحلام طواهرية	أستاذ محاضر (أ)	جامعة غرداية	مناقشا
إيمان الأخضري	أستاذ محاضر (أ)	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: 2023-2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرّفان

حمدا وشكرا لله العزيز الحكيم الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله؛

ولأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله فإنه لمن دواعي سروري واعتزازي أن:

أتقدم بأسمى معاني الشكر والعرّفان والتقدير وعظيم الامتنان إلى: الذي شرفني بقبول المتابعة والإشراف وأمدني طيلة الوقت بنصائحه وتوجيهاته الهادفة والقيمة، وتشجيعاته المتواصلة وكل الجهد والوقت الذي بذله في متابعة هذا العمل، وما كنت أنا إلا بمثابة الباحث الواقف في بداية المسلك ولا أرى نهايته أو مضمونه، ولولا فضل الله أولا ثم فضل توجيهاته لما استطعت شق طريقي لنهاية المسلك؛ ورغم أن أي عبارات الشكر والامتنان لا تكفي إلا أنني أقول:

إلى (الدكتور بابا عربي مسلم)
أتقدم بخالص شكري وإمتناني

وفي هذا المقام وإيماننا بفضل الاعتراف بالجميل والامتنان لأصحاب الفضل فإنني أتقدم أيضا بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى المشرف المساعد (الدكتور نهايلي رابح) نظير دعمه المتواصل لإثراء هذا العمل وتقديمه للتوجيهات والمساعدة خلال مراحل البحث، وبفضل تظافر جهوده مع المشرف الأول تم الإنجاز وإخراج العمل على هذه الصورة، فاللهم لك الحمد حمدا كثيرا.

الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة تغمدها الله بواسع رحمته.

إلى من سهرت على تربيتي وحرصت على تعليمي، أمي جنتي فوق الأرض وشفاعتي في الآخرة، أطال الله في

عمرك أمي الغالية.

إجلالا وعرفانا

إلى أفراد عائلتي العزيزة كل باسمه؛

ردا لبعض الجميل

إلى أساتذتي وكل من علمني حرفا ينفعني في دنياي وآخرتي.

إلى كل من أعانني في إخراج هذا العمل.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

- قائمة المختصرات باللغة العربية:

الكلمة	اختصارها
صفحة	ص
طبعة	ط
تحقيق	تح
عدد	ع
هجري	هـ
جزء	ج
ترجمة	تر
دون تاريخ نشر	د. ت. ن
دون مكان نشر	د. م. ن
ميلادي	م
القرن	ق

- قائمة المختصرات باللغة الأجنبية:

Abbreviation	Meaning
Op.cit	opus citatum
ibid	ibidem
p	page

مقدمة

شكلت الأبعاد والمتغيرات الأمنية والاقتصادية قبل الحرب الباردة ركيزة التنظير والاهتمام في حقل العلاقات الدولية وحملت الأولوية القصوى للفواعل الدولية، لكن سرعان ما تغيرت الموازين بنهاية الحرب الباردة، فبسبب التحولات الحاصلة في البيئة العالمية برزت الأبعاد الثقافية والدينية والحضارية في ميدان العلاقات الدولية، هاته الأبعاد ألفت بظلالها على الكثير من الأحداث الدولية المعاصرة، ما جعل الباحثين والدارسين يهتمون بوضع أطر نظرية جديدة نتيجة تهاوي الأطر النظرية السابقة التي أقصت الجوانب القيمة في تحليلاتها وتفسيراتها للواقع فضلا عن إمكانية توظيفها في تحقيق أهداف استراتيجية للفواعل الدولية، التي تصل إلى حد التحالفات والشراكات السياسية والاقتصادية.

تندرج هذه الأبعاد ضمن مقاربات متنوعة ومختلفة في مضمونها وفقا لمطورها، ونظرا لطبيعة التغيرات المتسارعة على جميع المستويات اهتمت العديد من الدول بتفعيل هاته الأبعاد الثقافية والدينية، ومن أبرز تلك المقاربات جاءت مقارنة القوة الناعمة التي اكتسبت زخما في التسعينات، وتركزت أهدافها بالنسبة للدول على زيادة التأثير ومد نفوذها أو تحسين موقعها الإقليمي والدولي بطريقة سلمية تفاعلية، فباستخدام هذه المقاربة تتمكن الدول من الحصول على النتائج المراد تحقيقها في السياسة العالمية.

فنجاح السياسات الخارجية للدول يرتبط بتعبئة موارد الجذب والتأثير وزيادة مساعي المبادرات المحفزة، وكبح مجالات التحدي أو المس بالأمّن القومي للدولة المؤثرة سواء لدى الحلفاء أو الخصوم، دون إغفال أو تجاهل للسياسات الواقعية المبنية على اكتساب المبادرات على المستوى العسكري والاقتصادي (أي الأبعاد المادية)، بحكم طبيعة البيئة الصراعية والتنافسية التي طبعت تاريخ العلاقات الدولية.

وعليه تدخل كل تلك الأبعاد ضمن معادلة القوة الوطنية أو الاستراتيجية الشاملة للدولة من أجل توطيد وتحقيق المكانة والنفوذ الإقليمي والدولي، عبر تفعيل كل الخيارات العسكرية والدبلوماسية وحتى الاقتصادية للرفع من مؤهلات قوتها الناعمة والاستفادة القصوى من مقوماتها الثقافية والحضارية والدينية.

والجزائر من بين الدول التي تمتلك مخزونا كبيرا من المقومات التي تجعل منها دولة ذات مكانة إقليمية ودولية، فبالإضافة إلى تربعها على موقع جيو-إستراتيجي في القارة الإفريقية فهي تزخر برصيد كبير من المقومات الاقتصادية، الحضارية، الثقافية والدينية التي تمكنها من زيادة نفوذها وتحقيق الريادة الإقليمية خاصة تجاه منطقة الساحل الإفريقي، هاته الأخيرة تربطها بالجزائر روابط تاريخية عريقة ترجع إلى المراحل الأولى لانتشار الإسلام وثقافته، فرغم التدخلات الغربية التي طمعت في المنطقة واحتلتها لسنين طويلة إلا أنها لم تستطع محو تلك الروابط بسبب امتلاك الجزائر أغلب مصادر تلك الروابط الدينية الروحية والثقافية، بالإضافة إلى تأثيرها الاقتصادي والسياسي المستمر في المنطقة.

في ظل الأزمات التي تنامت وتعدت عقب خروج المستعمر من منطقة الساحل الإفريقي حيث باتت تشكل خطرا أمنيا مباشرا على الأمن الوطني الجزائري، هذا الوضع المتأزم فرض على الدولة الجزائرية تركيز جهودها ضمن فضائها الجيوسياسي، انطلاقا من بناء شراكات إستراتيجية ذات الأبعاد الأمنية ثم التنمية الاقتصادية، كإجراءات وقائية وعلاجية للحد من حدة التفتت وزيادة الفوضى، فنشطت الدبلوماسية الجزائرية إلى معالجة المشكلات الأمنية التي تشهدها المنطقة بشكل استباقي عن طريق توظيف المساعي والحلول السلمية، في خطوة أولى لفتح باب الحوار بين الأطراف وتوثيق سبل التعاون الإقليمي بين دول المنطقة، وتجنب كل أشكال التدخل العسكري.

ومن أجل الحفاظ على الأمن ومجالها الحيوي من جهة وتحقيق الريادة الإقليمية والمكانة العالمية من جهة أخرى حاولت الدبلوماسية الجزائرية توظيف جميع مقارباتها، إذ سعت أيضا إلى محاولة تفعيل قوتها الناعمة من أجل تنمية علاقاتها وشراكاتها الاستراتيجية مع دول منطقة الساحل الإفريقي، من خلال التوجه إلى الاستثمار في الروابط الثقافية والدينية كمصادر قوة كامنة، لأن عدم توظيفها يؤدي إلى جعل الجزائر بلدا ساكنا معطلا من الناحية الجيوبوليتيكية.

لذلك فإن موضوع هذه الدراسة هو البحث عن مدى أهمية استغلال الدولة الجزائرية لمواردها ومقوماتها الثقافية والدينية المشتركة بينها وبين منطقة الساحل الإفريقي، تلك الموارد تعتبر أهم روافد القوة الناعمة التي تمكن الدولة من التأثير وتحقيق النجاح في محيطها الإقليمي، مما يكسبها المكانة في بناء وتفعيل شراكات استراتيجية هامة في شتى المجالات من جهة، والحفاظ على أمنها القومي في مجالها الحيوي من جهة أخرى.

1. أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يتطرق إلى إبراز تأثير الأبعاد الثقافية والدينية وأهميتها كمتغيرات جديدة في حقل العلاقات الدولية. والجزائر ضمن امتدادها الجيوسياسي جنوبا تسعى إلى توظيف هاته الأبعاد قصد تحقيق آفاقها السياسية والاقتصادية في عمقها الإفريقي وإرساء قواعد السلام، وعليه يمكن أن نقسم أهمية الدراسة كالآتي:

علميا: تتجلى في إدراك أهمية وتأثير الأبعاد الثقافية والدينية ومساهمتها في المجال المعرفي التنظيري، قصد الحصول على فهم وتحليل أفضل للمتغيرات في الساحة الدولية خاصة بعد الحرب الباردة (تعاضم دور النظرية البنائية على التفسيرات المادية للنظريات السائدة مسبقا)، وقد ساعدت هاته العوامل الثقافية والقيمية والدينية في تراكم معرفي واسع، يزود الباحثين في فهم التفاعلات الثقافية والدينية على المستوى الدولي، وتماسك الهويات ودور الروابط الدينية على المستوى المحلي. كما تساعد المهتمين على إدراك مدى تأثير هاته الأبعاد في السياسات الخارجية للدول.

عمليا: تكمن الأهمية العملية للدراسة في الارتباط الشديد للأمن القومي للجزائري بأمن منطقة الساحل الإفريقي، الأمر الذي يفرض على الجزائر إيلاء المزيد من الاهتمام بسبل بناء السلم في المنطقة، وذلك لما لمنطقة الساحل من تحديات كبيرة لها أمنية بالدرجة الأولى، حيث تمثل تهديدا مباشرا لاستقرارها بحكم القرب

الجغرافي والأزمات التي تعاني منها دول المنطقة، كما في ذات السياق تمثل المنطقة عمقا استراتيجيا ومجالا حيويا للجزائر، فهي فضاء خصب للاستثمار والتنمية.

كما تُبرز الدراسة بشكل موسع الخلفيات الحضارية والتاريخية للروابط الدينية والثقافية التي نَسجت بشكل قوي العلاقات بين الجزائر ومنطقة الساحل (السودان الغربي تاريخيا)، فقد يرجع المؤرخين بدايات تلك العلاقات لفترة فجر التاريخ، غير أن الفتح الإسلامي وثَّق وأرَّخ لتلك العلاقات فشهدت فيه ازدهارا واسعا، وكانت انطلاقة لبناء روابط حضارية تمثلت أساسا في بعث العلاقات الاقتصادية التجارية، الثقافية، الدينية، الاجتماعية وحتى السياسية.

2. هدف الدراسة:

تهدف الدراسة في المقام الأول إلى إبراز الإمكانيات والرصيد الكامن للدولة الجزائرية الذي يُمكنها تفعيله من خدمة مصالحها العليا ضمن بيئتها الحيوية، فضلا عن إبراز سبل تنمية وبناء شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي، انطلاقا من المقومات الثقافية والدينية المتأصلة تاريخيا بينهم، كنوع من القوة الناعمة للتأثير في المنطقة واحتلال مكانة الريادة فيها، فهدف الدراسة يتجلى في محاولة رسم إطار فعال يمكن من خلاله تنمية تلك العلاقات الاستراتيجية عبر روابط دينية وثقافية عريقة بين دول الإقليم، لأنه بناءً على هذا الإطار يمكن توحيد الجهود لمكافحة كل أشكال التهديد والعنف وعدم الاستقرار في المنطقة ككل، وزرع بوادر التنمية الفعالة وخلق مجال حيوي للرفاهية الاقتصادية للدول المشتركة.

3. دوافع اختيار الموضوع:

يستند اختيار موضوع الدراسة إلى مجموعة من الدوافع جعلت الباحث يطرق زاوية جديدة في دراسة العلاقات الجيوسياسية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي، هذه الزاوية ترتبط بتفعيل روابط مشتركة تاريخية

ترتكز على البعدين الثقافي والديني بغية تنمية الشراكات الاستراتيجية بين المنطقتين. وعليه تنقسم دوافع الباحث في اختيار هذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

1.3- الأسباب الذاتية:

- ✓ رغبة الباحث في التعرف على التاريخ المشترك الذي يجمع الجزائر بمنطقة الساحل الإفريقي منذ القرون الأولى لانتشار الإسلام وثقافته، وكيفية تأثير مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي بالعلماء والمناهج الصوفية الجزائرية؛
- ✓ قيام الباحث ببحوث مماثلة أثناء مراحل دراسته الأكاديمية الجامعية، الأمر الذي زاد من الاهتمام بدراسة هذا الموضوع وخوض تحدي التعمق في الدراسة؛
- ✓ إحساس الباحث بضرورة تقديم دراسة تبحث في الإمكانيات الكامنة للدولة الجزائرية تجاه عمقها الجيو-استراتيجي والمتمثل في منطقة الساحل الإفريقي.

2.3- الأسباب الموضوعية:

- ✓ الدراسة تتناول موضوعا بالغ الأهمية في حقل العلاقات الدولية، والمرتبط بتنامي دور الأبعاد القيمة، الفكرية، الثقافية، الحضارية، الدينية، في السياسة العالمية وهي من المسائل المهمة التي تتناولها مجالات الفكر السياسي الحديث؛
- ✓ الدراسة تهتم بسبل توظيف الدولة الجزائرية لمصادر قوتها الناعمة عبر تفعيل مقوماتها الكامنة من مكتسباتها التاريخية ذات البعد الديني والثقافي فضلا عما تمتلكه من مقومات أخرى، وهذا الجانب قلما توجد فيه دراسات أكاديمية تعالجه؛
- ✓ حاجة الدارسين إلى أبحاث ذات بعد سياسي استراتيجي، تعالج أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية العلاقات بين الجزائر وفضائها الإفريقي الحيوي، فتوظيف الدولة لهذه الروابط بشكل مناسب

يجعلها تكمل حلقة مقارباتها الاستراتيجية الشاملة التي تؤهلها إلى تفعيل قوتها الناعمة وحتى الذكية في محيطها الإقليمي والقاري.

4- إشكالية الدراسة:

هاته الدراسة تأتي في إطار الاهتمام الدولي بالمتغيرات الثقافية والدينية كأبعاد مساهمة تساعد الدولة على تحقيق التأثير المبتغى في بيئتها الدولية، ولأن هذه الأبعاد تعد من المكتسبات التاريخية للدولة الجزائرية التي حظيت بها في بيئتها الإفريقية، ما جعل الاستثمار فيها بالغ الأهمية من أجل الحصول على المكانة والريادة في محيطها الإقليمي وخاصة تجاه منطقة الساحل الإفريقي، وعليه جاءت هذه الدراسة لتعالج إشكالية رئيسية تركز في البحث عن محددات وطبيعة تلك الروابط وأثرها الاستراتيجي في تنمية العلاقات الإقليمية للجزائر مع بلدان الساحل الإفريقي.

وبناء على ما تقدم، يصوغ الباحث الإشكالية التالية؛

إلى أي مدى يمكن للروابط الثقافية والدينية أن تساهم في تنمية شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي؟

تتفرع عن الإشكالية الرئيسية مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

أ- ماهي الخلفيات التاريخية للعلاقات الجزائرية مع منطقة الساحل الإفريقي؟ وكيف تشكلت تلك الروابط

الدينية والثقافية بينهما؟

ب- ما طبيعة توجهات السياسة الخارجية الجزائرية اتجاه دول الساحل الإفريقي؟ وما أبرز الشراكات

الاستراتيجية المتبناة بين المنطقتين؟

ت- هل استطاعت الدولة الجزائرية تفعيل قوتها الناعمة المرتكزة على الأبعاد الثقافية والدينية اتجاه

منطقة الساحل الإفريقي؟ وكيف ساهمت في تنمية الشراكات الاستراتيجية؟

5- فرضيات الدراسة:

للإجابة على الإشكالية الرئيسية تم صياغة الفرضية الرئيسية التالية:

كلما اهتمت الدولة الجزائرية بتفعيل الروابط الثقافية والدينية ساهمت بذلك في ترقية العلاقات وتنمية الشراكات الإستراتيجية بينها وبين دول الساحل الإفريقي.

وللإجابة على الأسئلة الفرعية، صيغت مجموعة من الفرضيات هي:

أ- كان للرقعة الجغرافية التي تشغلها الجزائر اليوم الفضل الكبير في انتشار الإسلام وثقافته في مجتمعات

منطقة الساحل الإفريقي منذ القرون الوسطى؛

ب- ركزت الدولة الجزائرية جهودها الخارجية بعد استقلالها على بناء شراكات استراتيجية بهدف تأمين

فضائها الجيوسياسي في منطقة الساحل الإفريقي؛

ت- يعتبر الاهتمام بالروابط الثقافية والدينية المشتركة بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي نقطة ارتكاز

لمد نفوذها وتوظيف قوتها الناعمة وبالتالي تحقيق الريادة الإقليمية.

6- الإطار المكاني والزمني للدراسة:

6-1- الحدود المكانية:

على اعتبار أن الدراسة تتناول بالتحليل أهمية الروابط الدينية والثقافية المشتركة بين الدولة الجزائرية

ودول منطقة الساحل التي تمثل لها مجالا حيويا، وعليه فإن حدود الدراسة المكانية تشمل الحيز الجغرافي

للدولة الجزائرية وامتدادها الجيو-استراتيجي في منطقة الساحل الإفريقي، التي تضم ثلاث دول مركزية هي:

موريتانيا ومالي والنيجر، ويرجع تحديد منطقة الساحل بهذه الحدود انطلاقا من مقاربتها الجيوسياسية

باعتبار أن تحقيق سياستها الأمنية يتحكم فيه الحيز الجيوبوليتيكي الذي تقع ضمنه، وهذه الدول الثلاث

تجمعها حدود مباشرة مع الجزائر، لهذا فإن تركيز أجندة السياسة الخارجية للجزائر وطبيعة مصالحها إنما ترتبط بالتحديد الجغرافي الذي نكرناه.

6-2- الحدود الزمانية:

يشمل نطاق الدراسة الفترة الممتدة من سنة 1962 إلى 2023م، أي منذ استقلال الدولة الجزائرية باعتبار أن تلك الفترة شهدت نشاطا بارزا للسياسة الخارجية الجزائرية تجاه القارة الإفريقية، وبرزت بوادر لتفعيل الروابط الثقافية والدينية بينها وبين منطقة الساحل الإفريقي على وجه الخصوص، ولا زالت إلى اليوم تحاول الجزائر الاهتمام أكثر بتفعيل قوتها الناعمة المرتكزة على الأبعاد الثقافية والدينية والاستفادة أكثر من مجالها الحيوي، الأمر الذي يحقق لها مزيدا من النفوذ والريادة الإقليمية.

7- أدبيات الدراسة:

يغلب على الدراسات السابقة التي تناولت التوجه الخارجي للجزائر تجاه دول الساحل الإفريقي الطابع الأمني يليه بدرجة أقل البعد الاقتصادي والتنموي، غير أن الاهتمام بالأبعاد الثقافية والدينية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية مع بلدان منطقة الساحل الإفريقي قليل جدا، وقد يرجع سبب ذلك إلى حداثة تنامي أهمية هاته الأبعاد كمتغيرات رئيسية في حقل العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة، هذا ما حتم على الباحث تفكيك إشكالية الدراسة وتتبع الدراسات السابقة لمتغيرات الإشكالية.

فتشكلت لدينا مجموعة من الدراسات تنوعت بين كتب ومقالات وأطروحات دكتوراه اختص قسم منها في الجانب النظري والتاريخي الذي يعالج كل من الإطار المفاهيمي للدراسة وما يرتبط بالخلفيات التاريخية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي، أما الجزء الآخر من الدراسات فهي تعالج الشراكات الاستراتيجية التي

جمعت المنطقتين في إطار مقاربات أمنية واقتصادية ودبلوماسية ثقافية ودينية، وفيما يلي عرض لأبرز الدراسات التي استعانت بها الدراسة:

أولاً: باللغة العربية:

➤ **البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير**، كتاب لأستاذ العلوم السياسية عصام عبد الشافي، الصادر عن مكتبة الإسكندرية بمصر 2014¹، يرى من خلاله أنه انطلاقاً من كون الدين يشكل أحد أهم الدعائم الأساسية في بناء ونشأة واستمرار وتقدم الحضارة الإنسانية، وأمام ما شهده العالم من تحولات وتطورات خاصة بعد الحرب الباردة، سارت معظم الدول في اتجاه ترسيخ الأبعاد الدينية والثقافية والحضارية في سياساتها الخارجية، وقد ركز الباحث في نتائج كتابه لأهمية تأثير هاته الأبعاد القيمة كركائز ومنطلقات للعديد من العمليات التي تساعد في تنفيذ السياسة الخارجية للدول وبالتالي تحقيق أهدافها العليا؛

➤ **العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق**²، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية للباحث عمر بوريشة، جامعة الجزائر3، سنة 2016، تم التطرق فيها إلى محددات السياسة الخارجية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي و إعادة بعث السياسة الخارجية الجزائرية مع تناول مجهودات الجزائر في رسم العلاقات الجزائرية الإفريقية كما تم التطرق إلى الآليات الأساسية للعلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء في إطار العلاقات الثنائية الجزائرية الإفريقية وعلى المستوى المتعدد الأطراف التنظيمي والاتحادي وعلى مستوى العلاقات مع الخارج.

¹ عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير. مصر: مكتبة الاسكندرية، 2014،

² عمر بوريشة، "العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق"، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر3، 2016

➤ الجزائر والمشاريع الإقليمية والدولية لبناء السلم في منطقة الساحل الإفريقي: التحديات والرهانات، أطروحة دكتوراه للباحث نبيل بويبية، جامعة الجزائر 3 سنة 2018¹، خلص الباحث في دراسته هاته إلى أربع نتائج : 1-إن حدة التحديات عبر الوطنية التي تتجاوز الحدود الجغرافية للدول في منطقة الساحل الإفريقي، يحتم على دول المنطقة تبني مفهوم شامل لبناء السلم. 2- إن المشاريع الإقليمية والدولية في منطقة الساحل الإفريقي مشاريع مصلحية لا ترقى لتكون برامج لبناء السلم. 3-تهدف الجزائر لبناء السلم في منطقة الساحل الإفريقي في إطار إقليمي جماعي، من خلال بناء مشروع إقليمي مشترك. 4-تعتبر خارطة طريق الجزائر لإعادة السلم والمصالحة في مالي لسنة 2015 كمشروع لبناء سلم شامل، دائم ومستدام في المنطقة.

ومن خلال هاته النتائج نلاحظ أن الباحث اهتم بالمقاربة الأمنية للمشاريع الإقليمية والدولية التي عالجت أزمة الطوارق في مالي، وركز على التحديات والرهانات المرتبطة بهاته المشاريع، وسعى إلى إبراز الدور الجزائري في سياق هاته المشاريع، لكن انحصرت الدراسة فقط على الأبعاد الكلاسيكية للأمن وتحقيق السلم في المنطقة، فالدور الجزائري يحتاج إلى توسيع أكبر لأبعاد بناء السلم والأمن في المنطقة، وأهمها العناية اكثر بتفعيل قوتها الناعمة سواء في التعاطي مع المشاريع الدولية او في المساهمة في بناء سلم شامل مستدام مع دول الساحل الإفريقي.

➤ الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في القارة الإفريقية،² مقال للباحث محمد السعيد بن غنيمة، المنشور في المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية سنة 2023، عبّر فيه الباحث على أهمية البعد الثقافي في السياسة الخارجية الجزائرية وسبل تعزيز الدبلوماسية الثقافية الجزائرية

¹ نبيل بويبية، الجزائر والمشاريع الإقليمية والدولية لبناء السلم في منطقة الساحل الإفريقي: التحديات والرهانات. أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر3، 2018.

² محمد السعيد بن غنيمة، "الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في القارة الإفريقية"، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية، مج18، ع01، 2023،

اتجاه إفريقيا جنوب الصحراء، ومن أبرز النتائج التي خلص إليها الباحث، ضرورة إتقانت صانع القرار الجزائري إلى تفعيل آليات قوته الناعمة والمتمثلة في مقوماته الثقافية والدينية الكامنة التي تحقق لا محالة النفوذ والتأثير في ثقافات مجتمعات الدول الإفريقية وبالتالي يتحقق للدولة الجزائرية المكانة الإقليمية التي تستحقها.

➤ **الدائرة الإفريقية في التوجه الخارجي الجزائري بين تأكيد المكانة وتحقيق التنمية والاستقرار،¹** دراسة للباحثة ويكن فايزة، منشورة ضمن حوليات كلية الحقوق والعلوم السياسية في 2017، تناولت الباحثة الجهود التي تبذلها الجزائر لإبراز مكانتها والتأثير في المجال الجغرافي المحيط بها، غير أن التذبذب وعدم الاستمرار هو الميزة الأساسية في المواقف الخارجية الجزائرية، كما أن الطموح بالزعامة الإقليمية ينافسها قوى إقليمية أخرى، ما يتوجب على الجزائر توحيد الجهود وزيادة الاهتمام بتعزيز مكانتها الإقليمية.

➤ **توظيف الدبلوماسية الدينية في السياسة الخارجية الجزائرية تجاه دول إفريقيا،²** مقال للباحثة هاجر بن العربي، منشور في مجلة آفاق للأبحاث السياسية والقانونية، 2020، وقد خلصت الباحثة إلى أن المحدد الديني والروحي بالإضافة إلى القرب الجغرافي والذاكرة التاريخية المشتركة هي أهم العناصر التي كانت تركز عليها الدبلوماسية الجزائرية، باعتبارها نموذجا من نماذج تقوية الحضور الجزائري بالقارة الإفريقية، حيث أعادت الجزائر إحياء وتمتين العلاقات بينها وبين القبائل الإفريقية من خلال

¹ ويكن فايزة، "الدائرة الإفريقية في التوجه الخارجي الجزائري بين تأكيد المكانة وتحقيق التنمية والاستقرار"، حوليات كلية الحقوق والعلوم السياسية، مج9، ع01، ديسمبر 2017،

² هاجر بن العربي، "توظيف الدبلوماسية الدينية في السياسة الخارجية الجزائرية تجاه دول إفريقيا"، مجلة آفاق للأبحاث السياسية والقانونية، مج03، ع06، نوفمبر 2020

الزوايا والطرق الصوفية، وهذا بتوثيق الأواصر مع الزوايا الصوفية في ربوع القارة واتخاذها كأسلوب يتم التأثير به على توجهات السياسة الخارجية الجزائرية في إفريقيا.

ثانيا: باللغة الإنجليزية:

➤ **Strategic partnerships in international politics and IR theory.**¹

هذه الدراسة التي تحمل العنوان: الشراكة الاستراتيجية في العلاقات الدولية ونظرياته، للباحثين: Andriy Tyushka و lucyna Czechowska "تعد فصلا من كتاب: States, international organization and strategic partnerships الصادر عام 2009، ومن خلال الدراسة تناولت الشراكات الإستراتيجية باعتبارها "الوضع الطبيعي الجديد" في العلاقات الدولية، وقد برز نهاية القرن العشرين ويتناول بشكل أوثق العديد من أنماط الشراكات الإستراتيجية المميزة في العلاقات الدولية بالإضافة إلى أنماط العناصر المكونة للشراكة.

خلصت الدراسة إلى نتيجة أساسية مفادها أن نجاح الفاعلين في حقل العلاقات الدولية يعتمد على قدرتهم في توظيف إمكانياتهم في تفعيل شراكات استراتيجية ناجعة، تحقق لها المصالح العليا للدولة.

➤ **Algeria's Role in the African Sahel: Toward a New Security Paradigm**²

دراسة للباحث Lofti Sour منشورة في المجلة الدولية للدراسات الأوروبية ومتوسطة 2022، تبحث هذه المقالة في الدور الجزائري في منطقة الساحل، حيث كانت دائما وسيطا رئيسيا للاستقرار في منطقة الساحل الإفريقي التي لا تزال تواجه تحديات وتهديدات كبيرة.

¹ Andriy Tyushka, lucyna Czechowska, **Strategic partnerships in international politics and IR theory.** In book : States, international organization and strategic partnerships, London: Edward Elgar Publishing, 2019

² lofti sour, " **Algeria's Role in the African Sahel: Toward a New Security Paradigm**", International Journal of Euro-Mediterranean Studies, vol 15, N02, 2022, p167

يركز الباحث على إعطاء الأولوية للآليات السياسية والدبلوماسية على تلك العسكرية من أجل إدارة المخاطر ضمن إطار يجمع بين الأمانة والأنسنة، وتتخذ هذه الدراسة عدسة نظرية الدور لدراسة الجزائر كقوة صاعدة، قوة تتجاوز المنطق القائم على القدرات المادية والموارد الملموسة، غير أن الدراسة لم تشر إلى أهمية الأبعاد الثقافية والدينية كآلية لقوة ناعمة تجعل من الجزائر تستفيد من مواردها الكامنة اتجاه إفريقيا ومنطقة الساحل على وجه الخصوص.

8- منهجية الدراسة:

أ- المناهج العلمية:

تستعين الدراسة بعدد من المناهج التي تساعد على الإجابة عن الإشكالية المطروحة، ولإثبات صدق وصحة الفرضيات التي تبنى عليها الدراسة، لذا اعتمدنا على مجموعة من المناهج والاقترابات التي شكلت نوعا من التكامل المنهجي، أساسه اعتماد أكثر من منهج أو اقتراب، ومن أهم هذه المناهج نذكر الآتي:

➤ **المنهج التاريخي:** باعتباره الطريق الذي يتبعه الباحث في جمع المعلومات عن الأحداث وفحصها وتحليلها وتفسيرها وحتى نقدتها لاستخلاص النتائج العامة، وبما أن الدراسة تُحمل على قاعدة تاريخية الأمر الذي يستدعي تبني المنهج التاريخي لدراسة مسار وتطور الأحداث التاريخية وتحليلها وتفسيرها في إطارها الزمني والمكاني، وعليه تم الاستعانة بهذا المنهج من أجل تتبع جذور تطور العلاقات الجزائرية بمنطقة الساحل الإفريقي والبحث في الروابط التاريخية التي جمعت المنطقتين ورصد مدى الاستفادة منها في الوقت الحاضر في تشكل الشراكات الاستراتيجية وتعزيز المكانة الإقليمية للجزائر في المنطقة؛

➤ **المنهج الوصفي التحليلي:** هو منهج يفرض تواجده بصفة آلية متلازم بالمنهج التاريخي، ويهدف هذا المنهج إلى تحقيق الفهم الدقيق والإحاطة بالأبعاد الواقعية للظواهر والموضوعات الخاصة

بمجال البحث، وعليه يقوم المنهج في دراستنا على البحث في توصيف المعطيات المتاحة حول السياسة الخارجية للدولة الجزائرية ورصد تحركاتها في منطقة الساحل الإفريقي، ثم تحليل البيانات لمعرفة الدلالات والتوجهات الكبرى للاستراتيجية الجزائرية في فضاءها الإفريقي، كما يساعد المنهج في تحليل المتغيرات والتحديات التي أفرزتها البيئة الإقليمية وانعكاساتها على مسار المقاربات الجزائرية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي.

➤ **منهج تحليل المضمون:** حيث يعتمد عليه في تحليل مضمون الخطابات الرسمية للفاعلين في ملف الساحل الإفريقي لمعرفة مدى إدراك الفاعلين لأهمية تفعيل مبدأ الشراكات والتعاون من أجل التنمية والاستقرار انطلاقاً من الروابط الدينية والثقافية المتجذرة، فانتقال الخطاب السياسي اتجاه قضايا الساحل الإفريقي من المضامين الأمنية العسكرية الصلبة إلى الحديث حول الاستثمار والاهتمام بالدبلوماسية الدينية والثقافية، يرصد مدى نوايا صانع القرار الجزائري في تفعيل مصادر قوتها الناعمة.

➤ **منهج دراسة الحالة:** يساعدنا منهج دراسة الحالة من تحديد منطقة الدراسة التي تقوم عليها علاقات التأثير والتأثر، ضمن سياق معين، وقد تم توظيف هذا المنهج من خلال التعمق في دراسة الاستراتيجية الجزائرية الشاملة في سياق مجالها الجيوسياسي والمتمثل في منطقة الساحل الإفريقي، وتقييم التحديات والرهانات التي تواجه توجهاتها الجديدة في تفعيل الأبعاد الثقافية والدينية ضمن استراتيجيتها العليا.

➤ **المنهج المقارن:** يُستعان بهذا المنهج لدراسة وتحديد أوجه التشابه والاختلاف في البيئات والمحددات والأهداف والوسائل المتعلقة بالتوجهات والعلاقات البينية للمنطقة محل الدراسة على مدار الفترة المدروسة (الجزائر/المغرب الأوسط ودول منطقة الساحل/السودان الغربي)، كما أن استخدام ذات المنهج يساعد على فهم تشابك الأبحاث واختلاف أغراضها وتباين الزوايا التي عالجت متغيرات

البحث خاصة فيما يتعلق بتاريخ التأثير والتأثير بين ضفتي الصحراء الكبرى خلال الفترة الزمنية المدروسة.

(ب) - المقاربات النظرية: اعتمدت الدراسة على عدة نظريات ومقاربات لفهم وتفسير مختلف جوانب الدراسة والإحاطة بجميع متغيراتها قصد الوصول إلى رؤية شاملة لأبعاد الموضوع المرتكز أساسا على البحث في مدارك الدولة الجزائرية ومقوماتها الكامنة اتجاه منطقة الساحل الإفريقي و السعي لتوظيف أكبر لروابطها الثقافية والدينية وتفعيل قوتها الناعمة اتجاه مجالها الحيوي الإفريقي جنوبا، ومن أبرز المقاربات التي تم توظيفها في البحث نذكر ما يلي:

- المقاربة البنائية: تعد البنائية من المقاربات الجديدة والمتميزة التي ارتكزت على دور الثقافة، الدين والقيم في العلاقات الدولية، وتتناول بالتحليل الهوية، المصالح، البنية، والفواعل، وقد ساعدت هاته المقاربة على توسيع رؤية مجالات الاهتمام بتفعيل الروابط الثقافية والدينية لأجل تحقيق المصالح المشتركة القائمة على التعاون والشراكات للفاعلين في مجال الدراسة.
- مقارنة القوة الناعمة: حوّلت هذه المقاربة التي طورها جوزيف ناي في كتابه "القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية" عام 2004، مفهوم القوة إلى زاوية النظر في سبل تحقيق الريادة والهيمنة والتأثير في مجال العلاقات الدولية، وأشار إلى بعد ثالث للقوة أسماه القوة الناعمة، ذلك أن هذا النوع من القوة يرتكز على استثمار عناصر الجذب الحضارية والثقافية دون الاضطرار إلى اللجوء إلى الإكراه، وهي بذلك تختلف في وسائلها عن القوة التقليدية، التي تعتمد على الإمكانيات المادية العسكرية منها والاقتصادية (القوة الصلبة)، فساهمت هاته المقاربة في تحديد مصادر ومكامن قوة الجزائر الناعمة المتمثلة في بعديها الثقافي والديني ورصد مسار تفعيل

هاته المصادر في تحقيق الريادة في منطقة الساحل الإفريقي، وتنمية شراكاتها الاستراتيجية والحد من تنامي المخاطر والتهديدات الأمنية المشتركة.

- **نظرية مركب الأمن الإقليمي:** تساعدنا هاته المقاربة النظرية التي طورها كل من "باري بوزان" و"أول ويفر" في فهم ارتباط أمن مجموعة من الدول ببعضها البعض، إذ يتعدى تحقيق أمن أي عضو فيه خارج النظام الإقليمي، ويعتبر الأمن الإقليمي ظاهرة علائقية، ما يعكس عدم قدرة أي وحدة تحقيق أمنها بعيدا عن محيطها الإقليمي، وهذا ما يشكل لنا ما يعرف بالاعتماد الأمني المتبادل في ظل ارتفاع مستوى التهديد والخوف الذي يشعر به بشكل متبادل أطراف المركب الإقليمي؛

- **نظرية الدولة الفاشلة:** نستعين بهاته النظرية في فهم جزء من بحثنا، الذي يتعلق بتنامي التحديات التي تصعب على الدولة الجزائرية الاهتمام بتفعيل قنواتها الثقافية والدينية، والتركيز على أدوات قوتها الصلبة، فنظرية الدولة الفاشلة تفسر العجز الوظيفي الذي تعاني منه جل دول الساحل في الحفاظ على دورها كعضو داخل المجموعة الإقليمية، بسبب الفوضى والعنف.

- **الاقتراب النظمي (النسقي)** تتمثل أهمية استخدام هذا الاقتراب في قدرته على تحليل السياسة الخارجية ودراسة النظم الإقليمية، الأمر الذي جعل الدراسة تعتمد عليه في إدراك التوجهات الخارجية للدولة الجزائرية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي، وذلك من خلال دراسة تأثير المتغيرات الثقافية والدينية في رسم وتوجيه سلوك الدولة الخارجي اتجاه منطقة الساحل الإفريقي.

9- صعوبات الدراسة:

لا تخلو أي دراسة من صعوبات خاصة من جهة كفاية المراجع وسبل الوصول إليها، كما تجد الدراسات التي تعالج مواضيع جديدة نسبيا وحادثة الزاوية التي يتم الخوض فيها صعوبة في توفر الدراسات السابقة التي أشارت إليها فضلا على ديناميكيتها وتطور أحداثها. وعليه فقد واجه الباحث نفس الأمر عندما عزم الإحاطة بالموضوع من زاوية سياسية استراتيجية، كما أن الدراسة شديدة التشعب والتشابك، يصعب ضبط خطة مناسبة للتحكم في متغيراتها ذات الأبعاد المتعددة (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، الدينية...)، ما يستدعي الأمر فترة زمنية أطول لضبط المادة العلمية للدراسة.

كما أن معالجة الموضوع فرضت على الباحث توسيع الإطار الزمني والغوص في تاريخ الروابط الثقافية والدينية، مما شكّل نوعا من التحدي والصعوبة في مدى توسع المعطيات التاريخية ومعالجتها فضلا عن التزام الباحث بعدم الإطناب في تحليل والاكتفاء بمعالجة ما تحتاجه الدراسة فقط.

وتجدر الإشارة إلى ما تلقاه الباحث من صعوبة للوصول إلى بيانات وإحصائيات تخص المتغيرات الرئيسية للدراسة، فالأبعاد الدينية والثقافية بالجزائر لم تقع على دراسات مقنعة ولا على إحصائيات رسمية بخصوص مسار تطور الاهتمام بها على المستوى الرسمي، إلا ما ارتبط بتصريحات إعلامية أو كتابات غير رسمية.

10- هيكل الدراسة:

تنتهج الدراسة في سبيل الإجابة على الإشكالية المطروحة وإثباتا لصحة الفرضيات خطة تتضمن أربع(04) فصول، استهلّت بالفصل الأول الذي هو بمثابة إطار نظري ومفاهيمي يساعد في فهم وتحليل الأبعاد الدينية والثقافية في دراسة العلاقات الدولية والإقليمية خاصة بعد الحرب الباردة، حيث تعاضم دور

النظرية البنائية على التفسيرات المادية السائدة مسبقا، كما اندرج تحت هذا الإطار المفاهيمي تحليل لمفهوم الشراكة الاستراتيجية في العلاقات الدولية وطرق تنميتها وبنائها؛

أما في **الفصل الثاني** فتم تخصيصه لتوصيف جيو-سياسي واستراتيجي لإقليم منطقة الساحل الإفريقي باعتباره مجال حيوي للدولة الجزائرية وسعي هاته الأخيرة إلى استغلاله عبر إدراك أهميته الاستراتيجية، ونظر للواقع الأمني المتأزم والمعقد طيلة الثلاث العقود الأخيرة وخاصة تفشي ظواهر جديدة في شكل تهديدات لاتماثلية عابرة للحدود كالإرهاب والجريمة المنظمة، هذا فضلا عن عدم الاستقرار السياسي وأزمة بناء الدولة القومية والاندماج الوطني وتدني مستويات التنمية وغيرها مما خلق تحدي كبير للدولة الجزائرية التي تربطها بها حدود مباشرة.

في حين **الفصل الثالث** تم فيه رصد الروابط التاريخية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقية وتتبع تاريخ وخلفيات الروابط الدينية والثقافية المتأصلة التي نسجت بشكل قوي عبر العصور، منذ بداية انتشار الإسلام وتوغله في منطقة الساحل الإفريقي عبر طرق تجارية كان المغرب الأوسط مركز عبورها، بالإضافة إلى تأثير علماء الجزائر منذ العصور الوسطى على مجتمعات ونظم الحكم بالساحل الإفريقي، كما شمل التأثير بدرجة كبرى التصوف الديني الجزائري الذي انتشر في غرب إفريقيا ولا يزال تأثيره إلى اليوم، ولكن سرعان ما ضعفت تلك الروابط نتيجة موجة الاستعمار الغربي الذي حاول باستمرار إلغاء تلك الروابط حتى بعد استقلال دول المنطقة شكليا، ألا أن تدخلاته باقية مستمرة بطرق ومسميات متباينة.

وفي **الفصل الرابع** تناولت الدراسة الإطار الاستراتيجي للشراكات الجزائرية ودول الساحل الإفريقي من خلال تبني الجزائر لعدة مقاربات كالسياسية، الأمنية، الاقتصادية والتنموية، والسعي إلى تفعيل أكبر للمقاربة الدبلوماسية الدينية والثقافية، من أجل توظيف أحسن للقوة الناعمة الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي وتحقيق المكانة والنفوذ الإقليمي.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة

إن بروز العديد من المفاهيم وتصاعد الاهتمام بها في حقل العلاقات الدولية خاصة في العقود الأخير مثل الثقافة والدين والشراكة الاستراتيجية، -محل دراستنا- جعل من الضرورة بمكان أن نعرض على بيان تعريفاتها وإبراز النقاشات التي خاضتها في العلوم الاجتماعية، قبل أن تصبح من مرتكزات النظريات والمقاربات الجديدة في حقل العلاقات الدولية.

فالأبعاد الثقافية والدينية شكلت منعطفًا مهما خاصة بعد الحرب الباردة، وتزايد الاعتماد عليها في تفسير الوقائع والأحداث السياسية وحتى التنبؤات المستقبلية، ومن خلال هذا الفصل التمهيدي نعرض على مسار تطور هاته المفاهيم وأهم التوجهات الأكاديمية التي خاضت نقاشاتها وكيف ساهمت في تبلور نظريات ومقاربات جديدة في حقل العلاقات الدولية، كما سنعرض إلى تحليل مفهوم الشراكة الاستراتيجية التي أيضا برزت كإطار جديد يساهم في تنظيم الحياة الدولية، وتركز هاته المقاربة على تنمية الأهداف المشتركة في شتى الأبعاد، ومع أكثر من فاعل في النسق الدولي.

المبحث الأول: مقارنة مفاهيمية للبعد الثقافي في العلاقات الدولية

ظهر الاهتمام بالبعد الثقافي في العالم بشكل جلي تزامنا مع الصدى الذي أحدثته أطروحة "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما وكذا أطروحة "صدام الحضارات" لصمويل هانتنتون، واحتدام النقاش حول مسائل الهوية ودور القيم، وقد نتج عنه تحول كبير في رؤى واهتمامات الكثير من دارسي حقل العلاقات الدولية في القرن العشرين، بالإضافة إلى بروز نظريات ومقاربات جديدة في هذا الحقل على غرار النظرية البنائية، وفي ثنايا هذا المبحث سنركز على ماهية وأهمية هذا البعد الثقافي في إطار التفاعلات الدولية، وخاصة بتنامي دور العوامل الثقافية كمتغيرات مهمة ومحفزة للتكتلات الإقليمية بين الدول.

المطلب الأول: ماهية الثقافة في الفكر الغربي والعربي

تصور الثقافة ليس مهمة سهلة كما هو الحال مع العديد من الظواهر البشرية المعقدة (إن لم يكن كلها)، يمكن تعريف الثقافة وفهمها بعدة طرق. ففي عام 1952 قام كل من "كوبير (Kroeber) و"كلوكهون" (Kluckhohn) بتحليل مفهوم الثقافة، مشيرين إلى أنها تعود إلى العصور التوراتية وإلى العلماء الصينيين من أسرة هان¹، وفيما يلي تفصيل لبيان الكلمة وأصلها في الفكر الغربي، مع مناقشة المصطلح عند أبرز منظري الفكر العربي.

الفرع الأول: إيتيمولوجيا الثقافة في الفكر الغربي

ترجع جذور كلمة 'culture' في أصلها إلى اللفظ اللاتيني (cultura) المشتق من فعل (colere) والتي دارت معانيها حول أي شيء ابتداء من حرث وزرع الأرض وتنمية المحصول إلى السكنى والعبادة والحماية²، فأول ظهور للمصطلح كان عند الفرنسيين الذين هجروه بعدها فأخذه الألمان ثم الإنجليز، لتتوسع

¹ Catherine Raef and others, "The concept of culture introduction to spotlight series on conceptualizing culture", *Applied Developmental Science*, vol4, N24, 2020, p295

² تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، تر، شوقي جلال، ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012، ص14

معاني الكلمة في لغاتهم مع القرنين السابع عشر والثامن عشر لتحمل المعاني المجازية المعنوية، بالإضافة إلى المادية التي التصقت بها منذ البداية، فصارت تحيل إلى مسألة العناية والاهتمام بالإنسان جسدا ونفسا وعقلا بواسطة التربية والتهديب والتعليم والتكوين، وفي الغالب نشأ هذا المعنى خلال قرن السادس عشر الميلادي بفضل حدس تولد من مُماثلة ذهنية بين زراعة وحرث الحقول من جهة، وتنمية مهارات وقدرات العقل والنفس من جهة أخرى، ذلك أن القصد من هذه الطفرة في المعنى هو التعبير عن طبيعة مشتركة واحدة لأهم الظواهر الاجتماعية والفعاليات البشرية، التي كانت إشارة على أن الوعي البشري صار مدركا لاشتراك الأهمية بين زراعة الحقول وزراعة العقول وتعهدها¹.

وقد استخدمها العديد من الكتاب والمفكرين. ففي فرنسا استعملها فولتير Voltaire وأقرانه للدلالة على تنمية العقل بالفهم وغرس الذوق والمعرفة، كما أخذ بها Thomas Hobbes في معاني العمل الذي يبذله الفرد بغية تطويره المادي أو المعنوي، وحافظت الكلمة في استعمالاتها على جذرها اللغوي والمعاني والدلالات المشتقة منه خلال القرون الوسطى²، واستخدمت آنذاك كلمة "ثقافة" بصيغتها المفردة إذ أنها اختصت بالإنسان التصاقا نوعيا بعيدا عن دلالة التمايز الطبقي أو الشعبي³، إلى حين انتقالها إلى الألمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر واكتسبت لأول مرة مضمونا جماعيا، فدلّت بذلك على التقدم الفكري الذي يكتسبه الفرد أو المجموعة أو الإنسانية بوجه عام⁴.

وعند انتقال المصطلح "Culture" من الألمانية إلى اللغة الإنجليزية خلال القرن التاسع عشر تحولت معانيه إلى دلالات أخرى، حيث ركز المفكرون الإنجليز على المسائل السياسية والدينية لينظروا إلى مفهوم

¹ عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص18

² نصر محمد عارف، الحضارة الثقافية المدنية: دراية لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، ط2. عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994، ص20

³ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر، منير السعيد، ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007، ص18

⁴ خميلة فيصل، تحديات الأمن الثقافي في عصر العولمة-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2020، ص57

الثقافة من ناحية تطبيقاته العملية، فقد تطرق Matthew Arnold في كتابه "الثقافة والفوضى" Culture (and Anarchy) سنة 1869 إلى الثقافة بأنها: "السعي لتحقيق الكمال التام في جميع الأمور الإنسانية المهمة من خلال التعرف على أفضل ما تم التفكير به وقوله في العالم لتحويل تيار من الأفكار الجديدة والحررة إلى مفاهيم وعادات لدى المجتمع"¹، بالإضافة إلى إسهامات العالم الشهير Edward B. Tylor في مجال الدراسات الثقافية عام 1871 في مؤلفه "الثقافة البدائية"².

انطلاقاً مما سبق، وتزامناً مع تطور مصطلح Culture وتوسع معانيه داخل اللغات اللاتينية ظهرت اتجاهات ومدارس من قبل الباحثين والمختصين في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع حاولوا منَهجة الدراسات الثقافية ووضع مفهوم علمي للثقافة، حيث سعوا إلى إعطاء مفهوم الثقافة محتوى وصفياً خالصاً باعتباره أداة فضلى للتفكير، فتعدى الأمر بالنسبة إليهم بتحديد ما للثقافة أن تكون عليه بل وصفها على ما هي عليه كما تظهر في المجتمعات البشرية³.

إن وجهات النظر التي قدمها أصحاب تلك المدارس والاتجاهات أثارت جدلاً كبيراً في المفهوم العلمي للثقافة، بسبب كثرة استخداماته وما يلازمه من غموض وثقل في معانيه التي تتغير باستمرار مع الوقت. وقد أكد الناقد الأدبي "رايموند ويليامز" Raymond Williams ذلك حينما أشار إلى كثرة دلالاته ومعانيه والتي تتغير كثيراً مع مرور الوقت⁴، وفي سنة 1952 قام عالماً الأنثروبولوجيا الأمريكيان A.L.

¹ Lesley Johnson, **Matthew Arnold's Concept of Culture and its Significance for R.S. Peter's Analysis of Education**, *The Australian Journal Education*, vol.16, No. 2, June 1972, P165.

² نصر محمد عارف، الحضارة الثقافية المدنية: دراية لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، مرجع سبق ذكره، ص21

³ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص30.

⁴ ديفيد إنغليز وجون هيوسون، سوسيولوجيا الثقافة، تر، لما نصير، ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسية، 2013، ص16

Kroeber و Clyde Kluckohn بإحصاء حوالى 164 تعريفا للثقافة في كتابهما "الثقافة عرض نقدي للمفاهيم والتعريفات" وهي ظاهرة ملازمة للإنسان وتاريخه الأنطولوجي¹.

الفرع الثاني: أهم التصورات والمفاهيم الغربية للثقافة

إن سعي الباحثين الغربيين لدراسة أطر منهجية للثقافة كل حسب تصوراته ساهم في تطور المفهوم العلمي لهذا المصطلح، وفيما يلي سنحاول تلخيص أهم هذه التصورات:

✓ التصور الكوني للثقافة عند تايلور Tylor (انجلترا):

يعتبر التعريف الذي قدمه عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد تيلور Edward Burnett Tylor 1832-1917 من أوائل التعريفات الموضوعية للثقافة وأكثرها شيوعاً وأقربها للوصف، إذ نقل الثقافة إلى مستوى الوقائع الاجتماعية ويمكن ملاحظتها مباشرة وتتبع تطورها في أي فترة زمنية. ففي سنة 1871 قدّم Tylor مؤلفاً بعنوان "الثقافة البدائية" Culture Primitive وأدرج فيه أن الثقافة أو الحضارة هي " ذلك الكل المركب يشتمل على المعرفة، المعتقدات، الفن، الأخلاق، القانون، العرف، وغير ذلك من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع"².

يظهر من هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس داخل المجتمع، كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي إلى جانب العنصر المادي للثقافة. هذا علاوة عن العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة³، وقد حرص Tylor أن يكون تعريفه وصفاً وموضوعياً خالصاً بعيداً عن

¹ محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2012، ص6.

² Edward Burnett Tylor, **Primitive Culture: Researches into the development of Mythology**, vol,1, London: 1920, p01

³ مجموعة مؤلفين، نظرية الثقافة، تر، علي سيد الصاوي. الكويت: عالم المعرفة، 1997، ص09.

المعيارية، فالثقافة بالنسبة له تعبر عن كلية حياة الفرد الإنسان الاجتماعية وتمتاز ببعدها الجماعي، فضلا عن ذلك هي مكتسبة وليست نابعة من الوراثة البيولوجية¹.

وما يثير الانتباه في تعريفه هو اقتران كلمة الثقافة مع الحضارة لكونه نتيجة للسياق المميز لعصره، وقد فضل في الأخير ثقافة بدل حضارة لأنه أدرك بأن مصطلح الحضارة يفقد طابعه كمفهوم عملي حالما يطبق على المجتمعات البدائية، فالحضارة تستدعي وجود المدن وإنجازات مادية، وهذا نادر وجوده في المجتمعات البدائية².

حاول Tylor في كتابه "الثقافة البدائية" المواءمة بين تطور الثقافة وكونيتها، فقد كان أول عالم إثنولوجي يدرس الظواهر الثقافية من منظور شامل ونسقي، وحرص على دراستها في المجتمعات بكل نماذجها وصورها المادية والرمزية³.

✓ التصور التخصصي للثقافة عند beas (ألمانيا)

قدم هذا التصور أو المقاربة لمفهوم الثقافة العالم الألماني الأنثروبولوجي فرانز بواز Franz Beas (1858-1942)، فقد اهتم بخصوصية كل ثقافة وسعى لإيجاد صلات تاريخية جغرافية بين الثقافات⁴، فكان له السبق في إنجاز تحقيقات على الطبيعة، مستعينا بالملاحظة المباشرة والمطولة على الثقافات البدائية⁵، فيرى أن الثقافة تتطوي على كل سيمات ومظاهر العادات الاجتماعية، وكذا ردود أفعال الأفراد وما نتج عن الأنشطة الإنسانية⁶، و يرجع الفضل له في طرح مفهوم النسبية الثقافية Relativiseme

¹ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص31

² لمياء مرتاض نفوسي، دور الشعر الملحنون في التنمية الثقافية المحلية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013، ص79

³ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص33

⁴ عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحدأة إلى العولمة، ط3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016، ص42

⁵ لمياء مرتاض نفوسي، دور الشعر الملحنون في التنمية الثقافية المحلية، مرجع سبق ذكره، ص80

⁶ سارة بوزورور الترجمة وفعل المناقفة، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2010، ص30.

Culture، فيعتقد بأن الثقافة فريدة وتحمل طابع الخصوصي¹، فكل ثقافة لها معنى وقيمة يتلاءمان مع المكان والزمان وأيضا الخبرة الإنسانية في مواعمتها مع ظروف البيئة والتاريخ، ونسبية الثقافة هي دعوة إلى الاعتراف بتباين وتنوع الشعوب بلغاتهم ومعتقداتهم وعاداتهم واحترامها وتفهمها².

وقد ميز المفكرون الألمان بصورة عامة في القرن التاسع عشر بين الثقافة والحضارة، إذ أن الحضارة تشمل الآلات والتكنولوجيا والعوامل المادية، في حين الثقافة هي ما تضم القيم والمثل والصفات الذهنية والفنية وكذلك الأخلاقية الراقية في المجتمع، وبقي هذا التمييز في الفكر الألماني ولم يعرف في أنحاء أوروبا حينها، إذ عكس علماء الأجناس العلاقة وركزوا فكرهم على ثقافات لها سمات المجتمعات البدائية الجامدة غير المدنية، في حين اعتبروا المجتمعات المعقدة والأكثر تطورا وحركة ومدنية بأنها حضارات³.

✓ الثقافة والحضارة في المنظور الفرنسي:

خلال القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين، شهد التزام الباحثون في العلوم الاجتماعية باستخدام المعنى اللساني السائد لمفهوم الثقافة بغير لفظه واستبداله بمصطلح حضارة، فترجمت الكتب والدراسات المستخدمة لمصطلح ثقافة إلى لفظ حضارة، حيث ترجموا كتاب الثقافة البدائية لـ "Primitive Tylor" "Culture إلى الحضارة البدائية "Civilisation Primitive"، أيضا كتاب لـ Ruth Benedict نماذج الثقافة "Patterns of Culture" إلى عينات الحضارة "Echantillons de Civilisation"⁴.

مع مرور الوقت واستمرار انبثاق الدراسات في مجال علم الأنثروبولوجيا ظهرت استخدامات الثقافة كمفهوم علمي من طرف الباحثين الفرنسيين الذين ساهموا في تأسيس هذا العلم، وذلك بقيادة كل من عالم الاجتماع (1858-1917) Emile Durkheim و Marcel Mauss اللذان ساهما بشكل كبير في تخلص

¹ زمام نور الدين، "عولمة الثقافة". مجلة العلوم الإنسانية، عدد، 2001، 01، ص، 140.

² عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 43

³ صامويل، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. تر، طلعت الشايب، ط2. العراق: دار سطور للنشر والتوزيع، 1997، ص، ص 68.69

⁴ مايكل دينينغ، الثقافة في عصر العولمة الثالثة، تر، أسامة الغزولي. الكويت: عالم المعرفة، 2013، ص 105

مفهوم الحضارة مما كان يتضمنه من مسلمات أيديولوجية، وأكسبه Durkheim محتوى مفاهيمي إجرائيا حيث عرف الحضارة بأنها:

"مجموعة من الظواهر الاجتماعية غير المرتبطة بجسم اجتماعي معين، فهي تمتد على مجالات تتجاوز التراب القومي أو هي تنمو على امتداد حقب من الزمن تتجاوز تاريخ مجتمع واحد"¹.

أثرت أطروحات Durkheim حول الوعي الجمعي على الكثير من النظريات الثقافية إذ مارست نفوذا كبيرا على نظرية Alfred Kroeber في الثقافة، التأثير على مؤسس المدرسة البنوية Alfred Brown-Radcliffe (1881-1955) الذي اتجه نحو تفسير الظواهر الاجتماعية بنائيا ووظيفيا²، إلى جانب الإسهام في الريادة والتأثير على Lucien Lévy-Bruhl (1857-1939) الذي ركز على مقارنة الاختلاف الثقافي خاصة في مؤلفه "الوظائف الذهنية في المجتمعات الدنيا" حين تساءل عن الاختلاف والتباينات العقلية بين مختلف الشعوب، فكان يعمد إلى استخدام مفهوم الذهنية أو العقلية للدلالة لتحديد التوجه العام لثقافة ما، فالمجتمعات بعضها يصل إلى حالة الحضارة والآخر يبقى على حالته البدائية³.

أما العالم الأنثروبولوجي Claude Lévi-Strauss (1908-2009) فقد اعتمد على تعريف Tylor للثقافة كأرضية لأبحاثه العلمية في مجال العلوم الاجتماعية بصورة عامة، وبيان ذلك عبر مقولته الشهيرة:

"إن الطبيعة هي ما يتوارثه البشر من الناحية البيولوجية ...، بينما الثقافة هي على العكس من ذلك، جميع ما نستمد ونكتسبه من التقاليد الخارجية أي من التربية ... إن الثقافة أو الحضارة، هي مجموع العادات والمعتقدات والمؤسسات، مثل: الفن والقانون، والدين، وتقنيات الحياة المادية ... أنها باختصار جميع العادات والمهارات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في مجتمع معين"⁴.

¹ ديس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 47.

² عبد الغني عماد، سوسولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 45.

³ لمياء مرتاض نفوسي، دور الشعر الملحن في التنمية الثقافية المحلية، مرجع سبق ذكره، ص 83.

⁴ داوي عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة. مرجع سبق ذكره، ص، ص 26، 27.

اعتمادا على ما سبق يتبين أن علم الأنثروبولوجيا كان دائما يتخذ من مفهومي Culture و Civilisation جوهرًا رئيسيًا لمقولاته ونظرياته وتحليلاته، حيث يقدم من خلالها مفكروها ومؤسسوها افتراضات ومقولات أساسية لمعظم العلوم الاجتماعية الغربية والنظريات الفلسفية الأساسية لدى الفكر الغربي، وينطلق هذا العلم من ثلاث توجهات وقواعد رئيسية تندرج فيها كل تلك الجهود والنظريات والتحليلات والتنبؤات والنتائج الفكرية لعلمائه، ونوجز تلك القواعد في الآتي:¹

1. النسق التطوري لسير المجتمعات في نمط تصاعدي من الحالة البدائية إلى الحالة المتطورة التي وصلها المجتمع الأوروبي، لأجل ذلك يتم تقسيم المجتمعات بناءً على معايير نابذة عن مفهوم Culture بمعناه الشامل، حيث تصنف المجتمعات الأخرى طبقاً لمدى قربها أو بعدها عن الـ Culture القائمة في المجتمع الأوروبي المعاصر؛
2. خاصية الانتشار للـ Culture بحيث تنشأ في مجتمع ما وتنتشر إلى المجتمعات الأخرى، هذا ما يدعى بالانتشار الثقافي الذي فسره هوبل Hobel بأنه عملية تنتشر فيها العناصر الثقافية من مجتمع إلى آخر²، وتحت هذا المعنى ظهرت مفاهيم كالرجل الأبيض، الثورات الثقافية.
3. Acculturation التثقاف أو المثاقفة: والتي تتحقق من خلال عملية اتصال ما بين ثقافة وأخرى عبر انتقال عناصر كل ثقافة نحو الأخرى على أن يكون بينهم اتصال مباشر، وتتطلب هذه العملية عنصر الهيمنة، القوة والتكيف وهو ما نجده في أعمال كل من: Linton, Reed .Field, Herskovits Roger Bastide

¹ قويدر ابن احمد، "المثاقفة: دراسة في المفهوم والتداعيات"، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، ع، 14 ربيع 2007، ص 119.

² سارة بوزرور، الترجمة وفعل المثاقفة، مرجع سبق ذكره، ص 43.

انطلاقاً من هذه القواعد الثلاثة يظهر جلياً مفهوم الثقافة Culture بمعانيه ودلالاته المختلفة في العلوم الاجتماعية بل اعتبر مكوناً أساسياً فيها، كما كتب Clyde Kluckhohn و Kroeber بأن مصطلح الثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا بمثابة حجر الأساس للعلوم الاجتماعية¹، وصيغت وتشكلت محتويات هذا المصطلح طبقاً لمعطيات الفكر الغربي والأوروبي خصوصاً وتشعباً بأيديولوجياته وتطوره الحديث، فظهرت مفاهيم كالثقافة السياسية والثقافة الاقتصادية... إلخ، وتم دراستها بأسلوب متميز على اعتبار التفوق الحاصل للمجتمع الغربي، في حين المجتمعات الأخرى فإنها تقليدية أو متخلفة أو حتى رجعية متطرفة، ولذلك كان لزاماً على هاته المجتمعات في سبيل التطور والتقدم والتحديث أن تقلد أو تنقل نمط الـ Culture من عند الفكر الغربي وخاصة الأوروبي².

الفرع الثالث: تعريف الثقافة عند بعض المنظمات الدولية المتخصصة

أخذت العلاقات الدولية منحى تصاعدي منذ أن باتت الثقافة جزءاً لا يتجزأ من عملية إدارة هذه العلاقات، وذلك بسبب أهمية المتغيرات الثقافية وما لها من دور كبير في تنظيم المسار الحياتي لأفراد المجتمع المحلي والعالمي أيضاً وتوطيد أواصر الترابط بينهما بناءً على مرتكزات وخصائص مميزة كالمعتقدات والقيم والأخلاق... إلخ. ونتيجة لهذا الدور المهم الذي تلعبه الثقافة في التأثير على سير العلاقات بين الدول نشأت عدة منظمات دولية متخصصة في مجال التربية والثقافة والعلوم من أهمها: UNESCO, ALESCO, ISESCO، وكل منظمة قامت بوضع تعريف للثقافة خاص بها. وفيما يلي عرض لتعريفات هاته المنظمات:

☒ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة UNESCO (1945): تعتبر منتدى يلتقي فيه

ممثلي الإنسانية لتعبئة المعارف والعزائم لتحقيق السلم والأمن الدوليين وتوثيق التعاون بين الدول

¹ مايكل دينينغ، الثقافة في عصر العولم الثلاثة، مرجع سبق ذكره، ص 105

² نصر محمد عارف، الحضارة الثقافية المدنية: دراية لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، مرجع سبق ذكره، ص، ص 23، 25

والأمم، ومنذ قيام المنظمة سعت عبر مؤتمراتها المتلاحقة إلى إعطاء مفهوم شامل وكامل للثقافة رغم الصعوبات، وبانعقاد مؤتمر السياسات الثقافية بالمكسيك من 07/26 إلى غاية 1982/08/06

توصلت فيه المنظمة العالمية UNESCO إلى تقديم تعريف موسع للثقافة، على أساس أنها:

"مجموعة السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا، أو فئة اجتماعية بعينها. وهي تشمل: الفنون والآداب وأنماط العيش والحياة. كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ومنظومات القيم والتقاليد والمعتقدات، والتي تجعل منها كائنات تتميز بالإنسانية التي تظهر في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعبرها نهتدي إلى القيم ونمارس الخيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإلى إعادة النظر في إنجازاته والبحث عن توازن مدلولات جديدة، إبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه"¹.

وقد شمل هذا التعريف المفاهيم الثلاثة للثقافة والتي طرحها أعضاؤها: مفهوم عن الدول الرأسمالية، ومفهوم عن الدول الاشتراكية، نظرة الدول النامية للثقافة، كما تضمن التعريف الخصائص والمميزات التي تفرق بين ثقافات شعب عن الآخر، وفئة اجتماعية عن أخرى، ونجد أنه قدم تعددا لمضمون الثقافة من فنون وآداب وطرائق الحياة، وحقوق الإنسان، والتقاليد والنظم وحتى القيم والمعتقدات، وتضمن أيضا التعريف وظيفة الثقافة بتحقيق إنسانية الإنسان وجعلها أكثر إنسانية، ومنه ممارسة الاختيار والقدرة على البحث والتفكير والتطور الدائم للأحسن، والثقافة من أحسن الوسائل للالتقاء والتعارف والتعاون بين المجتمعات².

✘ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ALECSO (1970): تتبع منظمة ALECSO لجامعة

الدول العربية، وقد اهتمت منذ نشأتها سنة 1945 بميدان الثقافة من أجل إقامة الوحدة بين أجزاء الوطن العربي، توسيع التعاون في الشؤون الثقافية وزيادة مستويات التعارف والتآلف الروحي بين أبناء البلاد العربية، ومن خلال ما قدمته منظمة ALECSO عبر خطة شاملة للثقافة العربية -

¹ محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، مرجع سبق ذكره، ص7

² العلالى الصادق، العلاقات الثقافية الدولية دراسة سياسية-قانونية. الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2007، ص45

الذي يعد مرجعا للدول العربية في الميدان الثقافي- وعبر وثائقها السابقة، فقد وضعت تعريفا يتضمن معنيين:¹

- **المعنى الأول:** يقترب من تعريف المدرسة الأنثروبولوجيا الذي يتضمن كل فعالية للإنسان تميزه عن أفعال الطبيعة، بمعنى أن كل نشاط ذهني أو مادي يفعله الإنسان لرفض التقبل السلبي للطبيعة فهو ثقافة، بمعنى آخر هي الإنسان نفسه بوصفه فاعلا ومنفعلا، والثقافة تعتبر سلوكا إنسانيا يحمل نمط عيش مشترك وقيما وعقائد روحية، وهي أساس علاقة الإنسان بمحيطه وتفاعله معه سلبا وإيجابا، فالثقافة هي الهيكل الشامل والبنية العريضة للوعي الإنساني بتلك العلاقة بين موطنه ومحيطه الطبيعي وإبداعاته المادية والجمالية وبالذات الجماعية؛

- **المعنى الثاني:** يتعلق بنوع الأساليب وأشكال القيم التي يبتكرها الإنسان قصد إعطاء معنى خاص لإنسانيته، فينظم بها حياته الفكرية الخاصة والاجتماعية والروحية والجماعية. ومن هذا السياق فالثقافة تتضمن مجموعة النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع، وما يتعلق بها من المهارات أو يعود عليها من الوسائل، أي أن الثقافة موصولة الروابط بجميع أوجه النشاط الاجتماعي المختلفة الأخرى تأثرا وتأثيرا.

والثقافة بهذا المعنى أيضا تنظم جميع السمات المميزة للأمة، فهي تشمل مجموعة المعارف والقيم المستقرة فيها، طرائق التفكير والإبداع المعرفي والتقني وسبل الحياة من سلوك وتعبير، كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا والبحث المستمر عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله.²

¹ نفس المرجع، ص. 48.50، ص.

² محمد عبد العليم مرسى، الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية: نظرة إسلامية. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ص 44.

وجدير بالذكر أن خطة الثقافة العربية أخذت بالمعنى الثاني للثقافة تيسيرا للقارئ والباحث في هذا المجال، وهو التعريف الذي يتماشى مع التعريف المطروح من قبل المؤسسات الدولية والمتفق عليه من طرفها، فظل هذا المفهوم هو المتداول والمستخدم باعتبار أنه يركز على وجود الاختلافات بين جل الثقافات، ولتميز ثقافة أمة ما عن أخرى لا بد من الاستعانة بمعالم تحدد في الماضي وتتشكل في الحاضر وتتجه نحو المستقبل، وهو ما حددته الخطة الشاملة للثقافة العربية، ومن بين هذه المحددات نذكر¹:

➤ تراث الأمم الروحي والمادي الذي يبرز خصائصها وقيمها ووجهها الحضاري عبر العصور (التراث)؛

➤ سلوكها المعيشي وإبداعها المتصل والمتطور ومثلها العليا المشتركة؛

➤ طموحاتها المستقبلية وما ترسمه من أهداف إنسانية عليا في تطلعاتها للغد (الهدف).

☒ المنظمة الإسلامية للتربية والعلم والثقافة **ISESCO** (1981): هي منظمة تابعة لمنظمة

المؤتمر الإسلامي، تقرر إنشاؤها بناءً على مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بجانفي 1981 بالمملكة

العربية السعودية، وبمناسبة عقد مؤتمر خاص بالتخطيط والتحضير بالرباط في الفترة الممتدة بين

2-4 أوت 1988 لوضع استراتيجية إسلامية موحدة للثقافة قدمت المنظمة **ISESCO** عبر بيان

ختامي تعريفا للثقافة في مفهومها الواسع على أنها:

"الوعاء الحضاري الذي يحفظ للأمة وحدتها، ويضمن تماسكها، ويكسبها السمات الفكرية المميزة، فهي رمز هويتها، وركيزة وجودها، وهي جماع فكرها، وخلاصة إبداعها، ومستودع عبقريتها، وهي مصدر قوتها، ومنبع تميزها بين الأمم"².

¹ العلالى الصادق، العلاقات الثقافية الدولية دراسة سياسية-قانونية، مرجع سبق ذكره، ص، ص 46.54

² نفس المرجع، ص 61

ووفقا لهذا التعريف هناك تشابه في مفهومه الموسع مع تعريف اليونيسكو (مكسيكو 1982) بإضافة تعريف مصطلح المعرفة التي هي حسب البيان الختامي للمنظمة: "كل معلوم خضع للوحي أو الحدس أو التجربة"¹.

ونتيجة لتعدد التعريفات حول الثقافة وتباين مفكريها وخلفياتهم وحدوث نوعا من الجدل حول التعريف الواجب اعتماده، فإنه من وجهة نظرنا التعريف الأكثر تطبيقا وشمولية في مكوناته هو ما توافقت عليه المنظمة العالمية UNISCO سنة 2001، إذ تعرف الثقافة بأنها:

"جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وتجعل منه كائنا يتميز بالإنسانية المتمثلة بالعقلانية، والقدرة على النقد، والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها يهتدي إلى القيم ويمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته، والبحث عن مدلولات جديدة، وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه"².

الفرع الرابع: الثقافة وبناء المفهوم في الفكر العربي

الثقافة كلمة عربية قد عرفت عند العرب قديما وتداولت في اللسان العربي الفصيح، فوردت وتكررت في دواوين الشعراء العرب وتطرفت إليها أكثر وأشهر معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة، كمعجم مقاييس اللغة لابن زكريا وأساس البلاغة للزمخشري وصولا إلى المعجم الوسيط³.

أولا: جذور الثقافة في الفكر العربي

¹ نفس المرجع، ص. 62

² على ناصر كنانة، الثقافة وتجلياتها السطح والأعماق، ط1. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، 2017، ص12

³ زكي الميلاد، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005، ص13.

جاء في لسان العرب لابن منظور معنى (ثقافة) على أنه "تقف الشيء ثقفاً وثقافاً بمعنى حذقه"، فالرجل الثقف أي الحاذق الفهم، وفي حديث الهجرة غلام لقن ثقف أي ذو فطنة ونكاء¹، وفي المجلد الثاني لموسوعته دائرة معارف القرن العشرين يعرف العالم فريد وجدي كلمة (ثقافة) كمصدر من الفطنة والحذق، وثقف العلم أي أسرع أخذه²، وثاقفه مثاقفة وثقافاً أي غالبه فغلبه في الحذق والفطنة وإدراك الشيء وفعله، وجاءت بمعنى الظفر والإحاطة، قال سبحانه وتعالى: "إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً"³، وقوله تعالى: "وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفُوهُمْ"⁴، كما جادت القواميس اللغوية الحديثة بنفس المعاني، فهي لا تكاد تخرج عن الجانب المعرفي للفهم والإدراك، التهذيب والتنشئة والتقويم حيث تبدأ بالفرد وتنتهي عند المجتمع⁵.

إن الدلالات الواردة لكلمة ثقافة في المعاجم والخطاب العربي القديم كانت بعيدة عن معاني اللفظ المعاصر، ذلك راجع للنشاط الواسع للترجمة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ما أدى إلى نزع بعض الكلمات العربية عن جذورها وسياقها لتعبر عن معانٍ وكلمات أجنبية حلت محلها، هذا ما لا يستدعي أي غرابة من كون المصادر الأجنبية هي المرجع للباحثين، كون أن السياق العام للتطور الفكري العربي والإسلامي خلال تلك الفترة نتج عنه نوع من العزوف اللاإرادي أو الإرادي عن المصادر العربية والإسلامية⁶، وحتى لو تم تتبع تلك المصادر وتطور الفكر العربي والإسلامي عموماً لن يوجد أي تبلور لما يسمى العلوم الاجتماعية لفترة ما قبل ابن خلدون وما بعده، وهذا كان أشد سبب من الناحية المنهجية والمعرفية في عدم اكتشاف وبناء مفهوم الثقافة لدى الفكر العربي، فابن خلدون (1332-1406) اعتبر نفسه مكتشف لعلم

¹ ابن منظور محمد، لسان العرب. القاهرة: دار المعارف، ب س ط، ص 492

² مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر، عبد الصبور شاهين، ط 4. دمشق: دار الفكر، 1984، ص 19

³ القرآن الكريم: سورة الممتحنة الآية 02

⁴ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 191

⁵ على الصناعي ناجي، "الثقافة الوطنية بين إشكالية المفهوم والتحديات الراهنة"، مجلة القلم، ع 3، 2015، ص، ص 205، 206

⁶ نصر محمد عارف، الحضارة الثقافية المدنية: دراية لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، مرجع سبق ذكره، ص، ص 26، 27

الاجتماع لأنه نظر إليه كعلم مستقل بذاته، موضوعه هو ما يدخل في العمران البشري (البديوي والحضري) والاجتماع الإنساني وأحوالهم وعوارضهم¹، حيث قال:

"أعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، عزيز الفائدة، أعثر عليه البحث، وأدى إليه الغموض.. وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليفة، ما أدرى غفلتهم عن ذلك، وليس الظن بهم، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا. فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل.. ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما، واعثرنا على علم، فإني كنت قد استوفيت مسأله، وميزت عن سائر الصنائع أنظرها وأنحاءه، ولي الفضل لأنني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء"².

لقد تنبه المفكر سلامة موسى المصري إلى استعمال ابن خلدون وحديثه عن الثقافة في مقدمته المشهورة، فانتحلها منه وقال في مقاله عن الثقافة والحضارة سنة 1927: "كنت أول من أفشى لفظة الثقافة في الأدب العربي الحديث، ولم أكن أنا الذي سكتها بنفسه، فإني إنتحلتها من ابن خلدون، وإذ وجدته يستعملها في معنى شبيهه بلفظة "كلتور" الشائعة في الأدب الأوروبي"³. وقد جاءت التعاريف فيما بعد تستعمل الدلالات والمعاني التي تأخذها كلمة 'culture' في مفهومها الأجنبي، وحتى المؤلفين العرب لم يخرجوا من نفس المعاني المتعددة لمفهوم 'culture' وحتى في تطوره التاريخي⁴.

فالمفكر مالك بن نبي كتب مؤلفه عن "مشكلة الثقافة" وركز على أن المشكلة هي في مصطلح الثقافة نفسها باعتبار أنها لم تكتسب بعد قوة التحديد في اللغة العربية، وحسب رأيه أن الكتاب والمفكرون في البلاد العربية يقرنون دوما كلمة الثقافة بأصلها وحرفها اللاتيني Culture، وهم بلا شك يفعلون ذلك قصد أن الكلمة لا بد لها من دعامة لإعطاء مفهومها المرتجى منه في الفهم المعاصر⁵، كما حاول بن نبي عرض

¹ زكي الميلاد، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة. مرجع سبق ذكره، ص22

² عبد ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، بيروت: دار الفكر، 2001، ص، ص49.50

³ خميلة فيصل، تحديات الأمن الثقافي في عصر العولمة-دراسة حالة الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص61

⁴ نصر محمد عارف، الحضارة الثقافية المدنية: دراية لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، مرجع سبق ذكره، ص28

⁵ زكي الميلاد، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة. مرجع سبق ذكره، ص24.25

أهم التصورات عن الثقافة التي نفى قدرة تطبيقها على المجتمع العربي الإسلامي بخصوصياته، وأوضح أن تلك التعريفات ما هي إلا انعكاس لواقعهم لا غير¹.

ثانياً: أهم التعريفات للثقافة لرواد الفكر العربي

إن معضلة وتعدد مفاهيم الثقافة ومشكلاتها العصرية ساهمت في تعدد التعريفات لأهم المتصدرين في السياق العربي الحديث، ومن أهم المفكرين العرب الذين قدموا رأيهم حول الثقافة نذكر:

✚ **مالك بن نبي (1905-1973):** بعد نقده للمدارس الغربية انتهى المفكر الجزائري بن نبي إلى

وضع تعريف للثقافة على أنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته، كرسائل أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه طباعه وشخصيته²، وهنا عمد بن نبي للإشارة إلى خاصية الشمولية في تعريفه باعتبارها المحيط الذي يعكس حضارة معينة التي هي نطاق الإنسان المتحضر، وهو بذلك يضم فلسفة الإنسان من جهة وفلسفة الجماعة (المجتمع) من جهة أخرى مع ضرورة انسجام كل تلك المقومات في كيان واحد عبر ما أسماه الشرارة الروحية³؛

✚ ثم يأتي بعده العلامة أستاذ الفلسفة المغربي **محمد عابد الجابري (1935-2010)** الذي عرّف

الثقافة في مقاله عن العولمة والهوية الثقافية سنة 1998 بأنها: "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميكيتها الداخلية وقابليتها

¹ لمياء مرتاض نفوسي، دور الشعر الملحنون في التنمية الثقافية المحلية، مرجع سبق ذكره، ص 94

² حورية بكوش، "تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي دراسة في المفهوم الثقافة وعناصرها"، مجلة رفوف، ع 10، ديسمبر 2016، ص 121

³ زكي الميلاد، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة. مرجع سبق ذكره، ص 74

للتواصل والأخذ والعطاء"¹. حسب رؤية الدكتور الجابري فإنه ليس هناك ثقافة عالمية واحدة بل فالأغلب لن تظهر مستقبلاً، لذا هناك ثقافات متعددة تعمل كل منها بصورة تلقائية، وعلى هذا الأساس أضاف الجابري تعريفاً بصيغة أخرى مستكملاً به ما سبق، حيث أوضح بأن الثقافة هي: "المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل"²؛

✚ أما المؤرخ والعلامة الفلسطيني عبد الوهاب الكيالي فقد عرف الثقافة في (الموسوعة السياسية) بكونها: "ذلك الإرث الاجتماعي ومحصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع، إذ يتكون الشق المعنوي من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والفني والأدبي والقيمي الذي يتجلى في الرموز والأفكار والمفاهيم والنظم وسلم القيم والحس الجمالي، في حين يتكون الشق الثاني من مجمل النتاج الاقتصادي والتقني (الأدوات والآلات) والبيوت وأماكن العمل والسلاح الخ. أما الإطار الاجتماعي الذي يتحقق من خلاله هذا الإرث المستمر والمتطور من جيل إلى آخر، فهو المؤسسات والطقوس والجماعات وأنماط التنظيم الاجتماعي الأخرى..."³.

المطلب الثاني: أثر وأهمية البعد الثقافي في العلاقات الدولية

شكلت متغيرات البعد الثقافي عنصر هام من عناصر السياسة الخارجية للدول في إطار تفاعلاتها الخارجية باعتبارها كيانات تعبر عن شخصية المجتمع الممثل له، ووجود تلك الدول يتحدد بالعناصر الموضوعية المشتركة كاللغة والعادات والتاريخ وحتى الدين، والتي أحياناً تأخذ شكل التعبير الأيديولوجي في بعض أوجهها، وما يترتب عن هاته العناصر والمتغيرات من أثر على سلوك الدولة في رسم وصياغة

¹ محمد عابد الجابري، العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص 297

² نفس المرجع، ص 298

³ عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، ص 844

قراراتها وسياساتها¹، فخلال العقدين السابقين خاصة بعد الحرب الباردة تصاعد دور الأبعاد الثقافية في ظل عمليات وسياسات وأيديولوجيات ظاهرة العولمة إلى جانب البروز القوي للأبعاد القيمية في منهجية دراسة العلاقات الدولية، هذا ما ساهم في تجدد الاهتمام بموضوعات الثقافة وتأثيرها على العلاقات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة².

لم يقتصر الاهتمام بالثقافة على أصحاب الحقول الاجتماعية فقط فدارسو العلاقات الدولية أيضا بدأوا دراساتهم حول الثقافة بالارتكاز على إسهامات المفكرين الرواد من علم الاجتماع وحتى الأنثروبولوجيا، ليتجلى ذلك الحد الواسع من الاتصال والتقاطع حول الكثير من القضايا والمفاهيم بين مختلف الحقول العلمية، وعليه فإن الجهود العلمية الأولى قامت على خلق الصلات بين الثقافة وسلوك الدولة، لتظهر عن الدراسات الأنثروبولوجيا في ميدان العلاقات الدولية نماذج ومفاهيم مثل القوة أو الهيمنة الثقافية، الإمبريالية أو الاستعمار الثقافي، وهي على عموميتها تعني عمليات فرض للقيم الثقافية بين الدول وبين الجماعات العرقية، وقد طرح الفيلسوف الإيطالي ذو الفكر السياسي Antonio Gramsci (1891-1937) تعريفا أطلق عليه اسم الغطاء السياسي الخارق super-political veil، وعلى أساسه اعتبر أن الهيمنة الثقافية هو شكل الحكم اللازم والحتمي لحكم المجتمع المدني، بمعنى أن الطبقة الحاكمة لا بد أن تستمد دعمها من المنقذين والمؤسسات الثقافية³، فقد كتب Gramsci في دفتر ملاحظاته "لا يكفي أن تحكم الطبقة المهيمنة من خلال مؤسسات الدولة كالنظام القانوني، والشرطة والجيش، بل يجب عليها أيضا أن تتجج في فرض معاييرها الفكرية والأخلاقية بطريقة أكثر فعالية من خلال الإقناع"، وكان المقصود من هذه الفكرة هو التقاط

¹ دهقاني أيوب، "البعد الثقافي والهوياتي في السياسة الخارجية الفرنسية: دراسة وفق المنظور البنائي للعلاقات الدولية"، المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، مج3، عدد6، ديسمبر2018، ص195

² نادية محمود مصطفى، جدالات صراع/حوار الحضارات: إشكالية العلاقة بين السياسية الثقافي في خطابات إسلامية عربية. مركز الحضارة للدراسات السياسية، ص2، مقال متاح على الرابط: <http://cutt.us/UUo2F> تاريخ الاطلاع: (2022/02/02)

³ أكرام بركان، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010، ص79،

قدرة الطبقة الحاكمة على بناء توافق في الآراء من خلال عمل جميع أنواع المثقفين الذين يمنحون بقية السكان فرصة سياسية وفكرية وتوجيه أخلاقي¹.

الفرع الأول: الأدوار الأساسية للثقافة في العلاقات الدولية

إن البعد الثقافي اليوم قضية حيوية وجادة تبنى عليها السياسات والاختبارات الاستراتيجية لمختلف الدول والتكتلات الدولية والإقليمية، ذلك لما له من أدوار هامة وإيجابية في تحقيق وتشجيع السلام العالمي ومسألة التعايش بين ثقافات الشعوب والأمم، كما في الوقت نفسه يمكن استغلاله بطريقة سلبية في تأجيج الصراعات وتوظيفه في نشر العنف، التعصب، العنصرية ومظاهر التطرف الديني المنتشرة داخل المجتمعات وفيما بينها²، فقد ذكر Samuel Phillips Huntington (1927-2008) -من أهم المفكرين الذين ركزوا على الثقافة- في كتابه (صراع الحضارات) أن مع نهاية الحرب الباردة وصراعها بين الأيديولوجيات، ونتيجة للاضطرابات بسبب التحديث والتحضر والاتصالات الجماهيرية لن يكون المصدر الأساسي للصراع الدولي أيديولوجيا أو اقتصاديا بل ثقافيا³.

طيلت فترة طويلة لعبت الثقافة أدوارا عديدة في العلاقات الدولية، من أهمها: ⁴

- الثقافة محدد لصورة العالم لدى القوى المؤثرة في النظام الدولي، فهي تؤثر في إدراك تلك القوى الفاعلة أو سوء إدراكها للأحداث، أحكامها القيمية الأخلاقية والجمالية والذوقية، هذا ما يؤثر بدوره أيضا على رؤية وأحكام وسلوكيات صناع السياسات الخارجية للدول؛

¹ Giancarlo Schirru, *L'hégémonie de Gramsci entre la sphère politique et la sphère symbolique*. *International Journal of Politics, Culture and Society*, Vol. 16, No. 2, Winter 2002, p274

² محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، مرجع سبق ذكره، ص6

³ Lieber-Weisberg, 'Globalization Culture And Identity'. *International Journal of Politics, Culture and Society*, Vol. 16, No. 2, Winter 2002, p274

⁴ احمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي؟". *المجلة العربية للعلوم السياسية*، ع20، أكتوبر، 2008، ص، ص134، 133.

■ الثقافة مصدر هام للدوافع. فالدوافع تتبع بصورة رئيسية لدى الفرد - فضلا عن شخصيته - من تفاعلاته وعلاقاته بمن حوله والقيم الثقافية في مجتمعه، وعليه يمكن التمييز بين مجتمعات أفرادها دوافعهم تدعو إلى الحرية فتعلى من قيمة الحرية، ومنها مجتمعات تعلى من قيمة المساواة .. وهكذا. على سبيل المثال تلك الحروب التي تبرر باسم الديمقراطية والحرية كفعل الحكومتين الأمريكية والبريطانية قبيل حربهما على العراق 2003، بخلاف مجتمعات تركز على قيمة ودافع التضامن كالمجتمعات العربية التي يمكنها من حشد الدعم الشعبي لمؤازرة شعب شقيق في نضاله نحو التحرر كالشعب الفلسطيني؛

■ الثقافة ودورها في تحديد هوية الفرد والجماعة، بحيث يكون التمييز ظاهرا بين الجماعات على غيرها وفقا لأسس القرابة أو العرق أو الدين أو اللغة وغيرها، فبالثقافة يكون الإدراك بمن ((نحن)) ومن ((الآخر))، لأنها هي الأساس الذي تقوم عليه الإيديولوجيات القومية، ومنها التي أدت إلى صراعات وحروب كبرى عبر التاريخ؛

■ الثقافة عنصر مؤثر على التقسيمات الإيديولوجية والتصنيفية للشعوب سواء على أساس العرق أو الطبقة ...، ومثال على ذلك ما يتجلى أثرها على مستوى العالم في تقسيمه إلى شرق وغرب أو شمال وجنوب، وهي تقسيمات ذات بعد ثقافي وليست جغرافية.

فضلا عن الأدوار التاريخية للعوامل الثقافية في مجال التفاعلات الدولية فإنها إجمالاً أصبحت تحتل الصدارة في قائمة الانشغالات لدى الدول، النخب السياسية، مراكز البحوث المتنوعة والمؤسسات الدولية بعد أن ظلت مهمة في دراسة العلاقات الدولية لفترة طويلة، فالعلاقة بين الثقافات المختلفة تحكمها الديناميكيات نفسها التي تسيطر على العلاقة بين مختلف المجتمعات والدول. بمعنى آخر، إن ديناميكية التجاور والتفاعل والتعايش وتبادل المصالح ينتج عنها انفتاح المجتمعات والدول والثقافات، أما في المقابل

ديناميكية الصدام والعدوان والصراع تُظهر الانكماش لكل مجتمع أو دولة على نفسها وتتخذ موقعا دفاعيا مستقرا وتصاعدا لحالات اللأ أمن¹.

الفرع الثاني: العوامل المساعدة على الاهتمام بالثقافة في العلاقات الدولية

اهتمت العديد من الكتب والدراسات الأكاديمية بالعوامل الثقافية باعتبارها قوة مؤثرة ودافعة في الشؤون الدولية، على حساب تلك الاعتبارات والعوامل الإيديولوجية والأمنية التي سادت فترة الحرب الباردة بصورة خاصة، بل حتى النظريات الرائجة كالواقعية التي تبنت النهج الثقافي في معرض الدراسات الأمنية، ففي نهاية سنة 1990 شهدت موجة كبيرة من المنشورات التي ركزت على المتغيرات الثقافية في استراتيجيات الأمن القومي، كدراسة Michael Desch و Peter Katzenstein التي أجروها على شكل مقال عن ثقافة الأمن القومي "the culture of national security"²، ومن ثم أصبحت الثقافة سلعة ذو قيمة مرتفعة في سوق مفاهيم العلاقات الدولية، واستحوذت على اهتمام مضاعف في أمهات كتب العلاقات الدولية مما جعل استخدام البعد الثقافي ضرورة لفهم وتحليل التحولات العالمية وديناميكيته، فإذا كانت العلاقات الدولية قائمة على المصالح في غالب مجالاتها فإن دراسة المثل وهويات الدول غاية الأهمية لكشف من هم الفاعلون³. ومن أهم العوامل التي ساعدت على زيادة هذا الاهتمام كبعد مؤثر في العلاقات الدولية نذكر:

➤ التفاعل بين التحولات العالمية والحقل الأكاديمي للعلاقات الدولية الذي أدى إلى تزايد الاهتمام بالمتغيرات الثقافية ضمن أدبيات العلاقات الدولية المعاصرة، -كما تم الإشارة سابقا- فنهاية

¹ خميلة فيصل، تحديات الأمن الثقافي في عصر العولمة-دراسة حالة الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص65

² إكرام بركان، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص81

³ مها سليمان محمد شحادة، السياسة الخارجية الصينية تجاه النظام الدولي "البعد الثقافي نموذجا" 1991-2015، مذكرة ماجستير، جامعة

الأزهر غزة، 2017، ص21، 20.

الحرب الباردة المفاجئ أجبرت المجتمع الأكاديمي على إعادة النظر لمكانة النظرية الثقافية ومسألة

الهوية في الشؤون الدولية، إضافة للسعي للتنظير في تلك القضايا الجديدة¹؛

➤ بروز قضايا جديدة معاصرة ترتبط بالثقافة وتثير جدالات أكاديمية كالعولمة التي لها انعكاسات

خطيرة على جميع الأصعدة، فهي تركز التقارب الرهيب بين شعوب العالم وتؤثر على النسيج

الاجتماعي للدول وخاصة الفقيرة منها²، فالعولمة الثقافية كمفهوم تنصرف إلى تحطيم القيم

والهويات التقليدية للثقافات الوطنية، وتعلو من القيم الفردية الاستهلاكية³؛

➤ تعزيز الوعي الحضاري الذي ظهر كنتيجة لانتهاج الحرب الباردة ونتج عنه التخفيف من حدة

التهديدات العسكرية العنيفة بين الدول وتلاشي المواجهات الأيديولوجية بين الكتل، وبات التركيز

على منظور آخر غير القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية أمر حتمي، لأن العوامل الروحية

الأساسية للثقافة الوطنية أصبحت تشكل مقياسا لقوة الدولة، هذا ما يعزز أهمية البعد الثقافي الذي

تسعى به القوى العظمى إلى الهيمنة وتوحيد العالم مع قيمهم الثقافية⁴؛

➤ نظريات "صراع الحضارات" و"نهاية التاريخ" ظهرت كخلفية لتبرير تأثير الثقافة في العلاقات

الدولية، عبر نشاط بعض الباحثين الغربيين وتعاونهم مع دولهم على رأسها الولايات المتحدة

الأمريكية، حيث سعت أطروحات أولئك الباحثين لخلق الأسس النظرية لتسلل الثقافة كمتغير

رئيسي في الواقع الدولي والتوسع تحت غطاء الشرعية والعقلانية، وتعد أطروحة صدام الحضارات

أهم الدراسات التي لاقت التأثير الكبير والواسع من الناحية النظرية، فمفهوم الحضارة هنا مساوٍ

¹ إكرام بركان، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 85

² مسعود لبيوض، "العولمة وسؤال الثقاف". مجلة آفاق علمية، مجلد 11، عدد 02، 2019، ص 559

³ تحتوت نور الدين، "خصائص العلاقات الدولية فيما بعد الحرب الباردة وأطروحات العولمة". مجلة العلوم الإنسانية، ع 22، جوان 2011، ص 222،

⁴ مها سليمان محمد شحادة، السياسة الخارجية الصينية تجاه النظام الدولي "البعد الثقافي نموذجاً" 1991-2015، مرجع سبق ذكره، ص 22

لمفهوم الثقافة إذ يمكن أن يطلق "الحضارة الكونفوشيوسية" على "الثقافة الكونفوشيوسية"، ذلك باعتبار أن الحضارة هي الشكل الوجودي للثقافة¹. إذ ركز عالم السياسة الأمريكي Samuel P. Huntington مؤلف "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي 1996" على أن الصراعات الملحة والمهمة وحتى الخطيرة لن تكون بين الطبقات الاجتماعية، أو بين الغني والفقير أو بين جماعات أخرى محددة اقتصادياً، بل ستكون الصراعات بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية متباينة، فالصراعات القبلية والعرقية تحدث داخل الحضارات²؛

➤ ظهور مفاهيم كالقوة اللينة أو الناعمة التي اتخذت من البعد الثقافي ركيزة في مظاهر التأثير والتأثر ضمن التفاعلات الدولية، وقد طرح هذا المفهوم جوزيف ناي سنة 1990 في مقاله "القوة الناعمة" ثم في كتابه، ليؤكد على وجود وجه آخر غير مادي للقوة تُستمد من جاذبية الثقافة والقيم ومصادقيتها لدى الدول³؛

➤ بروز الاتجاه البنائي الذي يراهن على مركزية وأهمية الأفكار والمتغيرات الثقافية في تفسير الوقائع الدولية، ويعد الباحث الأمريكي Nicholas Onuf أول مستخدم لمصطلح البنائية في العلاقات الدولية في كتابه الذي طبعه سنة 1989 والمعنون بـ "عالم من صنعنا World of Our Making"، حيث انتقد Onuf أفكار وفرضيات الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة ليتجاوز مفاهيمهم المادية للبيئة الدولية، ليركز على الأبنية المعيارية والمادية ودور الهوية في تشكيل العمل السياسي، وبعده جاءت مساهمات عالم السياسة الألماني لتعزز

¹ إكرام بركان، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 87

² صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط2. بغداد: دار سطور، 1999، ص 46

³ جلال علي، مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية. مصر: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2019، ص. 11، 12.

من مفاهيم الاتجاه البنائي في حقل العلاقات الدولية، لتركز البنائية على دور الثقافة والقيم والأفكار، وتناولت بالتحليل قضايا الهوية والمثل بخلاف المدارس الأخرى¹.

عموما فإن زيادة الاهتمام بالأبعاد الثقافية تبعا للتغيرات والتفاعلات العالمية غير منفصل عن الأبعاد الاقتصادية والسياسية، وتؤكد د. نادية مصطفى أن هذا التزايد هو في الحقيقة تعبير عن التفاعل الثقافي مع السياسي والاقتصادي، حيث تسعى هذه الأبعاد الأخيرة إلى توظيف الثقافة بطريقة أو بأخرى، وهو ما تفرضه طبيعة المرحلة الراهنة في العلاقات الدولية، فبعد أن تحققت للنموذج الغربي الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية تبقى لها اكتمال الهيمنة الثقافية أيضا².

إذن. أثرت المتغيرات الثقافية في كافة جوانب حقل العلاقات الدولية، ففي مجال الاقتصاد الدولي نجد دراسة أثر المتغيرات الثقافية في تحديد أنماط الإنتاج والاستهلاك وأخلاق العمل، أما في السياسة والأمن الدولي تساعدنا دراسة البعد الثقافي في فهم واختبار نظريات كصراع الحضارات ونهاية التاريخ، والاستخدامات المعاصرة لسلح انتحاري نابع من أصول ثقافية بمسمى "الاستشهاد" لتحقيق أغراض سياسية، حيث أن تحليله يفيد في تفسير سلوك منظمات متطرفة كتنظيم القاعدة، بل تتعدى فائدة دراسته إلى فهم جوانب مهمة في الصراع العربي-الإسرائيلي³، وفي إطار الهيمنة العالمية يسعى النموذج الغربي إلى تحقيق الهيمنة الثقافية عبر عولمة الثقافة بعد أن تحقق له الهيمنة السياسية والعسكرية والثقافية⁴، وعبر ما قدمه المفكر الأمريكي Joseph Nye تحت مسمى "القوة الناعمة أو اللينة" التي ركز عليها للحفاظ على الهيمنة العالمية وقوة الولايات المتحدة الأمريكية، في قوله أن دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية بإمكانها الحصول

¹ شاهين حاتم احمد موسى، النظرية البنائية في العلاقات الدولية ما بعد الحرب الباردة (1991-2015)، مذكرة ماجستير، جامعة الأزهر غزة، 2017، ص، ص.82،80

² أماني صالح، عبد الخبير عطامحروس، العلاقات الدولية. البعد الديني والحضاري. دمشق: دار الفكر، 2008، ص99

³ احمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي؟"، مرجع سبق ذكره، ص134

⁴ أماني صالح، عبد الخبير عطامحروس، العلاقات الدولية. البعد الديني والحضاري، مرجع سبق ذكره، ص99

على النتائج التي تريدها في السياسة الدولية، ذلك لأن الدول الأخرى تسعى إلى اللحاق بها وإتباعها إعجاباً بقيمتها أو تقليداً لنموذجها وكذا تطلعا لبلوغ ازدهارها ورفاهية مجتمعها وانفتاحه، كما أشار Nye أن من الأهمية بمكان أن تستغل ذلك كله بوضع برنامجا في السياسة الدولية يجذب المجتمع الدولي إليها، دونما الحاجة إلى التهديد أو استعمال القوة العسكرية أو الاقتصادية، فالقدرة على تأسيس الأولويات دائما ما تميل إلى الاقتران بمصادر القوة المعنوية، مثل أن تكون درجة جاذبية الثقافة إيديولوجيا أو مؤسسات أقوى لدى الآخرين، فبذلك تكون الهيمنة العالمية أقل تكلفة لدى القوى العظمى¹.

ويذهب البنائيون بالقول أن الهويات والأعراف والمبادئ تلعب أدوارا بارزة وحاسمة في إدراك الدول لمصالحهم الوطنية وبلورة سياساتهم الخارجية، إذ تتراوح هذه الأدوار بين الدفع بتبني سياسات معينة في قضايا محددة، استيعاب مدى قبول السياسة الخارجية دوليا، تعريف توجهات الدولة مع إدراك مصادر التهديد الذي تتعرض له ومعرفة حلفائها المحتملين لمواجهة هذا التهديد، وغالبا ما تقدم تلك الهويات النظرة الفضلى للدول تجاه بعضها البعض، كما تساهم أيضا في تفسير التفاعلات في المنظمات الدولية وتبرز حين تواجه المنظمة الدولية انقساما بين أعضائها اتجاه سياسة معينة، مثل ما واجهت جامعة الدول العربية أزمة حول تفسير معاهدة الدفاع المشترك بين أعضائها في منتصف الخمسينات بخصوص مسألة التحالف العسكري بين الدول العربية وغير العربية المتعلقة بالانضمام لحلف بغداد الذي كان العراق وبريطانيا من أقطابه، فقد كان السائد في الأعراف والمبادئ عربيا آنذاك بامتناع التحالف مع القوى الاستعمارية والحياد في صراع القوى العظمى².

¹ إكرام بركان، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 88

² احمد علي سالم، القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي؟، مرجع سبق ذكره، ص، 135

المبحث الثاني: الظاهرة الدينية وأثرها في العلاقات الدولية

في العقود الأخيرة برز بشكل قوي تأثير البعد الديني كمحدد في السياسات والتفاعلات الدولية وحتى في مختلف جوانب الحياة، فقد أصبحت العلاقة بين الظاهرة الدينية والسياسة الخارجية للبلدان أهم قضايا العلاقات الدولية بشكل عام والمحرك الرئيسي لهذه الأخيرة، إذ أن أكثر الحروب والنزاعات والصراعات بات الدين يشغل موقعا رئيسيا فيها، وهذا ما يؤكد أن موضوع الدين كظاهرة سياسية واجتماعية وأمنية قد لقي اهتماما واسعا من قبل العلماء والباحثين في مجال العلاقات الدولية. وسنحاول التركيز في هذا المبحث على تعريف الدين، ماهيته كظاهرة في العلاقات الدولية وما آثاره عليها.

المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي للظاهرة الدينية وعلاقتها بالسياسة

إن الدين هو الركيزة الأساسية في بناء حياة الإنسان وسلوكياته وأخلاقه على المستوى الفردي من جهة والدعامة في استقرار المجتمعات الإنسانية على المستوى الكلي من جهة أخرى، فاستقرار النظم المجتمعية القائمة داخل الدول واستمرارها ككتلة متكاملة ناتج عن الهوية الدينية المعتمدة من طرف أفرادها والمؤثرة على سلوكهم.

بتتبع تاريخ الحضارات ومراحل تطورها يظهر بشكل لافت مركزية "الدين" كظاهرة اجتماعية، لها دور أساسي وتأثير بالغ في صياغة حياة الإنسان وتفاعلاته وسلوكياته وأخلاقياته، وتزداد أهميته في ظل حقيقة أن المجتمعات الإنسانية تتحقق وحدتها عبر تَبَنِي أعضائها لجملة من القيم المطلقة والغايات العامة التي تؤثر في السلوك، وينتج عنه استمرار تلك المجتمعات كنسق متكامل في ظل نشر الأمن والطمأنينة وتأكيد الضمان الاجتماعي ما يدعم استقرار النظم المجتمعية القائمة داخل الدول¹.

¹ أماني صالح، عبد الخبير عطامحروس، العلاقات الدولية. البعد الديني والحضاري، مرجع سبق ذكره، ص 83

الفرع الأول: الدين في الاشتقاق والمفهوم العربي

عند التطرق إلى البناء اللفظي لكلمة "دين" في اشتقاقه اللغوي نجد أن المعاجم والكتب المتخصصة ذكرت عدة معاني للكلمة، جمعها وحصر أهم معانيها الدكتور عزمي بشارة في مؤلفه المتخصص في الآتي: " العادة، الطاعة، الحكم، القهر، القضاء، الحساب، الذل، الورع، السيرة، السياسة، الداء، الموت، الحال"¹. واللفظ مشتق من الفعل الثلاثي "دان" الذي إذا تعدى بنفسه في قولنا (دانه ديناً) يعني ملكه وساسه وحاسبه كما في قوله تعالى: {مالك يوم الدين}² أي يوم الحساب، وإذا تعدى باللام مثل قولنا (دان له) أي أطاعه فتأخذ معنى الخضوع والطاعة، أما حين يتعدى بالياء (دان بالشيء) فيعني أنه اتخذ ديناً ومذهباً³، فالدين هنا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها الفرد نظرياً أو عملياً.

إن كل هذه المعاني اللغوية للدين تدور حول معنى لزوم الانقياد، إذ أن الاتجاه الأول للدين هو إلزام الانقياد والثاني يعبر عن التزام الانقياد، أما في الاتجاه الثالث تستعمل للدلالة على المبدأ الذي يلتزم الانقياد له، فمعنى "اللزوم" هو المحور الذي تدور عليه مفردة الدين بفتح الدال فهي تقتضي إلزاماً أدبياً غير الدين بالكسرة الذي يتضمن إلزاماً مالياً⁴.

وعند التوجه إلى المصادر البلاغية العربية وصوب القرآن الكريم نجد حضوراً كبيراً لمفردة الدين باختلاف مبانيها ومعانيها، واللافت للانتباه هو أن المفردة "دين" لا تعبر عن الإسلام فحسب بل تشمل كافة الديانات السماوية والوضعية⁵، والدليل على ذلك في الآية الكريمة: {لكم دينكم ولي دين}⁶، فدلالة الكلمة هنا

¹ عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي. ج1، بيروت: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 2013، ص306

² القرآن الكريم، سورة الفاتحة، آية4.

³ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز. مصر: وزارة التربية والتعليم، 1994، ص241 وانظر: أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، المجلد 13. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990 ص، ص 169، 170.

⁴ دراز محمد عبد الله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. مصر: مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، 2014، ص ص31، 32

⁵ إحسان الحيدري، فلسفة الدين في الفكر الغربي. بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر، 2013، ص24، 23.

⁶ القرآن الكريم، سورة الكافرون، آية 6

تشير إلى أن الدين يمثل منهجا وطريقة ومعتقد غير مختصين بفترة دون غيرها، كما أن أهل التفسير من العلماء يذهبون إلى أن كلمة "دين" في قوله جل جلاله: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }¹ تخص دين الإسلام دون غيرها، وتأكيد في آية ثانية في قوله تعالى { ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه }².

يتميز مفهوم الدين في مجال التداول العربي -الإسلامي- بتعدد وتنوع مظاهره وأبعاده لارتباطه بالإسلام عقيدة وشريعة وحضارة، وهو ما دفع بالمفكر محمد الطاهر بن عاشور التونسي 1926-1972 صاحب التفسير القرآني "التحرير والتنوير" إلى تقديم تسعة مظاهر وتجليات للدين في تفسيره للآية { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }، من أبرزها: المظهر العقدي، التعبدي، التشريعي، الأخلاقي ثم المظهر المعرفي والفكري والمعاملاتي، ومفهوم الدين في سياقه الحضاري المرتبط بالإسلام الذي لا يمكن بمقتضاه حصر الدين في العلاقة الروحية فقط بين الإنسان وربّه، بل يستحضر باعتباره مفهوماً واسعاً متعدد الأبعاد، يشمل في توجيهه وتعليماته المستوحاة من الوحي القرآني والهدي النبوي كل الارتباطات البشرية، سواء كان منها في مجال العبادات أو في مجال المعاملات، بل جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية³.

حاول العديد من المفكرين والفلاسفة عبر التاريخ مناقشة ما يدخل/ وما لا يدخل في نطاق تعريف الدين، غير أن تلك الجهود لم تكن في إطار علمي ومنهجي قائم بذاته حسب رأي الدكتور عزمي بشارة، كما هو الحال مثلاً في علم الأنثروبولوجيا وغيرها التي تتخذ من الدين مجالاً لاشتغالها كموضوع بحثي، واستدرك حالات قليلة كمحاولات ابن رشد وغيره من الفلاسفة الذين حاولوا التمييز بين الفلسفة والدين، وقد حاول "الشهرستاني" في كتابه (الملل والنحل) رسم إطار للبدء بتعريف الدين، عندما وضع الحد بين كل ما

¹ القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 19

² القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 85

³ عبد الرحمن الشعيري منظور، ما هو الدين؟ وما هي النخبة الدينية؟، مركز ضياء للمؤتمرات والأبحاث، 2020/05/02، مقال متاح على الرابط:

<https://www.diae.events/postid=83405> تاريخ الاطلاع: (2021/11/01)

هو نص ودين من ناحية والرأي والهوى من ناحية أخرى، باعتبار ذلك أساسا يتباين فيه الرشد والضلال في الدين، بمعنى أنه حدد ما ليس ديناً¹، كما حاول أيضا "أبو حامد الغزالي" بناء نظرية متكاملة للدين الإسلامي عبر فكرة مؤلفه "إحياء علوم الدين"، إذ تركز جهده على مسألة تخليص الدين من سلطة الفقهاء ومطامعهم الدنيوية وإخراج علومه من قيود التكلف النظري، على اعتبار أن الغاية من الدين هي معرفة الله وتحريير الفرد من قيوده الذاتية والأرضية².

فالدين بذلك عند أكثر المفكرين الإسلاميين هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل، وهو يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"³.

الفرع الثاني: الدين في الاصطلاح الغربي

في الاشتقاق الغربي لكلمة "الدين" "religion" نجد أنها مشتقة من اللغة اللاتينية religio واستعملها المسيحيون اللاتينيون في بدء الأمر لوصف عباداتهم واهتمامهم بالتبجيل للآلهة⁴، كما نجد أن religionism بمعنى الحماس المغالى فيه للتدين⁵، وعند البحث في أصل المفردة ثمة رأيين في ذلك:⁶

1) الرأي الأول: تبناه (شيشرون ماركوس 103-43 ق.م) الذي يرى أن Religio مشتقة من الفعل

Religere والمركب من مقطعين: (Re) بمعنى الإعادة والتكرار و(Leigere) بمعنى قطف أو

¹ عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، مرجع سبق ذكره، ص325

² نفس المرجع، ص328

³ فاطمة محمد عبد المطلب، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017، ص74

⁴ روبرت ميلتون أندروود الابن، "تعريف الدين ثلاثة علماء اجتماع يقاربون المفهوم". تر، منار درويش، مجلة الاستغراب، ع3، ربيع2016،

ص351

⁵ عامر مصباح، قاموس مصطلحات العلوم السياسية والعلاقات الدولية-إنجليزي-عربي، ط3. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008، ص81

⁶ إحسان علي الحيدري، فلسفة الدين في الفكر الغربي. بيروت: دار الرافدين، 2013، ص، ص، 25، 26

جمع، وبربط المقطعين معا يصبح المعنى (إعادة الجمع أو القطف)، وقد يعني به المتابعة بدقة، بحيث يُنسب إلى السلوك الداخلي عند الإنسان من عمليات التفكير والتبصر والاختلاء، ثم امتد المعنى ليشمل الطقوس والواجبات والشعائر بذاتها؛

(2) الرأي الثاني: تبناه كل من (كونتوس ترتليان 120-220م) و(لاكتانتوس لوشيبوس 240-320م) و(اوغسطين القديس 354-430)، حيث صرحوا أن كلمة Religio مشتقة من Religare والمركب أيضا من: (Re) بمعنى الإعادة و(Ligare) أي "ربط"، ليصبح معنى الكلمة بدلالة إعادة الربط بين البشر والآله ويكون تعلق البشر بالآله والخضوع له.

فالدين وجمع الرأيين يمكن القول أن للدين وجهان، الأول له علاقة بالحالة النفسية للأفراد التي نسميها التدين Religioseté، والثاني ما تمثله الحقيقة الخارجية التي تتجلى في العادات والمرويات والآثار الخالدة، وتدخل في جملة المبادئ التي تدين بها وتعتقد بها قولاً وعملاً أمة من الأمم، فالغالبية العظمى من المجتمعات تعلن التزاماً قوياً ببعض الإيمان الروحي¹.

إذا ما أردنا مناقشة ماهية الدين اصطلاحاً والإحاطة بتعريفه لابد من الإشارة إلى أن الدين من المفاهيم العلمية الأكثر التباساً داخل الحقل العام للعلوم الاجتماعية، لدرجة أن المفكر الاجتماعي Max Weber يتجنب إعطاء تعريف للدين في بداية العرض بسبب الصعوبات والإشكالات التي تواجه الباحث، ويقول بإمكانه تعريفه في نهاية الدراسة²، ومن أهم تلك الصعوبات التي تحوّل دون وضع اصطلاح عام جامع مانع للدين نذكر³:

¹ Rebecca Anne Glazier, **Bringing Religion into International Relations: The Effects of Providential Beliefs on U.S. Foreign Policy**, Doctorate of Philosophy in Political Science, University of California, Santa Barbara, June 2009.p1

² عبد الباقي الهرماس وآخرون، الدين في المجتمع العربي، ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص39.

³ عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير. مصر: مكتبة الإسكندرية، 2014، ص10

- التعددية الدينية: بحيث تعدد وتباين تيارات واتجاهات الديانات عبر التاريخ، فلا تكاد تجمعها وحدة عامة، كما تتباين وتتعدد وتفترق المذاهب، الفرق، الممل والنحل في الدين الواحد فقط؛
- طبيعة الدين كأحد المفاهيم الشاملة إذ تتداخل معه مجموعة من المفاهيم التي يصعب التفريق والفصل بينها كالثقافة والحضارة والأخلاق وحتى مفهوم القيم، باعتبار أن الدين هو منبع الكثير من القيم التي بدورها تشكل المكون الرئيسي والمميز للثقافة، وأن الحضارة وما تحمله من ثقافة نتاج للظاهرة الدينية؛
- غموض لفظ الدين نتيجة التراكمات الفكرية التي أدت إلى تطور معانيه ومدلولاته عبر الزمن هو ما يثير جدلية العلاقة بين المفهوم والواقع، والمعاني الجديدة الناتجة عن ذلك التراكم؛
- شيوع استخدام كلمة الدين كأحد المصطلحات الدارجة والعامة بين الناس في تعاملاتهم ولغة تخاطبهم، فهي بذلك تأخذ مضامين متنوعة بتنوع مدركات الأفراد وثقافتهم، لهذا يجد الباحثون صعوبة في استعمال اللفظ بين ما ألفه الناس وما تملّي عليه الضرورة العلمية.

الفرع الثالث: تعريف الدين

إن تنوع التعاريف ومدلولاتها التي طرحها السوسيولوجيون للدين هو ما يعكس تعقد الظاهرة الدينية من جهة وتوجّهات واضعيتها وخلفياتهم ونظريّاتهم للدين من جهة أخرى، وهذا ما يزيد من صعوبة حصر التعريفات الاصطلاحية للدين، إلا أن هناك عدة محاولات للقيام بذلك من بينها ما قدمه العالم الفرنسي Jean Paul Wilaime الذي صنّفها في ثلاث أنماط هي¹:

1. تعريفات وظيفية: هي تلك التي ركزت على الوظائف الاجتماعية في تعريفها للدين، كالتعريف الذي قدمه أهم رواد المذهب التأويلي الرمزي في الأنثروبولوجيا المعاصرة الأمريكي Clifford Geertz،

¹ حسن لدادوة وآخرون، الدين الدولة والمجتمع الدولي. فلسطين: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، 2006، ص، 17

حيث صرح بأن " الدين نسق من الرموز يثير عند الناس حوافز قوية وعميقة ومستديمة، من خلال صوغ مفاهيم عامة حول الوجود وإعطائها مظهرا أقرب ما يكون للواقع، لتتجلى هذه الحوافز وكأنها حقيقية"¹، كما يدخل في هذا الصنف تعريف العالم الأمريكي المتخصص بالاجتماع الديني John Milton Yinger الذي عرف الدين على أنه " منظومة من المعتقدات والممارسات التي عبرها يستطيع مجموعة ما تحمل الصعاب والمشاكل الحياتية القصوى"، وهذه التعريفات تأخذ تنوع التدين الحديث للمجتمعات الأوروبية؛

2. تعريفات مادية: هي التي تقدم الدين من منطلق مكوناته، مثلما عرفه "كاريل دو بلاير" على أساس أنه "نسق موحد من المعتقدات والعادات والممارسات المرتبطة بحقائق تفوق التجريبية، فتسمو لتوحيد كل من ينتهج منهجها لتشكيل جماعة واحدة مهيمنة"؛

3. تعريفات توفيقية: وهو نمط توفيق بين التعاريف الوظيفية والمادية، حيث نجد مثالها عند المؤرخ الفرنسي "Alain Testart" الذي يقول أن "الدين نظام من المعتقدات والشعائر يفترض الاعتراف بالفاعلية، وهو في الوقت ذاته يقوم بتنظيم رؤيتها للعالم ويطرح معنى لعقائده"، بينما قدم كل من "كلود بوفاي" و "رولان ج . كاميش" تفسيراً للدين يجمع بين الماهية والوظيفة، فهو بحسبهما " نظام من المعتقدات والممارسات تتعلق بحقيقة ارتقائية فوق التجربة، تقوم في مجتمع ما على ممارسة وظيفة أو أكثر، مثل: الدمج، التعرف، تفسير التجربة الجماعية، الإجابة على الطابع غير الواثق بنيويا في الحياة الفردية والاجتماعية"².

والمتأمل للتعاريف أعلاه يجدها تتكرر الجانب الإلهي للدين ووصفه بأنه اختراع بشري، فقد أوضح John Hick أن التعريف بالنظرية الاجتماعية للدين والنظرية الفرويدية قد أنكرت وظيفة الله في حياة

¹ Geertz Clifford ،The Interpretation of Cultures. New york: Library of Congress ,1973, p90

² حسن لداودة وآخرون، الدين الدولة والمجتمع الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 18.

الإنسان، واقتصر الدين على نظام الرموز الذي ينكر الجانب الشامل لبعض الديانات، علاوة على ذلك، فالتعريف لم يحدد الجانب الأكثر أهمية في الدين الذي هو "الإيمان بشيء خارق للطبيعة يتجاوز وجود الإنسان¹.

لذلك صيغت العديد من التعاريف المبنية إيديولوجيا على تراكمات وإسهامات علم الاجتماع الديني انطلاقاً من تصوراتها، التي قد تتشارك في الغالب في رؤية فلسفية مشتركة لها علاقة بالرموز والمعتقدات المجتمعية، مثل ما يتجلى ذلك في أعمال كل من Max Weber، Alexis De Tocqueville و Roger Bastide وعلى رأسهم Emile Durkheim الذي يعتبر أول من ركز على الوظيفة الاجتماعية للدين²، وعرفه بأنه "نظام موحد من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة، المعتقدات والممارسات التي تضم كل اتباعها في مجتمع أخلاقي واحد يسمى الكنيسة"³.

حسب ما سبق. أخذ الدين البعد التاريخي-الاجتماعي- في تعريفاته من قبل الأنطولوجيين والاجتماعيين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، خلاف المنظور اللاهوتي أو الفلسفي في تعريف الدين الذي يمثله شيشرون عندما صرح بأن الدين هو ما يربط الإنسان بالله، و Kant حين قال: الدين هو في إحساسنا بواجباتنا التي هي قائمة على أوامر الإلهية⁴.

وعند النظر في قاموس فلسفة الدين الصادر سنة 2010 يوجد تعريف جامع فلسفي للمصطلح، وهو أن الدين "ينطوي على مجموعة مجتمعية وقابلة للنقل من التعاليم والممارسات المنصوص عليها حول واقع نهائي ومقدس أو حالة من الوجود التي تدعو إلى التبجيل أو الرهبة، وهي الهيئة التي توجه ممارستها إلى

¹ Mohd Faizal, A.K, "Scientific Study of Religions: Critical Analysis on Western Scholarship". International Journal of Business and Social Science, Vol. 6, No. 8, August 2015, p211

² عبد الباقي الهرماس وآخرون، الدين في المجتمع العربي، مرجع سبق ذكره، ص36

³ Mohd Faizal, A.K, op cit, p212

⁴ دراز محمد عبد الله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، مرجع سبق ذكره، ص34.

ما تصفه بأنه علاقة إنقاذ أو تنوير أو تحريرية لهذا الواقع، من خلال التحول الشخصي للصلاة والتأمل الشعائري وطقوس التأمل أو الممارسات الأخلاقية مثل التوبة والتجديد الشخصي¹.

فالدين بالمعنى العام يطلق على مجموعة الأفكار والعقائد التي تفسر الغاية من الحياة الكونية، فهو الاعتقاد المقترن بما وراء الطبيعة، كما يرتبط بالأخلاق والممارسات والمؤسسات ذات الصلة، وهو بكل ذلك يحاول تفسير علاقة البشر بالكون².

الفرع الرابع: الظاهرة الدينية وارتباطها بالسياسة

تشارك الدين والسياسة عبر التاريخ في بعض المهام الأساسية داخل المجتمعات، حيث ساهم الدين في تنظيم المجتمع الغربي بشكل طائفي كما حدث في الإمبراطورية الرومانية³، فقد شغلت إشكالية العلاقة بين الرجل الديني والسياسي أذهان المفكرين منذ الحضارات الأولى إلى العصور الوسطى، خاصة الجدل حول السلطتين السياسية (الزمنية) والروحية الدينية.

إن شكل العلاقة بين الظاهرة الدينية والسياسة يتحدد بثلاثة عوامل رئيسية هي: ⁴

✓ طبيعة الدين والمضامين الاجتماعية للثقافة الدينية المتأصلة فيه؛

✓ موقع المسلمة الدينية وعمق الشعور بالانتماء والهوية الدينية لدى المجتمع؛

✓ نسبة المعتنقين للدين في المجتمع.

يتضح دور هذه العوامل الثلاث في تحديد شكل العلاقة بين الدين والسياسة من خلال المقارنة بين المحطات التاريخية لتطور المجتمعات خاصة الغربية المسيحية، فظهرت نظريات تفسر تلك العلاقة حسب

¹Taliaferro, Charles, "Philosophy of Religion", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Winter 2021 Edition) on cite: <https://plato.stanford.edu/archives/win2021/entries/philosophy-religion/> (date of visit: 26/02/2022)

² سليم الخطيب، اسس مفهوم الحضارة في الإسلام. مصر: دار الزهراء للإعلام العربي، 1986، ص73

³ Jonatan backelie, **religion and politics –a valid Divide: confessionality in politics and higher education**. Goteborgs universitet, literatur, Idehistoria Och Religion, 2011, P13

⁴ خالد عبد الاله عبد الستار، "اشكالية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر السياسي الغربي". فضايا سياسية، ع2015، ص42، ص64

كل محطة تاريخية، مثل نظريات "الحق الإلهي في الحكم" التي سادت في الحضارات القديمة (الفرعونية، الهندية، البابلية...)، التي بدورها جمعت السلطة والدين في بوتقة واحدة، كما برزت أشكال أخرى من النظريات - عبر العصور اللاحقة - حاولت تمييز العلاقة بين الدين والسياسة سميت باللائكية أو العلمانية.

وفي إطار العلاقة بين الدين والسياسة يمكن التمييز بين أربع اتجاهات كبرى، هي¹:

أ- **الاتجاه الأول:** مبدؤه "السمو المطلق للدين على السياسة"، حيث تكون السياسة في خضوع تام للدين،

وتشكل الأفكار في هذا الاتجاه نظريات دينية لكونها انطلقت من مصلحين دينيين كـ Martin Luther

و John Calvin، أو من رجال قانون مثل Bodin، أو رجال الكنيسة كـ"بوسبي"، أو فلاسفة مثل

؛De Maistre

ب- **الاتجاه الثاني:** أساسه "المجال السياسي مستقل عن المجال الديني"، أي أن المجال السياسي غير

منظم من قبل الله فهو يرتبط بالعلل الثانوية، ويكون خاضعا لقوانين الطبيعة الناتجة عن وضع

الإنسان لها عبر عقله، فهو يتميز عن القانون الإلهي من ناحية الأهداف والغايات، ذلك أنه لا

يخلق واجبات إلا في حدود العقل والطبيعة. لذلك إذا كانت النظريات الدينية هدفت إلى الحفاظ على

سمو الدين على السياسة، فإن بعض المفكرين من الناحية المقابلة أبدوا فكرة مضادة تقوم على محاولة

إخضاع الدين للسياسة عن طريق اعتبار الدين ما هو إلا مجرد وسيلة يستعملها الحاكم لتحقيق

غاياته السياسية، هذه نظريات عبر عنها فلاسفة ومفكرين سياسيين قد أعطوا أهمية مركزية للدولة

لتزويدها بمختلف الوسائل لتقويتها بما فيها الدين نفسه؛

ت- **الاتجاه الثالث:** يصب حول "إخضاع الدين للسياسة"، إذ لم ينكر مفكرو هذا الاتجاه أهمية الدين

كعامل استقرار اجتماعي كما أشار لذلك السياسي الفرنسي "مونتيسكيو"، إلا أنه قد يكون مصدرا

¹ أحمد خميس، "استخدام الدين في الحياة السياسية". مجلة كلية السياسة والاقتصاد، ع، 10، افريل 2021، ص 10

للتفرقة والنزاعات ما يؤدي إلى ضعف الدولة، لهذا رأوا ضرورة إخضاع الدين للدولة، وفي هذا الشأن يرى Machiavelli أن السياسة أداة غير أخلاقية ومن هنا لا بد من وضع الدين تحت سيطرة الدولة، ومادامت الغاية تبرر دائما الوسيلة فالدين مؤسسة تديرها الدولة والمجتمع وعلى الحكام استغلال الدين حسب الطرق المتاحة¹؛

ث- الاتجاه الرابع: مرجعيته "الفصل الكامل بين الديني والسياسي"، وفي الفكر الغربي بارز في استقلالية الكنيسة عن الدولة، إذ كان الهدف هو علمنة الدولة بمعنى تحرير المجتمع من سيطرة الكنيسة وقيودها والحد من تحكم رجال الدين بالقرار السياسي، أو ما كان سائدا من استخدام الدولة لفرض تفسير ديني ضيق على أفراد المجتمع أو فرض دين ما على مجتمع متعدد الأديان، فكانت العلمانية هي السائدة والتي أساس منهجها زمني دنيوي في التعامل مع شؤون المجتمع والدولة، ومن أبرز ممثلو هذه النظرية: Benjamin Constant، Tocqueville إضافة إلى John Locke الذي رأى من خلال كتابه (معقولية مسيحية 1695) أن الكنيسة منظمة طوعية بسلطة محدودة².

وفي أواخر القرن التاسع عشر تنبأ كثير من الفلاسفة ومنظري الأنثروبولوجيا باليوم الذي تختفي فيه مظاهر الدين جميعا من حياة الإنسان، ذلك بسبب التقدم المعرفي الإنساني ومنجزاته التقنية التكنولوجية والعلمية والاقتصادية، من بين أولئك الفلاسفة نذكر³:

☒ Ludwig Feuerbach: كان من أوائل الفلاسفة الذين توصلوا إلى فكرة أن الدين له أصوله في النفس البشرية ويجب ألا يكون سوى أنثروبولوجيا، ففي كتابه الشهير (جوهر المسيحية 1841)

¹ لزهو بوردي، "جدلية الدين والسياسة وثنائية التداخل والتصادم"، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، عدد 09، ديسمبر 2017، ص 2.

² أحمد خميس، استخدام الدين في الحياة السياسية. مرجع سبق ذكره، ص 11

³ خالد عبد الاله عبد الستار، اشكالية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر السياسي الغربي. مرجع سبق ذكره، ص 73

وصف الله بأنه إسقاط للفكرة الأخلاقية البشرية، وجادل بأن الناس خلقوا آلهة للتعبير عن الأهمية الروحية للحياة تماما كما أبدع الفنان عملا فنيا للتعبير عن وعيه بالجمال¹؛

✘ Karl Marx: جادل هو الآخر في الدين وذهب إلى أبعد ما قدمه "فيورباخ"، حيث نادى إلى نبذ الدين واستئصاله واعتبره حالة من الاغتراب الإنساني، والدين بشكله التقليدي سوف يختفي بل لا بد أن يختفي وقال عبارته المشهورة "الدين أفيون الشعوب"، و وافقه Durkheim حين قال "لقد ماتت الآلهة القديمة"؛

✘ Max Weber: قام في مؤلفه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية 1905م) بالتعبير عن عجز الدين مهما كانت درجة تماسكه الداخلي وعقلنته أمام الواقع الحديث ومغرياتة، وقد تأثر بأفكار الإنجليزي Thomas Hobbes في مواقفه².

في التاريخ الإسلامي بدأ الجدل والصراع بين الدين والسياسة بعد وفاة النبي محمد (صل الله عليه وسلم) وبدء عصر الخلفاء الراشدين وما بعده، بمعنى منذ تكوين بدايات الدولة الإسلامية كجهاز سياسي وإداري منظم، إذ كان التبرير الديني يشير عن وجود الرجل السياسي ويعطيه مشروعيته في حين أن السياسة مع الوقت غرقت في الفساد والذنيوية. وقد بيّن العالم الأزهرى "علي عبد الرزاق" في كتابه (الإسلام وأصول الحكم 1925) بأن الخلافة لم تكن واجبا شرعا، ويمكن تعويضها بنظم الحكم وأشكاله التي أنتجتها العقول البشرية وهو ما أثبتته التجارب، كما انتقد عبد الرزاق العرب الأقدمون لغلغهم الباب أمام دراسة علم السياسة وفتح باب الاجتهاد في أمور الحكم، وهكذا ظل الفكر السياسي عند المسلمين حبيس القيم والمبادئ والحقوق التي اكتسبتها الخلافة ومنها نمت الفكرة بأن الإسلام دين ودولة. وفي كتاب (الإسلاميون بين الدين والسلطة)

¹ Jan van der Marwe, "Ludwig Feuerbach die antropoloog". *Tydskrif vir geesteswetenskappe*, Vol.51, n.3, september 2011, p320

² خالد عبد الاله عبد الستار، إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر السياسي الغربي. مرجع سبق ذكره، ص74

تناول "إدريس الكنبور" التحول التاريخي الذي تعرض له الإسلام في العصر الحديث، وفيه سعى الحكام إلى القضاء واحتواء سلطة علماء الدين في مرحلة ما بعد الاستعمار في مختلف البلدان العربية، وهذا الأمر كان عاملاً ساعد على ظهور ونشاط الحركات الدينية الإسلامية محاولة منها لسد الفراغ الذي لا يمكن أن يظل شاغراً، ورأى "الكنبور" أيضاً بأن الدول العربية الحديثة بقيت تعبر عن مصالح فئة معينة، هذا ما ساهم في صراع الهويات والشرعية طيلة عقود، مما أدى إلى ظهور قوى سياسية تتصارع فيما بينها من أجل الانتصار لهوية معينة لدولة ما بين دولة إسلامية وأخرى ليبرالية واشتراكية... إلخ¹.

أغلب الأطروحات التي تناولت الدين والسياسة في الفكر العربي، سواءً من المصلحين الإسلاميين كالأفغاني ومحمد عبود، أو المقربين إلى الفكر الليبرالي كعبد الرحمان الكواكبي وقاسم أمين ولطفي السيد انتهت بتباين مرجعيات أطروحاتهم النظرية، وتقلص الاعتماد عليها على المستوى العملي، رغم محاولتها عقلنة الدين وسعيهم إلى إبراز مضامين احترام الحريات، تأكيد الملكية الفردية، تقديس العلم وحقوق المرأة، تحقيق العدالة والمساواة، والقاسم المشترك بينهم هو سعيهم إلى محاكاة النموذج الغربي للتحديث والتقدم².

المطلب الثاني: تأثير البعد الديني في العلاقات الدولية

شهد حقل العلاقات الدولية في العقد الأخير من القرن العشرين والسنوات الأولى من القرن الحالي تنامي سريع للمسلمة الدينية والعودة بعد إقصائها لفترات ليست بالوجيزة في تاريخ العلاقات الدولية وتطور نظرياتها، فقد شهد العالم المعاصر تحولات وتطورات أصبحت العلاقات بين الدين والحياة العامة إحدى أهم قضايا هذا الحقل، فمعظم الصراعات والنزاعات والحروب خلال هاته الفترة الأخيرة بات الدين فيها يشغل مكاناً محورياً يؤثر في المجتمع وثقافته بل بات يعيد تشكيل الدول، وصارت الحركات الدينية في أغلب دول العالم تطرح شعوراً جديداً بالانتماء والهوية، وقدمت العولمة وتقنياتها الاتصالية فرصاً وتحديات جديدة ما

¹ لزهري بوردي، جدلية الدين والسياسة وثنائية التداخل والتصادم، مرجع سبق ذكره، ص 8

² نفس المرجع، ص 10

أدى إلى تخلي الكثير من الدول عن أغلب وظائفها وحتى سيادتها لمصلحة العديد من الأطراف الأخرى كالدخالية منها مثل تنظيمات المجتمع الأهلي والخارجية كالمنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسيات¹. إن التغيرات والتحويلات سواء الاقتصادية أو السياسية الحاصلة في بيئة العلاقات الدولية خلال الوقت الراهن ساهمت بشكل سريع في تنامي البعد الديني ومركزيته المهمة في تطور نظريات العلاقات الدولية، فنتيجة لما يحدث داخل الدول وفيما بينها من بناء علاقات والسعي للعولمة من جهة أو حتى وقوع صراعات ونزاعات من جهة أخرى، فإن للحركات الدينية دور كبير في هذا البناء/ أو الصراع بين الدول، وذلك راجع لقدرة تلك الحركات على فرض ونشر الأفكار الدينية والآراء المتعلقة بالانتماء والهوية في المجتمع والتأثير في ثقافته، مما أكسبها قوة للتحكم بالعلاقات الداخلية وحتى الخارجية لكل دولة.

الفرع الأول: البعد الديني في العلاقات الدولية (من التهميش إلى الصعود والتأثير)

كان في السابق اعتقاد سائد مفاده أن الدين نُسي وأُخرج نهائياً من حياة الناس الاجتماعية ومن شؤون السياسة والعلاقات الدولية، التي طالما كانت على رأس سيادتها الأديان الكبرى لحقب من الزمان كالسيحية والبوذية والإسلام المنتشرة في إمبراطوريات كبرى، فأغلب رواد علم الاجتماع المؤثرين أمثال Emile Durkheim، Max Weber و Auguste Comte قد نظروا إلى هامشية العلاقة بين الظاهرة الدينية وتأثيرها في العلاقات الدولية أو أنهم أخرجوا الاهتمام بها، لأسباب راجعة إلى مدى صعوبة قياس الظاهرة الدينية وكذا نشأة العلوم الاجتماعية التي كانت جذورها تنكسر المسألة الدينية، فركزوا على اهتماماتهم لصالح نظام علماني حديث، ذلك أن منتصف القرن التاسع عشر تقريبا عرف أوج المقولات المادية والوضعية وظهور النزعة التطورية (نظريات Charles Darwin) ومقولات الخط الأحادي للتقدم والتطور، إذ كان ظن الانسان أن بدائل الدين في القرون المتأخرة قادرة على إسعاده وبلوغ رفايته، عبر تلك التطورات

¹ أماني صالح، عبد الخبير عطاحروس، العلاقات الدولية. البعد الديني والحضاري، مرجع سبق ذكره، ص 84

والاكتشافات العلمية التقنية والتكنولوجية، وما نتج على تطبيقاتها في المجالات الصناعية والثقافية¹. ووفقاً لذلك كان اعتقاد رواد علم الاجتماع أن الظاهرة الدينية هي نتيجة مخلفات ذلك الماضي المظلم والبدائي الذي سيضمحل تدريجياً مع تقدم العلوم وتطور العلمنة، وسيتم اختزال الدين وإبعاده عن الأبعاد الاجتماعية والتاريخية والثقافية وحتى الحياتية بوجه عام، حتى أن الفيلسوف الألماني Friedrich Nietzsche تنبأ بموت الإله محاولة منه لإحداث القطيعة مع الموروث الديني².

وباعتبار حقل العلاقات الدولية أحد فروع العلوم الاجتماعية التي تعنى بدراسة علاقات المجتمعات وتفاعلاتها، ولنشأته الغربية ولاستناده لمقولات علماء الاجتماع الغربيين، كان لا بد أن ينحوا المنحى نفسه في إقصاء الدين وتهميشه، وكان التجاهل بارزاً على مستويين في هذا الحقل:

✚ **على المستوى النظري:** وهو ما نلمسه في الإطار الأكاديمي لمخرجات الباحثين والعلماء والمنظرين في تجاهلهم للبعد الديني، فالمداخل النظرية التي قُدمت لفهم وتفسير العلاقات الدولية والتفاعلات السياسية العالمية تخلو من أي إشارة للدين، إذ ركز الباحثون على تحليل المصلحة والقوة فظهرت مدارس كالواقعية التي هيمنت طويلاً على تفسير التفاعلات الدولية واعتبار أن السياسة الدولية هي صراع في سبيل القوة وأيضاً من أجل البقاء، وسيطرت تيارات الحداثة لدى غالبية المنظرين والمفكرين الغربيين الداعين إلى التحلل من القيم المطلقة التي ينادي بها الدين، في المقابل تكون العلمانية أساساً للشرعية والعلاقات بين الدول³، كما ظهر تأثير الباحثين بالمنهج الكمية والسلوكية منذ

¹ احمد مكين بشير الشريف، البعد الديني في العلاقات الدولية: دراسة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، مذكرة ماجستير، جامعة الخرطوم، 2010، ص72

² نادية سعد الدين، الحركات الدينية السياسية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، ص52

³ عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير، مرجع سبق ذكره، ص32، 31،

الخمسينات التي اعتمدت في دراستها للعلاقات الدولية على عوامل أكثر قدرة على القياس كالقدرات العسكرية والتسلح والقدرات الاقتصادية¹؛

✚ أما على المستوى العملي: ففي إطار ممارسات الفاعلين في المسرح الدولي كانت اتفاقية 1648 Westphalia للعلاقات الدولية قد منعت حضور الدين في السياسة الدولية، بحيث أوضحت المرشد في الممارسات الدولية ومهدت لعولمتها، كما اعتمدت شكل مفهوم الدولة القومية الذي ترسخ عقب نفس الاتفاقية وتسويات الحرب العالمية الأولى، وأصبحت المصلحة الوطنية والقومية هي محور نشوء الدول فلا مكان للمعتقدات والقيم في التعبير عن التفاعلات الدولية، وتزايدت التحليلات والتنظيرات المرتكزة على مفاهيم الواقعية².

انطلاقاً مما سبق. كان عصر الحداثة مسؤولاً إلى حد كبير عن اجتثاث الجذور الأصلية للوجود الإنساني المتمثل أساساً في الجذر الديني الروحي للإنسان، فكانت الحداثة بما هي تجاوز للقرون الوسطى وتبنى منهج العلمانية والعقلانية، وجعلت من الإنسان مقياس كل شيء حتى أنها نقلت الأدوار الإلاهية للإنسان أو ما يعرف بـ "أنسنه الدين" ومركزية الإنسان في الكون وسيادته له، وكل ما يحتاجه هو عقله فقط³، كما حاولت الحداثة تبعا لذلك تحريرها من اللاهوت بصورة أساسية ثم سعت بعقلانيتها الصارمة إلى توسيع مفهوم القدرات الإنسانية، لتشمل ما كان قبلاً يتجاوزها من قدرات أسطورية وخارقة وخيالية⁴.

لكن شهد عصر ما بعد الحداثة العودة بشكل قوي للروحانيات فقد تمثلت في العالم الغربي في حركات العصر الجديد، أما في العالم الإسلامي فتتمثله حركات الإسلام السياسي المعتدلة منها والمتطرفة، فأضحى

¹ احمد مكين بشير الشريف، البعد الديني في العلاقات الدولية: دراسة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، مرجع سبق ذكره، ص 01

² عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير، مرجع سبق ذكره، ص 31

³ عبد الحليم مهورباشة، "الحداثة الغربية وأمطاط الوعي بما في الفكر العربي المعاصر"، مجلة تبين. عدد 06/23، 2018، ص 107

⁴ عساف الرحبي، أزمة الحداثة الغربية. بيروت: مركز الإنماء القومي، 2004، ص 89

الدين وتأثيراته من أهم قضايا العلاقات الدولية، بل تحول إلى ظاهرة عالمية يؤثر في تشكيل الدول والمجتمعات ويمارس وظائف هامة في العلاقات الدولية، وفي أحيان كثيرة يعد مصدرا من مصادر الشرعية السياسية، وقد رأى الكثير من المحللين أن عودة المسلمة الدينية راجع إلى العديد من العوامل أبرزها¹:

❖ إفرازات العولمة وطغيان النزعة الفردية التي باتت تسري في أغلب المجتمعات الإنسانية خاصة الغربية منها، نتيجة انهيار البنيات الاجتماعية التقليدية التي كانت تضمن نوع من التضامن والاندماج (الجماعة والعائلة)، فتمودج الحداثة الغربي يرى الدين بأنه نظام من المعتقدات الشخصية للفرد ولا يتخطاه إلى الجماعة أو المجال العام، ونجاح الفرد يبشر بزوال الجماعة. وأمام طغيان وطأة الفردانية والإحساس بالوحدة وتفكك روابط العلاقات الاجتماعية كان لابد من اللجوء والاحتواء بالدين الذي أضحى بمثابة حزام آمن ضد القلق والخوف، فنتيجة للتسارع الهائل للعولمة أضحى الإنسان فريسة للقيم المادية والاستهلاك الرقمي، ومن جانب آخر ساعدت العولمة عبر ثورة الاتصالات في ربط الجماعات الدينية ببعضها البعض وفسحت المجال لبث رسائلها إلى أكبر عدد من الجمهور، وهو ما أدى إلى انتشار الأديان عبر المجتمعات الأخرى²؛

❖ فشل سياسات التحديث وجهود التنمية التي انتهجتها العديد من دول العالم الثالث وسيرتها الدول الغربية، وما نتج على ذلك من انتشار للفساد بكافة صورته وزرع موالين للقوى الاستعمارية التي سيطرت عليها وما خلفته من تقطيع لأواصر العلاقات الاجتماعية، فكانت سياسات التحديث تقف عائقا أمام القيم والأخلاق التي تستمد من الدين، فأصبح التوجه إلى الدين على اعتبار أنه وعاء

¹ أحمد خميس، "استخدام الدين في الحياة السياسية"، مرجع سبق ذكره، ص 14، 13.

² احمد مكيين بشير الشريف، البعد الديني في العلاقات الدولية: دراسة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، مرجع سبق ذكره، ص 79.80.

ينظم المجالات الثقافية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، ومن هنا يري البعض أن الدين ليس بأفيون الشعوب كما قال Karl Marx بل هو فيتامين الضعفاء والمهمشين في العالم¹؛

❖ تجد عودة المسلمة الدينية تفسيرها بنهاية الاستقطاب الإيديولوجي وانهايار الشيوعية، فالفراغ الذي نتج عن تآكل الإمبراطوريات الشمولية فتح الباب إلى العودة إلى استعارة المعاني من الأطر المرجعية الدينية، وتقديم منظور متماسك للشعوب والدول من أجل تحقيق أمنها السياسي والاقتصادي، فالصراعات الأمنية والعسكرية باتت ذات جذور ثقافية، وتزايد الاهتمام إلى مجادلة أطروحات الإرهاب بين الغرب والإسلام وصدام الحضارات لليمين الأمريكي، كما أن الدوافع الدينية برزت عند قيام عدد من الدول على أساس الدين كما هو الحال باكستان وإسرائيل، إلى جانب ظهور الشعارات الدينية - السماوية والوضعية- لدى التيارات الدينية العابرة للقوميات مثل المد الأصولي أو الصحوة الدينية في الإسلام والمسيحية واليهودية أو المعتقدات الفلسفية كالكونفوشيوسية والهندوسية، وتزايد تأثير هذه الجماعات في صياغة وإعادة تشكيل السياسات العالمية².

ومع بداية القرن الحادي والعشرين تجلت العودة القوية للظاهرة الدينية كما عبر عن ذلك الكاتب الفرنسي André Frossard حين وصفه بأنه سيكون قرنا دينيا بامتياز، وقد أدت التحولات الدولية والعوامل التي المذكورة سابقا، إلى توجيه الباحثين والإستراتيجيين في حقل العلاقات الدولية إلى التركيز وإعادة النظر في موقع البعد الديني في هذا الحقل، فالفيلسوف السياسي الألماني Jurgen Habermas يقول أنه لا بد من مراجعة نقدية عميقة لتلك التنظيرات والتنبؤات التي قامت على تكهن زوال الدين³، إذ كان هذا الحقل يتفاعل ويستجيب لإدراك مختلف للوضع الذي كان سائدا فترة قبل نهاية الحرب الباردة، جوهره أن هناك

¹ أحمد خيس، "استخدام الدين في الحياة السياسية"، مرجع سبق ذكره، ص14،13

² عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير، مرجع سبق ذكره، ص37.38

³ أمنية رباحي، "عودة المسلمة الدينية في العلاقات الدولية"، المستقبل العربي. مج41، ع 476، أكتوبر 2018، ص115.

حقبة دولية جديدة في طريقها للظهور، ميزته ذلك التحول الثقافي السريع في النظام الدولي أكثر من تحوله اقتصاديا وسياسيا خاصة مع هيمنة الصراعات القائمة على الأبعاد القيمية والدينية والثقافية، وهنا من الطبيعي أن يعيد علم العلاقات الدولية النظر في آراءه ومنطلقاته الفكرية ورؤيته النظرية الإمبريقية، ويمكن القول أن في هذا الإطار قد برز اتجاهان رئيسيان من أجل التعاطي مع تلك المتغيرات والتحولت الجديدة، هما¹:

➤ **الأول: ضرورة مراجعة النظريات والاقترابات القائمة ومحاولة التوفيق بينها وذلك ببدأ التركيز على**

الاهتمام بموضوعات مثل: القيم، الأخلاق، الرموز والمعارف بوجه عام وتأثيرها على العلاقات والتفاعلات الدولية، باعتبار أن هاته المتغيرات فرضها الواقع ولا بد من التعامل معها، لذا كان على نظريات العلاقات الدولية المختلفة إيجاد سبل للتعامل معها من أجل استمرارها، تجديد قدراتها الوصفية والتفسيرية واستحداث مقتربات للنظريات القائمة تؤكد على دور هذه الأبعاد، إضافة أيضا إلى الاستعانة بمقاربات من حقول أخرى قادرة على دراسة الأبعاد، كإسهامات علماء السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا حول الدين والثقافة والقيم وتأثيرها في الأوضاع السياسية؛

➤ **الثاني: استحداث منظورات جديدة لتحليل العلاقات الدولية فقد دعا أنصار هذا التوجه إلى ضرورة**

بناء تنظير جديد قائم على مرتكزات جديدة، ليس فقط عبر إدخال تعديلات على مستوى النظريات السائدة أو على مستوى ما تعالجه من متغيرات، بل إعادة النظر في الرؤية الوضعية التي حكمت هذا التنظير لمدة طويلة، والعمل على إعادة الاعتبار للتنظير القيمي المعياري للعلاقات الدولية،

¹ عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير، مرجع سبق ذكره، ص 39.

مع رفض التعميمات الوضعية ومقولاتها المطلقة التي حالت دون تطوير أي نظرية قيمية في حقل العلاقات الدولية¹.

الفرع الثاني: تأثير ودور الظاهرة الدينية في حقل العلاقات الدولية (من الصراع إلى دبلوماسية الدين)

لقد لعبت الأديان تاريخياً وإلى وقتنا المعاصر دوراً بارزاً في مجال العلاقات الدولية عبر محوريتها في نشوء الحضارات وانتشار الثقافات العالمية، فالدين كما يرجعه دارسو حضارات التاريخ هو أساس كل حضارة من الحضارات، وقد عبر عن ذلك "هنري بريدجستون" وقال: "وجدت حضارات بغير بناء وعمار، إلا أنه لم توجد حضارة من غير معابد"²، وقد تركت الأديان آثاراً عميقة في علاقات مختلف الشعوب والأمم، إذ كان البعد الديني حاضراً في العديد من الصراعات والحروب العنيفة على مر تاريخ العلاقات الدولية، وتأسست دول على أسس دينية (إسرائيل، باكستان، إيران) واكتست ثورات بالطابع الديني لتأكيد شرعيتها (ثورة الخميني بإيران 1979)، كما تبنت الغطاء الديني كل تلك الجماعات الأصولية في الأديان المختلفة تحت ما يسمى بالعنف المقدس داخل الدول وبينها، حيث كانت كل جماعة أصولية تسعى إلى إبراز أحقيتها بالتفرد والريادة وامتلاكها للحقيقة المطلقة دون غيرها³.

ومن هنا ظهرت طائفة من الباحثين الذين حاولوا ربط الأديان بالعنف، باعتبار أن المقدس الديني هو مصدر العنف الأساسي وأن التلازم بينهما أمر طبيعي كما قال عالم الأنثروبولوجيا الألماني Jan Assmann، وبأنها سمة في الأديان خاصة التوحيدية منها (الإسلام، المسيحية، اليهودية)، التي تحتكر الحقيقة والخلاص ما يؤدي إلى ميلها السريع للإقصاء ونشر العنف فيختل السلام والاستقرار في العالم،

¹ نفس المرجع، ص 41

² رياض حمدوش، دور العامل الديني...، ص 178 // ابو بكر بخيت، البعد الديني وأثره في تعزيز العلاقات الافورتكية، مجلة... 178

³ احمد مكين بشير الشريف، البعد الديني في العلاقات الدولية: دراسة في احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، مرجع سبق ذكره، ص 80

كما نجد مفكرين آخرين حذوا نحوه كالمفكر "محمد أركون" في سياق تفسيره لظاهرة التطرف الإسلامي وحازم الببلاوي في مقارنته بين الفلسفة والدين.¹

من جانب آخر. هذه الآراء تتقصها الدقة حسب آخرين، فالأديان في مجملها جاءت أساسا لنشر العدل والأخوة الإنسانية، فمثلا الإسلام كدين لا يقر بالعنف إلا في حدود الدفاع عن النفس أو رفع الظلم فقط، والمسيحية كدين أيضا تتبذ العنف وتحض على الخلاص وتشهد على ذلك سيرة ومواعظ النبي عيسى عليه السلام، واليهودية في التوراة القديمة تحرم القتل، وحتى الأديان الوضعية كالكنفوشيوسية والبوذية والهندوسية هي بطبعها مسالمة، ومن جهة أخرى إذا ما تتبعنا مسألة العنف في التاريخ البشري نرصد عدم ارتباطه بصورة أساسية بالأديان فقط، فقد شهدت البشرية ويلات كادت أن تغنيها كانت بسبب اللادينيين، ف جرائم ستالين والنازية وموجات الاستعمار والحروب العالمية الأولى والثانية وحتى الحرب الباردة في العصر الحديث كلها ليس مرجعها نصوصا دينية، بل نزعات وطباع بشرية متطرفة وغير سوية.²

لذلك، فالعنف لا يصدر عن الدين كدين وإنما يعود إلى المتدينين، فأسطورة العنف المقدس ولدت في الفضاء الأوروبي مع نهاية حقبة الحروب الدينية، وتنامت هاته الأسطورة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، فقد اكتظ العالم الأكاديمي الناطق باللغة الإنجليزية بالكتب والمقالات التي تحاول شرح سبب ميل الدين إلى العنف، وأتوا من مؤلفين في مجالات مختلفة كعلم الاجتماع والتاريخ وعلم اللاهوت، مثل ما ادعى Charles Kimball في كتابه (عندما يصبح الدين شريرا) أن الدين أصل الشرور ويتم باسمه ارتكاب الحروب، لكون

¹ نفس المرجع، ص 81

² نفس المرجع، ص 82

الدين لم يكن يعتبر شيئاً منفصلاً عن المؤسسات السياسية مثل: القبائل، الإمبراطوريات، الممالك، الإقطاعات والدول وما إلى ذلك حتى في العصر الحديث وفي الغرب بشكل أساسي¹.

إلى غاية الوقت الحاضر النتائج الرئيسية في أدبيات الدين والعنف لا تدعم فكرة أن العنف متأصل في الدين أو أن هناك شيئاً فريداً للدين يسبب العنف، بالإضافة إلى ذلك هناك العديد من التفسيرات البديلة المدعومة جيداً للعنف كالحرمان والتهميش، كما وظف لتبرير غايات سياسية وتحقيق مكاسب ومصالح لا علاقة لها بالأديان، وهو ما فعله قادة وحكام حول العالم أمثال George Bush الأب والابن، صدام حسين وستالين وغيرهم، فهذا الأمر يصعب منهجياً تفسير الحروب التي بين الدول داخلياً أو خارجياً على أنها حروب دينية².

مع بداية القرن الحادي والعشرين انصبت جهود المفكرين السياسيين على الاهتمام بتوظيف الدين كأحد المتغيرات الدولية على الساحة الخارجية وكآلية لحل النزاعات وتحقيق السلام الديني العالمي. ولغرض تجاوز مسألة الدين مصدر للعنف أصبح ينظر إليه كمصدر للحل، وهو بالأصل طرح جديد غربي يقدم على أرض الواقع مدعوماً من القوى الغربية على رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهم³.

وأضحى ينظر إلى الدين في مجال العلاقات الدولية من خلال أدوات التأثير وموارد الضغط السياسي، فظاهرة عودة المسلمة الدينية أصبحت تعم العالم من جديد، وقد كتب John Bryson Chane قائلاً: "يمكن للدين في القرن الواحد والعشرين أن يكون قوة تعزز المصالحة والاستقرار السياسي، أو اسفينا يقود للانقسام... وأن الألوان لاستخدامه في المصالحة وعملية صنع السلام الدبلوماسي"، ولا توجد هناك غرابة

¹ William T. Cavanaugh, "Does Religion Cause Violence?", Harvard Divinity School, Summer 2007, <https://bulletin.hds.harvard.edu/does-religion-cause-violence/> (date of visit: 27/02/2022)

² Joshua David Wright, yuelee khoo, **Empirical perspectives on religion and violence**, Journal of international relations. 2019, p86,

³ عبد العزيز زربية، "الدبلوماسية الدينية كآلية لحل الصراعات السياسية بين الدول والجماعات"، مجلة التجاهات سياسية. عدد 16، سبتمبر 2021، ص 159

في انتشار مصطلح الدبلوماسية الدينية وذلك لوجود دول عظمى تستخدمه في علاقاتها الخارجية كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا¹.

كتب John Kerry في عام 2015 "أن أحد أكثر التحديات إثارة للاهتمام التي نواجهها في الدبلوماسية العالمية اليوم، هو الحاجة إلى الفهم الكامل والتفاعل مع التأثير الكبير لمجموعة واسعة من التقاليد الدينية على الشؤون الخارجية ... نحن نتجاهل التأثير العالمي للدين على مسؤوليتنا"، وواصل Kerry في إعطاء أمثلة عن دور الراهبات البوذيات بنيبال في جهود التعافي من الكوارث الطبيعية، والدور الذي تلعبه المنظمات الدينية في تقديم الدعم الإنساني للاجئين السوريين. كما يستشهد بالبابا فرانسيس الذي طرح وثيقة تدعو إلى بذل جهود واسعة النطاق لمكافحة تغير المناخ. ومع ذلك، فإن أهمية الدين في العلاقات الدولية ربما لا تتجلى في أي مكان أكثر مما تتجلى في الولايات المتحدة نفسها، ففي عام 2013 أعلن Kerry عن إنشاء مكتب الدين والشؤون العالمية في وزارة الخارجية، هدفه على حد قوله "توسيع فهمنا للديناميكيات الدينية والمشاركة مع الفاعلين الدينيين"².

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تعترف فيها الولايات المتحدة الأمريكية بأهمية الدين كعقيدة في العلاقات الدولية، إذ لطالما كان الدين مركزاً للجهود الدبلوماسية للولايات المتحدة، على الرغم من أنه لم يتم وصفه دائماً على هذا النحو؛ وغالباً ما تندرج تحت العنوان العريض لحقوق الإنسان، فمثلاً أدرجت وزارة الخارجية الأمريكية قسماً عن الحقوق الدينية في تقاريرها عن حقوق الإنسان منذ أوائل السبعينيات، وفي عام 1998 أنشأت مكتب الحرية الدينية الدولية، ومنذ عام 2002 تمتلك الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) أيضاً مكتباً مخصصاً لإشراك الجهات الفاعلة الدينية في قضايا التنمية في جميع أنحاء العالم.

¹ نفس المرجع، ص 160

² John Fahy, Jeffrey Haynes, "Introduction: Interfaith on the World Stage", The Review of Faith & International Affairs, vol 16, n 3, 2018, p 03

كانت هناك أيضًا العديد من المبادرات رفيعة المستوى في دول أخرى في السنوات الأخيرة والتي حاولت إشراك الفاعلين الدينيين كجزء من الحلول الدبلوماسية الأوسع. ففي عام 2008 أسس رئيس الوزراء البريطاني السابق Tony Blair مؤسسة Tony Blair الإيمان التي كانت مهمتها "توفير الدعم العملي لمواجهة الصراع الديني والتطرف من أجل تعزيز مجتمعات منفتحة ومستقرة"، وفي سنة 2012 نشرت وزارة التنمية الدولية في المملكة المتحدة وثيقة سياسة بعنوان "مبادئ الشراكة الإيمانية: العمل بفعالية مع الجماعات الدينية لمكافحة الفقر العالمي"، الغرض منه هو تحديد وتعزيز التعاون مع الجهات الدينية الفاعلة في جميع أنحاء العالم لتحقيق الأهداف الإنمائية. أما في عام 2013 وعلى خطى جارتها أنشأت كندا مكتبها الخاص للحرية الدينية. إلى جانب مبادرات مماثلة في جميع أنحاء أوروبا واعتراقًا بالدور الذي يمكن أن تلعبه المنظمات الدينية في التنمية الدولية، أصبح التعاون بين الأديان والثقافات، كما رأينا بالفعل، محط تركيز الأمم المتحدة. بالإضافة إلى القرارات التي تم تحديدها بالفعل، تم إعلان عام 2010 "عام الأمم المتحدة الدولي للتقارب بين الثقافات" والعقد بين 2013 و2022 هو "العقد الدولي للتقارب بين الثقافات" (والذي يتضمن تعزيز "المعرفة المتبادلة التنوع الثقافي والعرقي واللغوي والديني"). ومنذ عام 2011، تم تحديد الأسبوع الأول من شهر فبراير من كل عام "أسبوع الوثام العالمي بين الأديان"¹.

¹ Ibid, p 04

المبحث الثالث: مدخل نظري لمفاهيم الاستراتيجية والشراكة في حقل العلاقات

الدولية

أفرزت الظواهر المتغيرة والمتسارعة في بيئة العلاقات الدولية منذ بداية القرن العشرين، آثاراً متباينة أدت إلى إعادة تشكيل نظام العلاقات الدولية، حيث برزت مفاهيم مثل الشراكة والتعاون والتكامل كمفاتيح مهمة للتعامل مع القضايا المتنوعة، خاصة ذات الآثار الاستراتيجية للفاعلين الدولية، ومع تزايد هذه الأهمية في السياسة الدولية، تمت صياغة أنماطاً كثيرة من المفاهيم المتداخلة ضمن الفكر الاستراتيجي لمساعدة الدولة على توظيف مواردها لغرض تحقيق أهدافها الكبرى.

شكل بروز الشراكات الاستراتيجية في الفكر الاستراتيجي خلال العقدتين السابقتين، مرونة معتبرة للفاعلين الدولية تتجاوز الاعتبارات المؤسسية الجامدة إلى الاهتمام بالمشتركات الثقافية والتاريخية وغيرها، وعليه يبدو جلياً أن الشراكات الاستراتيجية أضحت البديل الأيسر من الناحية المؤسسية، والأسرع من ناحية الاستجابة العاجلة للمتغيرات الجيوستراتيجية على الساحة الدولية، وعليه سنحاول في هذا المبحث التعرف على كل جوانب مصطلحي الشراكة والإستراتيجية ودورهما في الاستجابة العملية لبناء وتنمية الأهداف المشتركة والمتسارعة بين طرفين أو أكثر.

المطلب الأول: مفهوم الشراكة والشراكة الاستراتيجية في العلاقات الدولية

ظهرت المجتمعات على أساس الحاجة الملحة بين أفرادها لبعضهم البعض لدفع عجلة الحياة للوصول إلى الرقي الذي يصبو إليه كل فرد، وهذا الاحتياج هو مبدأ "الشراكة"، وعلى المستوى الدولي فبسبب التحولات والتغيرات الناتجة عن العولمة وضرورة أقامة بيئة العلاقات الدولية، تطلب الأمر من الدول ضرورة التعمق في استشراف اتجاهاتها والسعي لتعزيز قدراتها لمواجهة هذه التحولات والتحديات، وذلك عن طريق

اكتساب مزايا التعاون فيما بينها وإنشاء المزيد من التكتلات سواء اقتصاديا أو تجاريا أو سياسيا، لأن ما تحققة الشراكات الثنائية يؤدي إلى تحقيق التكامل الاقتصادي والأمني، وهو ما يلاحظ تجسيده في أوروبا، التي شكلت ما يطلق عليه بالاتحاد الأوروبي أو الشراكة الأوروبية¹.

ونتيجة للأهمية البالغة لموضوع "الشراكة" وللحاجة الملحة له في الواقع بتعقيدات بيئته ومواجهة تحديات الساحة الدولية ومتغيراتها الجديدة، خاصة في المناطق والأقاليم ذات الأهمية الاستراتيجية والأكثر عرضة لتلك التحديات، صار لا بد من الوقوف على هذا المفهوم لكي يُستفاد من بناء بيئة مستقرة سياسيا، يشعر فيه الجميع بنوع من الأمن والاطمئنان للأطراف المستفيدة من تلك الشراكة. فما هي مدلولات الشراكة؟ وما أهميتها الإستراتيجية في مجال العلاقات الدولية؟

الفرع الأول: مفهوم الشراكة والشراكة الاستراتيجية

استعملت كثيرا مفردة شراكة من قبل الباحثين دونما تحديد مفهوم دقيق لها وهي مصطلح يأخذ البعد الاقتصادي أكثر، لأنه غالبا ما يكون محصورا في المجالات المؤسساتية ذات الأثر الاقتصادي والتجاري، وهو الملاحظ عند البحث عن دلالاته في مختلف الموسوعات والمعاجم، إذ لا تكاد تتصرف أغلب تلك التعريفات إلى الجوانب الأكثر شمولاً والأعلى مستوى كتعريف الشراكة في إطار العلاقات الدولية، ولعل ذلك عائد إلى حداثة هذا النوع من الشراكة التي تكون في المستوى الدولي، وسنحاول الانطلاق من المدلول اللغوي للمفردة وتعريفها الاصطلاحي وصولاً إلى معنى الشراكة في إطار العلاقات الدولية.

أولاً: الشراكة في مدلولها اللغوي

الشراكة مشتقة من الأصل (شرك) وهي عند العرب ترجع لدالتين: الأولى الشركة وهي أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، فيقال شاركت فلانا في الشيء وأشركت فلانا أي جعلته شريكا لك.

¹ أبو زيد المقرئ الإدريسي، الشراكة والمشاركة السياسية في الوطن العربي. الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2016، ص15 ك

قال الله تعالى في قصة موسى: (وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي)¹، أما الدلالة الثانية فالشركة والشركة فهي تعني مخالطة الشريكين واشتراكهم في الأمر، فيقال اشتركنا بمعنى تشاركنا. وعند استقراء المعاني المعجمية للمفردة نجد أن العرب يستخدمون الشركة فيما يتعلق بالأمور الحسية كالأموال والأموال والميراث واقتسام الماء والطريق ونحو ذلك²، ومنه الحديث الشريف: "المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلاء والنار"³.

ثانياً: الشركة في معناها الاصطلاحي

يعتبر مفهوم الشركة من المفاهيم الحديثة إذ لم يظهر في المعاجم والقواميس إلا في عام 1987 بالصيغة الآتية: "هي نظام يجمع المتعاملين الاقتصاديين وكذا الاجتماعيين"، أما في حقل العلاقات الدولية فيعود أصل استعمال مصطلح "شركة" لأول مرة من طرف مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية CNUCED نهاية الثمانينات⁴.

ولا بأس من إدراج بعض التعريفات الأكثر تداولاً والتي تدعم الدراسة في بعض جوانبها:⁵

➤ عرفها السياسي المغربي "فتح الله ولعلوا" على أنها "العلاقة المشتركة والقائمة على أساس تحقيق المصالح المشتركة من جهة وتجسيد مدى قدرات ومساهمات كل طرف من جهة أخرى للوصول إلى الغايات المنشودة والمتوقعة؛

➤ كما عرفها محمد السيد أمين الشركة بأنها "نمط من العلاقات الخاصة والمميزة والقائمة بين المؤسسات والمبني على التعاون طويل المدى والذي يتعدى العلاقات التجارية؛

¹ القرآن الكريم، سورة طه: آية 32

² أحمد سلمان الحمدي، دراسات في قضايا فكرية معاصرة. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2017، ص 19، 20

³ مجد الدين ابن تيمية، المنتقى في أحاديث الأحكام عن خير الأنام. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ص 380

⁴ محمد جمال الدين مظلوم، "نحو استراتيجية مستقبلية عربية في إطار الشراكات الدولية: دول الحوار"، مداخلة قدمت للملتقى العلمي: الرؤى المستقبلية والشركات الدولية (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الخرطوم، 03/05/2013 فيفري 2013) ص 05.

⁵ لمياء حروش، الشركة الأوروبية متوسطة. السياقات والمسارات. تركيا: المعهد المصري للدراسات، 2019، ص 3

➤ ولكون الشراكة تمتد خارج المجال الاقتصادي والتجاري لتشمل المجالات السياسية والثقافية والإستراتيجية بين البلدان لغرض تحقيق أهداف مشتركة لصالح الدول المتشاركة، هناك من قدم تعريفاً على المستوى الكلي وأوضح فيه أنها "تعاون دولتان أو أكثر في نشاط إنتاجي أو استخراجي أو خدمي، أو إستراتيجي أو سياسي؛ حيث يقوم كل طرف بالإسهام بنصيب من العناصر اللازمة لقيام هذه الشراكة (رأسمال، العمل، التنظيم)، وقد يتخذ هذا التعاون المشترك شكل إقامة مشروعات جديدة أو زيادة الكفاءة الإنتاجية لمشروعات قائمة فعلاً عن طريق إدماجها في مشروع مشترك يخضع لإدارة جديدة..."¹؛

➤ ومن جانب آخر تم ربط الشراكة بمصطلح التقارب بغض النظر عن تحقيق هدف مشترك، وعُرفت بـ "محاولة لتقريب سياسات الدول وإخضاعها لمفهوم "التقاربة" في مجال أو مجالات متعددة بطريقة لا تؤدي بالضرورة إلى إقامة نوع من البناء المؤسساتي، فالغرض هنا هو اتفاق وتعاون في ميدان أو ميادين معينة، وذلك لبلوغ أهداف محددة قد لا تكون بالأساس مشتركة"².

ووفقاً لما سبق يمكننا القول بأن الشراكة هي علاقة تعاونية طويلة المدى بين طرفين أو أكثر - مؤسسة/ دولة- في مجال معين أو عدة مجالات اقتصادية كانت أو سياسية أو حتى ثقافية، وذلك من أجل تحقيق أهداف مشتركة ومتوقعة وتعظيم مكاسب كلا الطرفين في ظل الواقع الدولي المتأزم.

ثالثاً: الشراكة الاستراتيجية

تمثل الشراكة الاستراتيجية مبدأً جديداً لتنظيم الحياة الدولية وميزة جديدة لتطور العلاقات الدولية، فقد انتجت المساهمات النظرية والفكرية في الممارسة الدولية خلال عقد التسعينات تحولاً نوعياً وتطوراً لمفهوم الشراكة في العلاقات الدولية، إلا أنه لا يوجد إجماع في أدبيات حقل العلاقات الدولية حول المحددات

¹ محمد جمال الدين مظلوم، "نحو استراتيجية مستقبلية عربية في إطار الشراكات الدولية: دول الحوار"، مرجع سبق ذكره، ص 06

² سعاد إبراهيم السلموني، السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2020، ص 305

والمرتكزات المشكّلة لفكرة "الشراكة الاستراتيجية"، هذا ما صَعَّب الوقوف على أول شراكة استراتيجية في العلاقات الدولية. ففي سنة 1992 كانت الشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وتركيا تم تنشيطها فيما بعد في سنة 2018، كما قامت البرازيل والصين بمحاولة بناء شراكة استراتيجية سنة 1993، أما في سنة 1994 تم رصد أهم تلك الشراكات وأولها أثرا -ان لم توصف بهذا الاسم حينها- هي الاتفاقية الموقعة بعد نهاية الحرب الباردة بين الرئيس الأمريكي Bill Clinton والرئيس الروسي Boris El'cin، التي مهدت لمرحلة جديدة من الشراكة الإستراتيجية الناضجة القائمة على المنفعة المتبادلة، والاعتراف بالمصالح الوطنية لكل دولة منهما، وهو ما ورد في إعلان موسكو 1994م¹.

وقد وردت تعليقات على أن أول تلك الشراكات التي استعملت هذا المصطلح صراحة هو ما يرجع لما عُرف في مستهل الألفية وتحديدًا سنة 2003 باسم "الشراكة الاستراتيجية"، عندما أوصت "استراتيجية الأمن الأوروبية" بضرورة استكمال العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، ومن خلال تطوير "شراكات استراتيجية" مع اليابان والصين وكندا والهند، ومع الذين يشاركونهم غاياتهم وقيمهم يكون لديهم الاستعداد للعمل على دعمهم، وقد كان القصد حينها ضرورة الارتقاء في العلاقات بين الإتحاد الأوروبي والقوى الدولية الصاعدة، لمجابهة التحديات الجيو استراتيجية الجديدة عالميا من جهة واتجاه النظام العالمي نحو التعددية من جهة أخرى².

قامت العديد من الدول على انتهاج فكرة الشراكة الإستراتيجية في علاقتها الخارجية، فبحلول سنة 2014 كانت الصين قد أقامت ما يعادل 70 شراكة استراتيجية مع كل القوى الكبرى وحتى النامية، كما كان لها شراكات استراتيجية مع عديد المنظمات الدولية كرابطة آسيان (دول جنوب شرق آسيا)، الإتحاد

¹ Andriy Tyushka, lucyna Czechowska, **Strategic partnerships in international politics and IR theory**. Inbook: States, international organization and strategic partnerships, UK: Edward Elgar Publishing, 2019, p8

² Ibid, p9

الإفريقي والجامعة العربية وغيرها عبر أنحاء العالم، وحذت الهند حذو الصين وأقامت خلال نفس الفترة ما يقارب 60 شراكة استراتيجية مع شركاء أهمهم الإتحاد الأوروبي، كما سعت اليابان كذلك نحو 10 شراكات استراتيجية في الفترة نفسها. ومن الجهة الموازية نجد أن المنظمات الدولية أيضا نفت التوجه في إقامة شراكات استراتيجية تحت مسميات شبيهة مثل اسم الشراكة من أجل السلام الشامل الذي اعتمده حلف الناتو (حلف شمال الأطلسي)¹.

في ضوء ما سبق. ومع كثافة الشراكات الإستراتيجية في العلاقات الدولية خلال العقدين الأخيرين، يبدو جليا أن الشراكات الإستراتيجية أصبحت البديل الأسهل من الناحية المؤسسية، والأسرع من ناحية الاستجابة العاجلة للمتغيرات الجيو استراتيجية على الساحة الدولية، فهي تمثل استجابة عملية لنشوء أهداف مشتركة متسارعة بين أطراف الشراكة²، وسيتم في المطلب الموالي التطرق بشيء من التفصيل للاستراتيجية وتطورها في مجال العلاقات الدولية.

الفرع الثاني: أهم المفاهيم المرتبطة بالشراكة في مجال العلاقات الدولية

هناك عدة مصطلحات في مجال العلاقات الدولية لها ارتباط وثيق بمصطلح الشراكة، وأحيانا كثيرة نجد في بعض المراجع يتم تأويل هذه المصطلحات على أساس أنها شراكة، من أهمها ما يلي:

☒ التعاون Cooperation: مارست المجتمعات والدول التعاون منذ القدم، حتى قبل أن يناقش ثيوسيديس الدبلوماسية والمعاهدات والتحالفات منذ أكثر من ألفي سنة، ومع ذلك فإن دراسة التعاون الدولي حديث العهد، فقد تبلور مفهوم التعاون كما نفهمه حاليا في أوائل الثمانينيات باعتباره السلوك المنسق للجهات الفاعلة المستقلة، أفرادا وكيانات جماعية بما في ذلك الشركات والأحزاب السياسية

¹ ibid, p9

² السيد علي ابوفرحة، "الشراكة في العلاقات الدولية: نشأة المفهوم ومستجدات الممارسة". مجلة السياسة الدولية، 18-2-2021، متاح على الرابط: <https://www.siyassa.org.eg/News/18023.aspx> (تاريخ الاطلاع: 2021/12/22)

والمنظمات العرقية والجماعات الإرهابية والدول المتقدمة، وعلى الرغم من أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات غالباً ما تحدد التعاون الدولي من حيث الدول إلا أنه يمكن أن يشمل أيضاً جهات فاعلة أخرى، لاسيما المنظمات غير الحكومية. إذ تتعاون هذه الجهات لتحقيق أهداف مختلفة عبر مجموعة واسعة من المجالات والقضايا، و"التعاون" ليس دائماً أمراً جيداً على الأقل من منظور أولئك المستهدفين، على سبيل المثال آثار العقوبات الدولية ضد البلد المستهدف وما ينتج عنه من ضرر للمجتمعات المتعاملة مع البلد المستهدف¹، وبصيغة مبسطة فالتعاون هو صيغة من العلاقات الدولية، تتضمن تنفيذ استراتيجية سياسية خلال فترة زمنية معينة في مجال أو عدة مجالات عبر آليات معينة، تسعى من خلالها إلى توطيد العلاقات الدولية في تلك المجالات، مع توفير سبل التخفيف من القيود على حرية تنقل الوحدات المعنية². إذن التعاون حسب ما سبق هو ذو طبيعة مؤقتة تقوم على تبادل المساعدات والمنافع قد لا تتشارك في أغلبها ولا يهدف إلى خلق مؤسسات دائمة، فهو عبارة عن صيغة مشاركة في العديد من المجالات بين الدول ذات مستوى إنمائي متفاوت؛

☒ التكامل Integration: يعتبر أحد الموضوعات المهمة في العلاقات الدولية، تعتمد بشكل أساسي

النظريات الليبرالية باعتباره يقوم على التعاون للحد من الصراعات وإشكالات اللأمن، ويمكن تحديده

من خلال الإتحاد والتوحيد والتنظيم في مجموعة من وحدتين أو أكثر، ومن ناحية أخرى فهي تمثل

¹ Xinyuan Dai, **International cooperation theory and international institution**. Oxford research encyclopedia of international studies, 2010. p3

² فاطمة الزهراء رقايقية، الشراكة الأوروبية متوسطة، رهانات، حصيلة وآفاق: التجربة الجزائرية والعقبات المحيطة. عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2014، ص31،

البعد المركزي الذي يفهم على أنه الوحدة والمركزية، كما يمكن دائما أن يكون التكامل متصلا ومبنيًا على عدة شروط وعناصر¹:

- وضع إطار قانوني موحد؛
- إنشاء مؤسسات مشتركة؛
- تطوير مركز صنع القرار؛
- إبراز الهوية.

وفي شقها الاقتصادي تهدف عملية التكامل إلى توحيد أنماط معينة من السياسات الاقتصادية بين مجموعة من البلدان، تجمعها مميزات محددة وكون غايتهم المنفعة المشتركة عبر إيجاد سلسلة من العلاقات التفضيلية، فالتكامل من هذا المنطلق أكثر تطورا من التعاون، والشراكة هنا تدخل في إطار العمل التكاملي، بحيث يمكن اعتبارها إحدى مستويات التكامل الإقليمي².

☒ الاعتماد المتبادل Interdépendance: في العالم المعاصر كثيرا ما يستخدم مصطلح "الاعتماد المتبادل"، حيث تعتمد جميع الجهات الفاعلة بما في ذلك الدول وكذلك الجهات الفاعلة غير الحكومية على بعضها البعض، إذ أصبح الاعتماد المتبادل أمرا مركزيا من مكونات المنظور النيوليبرالي، وقد تم استخدامه على نطاق واسع في تحليلات صنع السياسة الدولية، محاولة لفهم رغبة الدول في الدخول في تحالفات تعاونية مع بعضها البعض تحت ظروف الفوضى والاعتماد،

¹ Nikola Lj, "The concept of political integration; the perspectives of neofunctionalist theory". Journal of liberty and international affairs, Vol.1, No.1, 2015, p2

² لمياء حروش، الشراكة الأوروبية متوسطة، مرجع سبق ذكره، ص.6

وفي عصر الاعتماد المتبادل تغيرت طبيعة العلاقات الدولية وأصبحت أكثر ترابطا في جميع النواحي وخاصة الاقتصاد¹.

الفرع الثالث: الشراكة كمقاربة جديدة في العلاقات الدولية

نتج عن انهيار الإتحاد السوفييتي وسقوط جدار برلين سنة 1989 تأثير كبير في مسار العلاقات الدولية، وكذا توجهات الوحدات الفاعلة في المجتمع الدولي وفي بنية النظام الدولي بصفة خاصة، وهو ما فرض إعادة النظر في العديد من المنظورات والنماذج والأطر المعرفية السابقة والسائدة بفترة الحرب الباردة، بعد أن تم التأكد من عجزها في إعطاء تفسيرات حول التحولات الجديدة، من أبرز تلك التحولات هو التحول من المنظور السياسي الإيديولوجي إلى الاقتصادي، ومن المنظور الكوني إلى المنظور الإقليمي، ومن مسألة إدارة الأزمات إلى حلها، حتى طبيعة المخاطر والتهديدات تم توجيه الأنظار إلى مخاطر الجنوب².

وقد حاولت الدول الأوروبية انطلاقا من مقاربات جديدة التعامل بمنطلق جديد داخل المجتمع الدولي ومع الدول المجاورة لها بشكل خاص، عبر آليات مستحدثة أبرزها الحوار والشراكة؛ فظاهرة الحوار أصبح مطلبها دبلوماسية عالميا للحد من آثار الصراعات والاضطرابات التي شهدتها العالم بفعل الانتشار الواسع لظواهر العنف، التعصب، العنصرية والتطرف الديني وغيرها من الظواهر العابرة للحدود³، هذا ما دفع بدول الجوار إلى السعي في محيطها لتكثيف الجهود من أجل تنمية العلاقات بينهم وتطويرها، عبر وضع استراتيجية توثق التعاون في المجالات المختلفة لتحقيق المصالح والأهداف المشتركة بينهم.

¹ Waheeda Rana, " Theory of complex interdependence: A Comparative analysis of Realist and Neoliberal thoughts". International Journal of business and social science. Vol.6, No.2, February.2015, p.291

² العربي العربي، أهمية النفط والغاز في العلاقات الجزائرية - الأوروبية (1956-2013). قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021، ص201

³ محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الامم، مرجع سبق ذكره، ص16

فالحوار بين الدول لا يدور بمعزل عن المتغيرات التي تقع في البيئة الإقليمية أو الدولية إنما هو وليد هذه المتغيرات، ولعل البعد الاقتصادي بالدرجة الأولى يليه العامل الأمني كانا من أهم المحفزات والعوامل لطرح مقاربة الشراكة لدى الفكر الأوروبي، الذي انتهج فكرة الشراكة أول مرة في منتدى طنجة سنة 1989، الذي هو مفهوم أوروبي يهدف إلى إعادة بناء علاقة أوروبا مع جيرانها المتوسطيين ضمن المتطلبات السياسية والأمنية الجديدة¹.

ومن حيث العلاقة بين التكلفة والمكاسب اعتبرت الشراكة "كآلية جديدة وبديل مناسب عن التكامل، لأن العملية التكاملية في الغالب تتطلب توضيحات تؤثر على مسار وأهداف التعاون نتيجة التفاوت في المعطيات الاقتصادية بين الدول الأعضاء، وقد تزامن طرح فكرة الشراكة مع ظهور وترسخ مفاهيم جديدة كالاعتماد المتبادل والتكامل الاقتصادي، الأمر الذي جعل من فكرة الشراكة تلقى قبولا في الساحة الدولية. ولما كانت قدرات الدول النامية والفقيرة على المنافسة ضعيفة سعت الكثير من هذه الدول إلى الأخذ بصورة أو بأخرى صورا من الشراكة مع جيرانها بهدف تعزيز قدرتها الاقتصادية في سبيل مواجهة تلك التحديات²، وتتنظر إليها على أنها وسيلة لمواكبة التحولات الجديدة في الساحة الدولية، وهو ما يتطلب منها إحداث تغييرات قد تكون جذرية في بنيتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، لتستند إليها من أجل تحقيق المصالح المشتركة³.

ومن أبرز المزايا التي تقدمها الشراكة في إطار العلاقات الدولية ما يلي⁴:

✓ تساهم في دعم المواقف السياسية للدول الأعضاء في مواجهة القوى الأخرى؛

¹ العربي العربي، أهمية النفط والغاز في العلاقات الجزائرية - الأوروبية (1956-2013). مرجع سبق ذكره، ص 202

² علي عواد الشرعة، "الآسيان وتجربة التعاون الإقليمي، دراسة في مقومات التجربة وتحديات وإمكانيات الاستفادة منها". مجلة إنسانيات، عدد 8، اوت 1999، ص 64

³ العربي العربي، أهمية النفط والغاز في العلاقات الجزائرية - الأوروبية (1956-2013). مرجع سبق ذكره، ص 205

⁴ محمد جمال الدين مظلوم، "نحو استراتيجية مستقبلية عربية في إطار الشراكات الدولية: دول الحوار"، مرجع سبق ذكره، ص 6.

- ✓ تبادل الخبرات والتكنولوجيا بين دول الشراكة؛
 - ✓ امتداد الشراكة لتشمل المجالات الأخرى كالمجال السياسي والثقافي والنواحي الاجتماعية؛
 - ✓ الحصول على امتيازات وإجراءات تفضيلية في هذه البلدان لا يُمكن أن تحصل عليها في بلدانها الأصلية؛
 - ✓ الدعم المالي (قروض) الذي يمنح في إطار الإصلاحات الاقتصادية.
- ووفقا لهذه الامتيازات لابد للشراكة أن تتوفر على جملة من الخصائص التي تساهم بدرجة أكبر في استقرار وتنظيم تلك الشراكة بين الوحدات المتفاعلة سواء دول أو جماعات إقليمية، من بين هذه الخصائص نذكر أهمها¹:

- التقارب والتعاون المشترك، أي لابد من الاتفاق حول حد أدنى من المرجعيات المشتركة تسمح بالتفاهم والاعتراف بالمصلحة العليا للأطراف المتعاقدة؛
- علاقات التكافؤ بين المتعاملين؛
- الحركية في تحقيق الأهداف المشتركة؛
- اتفاق طويل أو متوسط الأجل يكون بين طرفين أحدهما وطني والآخر أجنبي لممارسة نشاط معين داخل البلد المضيف.

المطلب الثاني: ماهية الاستراتيجية في العلاقات الدولية

يعتبر مفهوم الاستراتيجية من أبرز المفاهيم التي تحظى بالأهمية البالغة خصوصا في علم السياسة، فقد شاع استخدامه حديثا بكثرة في الساحة السياسية ولا يكاد يخلو تصريح أو مؤتمر أو بحث أكاديمي في المجال السياسي من استعمال هذا المصطلح، سواء عن فهم دقيق أو سطحي في أغلب الأحيان، ذلك لما

¹ لمياء حروش، الشراكة الأوروبيةمتوسطة. مرجع سبق ذكره، ص.4.

يعتريه من غموض نتيجة التطور التقني والفكري والحاجة للتخصص¹، لأنه يعتبر من المصطلحات الحديثة نسبياً، إلا أن جذوره التاريخية ترجع إلى حقبة زمنية بعيدة، فقد استخدمه الإغريق وشهد ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ العسكري، إذ كانت الاستراتيجية معروفة لفترة طويلة على أنها: فن كبار القادة العسكريين أو فن الأشياء العامة².

وعادة ما يصطدم تحديد تعريف الاستراتيجية بعائتين أساسيين، الأول يكون من خلال الانصهار بين الجانب النظري والعملي، ذلك أن الاستراتيجية أصلاً هي فن عملي قديم تسلت تدريجياً إليها الجوانب النظرية، أما العائق الثاني فيكتنف تحديد الاستراتيجية غموضاً وصعوبة خاصة في حصر مجالاته وحدوده المعرفية³.

الفرع الأول: تعريف الاستراتيجية

تعددت مباني كلمة الاستراتيجية في اللغات الأوروبية إلى جانب تعدد معانيها ودلالاتها، وأصلها مشتق من الكلمة اليونانية (Strategos) خلال القرن السادس قبل الميلاد، وكانت تدل على فن قيادة القوات أو بمعنى القائد، والفعل منها Stratego بمعنى التخطيط لتدمير الأعداء عبر استخدام الموارد بفاعلية، ومصطلح استراتيجية مركب من جزئين⁴:

• Stratos: بمعنى الجيش الذي يعسكر في منطقة ما ويكون في حالة الحرب؛

• Agein: التي تعني الدفع إلى الأمام؛

وبوصل طرفي المصطلح نحصل على المعنى اللغوي المتمثل: الجيش الذي ندفع به إلى الأمام.

¹ علي زياد العلي، المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، ط1. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ص103

² سعد شاكر شبلي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة الرئيس باراك أوباما. الأردن: دار المنهل، 2013، ص13.

³ طويل نسيم، المثلثاتية في منطقة شمال شرق اسيا، ط1. برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2017، ص 13

⁴ صلاح نيوف، مدخل إلى الفكر الاستراتيجي. الدنمارك " الأكاديمية العربية المفتوحة، 2008، ص9

وبالنظر إلى بعض المعاجم والقواميس، نجد أنه قد عرفها قاموس Webster على أنها: "علم التخطيط والتوجيه في إطار العمليات العسكرية، والخطة والتخطيط ومهارة الإدارة، وأوردها قاموس المورد بأنها: "فن أو علم الحرب ووضع الخطط وإدارة العمليات الحربية"¹.

توجد العديد من التعاريف لمفردة الاستراتيجية إلا أنها اختلفت وتباينت من عصر لآخر وهذا هو أحد المسببات الرئيسية لزيادة الغموض في ضبط التعريف، فقد كان الحديث مقتصرًا لمدة طويلة على المفاهيم العسكرية التي تحضر إلى الأذهان بصورة تلقائية كلما سمعوا هذا المصطلح، كما استعملت هذه الكلمة من قبل المختصين بمجال التخطيط²، واستخداماتها المعاصرة قد تعددت وشملت العديد من الميادين، إذ قد يوصف موقع بلد ما بأنه استراتيجي مثل الموقع الاستراتيجي لقناة السويس أو الخليج العربي، كما قد يوصف قرار مهم سياسي كان أو اقتصادي بأنه استراتيجي، ويمكن أن يطلق أيضا على بعض الموارد والسلع الاقتصادية كالنفط وبعض الأسلحة المتطورة وصف الاستراتيجية، بل تعدى هذا الوصف إلى أن يطلق حتى على نمط التفكير أو الدراسات المتخصصة بأنها تفكير استراتيجي أو دراسات استراتيجية³.

يعد Nicolas Machiavel (1469-1527م) من أوائل المفكرين الاستراتيجيين الذين وضعوا أسس الدراسات الاستراتيجية التقليدية، حينما ربط بين السياسة والحرب باعتبار أن هذه الأخيرة هي إحدى وسائل الدولة في تحقيق أهدافها السياسية وقدم مؤلفا بعنوان فن الحرب، ويرجع ظهور الدراسات الاستراتيجية بشكلها الفلسفي إلى كتابات الفيلسوف والجنرال الألماني Carl Von Clausewitz (1780-1831م) الذي عرف الاستراتيجية بأنها "نظرية استخدام الاشتباك للوصول إلى هدف الحرب"، بمعنى استخدام

¹ علي زياد العلي، المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، مرجع سبق ذكره، ص103

² نفس المرجع، ص104

³ عبد القادر محمد فهمي، المدخل في دراسة الاستراتيجية. بغداد: منشورات جامعة بغداد، 2009، ص12.

الاشتباك كوسيلة للوصول إلى الغايات والأهداف التي سُنت الحرب لأجلها، هذا ما يفرض على الاستراتيجية أن ترسم وتضع الخطة وأن تحدد الأهداف للحرب¹.

لم تبتعد الإسهامات الفكرية لمحاولة تعريف الاستراتيجية عما قدمه Clausewitz، فمثلا المؤرخ الإنجليزي Henry Liddell Hart (1895-1970) عرفها بأنها "فن توزيع واستخدام الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة"، وبتعبير آخر هي "طرق استخدام القوة العسكرية لتحقيق الغايات السياسية"²، كما عرفها عالم الاجتماع الفرنسي Raymond Aron (1905-1983م) على أنها "قيادة وتوجيه مجمل العمليات العسكرية، أما الدبلوماسية فهي توجيه العلاقات مع الدول الأخرى على أن تكون الاستراتيجية والدبلوماسية تابعين للسياسة"³.

كل هذه التعاريف ضيقة في نطاقها وتغلب عليها النزعة والطابع العسكري، في حين أن استراتيجية الدولة بمفهومها الواسع والشامل لا يمكن أن تتحقق أو تتقيد بالحرب فقط، وإن اعتبرت الوسيلة العسكرية هي واحدة من عدة وسائل تعين على تحقيق استراتيجية الدولة. إذن فاختزال الاستراتيجية في الجانب العسكري يدل على الاستراتيجية العسكرية التي جوهرها استخدام القوة المسلحة من طرف الدولة لتحقيق أغراضها.

وعلى ذلك حاول المعاصرون من منظري الدراسات الاستراتيجية تجاوز أوجه القصور في فهم مضمون الاستراتيجية⁴، من أبرزهم الجنرال الفرنسي André Beaufre (1902-1975) الذي حاول طرح تعريف موسع للاستراتيجية وتجاوز الاختزال، فوفقاً لمؤلفه (مدخل إلى الاستراتيجية) هي "فن استخدام القوة

¹ خالد عوض عقلة الدهام، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط في عهد أوباما 2009-2017، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2018، ص ص 20.21

² Basil Henry Liddell Hart, **strategy the indirect approach**. London : Faber & Faber, 1967, p,334

³ صبار محمد رضی، "الاستراتيجية والمفاهيم المرتبطة بها". مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية، المجلد 2، عدد 9، ديسمبر 2020، ص 156

⁴ عبد القادر محمد فهمي، المدخل في دراسة الاستراتيجية. بغداد: منشورات جامعة بغداد، 2009، ص 14،

للوصول إلى هدف السياسة"، وهنا لا يقصد فقط القوة العسكرية بل جميع العناصر التي تتشكل منها سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وثقافية... إلخ¹.

من جانب آخر يرى الدكتور عبد القادر فهمي بأن الاستراتيجية مصطلح يسري على جميع المواقف والحالات بغض النظر عن توصيفها فيما إن كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية. فهي تقترب بالعمق السياسية والفلسفية والاقتصادية والاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع وتحكمه، ومن هذا المنطلق لكل دولة استراتيجية تعبر عن سياستها بكل مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعليه فالاستراتيجية حسب الدكتور فهمي تابعة للسياسة ونابعة منها، والسياسة بشكل عام هي الوسيط الذي ينشأ فيه الفعل الاستراتيجي، فلا استراتيجية دون سياسة تضبط إيقاعها وتحدد وتقوم مسار حركتها، لكونها تعمل على تنظيم أدائها الهادف والمؤثر².

الفرع الثاني: تطور الاستراتيجية كفكر في حقل العلاقات الدولية

الملاحظ في سياق التعاريف السابقة أن بدايات نشأة الفكر الاستراتيجي اقترن بفن إدارة الحرب، وما يترتب عليه من مسؤوليات القادة العسكريين في التخطيط للمعارك والسعي لتحقيق أهدافها التي تكون سياسية بالعموم، انطلاقاً من العبارة الشهيرة لأب الاستراتيجية Carl Von Clausewitz التي مفادها أن "الاستراتيجية استمرار للسياسة بوسائل أخرى"³، وبقي ذلك الارتباط طويلاً إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وظهرت الحاجة لتجاوز هذا الاختزال، وتتسع لمجالات أخرى بفعل تطور وتعدد حقل العلاقات الدولية وتشابك تفاعلاته، وذلك راجع لتداخل قضايا الدفاع والأمن بالمسائل المجتمعية خصوصاً الاقتصادية والثقافية والسياسية في الواقع المعاصر.

¹ اندري بوفر، مدخل إلى الاستراتيجية، ترجمة، أكرم ديري. القاهرة: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1970، ص80

² عبد القادر محمد فهمي، المدخل في دراسة الاستراتيجية. بغداد: منشورات جامعة بغداد، 2009، ص18.

³ Philippe Moreau Defarges, **Problèmes stratégiques contemporaines**. Paris : Editons Hachette, 1994, p.9

وبالرجوع إلى الفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية نجد أن التحليل الاستراتيجي كان محدودا ومحكوما بعوامل تحددها طبيعة ووضعية كل دولة، فكان المنظرون للاستراتيجية يعتمدون على مبادئ مثل تركيز القوات وتجميعها وحركتها وعنصر المفاجأة والأمن وغيرها، التي يمكن لمسها بكثرة في مؤلفاتهم ابتداء من كل من الجنرال Sun Tsu و Clausewitz و Napoleon، ويمكن القول أن استمرار المقاربة العسكرية البحتة والتركيز عليها في الفكر الاستراتيجي بقي إلى غاية الحرب العالمية الثانية، والجديد فيها هو ما تعلق فقط بالآلة التكنولوجية للجيش كسلاح الجو، تطوير أسلحة جديدة... الخ، ولاحقا برز أول تغيير مهم في مجال الاستراتيجية خلال القرن العشرين تمثل فيما يعرف بالاستراتيجية الشاملة¹ Grande Strategie، التي استمدت أهميتها خلال الفترة 1940-1945 نتيجة ما تطلبته المرحلة من تجنيد لكل موارد الدولة المادية والبشرية لمواجهة انتشار الحرب في كل العالم، الأمر الذي تطلب تدخل السياسيين إلى جانب العسكريين في رسم الاستراتيجية الكبرى وصياغتها².

شكّل قرار استخدام القنبلة النووية 1945 تحولا كبيرا في القدرة التدميرية للقوات المسلحة بل إنه أعاد فتح النقاش الاستراتيجي بشكل جديد، ذلك بسبب أن القرار تطلب إشراك حتى العلماء والسياسيين، وقد ظهر بالإجماع في استخدام القنبلة النووية ضد اليابان من طرف أعضاء اللجنة المؤقتة التي أسسها آنذاك الرئيس الأمريكي Harry Truman، غير أن الخلاف كان قائما داخل المجتمع العلمي خاصة بعد النتائج المروعة المترتبة على استخدام السلاح النووي لاحقا، وقد خلقت نقاشات كبيرة بين العلماء فتحت المجال أمام تطوير تفسيرات استراتيجية لاستعمالات السلاح النووي، على أساس أن من يمتلك القنبلة النووية يغير بشكل مطلق الاستراتيجية، وهذا كان بمثابة القطيعة مع التفكير الاستراتيجي الكلاسيكي فلم يعد أمن الدولة يتطلب التكتّم والسرية كما في النظريات الكلاسيكية بل على العكس تماما. فتعريف الخصم بقدرات الدولة التدميرية يشكل

¹ علي زياد العلي، المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 107

² مصطفى بخوش، "تطور الفكر الاستراتيجي في حقل العلاقات الدولية". مجلة دراسات شرق اوسطية، مج 16، ع 59، جوان 2012، ص 28

رادعا له، ومن هنا تطورت نظرية استراتيجية الردع والاستراتيجيات غير المباشرة التي توظف فيها أدوات اقتصادية لإدارة علاقات القوة، ويعتبر مشروع Marshall الذي وضعه الجنرال الأمريكي George Marshall أحسن مثال وكبادرة استراتيجية أمريكية لصد ومنع انتشار الشيوعية في أوروبا، وتواصلت فيما بعد المبادرات فبرزت مراكز دراسات متخصصة في الاستراتيجية على شكل خزانات تفكير ThinkTanks، زادت من تطوير أدوات جديدة لتحليل القضايا الاستراتيجية لتشكل ما يسمى بمرحلة الاستراتيجية الأكاديمية التي تعاملت مع القضايا الاستراتيجية عبر منطق عقلي رياضي¹.

بنهاية الحرب الباردة شهد العالم تحولات عديدة وسريعة على المستوى الكمي الذي انعكست في ندرة المراتب الطبيعية، الزيادة السكانية، التوزيع الجديد للثروات وتصاعد بروز فاعلين غير الدول وتنامي دورهم في الساحة الدولية، وعلى المستوى الكيفي الذي ظهر في التطور التكنولوجي، تطور الروابط الاجتماعية، ظاهرة العولمة، الأمن المتصاعد لتتفعل الأشخاص والمعلومات والممتلكات وإعادة توزيع القوة على المستوى الدولي. كل هذا أدى إلى تحول اهتمام الدراسات الاستراتيجية إلى عناصر موضوعية وإدراكية في التفكير الاستراتيجي كالاهتمام بالتعاون الدولي، النظر في العلاقة بين الدراسات الأمنية ونظرية العلاقات الدولية، العوامل والمؤثرات الداخلية والاقتصادية ورهانات نزع السلاح، كما برز أيضا توجه نحو إعطاء الأولوية في معالجة المشاكل الأمنية لزوايا وجوانب ذات طبيعة غير عسكرية، مع الاهتمام أكثر بدور الفاعلين من غير الدول ومدى أثرها في التحليل الاستراتيجي، كل ذلك يكشف عن درجة التعقيد الذي اكتنف ظواهر الحرب والسلم لفترة ما بعد الحرب الباردة وما عرفته من تغيرات متسارعة شملت كل المجالات التي استدعت الحاجة لردود سريعة على مواضيع مثل الوقاية من الجريمة، البيئة، الفوضى، الإثنية والإرهاب الدولي وغيرها².

¹ نفس المرجع، ص 29

² نفس المرجع، ص 32

الفرع الثالث: صياغة الاستراتيجية في مجال العلاقات الدولية

وردت الاختلافات الفكرية على تصنيف الاستراتيجية أهي علم أم فن في العديد من المؤلفات لأكثر القادة والسياسيين تأثيراً، وقد رجح أكثر مفكري العلاقات الدولية على أنها علم وفن معا، فنظرية الاستراتيجية وكل ما شملها من تفكير استراتيجي تستخدم في صياغة وتحديد تعبير عقلائي عن الثالوث الاستراتيجي المتمثل في الأهداف والأفكار والموارد، لأن الاستراتيجية يجب دوماً أن تكون المنتج الذي نحصل عليه عبر التفكير العميق والمتأن، ويجب التعبير عنها بكلمات دقيقة تحمل معاني خاصة، ذلك أن المعنى عنصر مهم في الاستراتيجية وتوثيقها يحدد المصالح الوطنية والهدف العام الأكبر¹.

وباعتبار أن السياسة والاستراتيجية تحتلان أماكن مهمة في الهرم التراتبي للدولة، فإن التفكير الاستراتيجي يطبق على كليهما، بمعنى أن التفكير الاستراتيجي يقع على عاتق الخبراء الاستراتيجيين وصانعي السياسة وحتى خبراء الأمن القومي الذين لهم القدرة على تطبيق تلك العمليات الفكرية الواردة في التقييم الاستراتيجي، الذي بدوره يحدد الأشياء المهمة التي تخص الغاية والهدف الوطني الأكبر سواءً على الصعيد الداخلي أو الخارجي معا، لأنه يمكننا عبر التقييم الاستراتيجي فهم ما تعنيه المصلحة الوطنية المصاغ في هيكل الاستراتيجية التي تتم مناقشتها.

والاستراتيجية بشكل عام تصاغ عبر خطوات بالغة الأهمية أوردتها المستشار الأمريكي في الأمن

الوطني Harry R. Yarger في العديد من مؤلفاته حول الإستراتيجية، نلخصها في الآتي:

(1) تحديد أهداف الإستراتيجية:

يعتبر تحديد الغايات والأهداف بشكل دقيق الجزء الأكثر أهمية في صياغة الإستراتيجية، وفي أغلب الأحيان لا يكاد يصرف الوقت الكافي خلال صياغة الإستراتيجية على دراسة وتحديد الأهداف المناسبة في

¹ هاري ار. يارغر، الاستراتيجية ومحترفو الأمن القومي، تر، علي راجح محرز. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2011، ص235.

سياق السياسة والمصالح الوطنية وحتى البيئة المنشودة، فالأهداف هي محور الاهتمام في صياغة الإستراتيجية، فإذا تم تحديد أهداف خاطئة فإن الأفكار والموارد سوف لن تخدم الغرض الاستراتيجي¹.

في الدولة القومية تركز الإستراتيجية وتستمد أهدافها من اعتبارات السياسة المكرسة لحماية المصالح القومية، أو تعزيزها ضمن إطار البيئة الإستراتيجية داخل الوضع الذي هي عليه أو الذي يمكن أن تقول إليه، حيث يتعين على الخبير الإستراتيجي أن يدرك المصالح الوطنية والسياسية من أجل أن يفصل الإستراتيجية المناسبة، ونظرا لتعدد بيئتها يقع على عاتقه أيضا أن يفهم التفاعلات والخلافات بين المصالح والسياسات المختلفة، وأن يمتلك نظرة كلية في اعتباراته ويحيط علما صانع القرار بكل تلك الاختلالات وتباين السياسات وتقاطعاتها، كما يجب على الخبراء الإستراتيجيين عدم الخلط بين الأهداف القريبة والمتوسطة والبعيدة، وبين الأهداف المرحلية ذات الطبيعة التكتيكية والأهداف القومية ذات الطبيعة الاستراتيجية.

وقد تم التمييز بين نوعين من الأهداف²:

✓ التي ترتبط بوجود الدولة ذاتها، وهي تتسم بالدوام النسبي؛

✓ المؤقتة التي تنشأ نتيجة لتغير بعض الأحوال السياسية سواء داخلية أو دولية.

تسعى الإستراتيجية لحماية مصلحة واحدة معينة أو مجموع المصالح العامة للدولة وتعزيزها ضمن البيئة الإستراتيجية، إذ تكون منسجمة مع التوجيهات السياسية مع الأخذ بالحسبان الظروف ووجود أطراف أخرى، وهي بذلك تستخدم التقويم الإستراتيجي لأجل تحديد العوامل ذات الصلة كالحقائق والتهديدات والفرص التي تقوم بأفعال أو ردود أفعال قد تؤثر في المصلحة، وفي الوقت نفسه تسعى الإستراتيجية إلى الاستفادة

¹ نفس المرجع، ص. 237.

² سعد شاكر شلي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة الرئيس باراك أوباما. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2013،

من كل العوامل المتاحة في البيئة والتأثير عليها، واستخدام أدوات القوة المتاحة لدى الدولة لإنجاز أهدافها وتحقيق مصالحها، ونظرا لسمتي التعقيد والفوضى للبيئة فإن تحديد الأهداف الصحيحة للتأثير الإستراتيجي المقصود هو مهمة صعبة للغاية. لذلك يجب على الإستراتيجي أن يفهم مستوى الإستراتيجية التي يعمل على إعدادها وعلى أن يدرك أيضا طبيعة البيئة الاستراتيجية ضمن هذا المستوى، وهو ما يساعده على رسم الأهداف التي يعبر عنها بأنها الوضع النهائي المنشود، لأن هذه الأهداف مرتبطة بدليل السياسة وبإستراتيجية عليا وبطبيعة البيئة الاستراتيجية وبأدوات القوة المتاحة. ففي الاستراتيجية، تكون الأهداف واضحة المعالم بأفعال جلية مثل: يمنع نشوب الحرب، يعزز الاستقرار الإقليمي. والأفعال الصريحة الواضحة تجبر الخبير الإستراتيجي على دراسة وتبرير ما يجب إنجازه وتساعده على وضع معايير لاستعمال القوة¹. من حيث المبدأ. فالإستراتيجية يجب أن تكون مرنة وقابلة للتكيف كما يجب أثناء صياغتها التركيز على الأهداف الكبرى التي تعكس إدراكا للطبيعة الديناميكية المتسمة بها البيئة الاستراتيجية، والملاحظ أن كثير من الاستراتيجيين كما أشار Harry R. Yarger يجعلون الأهداف ضيقة ومحددة أكثر مما ينبغي، وهم بذلك يخفضون مستوى تفكيرهم إلى مستوى التخطيط الذي تكون فيه دقة التفاصيل مهمة جدا لإمكانية قياسها كميا وتنفيذها، وعند محاولة رفع مستوى الأهداف إلى المستوى الإستراتيجي تكون أكثر عرضة للفشل، لأن التركيز في الاستراتيجية يكون على وضوح الغايات والأهداف الملائمة للمستوى الذي يجري العمل به، من غير وضع تعليمات تفصيلية للمستويات الدنيا وهي في الأخير تخدم الوضع النهائي المنشود.

(2) وضع المفاهيم الاستراتيجية (الطرائق):

إن وضع المفاهيم الإستراتيجية يساهم في شرح كيفية تحقيق الأهداف عبر توظيف أدوات القوة التي هي تجسيد لعناصر كموارد الدولة المتاحة فعلا. وعند الحديث عن الحصار البحري فإنه أداة لتطبيق

¹ هاري ار. يارغر، الاستراتيجية ومخترفو الأمن القومي، مرجع سبق ذكره، ص. 240.241.

عنصري القوة الاقتصادية والعسكرية، أما الطرائق الإستراتيجية بشكل عام تربط الموارد بالأهداف لمعرفة كيف سيتم تحقيق الهدف، والإستراتيجية دائماً ما تتألف من طرائق وغايات ووسائل إذ يكون التركيز على كيفية تفاعل هذه العناصر ضمن البيئة الاستراتيجية لأحداث التأثيرات المقصودة، وبعض الطرائق مقبولة على أوسع نطاق لدرجة أنها اتسمت باستراتيجية معينة، وكأمثلة لهذه الطرائق/الاستراتيجيات نذكر الاحتواء، الدفاع المتقدم، التدمير المؤكد... الخ، حيث في الممارسة العملية لهذه الاستراتيجيات أهداف محددة وموارد مقترنة بالأهداف، وتم تطوير هاته الطريقة بصورة أفضل استدلت بها العنوان القصير الذي أخذته استراتيجية معينة¹.

يسعى الخبير الاستراتيجي جاهداً ويفكر في الطرائق المختلفة والمتباينة لتحقيق أهداف الإستراتيجية، فعندما يقوم بإجراء تحليل شامل للطرائق الإستراتيجية المتعددة يتيح له ذلك تجنب الطرائق التي تؤدي إلى التأثيرات غير المرغوب فيها ويطور طرائق مناسبة لتخفيف تلك التأثيرات، وعليه فالخبير الإستراتيجي يساعد في إعادة توجيه الجهود الوطنية بشكل أسرع نحو إنجاز الهدف.

(3) الموارد والوسائل في الاستراتيجية:

في الاستراتيجية تكون الموارد والوسائل على صنفين:²

أ- ملموسة فتشمل القوات، الأفراد، المعدات، الأموال وكذا المنشآت، غير أن المشكل فيها أنها نادراً ما تكون كافية لدعم الطريق الأفضل على النحو المناسب، وقد يشكل هذا النقص عجزاً حقيقياً لا يستطاع تعويضه، وهو غالباً ما يكون نتيجة الرغبة من جانب القيادة التي توصف بالحكمة والكفاءة في أن تكون بصدد ترشيد التمويل الحكومي؛

¹ نفس المرجع، ص. 246.

² نفس المرجع، ص. 251.

ب- غير الملموسة وتشمل كل ما هو غير مادي مثل: الثقافة، الإرادة الوطنية، النية الحسنة للدول، الذكاء والشجاعة كما تشمل السلبية منها كالتعصب والعنف وغيرها. وكل هذه الوسائل أو الموارد غير الملموسة تشكل إشكالية بالنسبة للخبير الإستراتيجي كونها لا تقبل القياس غالباً، أو تكون متقلبة أو تحتاج دوماً للدعم والتعزيز كالإرادة الوطنية في النظام الديمقراطي.

إن اختيار الموارد مثل الطرائق يحمل انعكاسات مرتبطة بالتأثيرات المتعددة المستويات، فمثلاً الموارد العسكرية يمكن أن تحقق أشياء كثيرة كخوض الحروب وعمليات الإغاثة الإنسانية وأيضاً مهام بناء الدولة. ورغم كون القوات العسكرية المورد الأكثر إتاحة إلا أن اللجوء إليه غالباً ما يترك عواقب، كما قد لا تمتلك الفاعلية والخبرة كالمؤسسات المدنية غير الحكومية إذا تعلق الأمر بالمسائل الإنسانية كالإغاثة ونحوها، وقد ينظر إليها من جانب البعض على أنها تهديد لسيادة الدول أو احتلال لها عند التدخل تحت مسميات متنوعة، وهكذا تصبح هي المشكلة بدل أن تكون جزءاً من الحل. ويعد تخصيص موارد غير كافية لتطبيق مفهوم إستراتيجي وصفة لحدوث كارثة، مما يسبب تكاليف أكبر عند معالجة ما نتج عنها من أضرار، لذلك طالما ترددت تلك العبارة لدى الاستراتيجيين القدامى التي تقول "الموارد هي التي توجه الاستراتيجية"¹.

(4) اختبار صحة الاستراتيجية ومخاطرها:

تعتمد كل استراتيجية على منطق خاص متأصل بها يمكن من خلاله تقويمه لتحديد صلاحية الإستراتيجية ومخاطرها، فينبغي للخبير الإستراتيجي أن يفكر في المراحل السابقة أثناء صياغة الإستراتيجية لضمان أن تكون الموارد المتاحة كافية لتنفيذ الطرائق، وعليه أن يطرح تساؤلات حول مدى ملاءمة الاستراتيجية والأهداف المنشودة وتأثيرها، ويأخذ في اعتباره الموارد الملموسة وغير الملموسة ويحاول تقليل المخاطر إلى الحد الأدنى، عبر تحليل العلاقة أو التوازن بين الغايات والطرائق والوسائل،

¹ نفس المرجع، ص. 254.

ويقوم في نهاية المطاف بتقديم المعلومات حول مخاطر الإستراتيجية لصانعي القرار الذين يقررون بدورهم ما إذا كانت مقبولة أو لا¹.

(5) مراقبة النجاح أو الإخفاق أو تعديل الاستراتيجية:

تتمثل الخطوة الأخيرة بعملية صياغة الاستراتيجية في المراقبة المستمرة للنتائج أو المراجعة عند التطبيق، إذ لا بد أن يكون التقييم المستمر رسمياً بحيث يتم تلمين أهداف الاستراتيجية وطرائقها ووسائلها وكذا مخاطرها في مقابل المعطيات الواقعية الناشئة، إلى جانب الاحتمالات الممكنة في البيئة الاستراتيجية، حيث عملية التقييم تتضمن رصد مستوى النجاح أو الفشل أو التعديلات اللازمة. فالاستراتيجية الناجعة تقدم فرصاً جديدة والفاشلة تستوجب استبدالها، وقد تشهد المصالح الوطنية والسياسة تغيرات مع مرور الوقت تتطلب استراتيجيات جديدة. لذلك يتم تقييم كل من الاستراتيجية وبيئتها بشكل مستمر للتأكد من أنها تدعم السياسة الموجهة والمصالح الوطنية بشكل مناسب².

¹ نفس المرجع، ص. 256.

² نفس المرجع، ص. 257.

خلاصة الفصل الأول

نخلص مما سبق عرضه أن تطور المفاهيم كالثقافة والدين جاء في سياق تطور العلوم الاجتماعية، الأنثروبولوجيا خاصة، وسرعان ما تم الاهتمام بها في حقل العلاقات الدولية فبرزت كأبعاد تأثر على منظومة التفاعلات الدولية على اعتبار أن الدول كيانات تمثل المجتمع وشخصيته.

فالثقافة مرت كمفهوم بعدة مراحل ارتبطت بالبيئة التي ظهرت فيها فتطورت في الفكر الغربي كما الفكر العربي، غير أن الفكر الغربي اهتم بالمفهوم بشكل كبير لدرجة أنه يعد حجر الأساس للعلوم الاجتماعية، وتعدى الاهتمام إلى دارسوا العلاقات الدولية، فكانت الجهود العلمية الأولى تقوم على خلق الصلة بين الثقافة وسلوك الدولة، لتظهر فيما بعد نماذج ومفاهيم مثل الهيمنة الثقافية والاستعمار الثقافي ... واصبح البعد الثقافي خلال الوقت الراهن قضية حيوية وجادة تبنى عليها السياسات والخيارات الاستراتيجية لمختلف الدول والتكتلات الإقليمية والدولية.

وبالموازاة ظهرت الظاهرة الدينية بشكل قوي كمحدد في السياسات والتفاعلات الدولية، خاصة مع بداية القرن الحادي والعشرين، إذ أصبحت البعد الديني يشغل مكانا محوريا يؤثر في المجتمع وثقافته بل حتى يعيد تشكيل الدول. وبذلك تنامت النقاشات وتوجهت أقلام الباحثين والاستراتيجيين إلى التركيز على موقع البعد الديني في حقل العلاقات الدولية، كأحد المتغيرات المهمة في السياسات الخارجية للدول وكآلية للتعاون وحل النزاعات وتحقيق السلام الديني العالمي، كما وظف لأغراض أخرى حسب توجهات الفاعلين الدوليين.

وفي إطار ما سبق، تأتي نظريات ومقاربات استغللت تنامي البعدين الديني والثقافي لترتكز عليها كالنظرية البنائية ومقاربة القوة الناعمة، هاته الأخيرة مثلا تركز على مظاهر التأثير والتأثر للبعدين الثقافي

والديني ضمن التفاعلات الدولية، كما تأخذ أيضا النظرية البنائية بمركزية هاته الأبعاد وتراهن عليها في تفسير الوقائع الدولية.

أما عن مفهوم الشراكة الاستراتيجية فهو أحد المفاهيم المركبة الذي لاقى اهتماما كبيرا في حقل العلاقات الدولية لما له من أهمية في تنظيم الحياة الدولية وباعتباره ميزة جديدة لتطور العلاقات الدولية، والمفهوم مركب من مصطلحين الشراكة: والتي ترتبط في مجال العلاقات الدولية بالعديد من المصطلحات المماثلة كالتعاون والتكامل، أما الاستراتيجية فلها بالغ الأهمية لما لها من قدرة على فهم سلوك الدولة على المستويين الداخلي والخارجي.

وقد برز مفهوم الشراكة الاستراتيجية على الساحة الدولية كبديل أسهل من الناحية المؤسسية، والأسرع من ناحية الاستجابة العاجلة للمتغيرات الجيو استراتيجية، وعليه تكمن فائدة طرح مقارنة الشراكة الاستراتيجية كاستجابة عملية لبناء وتنمية الأهداف المشتركة بين الفواعل الدولية بشكل متسارع، وخاصة ونحن نعالج سبل تنمية التعاون بين منطقتين ذات بعد جيو استراتيجي، ولها من الروابط المشتركة ببعديها الثقافي والديني ما يساعد على تطوير مجالات الشراكة الاستراتيجية بعيدة المدى.

الفصل الثاني:

الجزائر ودول الساحل: دراسة

جيو - سياسية واستراتيجية

للإقليم

تعد المنطقة التي تشمل جغرافيا الجزائر والساحل الإفريقي من أهم المناطق الإفريقية حيوية وغنى بالثروات الطبيعية، وتمتلك في ذات الوقت مكانة تاريخية وحضارية غاية الأهمية من خلال الحضارات العديدة، الممالك والدول التي عرفت فيها في تاريخها، كما عرفت المنطقة تحديات وتدخلات خارجية قديما وحديثا، كالأستعمار الأوروبي الطامع في خيراتها وثرواتها، أدت كلها إلى عرقلت نموها الاقتصادي، وخلق بيئة أمنية غير مستقرة.

وسنحاول ضمن هذا الفصل الثاني التعريف بهاته المناطق، وإبراز أهم ملامحها الجغرافية، الطبيعية، وإمكاناتها الاقتصادية المستغلة منها والكامنة، ثم نعرض إلى إبراز أهم التحديات الداخلية والخارجية التي تتخبط فيها دول منطقة الساحل الإفريقي وتداعياتها على استقرار المنطقة.

المبحث الأول: العمق الجيو استراتيجي لمنطقة الساحل الإفريقي

تعتبر منطقة الساحل الإفريقي من أبرز الفضاءات المهمة التي أضحت تشهد اهتماما بالغاً في الألفية الأخيرة لارتباطها بجغرافيتها الغنية بالثروات والموارد المحركة لعجلة الاقتصاد بالعالم من جهة، وبالتهديدات الأمنية التي تغزو العالم في شكلها اللاتماثلي من جهة أخرى مما جعلها ذات صراع دولي وإقليمي هام، وقد اختلفت على هذه المنطقة -التي شهدت العديد من الحضارات البشرية- المسميات وتتنوع المساهمات والدراسات الأكاديمية في سبيل تحديد إطارها الجغرافي، فتباينت المقاربات والرؤى للمنطقة بحسب الاهتمام والمصالح وبسط النفوذ الخراجي؛ وسنحاول في هذا المبحث تقديم مجموعة من التعاريف للمنطقة جغرافياً ثم عرض أهميتها وخصائصها.

المطلب الأول: تعريف منطقة الساحل الإفريقي وتحديد الجغرافي

تعددت التعريفات والمنطلقات الفكرية التي تناولت تحديد منطقة الساحل الإفريقي جغرافياً، وتباينت التسميات التي عرفت بها، وخلال هذا المطلب نعرض على أبرز تلك الاختلافات ونسلط الضوء على مقاربة الجزائر في تحديدها لحدود هاته المنطقة الحيوية التي تدخل ضمن امتدادها الجيو استراتيجي.

الفرع الأول: ايتيمولوجيا مفهوم منطقة الساحل الإفريقي

لطالما كانت تلك التحديات المنهجية التي تبرز عند محاولة تحديد تعريف إقليم منطقة الساحل الإفريقي، وأول ما يواجهه الدارس للمنطقة هو صياغة تعريف دقيق لها لكونه لحد الآن لم تتشكل صورة متماسكة في مختلف البحوث السياسية والأمنية حول هذا الإقليم، كما هو الحال بشأن إقليم الشرق الأوسط؛ وإن كانت حدوده شبه واضحة، على خلاف منطقة القرن الإفريقي الواضح معالمه والمتفق على مركزه؛

أما إقليم منطقة الساحل فمن الصعوبة بمكان الحديث عن وجود مركز له وهو ما يزيد من التعقيد المنهجي إذا ما أردنا تحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية والأمنية للمنطقة¹.

تباينت عبر الأزمنة عدة مسميات للمنطقة لتعبر عن وضعيات وحدود جغرافية وأنطولوجية مثلا: الساحل، السهل الإفريقي، الساحل الصحراوي، الساحل والصحراء وكلها مصطلحات تدور حول منطقة واحدة، أو على الأقل تشمل عدة مواقع متداخلة ومترابطة جغرافيا. وقديما في الكتابات التاريخية، كان يطلق عليها اسم: إفريقيا جنوب الصحراء، و بلاد السودان الذي عرفت به لعقود من الزمن، والتي اطلقها الجغرافيين العرب لتعريف المنطقة العازلة بين إفريقيا البيضاء وإفريقيا السوداء -بمقاربة عرقية إثنية-، والتي شملت مملكة غانا خلال الفتح الإسلامي لغرب إفريقيا، أما تسميتها بالصحراء الكبرى كونها أكبر صحراء مدارية في العالم، فتمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى البحر الأحمر شرقا، وهي تكاد تكون حاجزا طبيعيا بين شمال إفريقيا ووسطها، أما مصطلح "الساحل" الذي يعني الشاطئ باللغة العربية، استخدمه المؤرخون العرب في العصور الوسطى لوصف الشاطئ الجنوبي لذلك المحيط الآخر، الصحراء².

كما جاء المعنى نفسه في كتابات بعض المؤرخين الفرنسيين أمثال البروفيسور الفرنسي "جان جاليس" (1984) Jean Gallais حين قال عن الساحل بمعنى "شاطئ لبحر قاحل"³، وأضيف للمصطلح "الساحل" كلمتان (الإفريقي - الصحراء) للدلالة على المعنى المعاصر.

أما مصطلح "السهل الإفريقي" فقد ظهر في الكتابات العربية والمخطوطات القديمة، خلال القرنين السابع والثامن الميلادي إبان الفتح الإسلامي لغرب إفريقيا، ويفترض أن الترجمة الصحيحة لكلمة Sahel

¹ كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014، ص 8

² Abdoul Hameth. "Le Sahel, bande de transition et couloir de circulation". *Acteurs et territoires du Sahel: Rôle des mises en relation dans la recomposition des territoires*. Lyon: ENS Éditions, 2007. P33

³ Taje, Mehdi. "Caracteristiques Du Champ Geopolitique." *Sécurité et Stabilité Dans Le Sahel Africain*, edited by Jean Dufourcq and Laure Borgomano-Loup, NATO Defense College, 2006, p. 6.

هي كلمة "السهل" وليس الساحل،¹ وهو تشويه لأصل الكلمة العربي كما قال الدكتور النيجيري "بوريمة ألفا" قادو " Boureima Alpha Gado في مقاله "مفاهيم ومقاربات من أجل تعريف منطقة الساحل" (1993)،² وفيه حاول جمع المفاهيم المتعددة التي اطلقت على المنطقة تاريخيا، كما حاول حصر المقاربات المفاهيمية التي تتناولها العديد من الدراسات السابقة، وهو ما سنحاول مجارته في فقرات الموالية.

الفرع الثاني: تعدد مقاربات التعريف بالساحل الإفريقي

تعددت التعاريف المتعلقة بمنطقة الساحل الإفريقي تبعا لوجهات نظر والمدخل الذي اعتمده كل مؤلف، وقد تم التوسع في تحديد المناطق التي يشملها تعريف منطقة الساحل بناءً على عدة مقاربات أهمها:

☒ **المقاربة الجغرافية:** تشمل منطقة الساحل الإفريقي الحيز الصحراوي الفاصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، ويمتد ذلك الحيز أو الحزام من البحر الأحمر إلى محيط الأطلسي غربا (انظر الخارطة رقم 01)،³ وقد كان قديما مقسما حسب الخرائط الاستعمارية إلى منطقتين السودان الإنجليزي، والسودان الفرنسي، ويشمل حاليا ستة بلدان تشكلت حدودها حديثا بعد خروج المستعمر منها، هي:

السودان، التشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو وموريتانيا.⁴

كما يذهب عدد من الباحثين إلى توسيع حدود منطقة الساحل الإفريقي لتشمل أجزاء من دول شملتها الصحراء الكبرى، وهنا يقول الأستاذ "اندري بوجوت Andre Bourgeot انه إقليم صحراوي لا حدود له،⁵ باعتبار أنه يمتد ليشمل أجزاء من دول أخرى تشكل أراضيها امتدادات جغرافية للصحراء الإفريقية الكبرى، وهي إضافة إلى الدول الستة السابقة الذكر، فهو يشمل أقصى شمال أثيوبيا وإريتريا من الشرق إلى الجزائر

¹ مشاور صيفي، "دور الجغرافيا السياسية في تكوين الدولة في منطقة الساحل الإفريقي"، الحوار الفكري، مح 12، ع 30، 2016، ص 217

² Gado, Boureima Alpha. "Concepts et Approches Pour Une Définition de l'espace Sahélien." *Africa Development*, vol. 18, no. 4, 1993, p. 79.

³ بروال طيب، الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2019، ص 82

⁴ مشاور صيفي، "دور الجغرافيا السياسية في تكوين الدولة في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص 217

⁵ Andre Bourgeot, "Sahara : espace géostratégique et enjeux politique(niger)", *Chaiier des recherches CNRS labouratoire d'anthropologie sociale*, Autre part(16) , 2000 , p43.

والسنغال ونيجيريا وغامبيا وجزر الراس الأخضر من الغرب. ومنطقة الساحل الإفريقي بهذا الامتداد هي أكبر اتساعا وانكشافا واشد تأثيرا من الناحية الجغرافية، ذلك أن مساحتها تفوق تسعة ملايين كيلومتر مربع¹.

تقع فلكيا بين خطي العرض 12° و 22° شمال خط الاستواء².

أغلب أراضي الساحل الإفريقي ذات طبيعة صحراوية قاحلة، إذ تشكل 64% منها صحراء جرداء، و30% منها أراض صالحة للزراعة، ويفوق عدد السكان فيها ما يربو عن مائة مليون نسمة³، وهي الإقليم الأفقر عالميا لعدة أسباب سنأتي على ذكرها لاحقا.

الشكل رقم (01): خريطة الموقع الجغرافي لمنطقة الساحل الإفريقي



المصدر: بوحنية قوي، "الجزائر والهواجس الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي" مركز الجزيرة للدراسات، 2014/12/11، على الرابط: <https://studies.aljazeera.net/en/node/3778> تاريخ الاضطلاع: 2022/08/07

✘ المقاربة المؤسسية: عرفت منطقة الساحل الإفريقي على أنها تشمل عددا من الدول التي هي

أعضاء في اللجنة الدولية لمكافحة الجفاف في الساحل CILSS التي أنشأت 1971م، والتي

حصرت منطقة الساحل الإفريقي بناءً على محدد بيئي يتمثل في مجموع البلدان التي تعرضت إلى

¹ ممد صليحة، محددات وتوجهات السياسة الخارجية الجزائرية تجاه دوائر محيطها الإفريقي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2019، ص 106

² بروال الطيب، الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص 83

³ الحسين الشيخ العلوي، منطقة الساحل الإفريقي ومعبر الموت الدولي، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 31 أوت 2015، ص 2

زحف رمال الصحراء الكبرى، لتشمل كل من: 1 التشاد، النيجر، مالي، بوركينا فاسو، السنغال، غينيا، غينيا بيساو، الرأس الأخضر.

أما عن مؤسسة الاتحاد الاقتصادي والنقدي لدول غرب إفريقيا UOMOA فحددت حسب عضويتها دول منطقة الساحل الإفريقي اعتمادا على الروابط التاريخية الاستعمارية عبر مبرر منطقة الفرع الفرنسي، وهي: النيجر، مالي، بوركينا فاسو، السنغال، غينيا بيساو، ساحل العاج، البنين، الطوغو.²

وفي نفس السياق هناك المجموعة الاقتصادية لغرب إفريقيا (ECOWAS) وهي مجموعة إقليمية مكونة من خمسة عشر دولة: بنين، بوركينا فاسو، كابو فيردي، كوت ديفوار، غامبيا، غانا، غينيا، غينيا بيساو، ليبيريا، مالي، النيجر، نيجيريا، السنغال، سيراليون، توغو، تأسست في 28 ماي 1975. وتتمثل مهمتها في تعزيز التكامل الاقتصادي لمنطقة الساحل الإفريقي في "جميع المجالات" بدءا من النشاط الاقتصادي، وخاصة الصناعة والنقل والاتصالات والطاقة والزراعة والموارد الطبيعية والتجارة والمسائل النقدية والمالية والشؤون الاجتماعية والثقافية.

☒ المقاربة الإثنية الحضارية: نظرا لتعدد الأعراق والأقليات داخل حيز جغرافي واسع ومترامي الأطراف زاد من تعقيد هاته المنطقة وتحديدها، وتلك الحدود التي رسمها المستعمر قبيل خروجه منها، إنما هي بمثابة القنابل الموقوتة لتجاهله المعتمد وعدم مراعاته لخصوصية المنطقة فيما تعلق بكثرة تعدد الإثنيات والقبائل والعرقيات، بل حتى الحضارات، وهو ما صعب انصهار كل هاته الفواعل في بوتقة الدولة الحديثة. فمنطقة الساحل الإفريقي طالما شهدت صراعات على الأراضي خاصة فترات الجفاف، فالطابع البدوي وتربية المواشي هو ما يميز سكان هاته المنطقة الصحراوية،

¹ ممد صليحة، محددات وتوجهات السياسة الخارجية الجزائرية تجاه دوائر محيطها الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص 106

² مشاور صيفي، "دور الجغرافيا السياسية في تكوين الدولة في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص 218

ومن اهم القبائل انتشارا نذكر¹: الطوارق التي تمتد من جنوب الجزائر إلى مالي والنيجر، ويصل امتدادهم إلى غاية السنغال، كما أن قبائل مورس (maores) وبولس (peuls) تنتشر في مالي وتشاد.

وقد كانت تساهم تفاعلات القبائل من جانب آخر في نشر الدين الإسلامي في المنطقة، فسادت ممالك كبرى وعظمى -مثل مملكة مالي وسونغي- كانت مركز التفاعل وقلب منطقة الساحل الإفريقي في تاريخ سابق.

☒ **المقاربة الأوروبية في تحديد إقليم الساحل الإفريقي:** انطلاقا من محدد رابط التاريخ الاستعماري، يقول الباحث "بلانكو لوباز Blanco Lupez" أن منطقة الساحل الإفريقي - وهو التعريف المعتمد لدى الاتحاد الأوروبي- تنحصر في²: مالي، النيجر وموريتانيا، إضافة إلى أجزاء من دولتي: بوركينافاسو وتشاد. وهي الدول المشتركة فيما يطلق عليها مجموعة G5 Sahel³، فالملاحظ أن هاته البلدان هي التي كانت مستعمرة من قبل فرنسا، ولا تزال تمتلك نفوذا كبيرا بها إلى اليوم.

☒ **المقاربة الجيوبوليتيكية لإقليم الساحل الإفريقي:** تتجاوز الحدود الجيوبوليتيكية الحدود الجغرافية، ذلك أنها تعكس معنى الحدود التي تنشأ من إدراك مصادر التهديد وانطلاقا من التطورات السياسية التي تعيشها المنطقة،⁴ إذ يصبح إقليم ما امتدادا جيو-سياسي لاي دولة حين يصبح رهانا امنيا لها، بل لا يمكن تحليل سياستها الأمنية دون وضعها في الحيز أو الإطار الجيوبوليتيكي الذي يحتضنها. فتختلف الحدود الجيوبوليتيكية باختلاف أهمية أي إقليم وقيمته بالنسبة للدول وامنها،

¹ محمد الطاهر عديلة، التنافس الدولي في السياسة العالمية دراسة في منطقة الساحل الإفريقي. برلين: المركز الديمقراطي العربي، ص21

² رضوان بوهيدل، جيوسياسية التنافس الدولي على منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره. ص14

³ Kaufmann, Timo. " L'engagement de l'UE au Sahel: stratégie cohérente ou rafistolage politique ?" , *Revue Défense Nationale*, vol. 780, no. 5, 2015, p. 85

⁴ محمد الطاهر عديلة، التنافس الدولي في السياسة العالمية دراسة في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص19

فمثلا الجزائر -جيوبوليتيكا- تعتبر جزءا من منطقة الساحل الإفريقي على اعتبار هذا الأخير مصدر لكثير من التهديدات لأمنها القومي، رغم أنها في الواقع لا تنتمي جغرافيا لمنطقة الساحل الإفريقي¹، وقس على ذلك بالنسبة للدول المجاورة حدوديا لمنطقة الساحل الإفريقي.

فالملاحظ مما سبق، أن عملية ضبط وحصر المجال الجغرافي لمنطقة الساحل بقيت صعبة، وهو ما يظهر من خلال جميع المقاربات والأطروحات، ولذا حاول الدكتور "كريم مصلوح" توضيح أهمية تحديد المركز لمنطقة الساحل الإفريقي لما له من أهمية بالغة، فالمركز قلب النشاط والتفاعلات داخل الإقليم، ومنه يتحدد الاطار الجغرافي والجيوسياسي للإقليم، فيرى أن منطقة الصحراء الوسطى التي كانت تحت الإدارة الاستعمارية الفرنسية - أي بلاد أزواد والتبو- من شأنها أن تؤدي نسبيا وظيفة المركز، فكثيرا ما كانت هذه المنطقة بمنزلة القلب الداخلي لنتائج التفاعل التاريخي بين شمال إفريقيا وجنوبها².

وفي نفس الإطار. نجد دراسات تحاول التقرب من الفكرة السابقة بتقسيم المنطقة حسب القرب والبعد من مركز أو محور الساحل الإفريقي، فالدول المحورية تمثل العمق الساحلي (مالي-النيجر-تشاد)، ودول حواف تشمل أطراف المنطقة (موريتانيا-السودان)، بالإضافة إلى دول ثانوية والتي تمس جغرافية منطقة الساحل الإفريقي (الجزائر-بوركينافاسو- نيجيريا- أريتيريا- السنغال- جزر الرأس الأخضر)³، ولا يعنى ذلك أنها هامشية.

وبناء عليه جاء تفصيل هذا التقسيم كما يلي:

¹ مشاور صيفي، "دور الجغرافيا السياسية في تكوين الدولة في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص219

² كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص8

³ قلاع الضروس سمير، "منطقة الساحل الإفريقي وأهميتها الاستراتيجية في إفريقيا: دراسة جيوسياسية"، مجلة أكاديميا للعلوم السياسية، مجلد06،

ع02، 2020، ص339

أ- دول عمق الساحل الإفريقي:

1. دولة مالي: وتدخل في حيز المركز الساحلي الإفريقي نظرا لموقعه الجيواستراتيجي بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 1240000 كلم²، وهي دولة حبيسة يبلغ عدد سكانها 14.5 مليون نسمة، 90% منهم من المسلمين¹، تنقسم الدولة إلى ثلاث أقاليم كبرى يتركز أكثر تعدادها السكاني بإقليم الجنوب في العاصمة "باماكو" Bamako، بالإضافة إلى منطقة "سيكاسو" و"كايس"، ثم تقل الكثافة السكاني ابتداء من إقليم الوسط والذي يشمل مناطق "موبتي"، "سيغو" و"كوليكور"، أما الإقليم الصحراوي النائي يقع في الشمال ويضم كل من مناطق "كيدال"، "غاو" وتمبكتو". والدولة يمر بها نهري النيجر والسنغال تتوزع خلالها معظم سكان الدولة، إذ يتمحور النشاط الاقتصادي فيها حول الزراعة وصيد الأسماك، كما يوجد بها بعض الموارد الطبيعية مثل الذهب واليورانيوم والملح، وتغطي الصحراء الكبرى النصف الشمالي منها في حين تمتد غطاءات الحشائش في بقية القطر². تحتل الجمهورية المرتبة 184 في تقرير التنمية البشرية لعام 2020.³

2. دولة النيجر: تتربع جمهورية النيجر على مساحة تقدر بـ: 1267000 كلم² مما يجعلها أكبر منطقة في غرب إفريقيا، يبلغ عدد السكان حوالي 24.2 مليون نسمة بأغلبية مسلمة، وعاصمتها نيامي وهي أكبر مقاطعة فيها، يحدها من الشمال ليبيا والجزائر، ومن الشرق التشاد، ومن الجنوب نيجيريا، ومن الغرب مالي⁴، وتعتبر جمهورية النيجر من البلدان الأقل نموا والأفقر على الرغم مما تحتويه

¹ علالي حكيمة، البعد الأمني في السياسة الخارجية- نموذج الجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011، ص 112

² مادي إبراهيم كاتي، التحول الديمقراطي في جمهورية مالي منذ 1991. القاهرة: المركز العربي للمعارف، 2016 ص 30

³ United Nations, **The 2020 Human Development Report**. New York: United Nations Development Programme, 2020, p18

⁴ محمد الجابري، موسوعة دول العالم " حقائق وأرقام ". مصر: مجموعة النيل العربية، 2003، ص 245

جغرافيتها من ثروات باطنية غير مستغلة كاليورانيوم، الفحم والحديد. تحتل المرتبة 189 في تقرير التنمية البشرية لعام 2020¹.

3. دولة التشاد: تقع جمهورية تشاد غرب النيجر بمساحة 1284000 كلم²، تعداد سكانها قدر بـ: 11.8 مليون نسمة حسب إحصائيات 2010، يقدر عدد المسلمين فيها بحوالي 85%،² تعد تشاد بلد غني في ثرواته، إذ يشتمل على أنواع مختلفة من البيئات والمناخات المتنوعة، ففي الوسط تقع المناطق الصحراوية الصخرية والكثبان الترابية، وبحيرة تشاد في المنطقة الشمالية في "كانم"، وسهول السافانا الخصبة المسطحة في منطقة مايو-كيبى الاستوائية، بالإضافة إلى منطقة "لوغان" الغنية بالنفط³، بالإضافة إلى مخزون وفير وهائل من الذهب والحديد واليورانيوم، تحتل المرتبة 187 في تقرير التنمية البشرية لعام 2020⁴.

ب- دول الحواف الساحلي: وتشمل دولتي موريتانيا من الغرب والسودان من الشرق⁵

1. دولة موريتانيا: وهي حافة منطقة الساحل من جهة الغرب، تحوز على مساحة تقدر بـ: 1032445 كلم²، تحمل كثافة سكانية تقدر بـ: 3291000 نسمة (3.3 مليون نسمة)، وهي دولة ساحلية إذ تطل على المحيط الأطلسي غربا، وتشترك شرقا في الحدود مع دولة مالي والجزائر، وهي بلد غني كذلك بالثروات الطبيعية كالحديد ومخزون نفطي معتبر، بالإضافة إلى الثروة السمكية⁶، تحتل المرتبة 157 في تقرير التنمية البشرية لعام 2020⁷.

¹ United Nations, *The 2020 Human Development Report*, op,cit, p18

² علالي حكيمة، البعد الأمني في السياسة الخارجية- نموذج الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 113

³ عز الدين موسى صالح عقيلة، النزاع الحدودي الليبي-التشادي 1973-1995، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2017، ص 30

⁴ United Nations, *The 2020 Human Development Report*, op,cit, p18

⁵ قلاع الضروس سمير، "منطقة الساحل الإفريقي وأهميتها الاستراتيجية في إفريقيا: دراسة جيوسياسية"، مرجع سبق ذكره، ص 339

⁶ علالي حكيمة، البعد الأمني في السياسة الخارجية- نموذج الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 115

⁷ United Nations, *The 2020 Human Development Report*, op,cit, p18

2. دولة السودان: باعتبار أن الشريط الساحلي للصحراء يمر على الجزء العلوي لهاته الدولة، شكلت حافة منطقة الساحل الإفريقي من جهة الشرق، وشهدت هاته الدولة انقساماً فانفصلت جنوب السودان عن شماله ليشكل دولتين على إثر الصراعات الإثنية والعرقية التي شهدتها المنطقة لسنوات، ووفق تقرير التنمية البشرية لعام 2020 جاء السودان في المرتبة 170 وجنوب السودان احتلت المرتبة 1.185¹

ج- الدول الثانوية: وهي التي تمس جغرافياً منطقة الساحل الإفريقي وتشمل كل من الجزائر، بوركينا فاسو، نيجيريا، إريتريا، السنغال وجزر الرأس الأخضر.²

الفرع الثالث: التعريف الإجرائي للدراسة من خلال المقاربة الجزائرية لمنطقة الساحل الإفريقي

تختلف المدارك بين الدول فيما يتعلق بمحيطها الإقليمي، حسب انتماء وطبيعة العلاقات التي تنسجها وتربطها بدول الجوار، فمن منطلق كون الجزائر فاعلاً إقليمياً ترى في منطقة الساحل محصوراً في مجموعة الدول التي تدخل وفق مقتضيات ما تمليه أجندة سياساتها الخارجية، وطبيعة مصالحها وأيضاً القضايا التي تربط الجزائر بالبلدان المعنية³، وهي ما يطلق عليها بدول الميدان (Les pays du champ) والتي تشمل بالخصوص، كل من: مالي، النيجر وموريتانيا، بالإضافة إلى الدول القريبة منها والتي نسميها دول الحواف كتشاد ونيجيريا والسنغال لاعتبارات تاريخية ترتبط أساساً بالبعد الديني الذي تغلغل وانتشر فيها والذي انطلق إشعاعه من الجزائر.

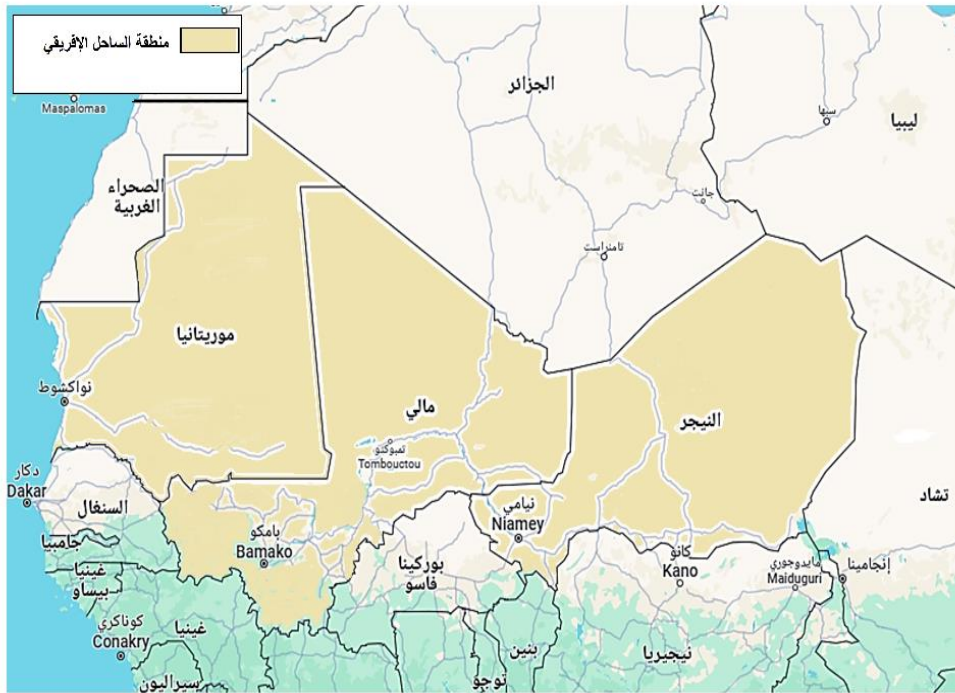
¹ ibid

² قلاع الضروس سمير، "منطقة الساحل الإفريقي وأهميتها الاستراتيجية في إفريقيا: دراسة جيوسياسية"، مرجع سبق ذكره، ص 339

³ محمد الطاهر عديلة، التنافس الدولي في السياسة العالمية دراسة في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص 19

وانطلاقا من هاته المقاربة الأخيرة ستركز الأطروحة في تحديدها لمنطقة الساحل الإفريقي على الدول التي تغلغل فيها الإشعاع الديني الآتي من ربوع الجزائر بالإضافة إلى روابط الثقافة التي امتزجت وتشاركتها مجتمعات تلك الدول، وبالتالي ستشمل الدراسة كل من موريتانيا، مالي، النيجر.

الشكل رقم (02): خارطة حدود دول الساحل الإفريقي المعتمد خلال البحث



المصدر: من إعداد الباحث

المطلب الثاني: الأهمية الاستراتيجية والجيو-بوليتيكية لمنطقة الساحل الإفريقي

تكتسي منطقة الساحل الإفريقي أهمية كبيرة حيث تتميز بموقعها الشاسع والهام الذي يربط بين منطقتين جيوسياسيتين متميزتين بين شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، ولها دور كبير وبارز في تاريخ إفريقيا، إذ كانت بمواردها الاقتصادية المتنوعة وحيوية سكانها محورا خصبًا للتفاعلات بين الشمال والجنوب الإفريقي، كما يسيطر موقعها على أغلب الطرق التجارية في القارة، كما ظلت منذ العصور القديمة وإلى عهد قريب البوابة الرئيسية لإفريقيا جنوب الصحراء على حضارات البحر الأبيض المتوسط والعالم¹.

وتعد منطقة الساحل أرضًا مليئة بالفرص بقدر ما هي أرض مليئة بالتحديات. على الرغم من وفرة الموارد البشرية والطبيعية، مما يوفر إمكانات هائلة للنمو السريع، إلا أن هناك تحديات عميقة الجذور - تاريخية، بيئية، سياسية وأمنية- قد أثرت على الازدهار والسلام في منطقة الساحل.² فتاريخيا، حاول المستعمر الأوروبي طيلة فترات استعمار لهاته المنطقة من استغلالها أبشع استغلال، ما جعل المنطقة تتخبط في دوامة المجهول، وتسبب في تدمير هياكل اجتماعية وكيانات سياسية ونظم اقتصادية وتجارية كانت سائدة قبل مجيء الغرب³.

عرفت منطقة الساحل الإفريقي ظاهرة الاستعمار الغربي الأوروبي شأنها شأن باقي الدوائر الإقليمية (شمال إفريقيا، القرن الإفريقي، الجنوب الإفريقي...) وقد اشتدت المنافسة بين تلك القوى الاستعمارية (فرنسا، بريطانيا، هولندا والبرتغال)⁴، خاصة من القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث شهدنا تقسيمًا لأفريقيا تم

¹ نبيل بويبة، الجزائر والمشاريع الإقليمية والدولية لبناء السلم في منطقة الساحل الإفريقي: التحديات والرهانات، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 3، 2018، ص 254

² United Nations Africa Renewal, "The Sahel: Land Of Opportunities". Available at <https://www.un.org/africarenewal/sahel> (date of visit : 19.04.2022)

³ باسم رزيق عدلى، إفريقيا والغرب دراسة لأراء المفكر الإفريقي اللاتيني وولتر رودني. القاهرة: مركز البحوث العربية والإفريقية، 2010، ص 44

⁴ جميلة عملاق، "استراتيجية التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج 11، ع 12، 2014، ص 332

تأسيسه في عام 1885 من خلال مؤتمر برلين، والذي كان محاولة لأقلمه إفريقيا وتقسيم النفوذ الاستعماري فيها ورأت فيه أوروبا حلا مناسباً للقضاء على مشكلاتها الاقتصادية.¹

مع نهاية القرن العشرين وزيادة الاكتشافات الطاقوية في المنطقة أصبحت مسرحاً للصراع والتنافس الدولي بين تلك القوى التقليدية من جهة وعالمية نامية حديثاً من جهة أخرى، ووضحت الموارد الطاقوية والمعدنية من محددات الحرب الاقتصادية الساحلية مع مطلع الألفية الثالثة،² بالإضافة إلى كون المنطقة أصبحت مرتعاً للعديد من التهديدات الأمنية العابرة للقارات الذي برز نتيجة التهميش التي تعرضت له المنطقة في فترة التحولات السياسية الكبرى في العالم لفترة ما بعد الحرب الباردة. الأمر الذي دفع الباحثين إلى التساؤل حول الدوافع والأسباب الحقيقية للاهتمام المتزايد للفواعل الدولية بالمنطقة بشكل خاص، هل هو راجع لطبيعة التهديدات الجديدة التي تنامت بها كالإرهاب الدولي والجريمة المنظمة، والتي تطرحها المنطقة على النظام الدولي؟ أم أنه يعود أساساً لجيو اقتصادية الموارد في المنطقة وارتباطه بالتنافس الدولي اليوم؟ أم كلاهما معا؟³

والذي يتجلى حقيقة أن المؤشرات المتاحة تجمع على أن الفضاء الإفريقي تحول إلى فضاء جيوسياسي وجيو-اقتصادي مهم يدخل ضمن اهتمامات وحسابات القوى الإقليمية والدولية،⁴ كما تبرز أهميته الاستراتيجية باعتباره المجال الجغرافي القريب لعدد من الأقاليم الحيوية في العالم، فيشكل شريطاً أو خط الساحل محورياً استراتيجياً مهماً في القارة الإفريقية، كما أنه منطقة اهتمام غربي إذا ما اعتمدنا المدخل

¹ André Bourgeot, "Sahara De Tous Les Enjeux", Hérodote, vol. 142, no. 3, 2011, p44

² جميلة عملاق، "استراتيجية التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء"، مرجع سبق ذكره، ص332

³ مصطفى بخوش، إفريقيا تمتلك مؤهلات الإقلاع لكن لم تستغل، موقع الشعب، 11/02/2014، على الرابط: <https://cutt.us/BijvL>

تاريخ الاطلاع: 2022/12/19

⁴ طيب بوروال، الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2019، ص81

الجيوبوليتيكي الغربي، بحكم أن المنطقة تحوز موقعا استراتيجيا محاذي لأهم المناطق التي أضحت تعرف تنافسا دوليا كبيرا عليها في الفترات الأخيرة.¹

الفرع الأول: خصائص الجغرافيا السياسية لمنطقة الساحل الإفريقي

تزرخ منطقة الساحل الإفريقي على ثروات طبيعية غاية الأهمية ومتنوعة، منها الكثير من الموارد ذات القيمة الاقتصادية والاستراتيجية والتي تجلب لها اهتماما دوليا كبيرا، وفي الآتي نعرض أهم هذه الموارد المتاحة:

المخزون الطبيعي الطاقوي:

شكل الوقود الأحفوري عصب الحضارة المعاصرة، خاصة النفط والغاز لمدة تربو عن القرن.² تحوي القارة الإفريقية عموما حسب إحصائيات 2008 حوالي 10% من الاحتياطي العالمي للنفط، والذي يقدر بـ: 125 مليار برميل، ويتواجد اقله بنسبة 60% في منطقة الساحل الإفريقي وتحديد ضمن نطاق ثلاث دول منتجة أهمها نيجيريا والتي تحوز وحدها على 35% من إجمالي احتياطي القارة الإفريقية³، وهي أكبر منتج للنفط الخام في عام 2021، وبلغ متوسط إنتاجها اليومي 1.27 مليون برميل، في حين تنتج الجزائر يوميا ما معدله 959 ألف برميل من النفط الخام يوميا في ذات السنة،⁴ وباحثياطي يبلغ 12 مليار برميل⁵. كما أعلنت شركة "وودسايد" "Woodside" الاسترالية في 2001، عن اكتشاف لحقول بترولية في موريتانيا، في مناطق متعددة مثل "شنقويتي"، "تيوف"، "ثيفات" و"قوربين"، بقدرة إنتاجية تصل إلى 75 الف برميل في اليوم، وباحثياطي من 3 إلى 5 مليار برميل من البترول، كما تتمتع النيجر باحتياطي من البترول يقدر

¹ قلاع الضروس سمير، "منطقة الساحل الإفريقي وأهميتها الاستراتيجية في إفريقيا: دراسة جيوسياسية"، مرجع سبق ذكره، ص342

² الحسن الشيخ العلوي، "سياسات الطاقة في إفريقيا على ضوء التغيرات المتلاحقة". قطر: تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 2022/07/06، ص2

³ طيب بوروال، الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص84

⁴ الحسن الشيخ العلوي، "سياسات الطاقة في إفريقيا على ضوء التغيرات المتلاحقة"، مرجع سبق ذكره، ص3

⁵ سيد اعمر شيخنا، تحولات الطاقة. مستقبل إفريقيا. قطر: تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 2016/07/13، ص4

بحوالي 300 مليون برميل¹ وتزخر دولة تشاد باحتياطي هام تم اكتشافه مؤخرا في حوض بحيرة التشاد، والذي جذب انتباه العديد من اللاعبين الدوليين والإقليميين كفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ووفقا لتقديرات "Edenburg International" فإن حوض بحيرة تشاد يمكن أن تحتوي على ما لا يقل عن 2.32 بليون برميل من البترول، و65.14 ترليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي². وقد بلغت عائدات النفط في تشاد ذروتها في عام 2011 عند 2مليار دولار أو 76% من الإيرادات الحكومية، وفي عام 2015، كسبت تشاد 538 مليون دولار أمريكي من ضريبة الصناعة الاستخراجية: 99.6% من هذه الإيرادات كانت من الهيدروكربونات، بما في ذلك نقل النفط وتكريره³.

يتمتع نفط هاته المنطقة الإفريقية بمميزات تفضيلية بالنسبة إلى عمالقة النفط، ومن هذه المميزات: أنه من النوع الخفيف، وهو أسهل استخراجا وتكريرا من نظيره بالشرق الأوسط الثقيل نسبيا، ويمتاز بسهولة نقله إلى الدول المستوردة بأوروبا وأمريكا، وأيضا يمتاز نفط الساحل الإفريقي -من منظور شركات النفط- بأن الدول المنتجة له توفر بيئة تعاقدية جيدة مقارنة بالبيئة التعاقدية لبترول الشرق الأوسط، وذلك راجع إلى أن معظم بلدان الساحل يتعاقد معها على أساس ما يسمى باتفاقيات الشراكة في الإنتاج، وعلى الصعيد الفني تخدم الخاصية الجغرافية للقارة السمراء واعتدال المناخ المحلي، عمليات الاكتشاف وتقييمه وسهولة المباشرة بالاستثمارات عبر سفن الإنتاج والتخزين، وتمكن التجهيزات تأمين المعالجة الأولى للنفط في مكان التنقيب، وبالتالي تخفيض فترات الإنتاج⁴.

¹ علالي حكيمة، البعد الأمني في السياسة الخارجية- نموذج الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 124

² محمد عبد الكريم احمد، بوكو حرام: من الجماعة إلى الولاية، ط1. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017، ص170

³ Cooper Rachel. "Natural Resources Management Strategies in the Sahel". Helpdesk Report. Brighton, UK: Institute of Development Studies, 2018, p16

⁴ سيد اعمر شيخنا، "تحولات الطاقة .. مستقبل افريقيا"، مرجع سبق ذكره، ص5

أما عن احتياطي الغاز المثبت في القارة فهو حوالي 8% من الاحتياطي العالمي ويتوزع أكثر من 50% منه في دولتي الجزائر ونيجيريا،¹ وتعتبر الجزائر أكبر مصدر للغاز في القارة الإفريقية، وسابع أكبر مصدر على مستوى العالم بحصة سنوية بلغت 41.1 مليار متر مكعب (26.1 مليار عبر الأنايب، 15 مليار سائلا)، ثم تأتي نيجيريا المحتلة المرتبة الثامنة عالميا بحصة تقدر بـ 28.4 مليار متر مكعب وهي كلها سائلا.² ولأهميته هذا المصدر الخام عالميا خاصة بعد الأزمة الأوكرانية توجهت الأنظار إلى هذا المخزون الإفريقي والمتمركز بمنطقة الساحل الإفريقي، وخاصة نحو الجزائر ونيجيريا واللتان فعلتا مشروع خط أنبوب الغاز العابر للصحراء والذي يربط نيجيريا، النيجر والجزائر بطول 4128 كلم بإمكانيات سنوية تصل إلى 30 مليار متر مكعب.

المخزون المعدني للمنطقة:

توجد بالمنطقة ثروات معدنية هائلة ونادرة مثل الماس والنحاس وكذلك اليورانيوم والكوبالت التي تستخدم في الصناعات الثقيلة والضخمة وفي المنطقة مخزون هائل من الذهب والحديد والزنك والرخام والتي لم تستقد منه بعض الدول حتى الآن،³ وهو مخزون يثير أطماع مختلف القوى الراغبة في التمرکز بالمنطقة. قد كانت هذه الموارد المعدنية في إفريقيا ومنطقة الساحل بشكل خاص مرغوبة بشكل كبير منذ الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، وتضخمت في القرون التالية بسبب الحاجة إلى مواد استراتيجية من الجيل

¹ طيب بوروال، الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص 84

² الحسن الشيخ العلوي، "سياسات الطاقة في إفريقيا على ضوء التغيرات المتلاحقة"، مرجع سبق ذكره

³ حاج محمد فضيلة، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي وتأثيرها على الأمن الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، 2019،

الأول (المنغنيز، والكروم، والكوبالت، واليورانيوم، إلخ) والجيل الثاني، المخصص للتقنيات العالية (التنتالوم، النيوبيوم، الجرمانيوم، البلاتين، الليثيوم، إلخ).¹

شكل إنتاج المعادن الطبيعية في القارة الإفريقية في عام 2008 نسبة 11.6% من الإنتاج العالمي، مقابل 28.8% لآسيا، و23.7% لأمريكا اللاتينية، و14% لأوقيانوسيا، و11.3% لأمريكا الشمالية.²

وفقًا للجنة الاقتصادية لإفريقيا التابعة للأمم المتحدة (ECA)، تضم القارة 54% من احتياطات العالم من البلاتين، و78% من الماس، و40% من الكروم، و28% من المنغنيز. ويشير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى أن "تسعة عشر دولة من أصل 46 في إفريقيا جنوب الصحراء تمتلك احتياطات كبيرة من الهيدروكربونات والنفط والغاز والفحم والمعادن، وتقوم 13 دولة حاليًا باستكشاف احتياطات جديدة. ومع ذلك، يعتبر البنك الدولي إفريقيا أفقر قارة في العالم".³

قبل الاستعمار الأوروبي، لم تكن أنشطة التعدين معروفة في القارة، إلا في مناطق محدودة في غرب إفريقيا حيث يرجع استغلال الذهب في منطقتي "بوري" و"بامبوك" منذ العصور الوسطى، واستغلال الحديد من "ياتنجا" (بوركينافاسو) وحتى القصدير من "جوس" (نيجيريا)، تسارع استغلال المعادن خلال الحربين العالميتين عندما خدمت بعض المنتجات المجهود الحربي، ثم شهدت العقود الأولى من الاستقلال تحول عدد من هذه الكيانات الاقتصادية إلى شركات حكومية، والتي شهدت نتائج متغيرة ولكنها مخيبة للآمال في كثير من الأحيان، لا سيما بسبب انخفاض الاستثمار في البنية التحتية وكذلك في البحث والتطوير. في

¹ Apoli bertrand Kameni, "Les ressources minérales de l'Afrique, atout ou malediction", conflits revue de geopolitique, 13 OCTOBRE 2020, on cite: <https://www.revueconflits.com/ressources-minerales-afrique-analyse-apoli-bertrand-kameni/> (date of visit : 21.04.2022)

² Alain Antil, *Le boom minier au Sahel Un développement durable ?*. Bruxelles; Ifri, 2014, p.4.

³ Kingsley Ighobor, "Ressources minières : la fin d'une malédiction?", Afrique Renouveau, Avril 2014, on cite: <https://www.un.org/africarenewal/fr/magazine/avril-2014/ressources-mini%C3%A8res-la-fin-d%E2%80%99une-mal%C3%A9diction> (date of visit : 19.04.2022)

الثمانينيات، وجدت هذه البلدان نفسها أيضًا منغمسة في أزمة الديون السيادية، مما أدى إلى تدخلات و "توصيات" مختلفة من قبل المؤسسات المالية الدولية.¹

في النيجر، يشكل اليورانيوم 72% من صادراتها وتشرف على استغلاله الشركة الفرنسية المتخصصة أرفا AREVA، إذ تعتمد فرنسا على اليورانيوم النيجيري لتلبية ثلث إجمالي احتياجاتها من الطاقة. فالنيجر تعد أول دولة إفريقية متصدرة في انتاج هذا المعدن، والرابعة في الإنتاج العالمي بنسبة 8.7%، ويغطي هذا نسبة 12% من احتياجات الاتحاد الأوروبي،² ويقدر احتياطات اليورانيوم في النيجر بنحو 243000 طن في عام 2007، متقدمة على ناميبيا (176000 طن).³

وتعتبر مالي ثالث دولة بإفريقيا تتوفر على خزان احتياطي من مادة اليورانيوم إضافة إلى تربتها النادرة والتي تستعمل في أحدث التقنيات كالصناعات الإلكترونية والنواقل الفائقة السرعة، والتي لا غنى عنها لمتطلبات التطور التكنولوجي.⁴

كما تحتل دولة مالي ثالث منتج للذهب في إفريقيا وبإمكانية أن تكون الأولى في حال تم اكتشاف بقية احتياطي معدن الذهب المنتشرة في مالي، كما تنتشر بها الأحجار الكريمة والألماس بالإضافة إلى احتياطي يفوق 2مليون طن من معدن الحديد، وشمال مالي غني من معادن أخرى كالنحاس والرخام وحجر الملح والرصاص.⁵

تحتوي منطقة أدرار دي إيفوغاس، الواقعة في شمال شرق مالي، على الرواسب البركانية لتيساليت، حيث يوجد خام الكبريتيد المعدني، خاصة النحاس والزنك، وتوجد أيضا موارد فوسفاتية في وادي تيلمسي،

¹ Alain Antil, *Le boom minier au Sahel Un développement durable ?*. op.cit, p6

² جميلة عملاق، "استراتيجية التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء"، مرجع سبق ذكره، ص333

³ Moussa Dembélé, Demba. " *Ressources de l'Afrique et stratégies d'exploitation* ", *La Pensée*, vol. 381, no. 1, 2015, p32.

⁴ إسماعيل ديش، سياسة الجزائر الخارجية بين المنطلقات المبدئية والواقع الدولي. الجزائر: دار هومة، 2017، ص، ص186، 187.

⁵ نفس المرجع، ص188

وقد خطت الشركة الكندية جريت كويست ميتالز Great Quest Metals لاستغلالها قبل بدء أحداث عام 2012م، كما توجد رواسب تقدر بنحو 1.1 مليار طن من البوكسيت في ثلاث مناطق بين كينيا وباماكو¹.

بوركينافاسو بلد لا يزال إنتاج التعدين فيه ثانويًا، فقط الذهب، الذي أصبح المنتج الرئيسي للتصدير، فقد بلغت صادراتها من الذهب 180 مليار فرنك أفريقي في عام 2009، مما يجعل هذا القطاع متقدمًا على القطن الذي يمثل 120 مليار فرنك أفريقي².

أصبحت بوركينافاسو رابع منتج للذهب في القارة، بحيث زاد إنتاج الذهب بنسبة 83% تقريبًا بين عامي 2009 و2010م، حيث ارتفع من 13 إلى 24 طنًا، ثم إلى 32 طنًا في عام 2011 وما بين 40 و42 طنًا في عام 2012³.

تمتلك بوركينافاسو أيضًا رواسب كبيرة من الفوسفات والمنغنيز. تم تشغيل منجم كييري Kieré (شمال البلاد) منذ عام 2009 من قبل شركة Burkina Manganese SA، وهي شركة تابعة لشركة AMC Corp الأمريكية. في عام 2012، احتياطات الفوسفات تقدرها سلطات بوركينافاسو بـ 19 مليون طن، بالإضافة إلى ذلك، انضمت شركات 50.1% (Glencore (سويسرا) و Blackthorn Resources 39.9% (أستراليا) و 10% (Nantou Mining (بوركينافاسو) إلى مشروع تعدين حول الزنك في موقع Perkoa (135 كم غرب واغادوغو). دخلت حيز الإنتاج عام 2013 ولمدة تقديرية تبلغ 12 عامًا، وكذلك الدولة تحوي احتياطا معتبرا من الحجر الجيري وموارد النيكل والحديد والجرافيت والرصاص والبيريت والأنتيمون⁴.

¹ Alain Antil, *Le boom minier au Sahel Un développement durable ?*. op.cit, p10

² Moussa Dembélé, Demba. " *Ressources de l'afrique et stratégies d'exploitation*, op cit, p32

³ Alain Antil, *Le boom minier au Sahel Un développement durable ?*. op.cit, p13

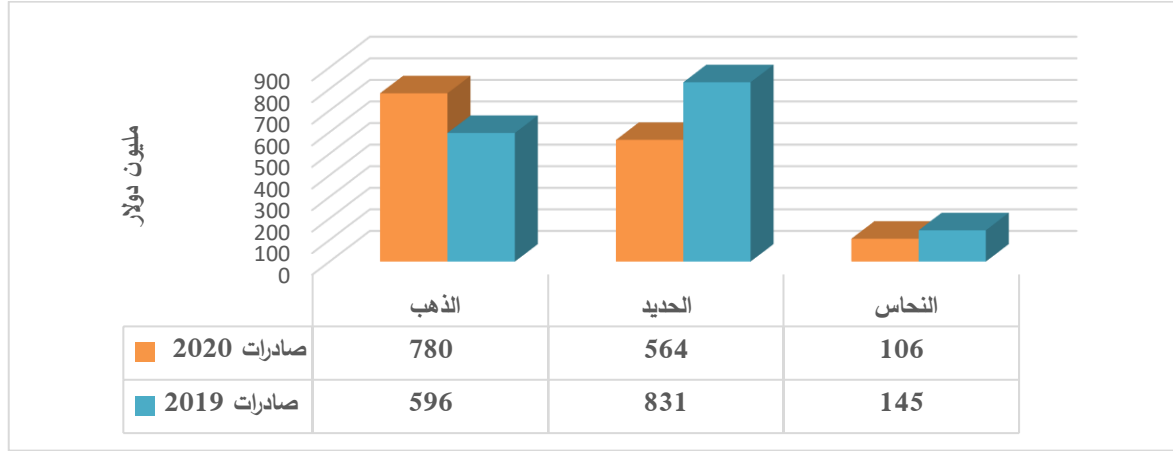
⁴ ibid, p15

موريتانيا هي الأخرى من الدولة في المنطقة التي سيتحول اقتصادها بأسرع ما يمكن إلى اقتصاد تعدين حقيقي. فالتعدين موجودة في موريتانيا منذ الستينيات. بدأت شركة Miferma تعدين الحديد من Kedia d'Idjill (بالقرب من بلدة Zouerat) في عام 1963، أممت موريتانيا شركات التعدين 1974 وأخذت اسم SNIM (الشركة الوطنية للصناعة والتعدين)، وحتى يومنا هذا SNIM هو الرائد في الاقتصاد الموريتاني وأكبر صاحب عمل خاص في البلاد، الشركة مملوكة للدولة بنسبة 78.35٪، ستصبح موريتانيا منتجاً رئيسياً للحديد لأن هذا الارتفاع في قوة SNIM سيتم دمجها مع مشروع شركة Xtrata، إحدى أكبر شركات التعدين في العالم، والتي تخطط لإنتاج 50 مليون طن من الحديد سنوياً في ثلاثة مواقع، بما في ذلك قلب العوج وعسكاف بموريتانيا.¹

ويكشف التقرير الذي أعدته وزارة المالية الموريتانية أن صادرات كل من الذهب وخام الحديد والنحاس قد انخفض بنسبة 23.59 و32.1 و26.89 على التوالي خلال سنة 2020م مقارنة بسنة 2019 ولعل هذا راجع للتداعيات التي سببتها جائحة Covid 19 على المستوى العالمي في كل القطاعات، والشكل التالي (رقم 01) يبين مدى التغير الحاصل في صادرات الدولة الموريتانية في التعدين:

¹ ibid, p15

الشكل رقم (03): صادرات الدولة الموريتانية للتعدين خلال 2019-2020



المصدر: من إعداد الباحث بناء على "Afrimag. "Mauritanie : L'or devient la première exportation du pays", magazine de l'economie panafricaine. 19 novembre 2020 on cite: <https://afrimag.net/mauritanie-lor-devient-premiere-exportation-pays/>

بالإضافة إلى موارد الفوسفات لدى موريتانيا مؤشرات على وجود الكوبالت واليورانيوم والأتربة النادرة

والفحم والماس والمنغنيز والفلوريت على وجه الخصوص.¹

عموما تتميز منطقة الساحل الإفريقي باعتماد اقتصادها على التصدير للمواد الأولية الطبيعية المذكورة

سابقا، والاستيراد للمواد المنتجة والصناعات الجاهزة، أي أن هاته الدول بها احتياطي كبير من الموارد

الطبيعية التي تنتقل إلى صناعات الدول الكبرى، وهو ما يجعل التنافس حول من يستفيد أكثر.²

تعتمد صادرات عدد كبير من البلدان الإفريقية على الموارد الطبيعية، وهو ما يفسر في كثير من

الأحيان الاستغلال المفرط لهذه الموارد، مما يولد آثارا سلبية على البيئة، من بين الآثار إزالة الغابات،

وهي ظاهرة لوحظت في العديد من بلدان الساحل.³

¹ ibid, p16

² اسماعيل ديش، سياسة الجزائر الخارجية بين المنطلقات المبدئية والواقع الدولي، مرجع سبق ذكره، ص188

³ Moussa Dembélé, Demba. " Ressources de l'afrique et stratégies d'exploitation ", *La Pensée*, vol. 381, no. 1, 2015, p. 42

الموارد المائية للمنطقة:

منطقة الساحل الإفريقي على غرار الثروات المعدنية تتميز بثروة مائية كبيرة، فمثلا: نهر النيجر هو ثالث أنهار إفريقيا طولا بعد النيل والكونغو إذ يبلغ طوله نحو 4160 كلم وتزيد مساحته عن 2 مليون كلم مربع، وهو صالح للملاحة فيما بين كوروسا وبماكو في فصل المطر، وكذا نهر السنغال السادس من حيث الطول والخامس من حيث اتساع حوضه ومساحته،¹ وفيما يخص المياه الجوفية فكما في الشكل رقم (03) والذي يظهر من خلالها الأحواض الجوفية المنتشرة في منطقة الساحل الإفريقي وهي عابرة لحدود دولها، وقد تشكلت منذ أكثر من 10000 عام عندما كان مناخ المنطقة أكثر رطوبة.

من الأحواض الجوفية ذو المساحة الشاسعة الذي يمتد لعدد من الدول نجد حوض تشاد الذي يغطي مساحة ضخمة، وهو متمركز حول بحيرة تشاد، ويغطي ما يقرب من 8 % من القارة الإفريقية وهو موطن لأكثر من 30 مليون شخص، يعيش أكثر من نصف هؤلاء السكان على الزراعة والثروة الحيوانية وصيد الأسماك بفضل هذا الحوض، وكما هو بارز بالشكل رقم 03 فهو يمتد على حدود كل من النيجر ونيجيريا والكاميرون وشمالا ليبيا والجزائر.²

خلال الفترة من 2014 إلى 2017م، قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) بعدة مشاريع لدراسة المياه الجوفية لمنطقة الساحل الإفريقي، وبيّن أحد مشاريعها أنّ هناك احتياطات كبيرة من المياه الجيدة النوعية المتاحة في منطقة الساحل المعرّضة للجفاف، ولا يزال التلوث محدوداً ولم يشكّل بعدُ تهديداً خطيراً لهذه الموارد البالغة الأهمية، وقد جُمعت هذه النتائج في خمسة تقارير نشرت خلال عام 2017م، وهي ثمرة جهود اضطلعت بها الوكالة لمساعدة بلدان الساحل الإفريقي وما جاورها، على استخدام التقنيات

¹ حنان لبدي، التحولات الدولية الراهنة وتأثيرها على الاستراتيجية الأمنية الأوروبية في منطقة الساحل الإفريقي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، ص86.

² L'Union internationale pour la conservation de la nature, "Le bassin du Tchad, une source de vie pour l'homme, la nature et la paix". 04 Oct, 2019 on cite <https://www.iucn.org/fr/news/eau/201910/le-bassin-du-tchad-une-source-de-vie-pour-lhomme-la-nature-et-la-paix>. (date of visit : 22.04.2022)

النظيرية (النوعية) في تقييم أصل المياه الجوفية وجودتها في خمسة مستودعات وأحواض مشتركة، وهو ما أتاح تكوين أول لمحة عامة شاملة عن إمدادات المياه الجوفية في المنطقة.¹

وتناول المشروع المستودعات والأحواض التي توفر المصدر الأساسي للمياه الجوفية لسكان الساحل الإفريقي كما يوضحها الشكل رقم 04 وهي:

- نظام مستودعات المياه الجوفية لحوض بحيرة تشاد Systeme aquifère du bassins du lac Tchad

- نظام مستودعات المياه الجوفية إيلوميدين le système aquifère d'Iullemeden

- نظام مستودعات المياه الجوفية لحوض تاوديني Systeme aquifère du bassins du Taoudeni

- نظام مستودعات المياه الجوفية للحوض السنغالي-الموريتاني le bassin sénégal-mauritanien

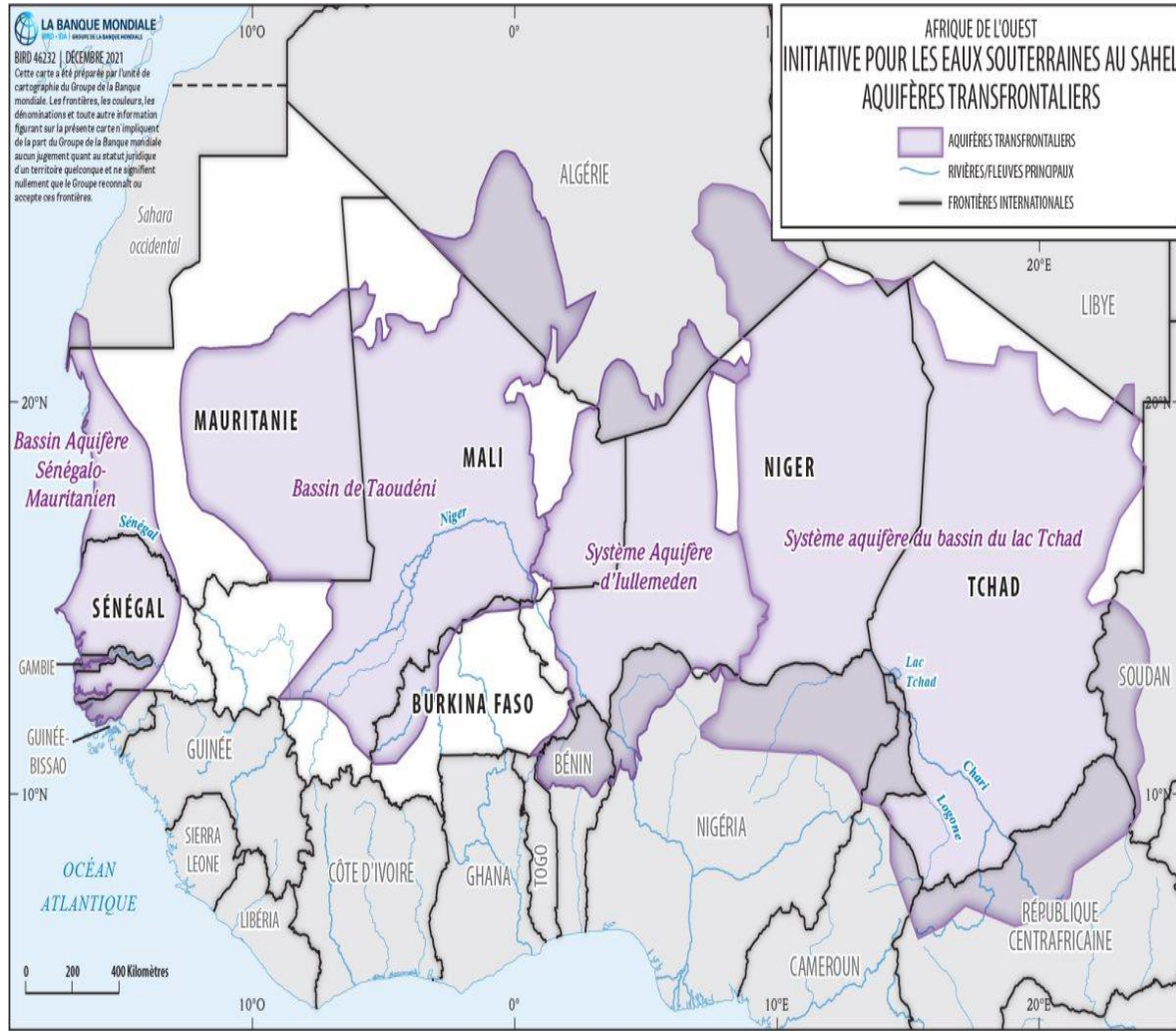
وتمثل نظم المياه الجوفية هذه، المصدر الرئيسي للمياه العذبة في المنطقة، وقد وفّرت البيانات التي جُمعت، معلومات قيّمة للبلدان المشاركة، بما في ذلك معلومات عن منشأ المياه الجوفية وأنماط تدفقها فيما بين مختلف المستودعات ومستويات التلوث في الأحواض.

وأكدت الدراسات النظرية وجود كميات كبيرة من المياه الجوفية الجيدة النوعية المناسبة للاستهلاك البشري في عدة أجزاء من المنطقة التي يشملها المشروع. وفي بعض المناطق، مثل حوض بحيرة تشاد، حُدّدت للمرة الأولى مصادر تجدد المياه في عدّة مستودعات.²

¹ International Atomic Energy Agency, "IAEA Project Maps Groundwater in Africa's Sahel Region, Shows Significant Reserves", IAEA, 29/05/2017 on cite; <https://www.iaea.org/newscenter/pressreleases/iaea-project-maps-groundwater-in-africas-sahel-region-shows-significant-reserves> (date of visit: 23.04.2023)

² ibid

الشكل رقم (04): خريطة طبقات المياه الجوفية العابرة للحدود في منطقة الساحل الإفريقي



Source: Banque mondiale, "RENFORCER LES CONNAISSANCES, LES CAPACITÉS D'EXPLORATION ET LA MISE EN VALEUR DES RESSOURCES EN EAUX SOUTERRAINES DANS LE SAHEL EN AFRIQUE DE L'OUEST", Service de cartographie, Posté le : 9 décembre 2021: <https://www.ciwaprogram.org/fr/blog/renforcer-les-ressources-en-eaux-souterraines-dans-le-sahel/>

وعلى السطح تَظهر على خارطة منطقة الساحل، أنهارا وبحيرات تشكل مصدرا رئيسا للصيد والذي يعتبر نشاطاً مهماً لكسب العيش في المنطقة، ولكن مصايد الأسماك الداخلية والساحلية تعاني من الصيد الجائر وتدهور الموانئ، يحدث الصيد الداخلي على طول جميع الأنهار والبحيرات الرئيسية في المنطقة، بما في ذلك نهر النيجر (مالي والنيجر) ونهر السنغال (مالي وموريتانيا)، وبحيرة فولتا (بوركينافاسو) وبحيرة تشاد (تشاد والنيجر)، وتعد المناطق الساحلية والبحرية لمنطقة الساحل من بين أغنى مناطق الصيد في

العالم. ففي موريتانيا، تمثل مصايد الأسماك 10% من الناتج المحلي الإجمالي و50% من عائدات الصادرات.¹

ويمتد الشاطئ الموريتاني من دلتا نهر السنغال وحتى حافة خليج الرأس الأبيض؛ ويبلغ طول واجهته البحرية 720 كلم²، مع امتلاكها لجرف قاري عريض يبلغ 39 ألف كلم²، وتعرف هذه المنطقة بوفرة وتنوع مواردها السمكية ذات الجودة التجارية العالمية، ويشير الموقع الرسمي لدولة موريتانيا على إحصاء أكثر من 600 عينة من الأسماك من ضمنها 200 عينة ذات قيمة تجارية وقابلة للتسويق من بينها رأسيات الأرجل (الأخطبوط، الحباري، الحبار الرخوي)، الأسماك القشرية (الجمبري الشاطئ، جمبري الأعماق، جراد البحر، سرطانات الأعماق)، إضافة إلى الأسماك السطحية. وتتراوح القدرة الإنتاجية السنوية من الثروة السمكية الموريتانية ما بين 1,5 إلى 1,8 مليون طن يمكن صيدها سنويا من أسماك السطح والأعماق مع المحافظة على قدرة المخزون في التجدد بشكل طبيعي. كما تمتلك الدولة الموريتانية منطقة اقتصادية خالصة تقدر بـ 200 ميل مساحة 234 ألف كم².²

ومن ناحية الإنتاج الزراعي في منطقة الساحل الإفريقي، فتعتبر المحاصيل وتربية الماشية عنصرا أساسيا لسبل عيش واقتصاديات شعوب ودول منطقة الساحل، فالزراعة في النيجر تمثل 40% من الناتج المحلي الإجمالي و86% من سكانها نشطين في الزراعة ورعي الماشية وصيد الأسماك، أما في دولة مالي فالزراعة تمثل ثلث الناتج المحلي و75% من سكانها يعملون في القطاع الزراعي، أما في موريتانيا فتبلغ نسبة القوى العاملة بالزراعة 52%،³ والشكل الموالي (رقم 02) يوضح ذلك:

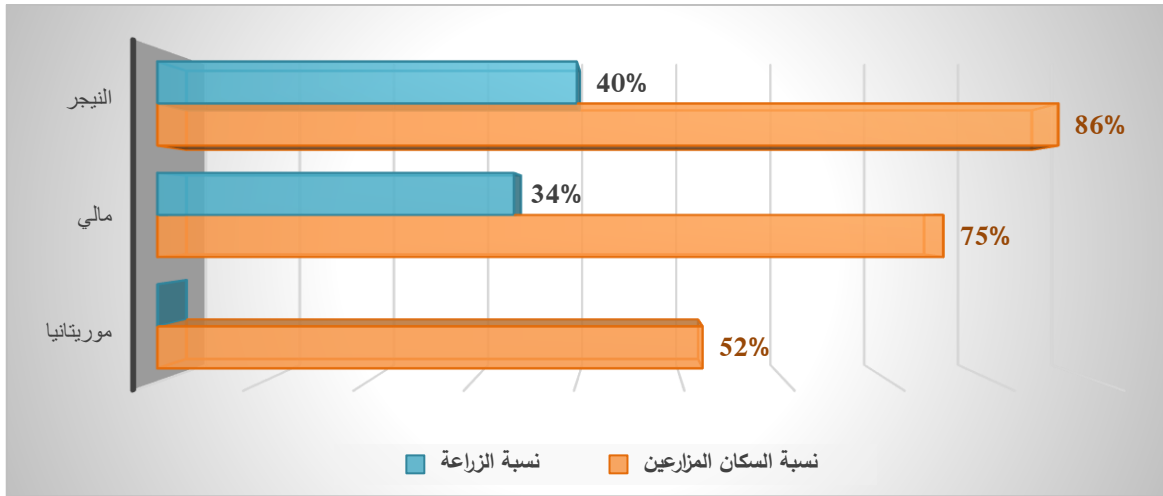
¹ Cooper Rachel. "Natural Resources Management Strategies in the Sahel, op cite, p08.

² وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الموريتانية، "التعريف بالجمهورية الإسلامية الموريتانية"، مقال متاح على الرابط:

(تاريخ الاطلاع: 2023/01/12) <https://www.diplomatie.gov.mr/ar/mauritanie>

³ Cooper Rachel. "Natural Resources Management Strategies in the Sahel, op cite, p03

الشكل رقم (05): نسبة الانتاج الزراعي في دول منطقة الساحل الإفريقي



المصدر: من إعداد الباحث بناءً على: Cooper Rachel. "Natural Resources Management Strategies in the Sahel, op cite, p03

قد شهدت منطقة الساحل الإفريقي في العقود الأخيرة فترات جفاف شديدة أثرت على الزراعة وتسببت في مجاعات واسعة النطاق. بالنظر إلى الانخفاض في عدد الأنهار في المنطقة، فإن أنظمة طبقات المياه الجوفية الخمسة العابرة للحدود التي درسها العلماء هي المصادر الرئيسية للمياه المتاحة للسكان.¹ إن ما يميز الكثافة السكانية في منطقة الساحل الإفريقي أنها جد منخفضة مع تنوع وتباين كبير في الاتجاهات العرقية والدينية، ويقدر تعداد السكان بمنطقة الساحل محل الدراسة بحوالي 83 مليون ساكن، (انظر الجدول رقم: 01)، وتعاني هاته الكثافة السكانية من اختلالات واضحة في توزيعها إذ هناك مناطق تقريبا خالية من السكان، وتتشارك دول المنطقة الخصائص الديمغرافية نفسها وهي: وجود كثافة سكانية ضعيفة جدا بكل المناطق الشمالية في حين تكون مرتفعة جدا بالعواصم السياسية أي الأجزاء الجنوبية من الدول، فمثلا في موريتانيا يرتفع النمو الديمغرافي بالعاصمة نواكشوط حيث يقطن ربع السكان، أما المناطق الأخرى فتتميز بكثافة سكانية منخفضة جدا،² وفي مالي، يبلغ عدد سكان العاصمة باماكو أكثر من 1.5

¹ Laura Gil, " Au Sahel, des scientifiques étudient les eaux souterraines à l'aide de la technologie nucléaire", AIEA Bulletin, Vol 58-2, juin 2017, p8.

² الطيب بروال، الامن والتنمية في منطقة الساحل الافريقي، مرجع سبق ذكره، ص88.

مليون نسمة، أو 12% من سكان العاصمة باماكو السكان، في حين أن النصف الشمالي من البلاد قليل الكثافة السكانية. وبالمثل، فإن ثلاثة أرباع النيجر صحراء. تمثل العاصمة السياسية والديموغرافية، نيامي، التي يبلغ عدد سكانها ما يقرب من 900 ألف نسمة، ما يقرب من 6% من سكان البلاد، أي نسبة أصغر مقارنة بالإطار الحضري لموريتانيا ومالي.¹

إذن، يؤدي التفاوت الجغرافي إلى اختلافات كبيرة في توزيع السكان موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد، التي تشمل مناطق صحراوية شاسعة، بها كثافة سكانية أقل من 20 نسمة لكل كيلومتر مربع. على النقيض من ذلك، تمتلك السنغال وبوركينا فاسو مناطق أصغر نسبياً، مع كثافة أعلى بنحو أربعة أضعاف.²

وتتسارع مؤشرات النمو الديمغرافي في المنطقة، وبشكل مكثف ضمن العواصم الاقتصادية لدول الساحل، فحسب تقارير الأمم المتحدة من المتوقع أن تستمر بلدان إفريقيا جنوب الصحراء في النمو حتى عام 2100 وأن تساهم بأكثر من نصف الزيادة السكانية العالمية المتوقعة حتى عام 2050.³ ومع وجود 64.5% من السكان تحت سن 25 عاماً، تعد منطقة الساحل واحدة من أكثر مناطق العالم شباباً. لذلك، يمكن للاستثمارات في التعليم والتدريب المهني أن تحقق مكاسب ديموغرافية ضخمة. تتمتع منطقة الساحل أيضاً بإمكانيات هائلة للطاقة المتجددة؛ لديها قدرة إنتاج طاقة شمسية أكبر من المناطق الأخرى في العالم.⁴ يتمثل أحد التحديات الشائعة في جميع أنحاء منطقة الساحل في زيادة التعرض لتغير المناخ، على الرغم من حقيقة أن بلدان الساحل تمثل حصة صغيرة من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري العالمية. إن

¹ Gérard-François Dumont., **LA GÉOPOLITIQUE DES POPULATIONS DU SAHEL [Sahel : the populations geopolitics]**. Paris: Cahier du CEREM, 2009, p34

² International Energy Agency, **Clean Energy Transitions in the Sahel**. France: IEA Publications, 2021, p23

³ Department of Economic and Social Affairs Population Division, **World Population Prospects 2022: Summary of Results**. New York: United nation, 2022, p8

⁴ United Nations, **THE SAHEL: LAND OF OPPORTUNITIES**, on cite: <https://www.un.org/africarenewal/sahel> (date of visit : 22.05.2022)

تأثير تغير المناخ محسوس بالفعل بشكل حاد، وسيشكل تهديدًا مستقبليًا للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعات الساحل في المستقبل والاستقرار السياسي في العقود القادمة¹.

الجدول رقم (01): المؤشرات الديموغرافية الرئيسية لدول منطقة الساحل الإفريقي وما جاورها

الدولة	السكان (بالملايين)	المعدل السنوي للزيادة الطبيعية (%)	الكثافة السكانية (فرد لكل كيلومتر مربع)	معدل الخصوبة الإجمالي (متوسط عدد الأطفال لكل امرأة)
النيجر	18.2	3.9	14	7.6
مالي	15.9	2.9	13	6.1
موريتانيا	4.0	2.6	4	4.1
بوركينافاسو	17.9	3.1	65	5.9
السنغال	13.9	3.2	71	5.3
تشاد	13.3	3.3	10	6.6

Source: Population Reference Bureau, Demographic Challenges of the Sahel, 14/01/2015 on cite: <https://www.prb.org/resources/demographic-challenges-of-the-sahel/>

الفرع الثاني: الطاقات المتجددة بمنطقة الساحل الإفريقي

تتمتع منطقة الساحل الإفريقي على وجه الخصوص بإمكانيات هائلة للطاقة المتجددة، فكل صحراءها يجعلها أكبر مورد للطاقة الشمسية لأنها جزء من إفريقيا التي تعتبر قارة شمسية بامتياز، وقد أكدت بيانات البنك الدولي التي حلتها شركة Statista أن إفريقيا لديها أكبر إمكانات للطاقة الشمسية في العالم، والشكل التالي يوضح ذلك:

¹ International Energy Agency, Clean Energy Transitions in the Sahel. Op, cit, p23.

الشكل رقم (06): إمكانات الطاقة الشمسية المحتملة على المدى الطويل حسب منطقة العالم (الكيلو واط ساعة/يوم)



Source: Martin Armstrong, "Africa Leads the World in Solar Power Potential", Statista, 05/09/2022, on cite; <https://www.statista.com/chart/27722/practical-potential-solar-energy-output-by-global-region/>

كما أن تنوع تضاريس منطقة الساحل الإفريقي ووجود العديد من الأنهار التي تمر عبرها يجعل لها قدرة كبيرة على توليد طاقة من الرياح والطاقة الكهرومائية التي تساهم في خفض نسبة السكان الذين لا يملكون الكهرباء.

إن توفر منطقة الساحل الإفريقي على إمكانات لمصادر الطاقة المتجددة يمكنه إحداث تحولات عميقة في مستوى التقدم الاقتصادي لكل بلد وتحقيق تنمية مستدامة على المدى الطويل، وفيما يلي لمحة عن الطاقة المتجددة المنتجة في المنطقة خلال الفترة 2011-2021:

الجدول رقم (02): الطاقة المتجددة المنتجة في منطقة الساحل الإفريقي وما جاورها خلال الفترة 2011-2020 (جيجاواط ساعة)

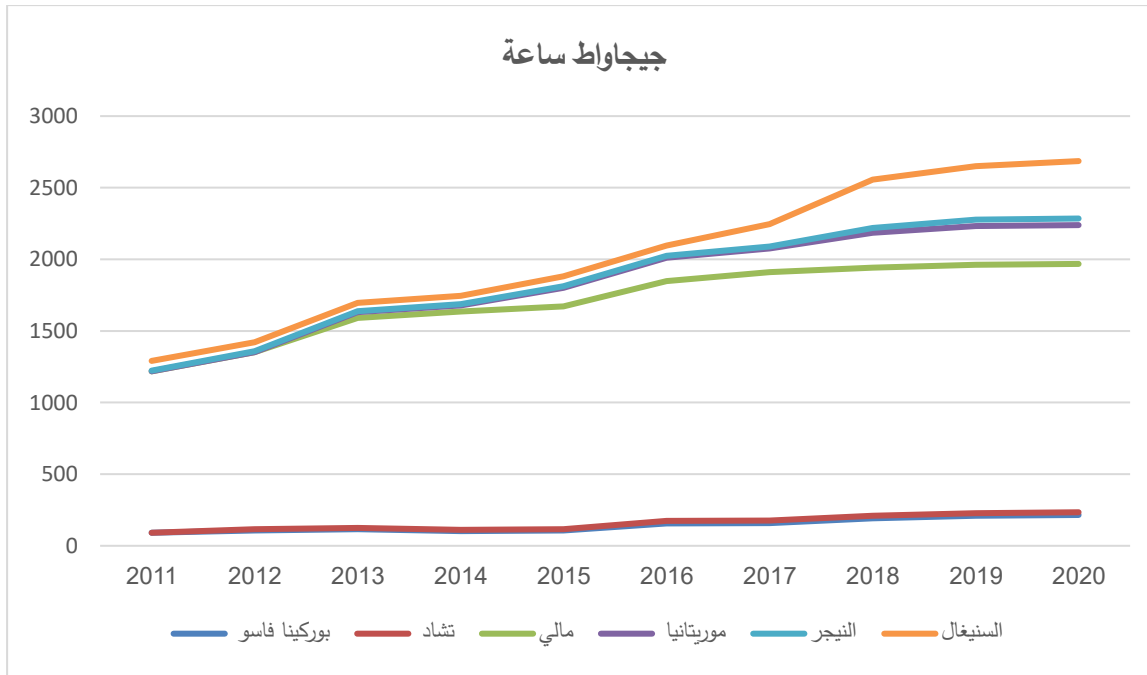
السنة	الدولة	2020	2019	2018	2017	2016	2015	2014	2013	2012	2011
	النيجر	46	46	33	15	13	11	10	8	7	5
	مالي	1734	1733	1733	1733	1674	1556	1524	1467	1237	1127
	موريتانيا	271	271	243	165	163	130	43	39	-	-
	بوركينافاسو	215	209	191	158	156	107	102	116	106	91
	تشاد	19	19	19	19	18	9	9	9	9	0
	السنغال	401	372	337	156	73	68	57	58	63	68

Source: IRENA, Renewable Energy Statistics 2022, International Renewable Energy Agency, (2022), p 03

ولتوضيح أدق لهذا الجدول يمكن تحويله إلى رسم بياني لرصد تطور الإنتاج الطاقوي لدول المنطقة:

الشكل رقم (07): الطاقة المتجددة المنتجة في منطقة الساحل الإفريقي وما جاورها خلال الفترة 2011-2020

2020 (جيجاواط ساعة)



المصدر: من إعداد الباحث بناء على بيانات الجدول السابق

• في سنة 2017 حققت بوكينا فاسو 300 ميغاواط من إجمالي توفير الطاقة منها 253 ميغاواط من الوقود الأحفوري، 32 ميغاواط من الطاقة الكهرومائية و33 ميغاواط من الطاقة الشمسية كما أنه بلغ معدل الوصول الفعلي للكهرباء 20.3%¹، ومع نهاية 2019 حققت بوركينا فاسو 21% من هدف الكهرباء المتجدد المحدد في 2015، أما في سنة 2020 وصلت قدرتها على توليد الوقود الأحفوري المركب 289 ميغاواط، وشملت قدرة توليدها للكهرباء المثبتة على الشبكة على 75% من زيت الوقود الثقيل والديزل، 16% من الطاقة الشمسية و9% من الطاقة الكهرومائية ومازالت استراتيجيتها لحد الآن تعتمد على استيراد الكهرباء من كوت ديفوار وغانا وتوغو²؛

• أما في مالي وخلال سنة 2017 بلغ معدل الوصول للكهرباء 35%؛

• نلاحظ من الجدول ومن الشكل أنه رغم الإمكانيات التي توفرها منطقة الساحل الإفريقي تبعا لخصائصها الجغرافية إلا أنه لم يتم استغلالها للغاية لحد الآن.

وقد أشار الخبراء في منتدى سوق الطاقة الإفريقي (AEMP) لعام 2020 إن المنطقة شبه القاحلة الشاسعة التي تفصل الصحراء الكبرى في الشمال والسافانا الاستوائية في الجنوب لديها إمكانات عالية للطاقة الشمسية، لكن البنية التحتية السيئة والتمويل لا يزالان يمثلان تحديات كبيرة للاستغلال، ومن ذلك تركيب الطاقة الشمسية لا يتطلب فقط الألواح الشمسية، ولكن البطاريات والمحولات وأجهزة تنظيم الطاقة، وصيانة وإصلاح الشبكة يتطلب معرفة الفنيين المهرة.³

¹Dango Abdou Mahaman , "A Guide to Sustainable Energy in West Africa". UK: Cambridge Scholars Publishing, 2020, p 14

²ibid, p 14

³ Annie Risemberg, "Solar Energy Brings Promise, Challenges to Sahel Region", Voice of America news, 11/12/2020, on cite: https://www.voanews.com/a/africa_solar-energy-brings-promise-challenges-sahel-region/6199470.html (date of visit : 23.05.2022)

المبحث الثاني: الدراسة الجيو استراتيجية للجزائر

تتمتع الجزائر بموقع محوري ذو امتدادات عديدة، ضمن فضاءات جيوسياسية متنوعة في شمال القارة الإفريقية، وعبر التاريخ حظيت جغرافيا الجزائر بمسارات مميزة، تنوعت فيها الثقافات وتداخلت عليها حضارات العالم القديم والحديث على حد سواء، بدءا من الفينيقيون والرومان إلى العثمانيين والفرنسيين. كما أسست على جغرافيا الجزائر عدة دول وممالك كان لها تأثيرات متباينة في تكوين تاريخ وهوية ومسار الدولة الجزائرية الحديثة ومجتمعها، إلى أن حلت الثورة الجزائرية عام 1954، لتأسس أركان الدولة الحديثة وترفع راية السيادة والاستقلال لمجتمعها عام 1962، وسرعان ما ركزت هاته الدولة الفتية في الاستثمار في جغرافيتها لبناء اقتصاد يمكنها من الحفاظ على سيادتها والمضي قدما نحو خلق مكانة إقليمية ودولية لتعزيز امنها وفتح آفاق طموحها.

سنتناول خلال هذا المبحث جغرافيا الجزائر ومميزاتها ثم نحاول بيان المدارك الجيو اقتصادية والاستراتيجية التي تحظى بها هاته الدولة منذ استقلالها.

المطلب الأول: الموقع الجغرافي للجزائر

تقع الجزائر في الشمال الإفريقي بين المغرب الأدنى: تونس شرقا، والمغرب الأقصى: مراكش غربا، ولذلك سماها جغرافيو العرب المغرب الأوسط¹، فلكيا تقع بين خطي طول 9° غرب خط غرينتش، و12° شرقه، وبين دائرتي عرض 19° و37° شمال خط الاستواء. تتربع على مساحة ضخمة نسبيا قدرها 2.381.741 كلم²، فهي تشغل 12/1 من مساحة القارة الإفريقية بأكملها التي تبلغ 30 مليونا و244 ألف كلم²، ولهاته المساحة أهمية لا يستهان بها، فهي تعطي للدولة عمقا استراتيجيا ظهرت أهميته في العصور القديمة، إذ لم يتمكن الغزاة من الرومان والوندال والبيزنطيين من احتلال كل التراب الوطني

¹ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان، ط1. القاهرة: دار المعارف، 1995، ص 19

واضطروا للتحصن على الساحل البحري أو مناطق قريبة منه.¹

ومن ناحية الكثافة السكانية فقد بلغت حسب إحصائيات عام 2021م عدد: 44.6 مليون². وهي حاليا أكبر دولة في إفريقيا جغرافيا ومن حيث عدد السكان، فتعد ثاني أكبر دولة في شمال إفريقيا بعد مصر التي تجاوزت 100 مليون.

الفرع الأول: المعطيات الجغرافية والسكانية للجزائر

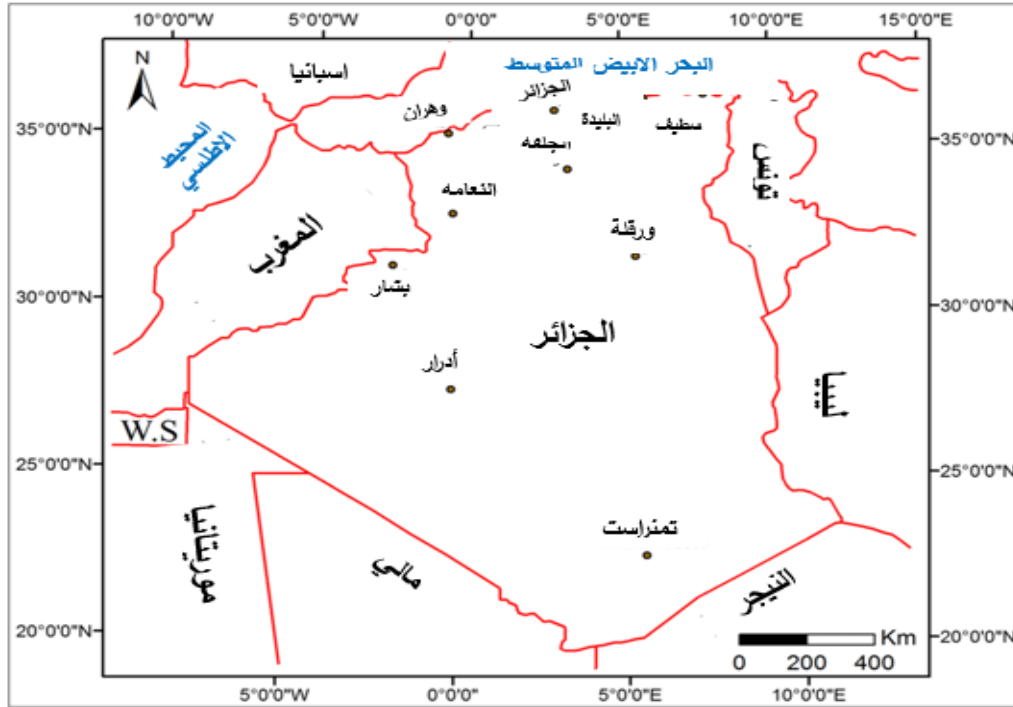
من الناحية الإدارية، تنقسم الجزائر إلى 58 ولاية، وتتركز 65% من سكانها في الولايات الشمالية الحضرية خاصة العاصمة فهي وحدها تحوي على 5.4 مليون ساكن، والجزائر كدولة تقع في الشمال على ساحل البحر الأبيض المتوسط. يبلغ طول الشريط الساحلي 1400 كلم. ويبلغ امتدادها الشمالي الجنوبي 1900 كلم، وامتدادها الشرقي الغربي من جهة الساحل 1200 كلم، و1800 كلم على خط تندوف غدامس في الغرب، تشترك الجزائر في حدودها مع المغرب بـ 1559 كلم والصحراء الغربية بـ 42 كلم وموريتانيا بـ 463 كلم، وفي الجنوب الغربي مع مالي بـ 1376 كلم، وفي الشرق مع تونس بـ 1376 كلم، وليبيا 989 كلم، وفي الجنوب الشرقي مع النيجر بـ 956 كلم (خريطة رقم 08).³

¹ محمد العربي ولد خليفة، "إشعاع الثورة الجزائرية وابعادها الجيوسياسية"، الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962. الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث، ب س ن، ص 20

² ALGÉRIE PRESSE SERVICE, " Démographie: 44,6 millions d'habitants en Algérie en janvier 2021", Publié Le : 22 Janvier 2022 on cite: <https://www.aps.dz/societe/134560-demographie-44-6-millions-d-habitants-en-algerie-en-janvier-2021> (date of visit : 25.05.2022)

³ AmineBoudghene Stambouli, " Algerian renewable energy assessment: The challenge of sustainability", *Energy Policy*, V39, Issue 8, August 2011, Pages 4508

الشكل رقم (08): خريطة الموقع الجغرافي للدولة الجزائرية



Source: Abdelmadjid Boufekane, others, " Effects of temperature and relative humidity on the COVID-19", *Environmental Science and Pollution Research*, N29, (2022), p18078

يبلغ متوسط ارتفاع الجزائر 800 متر فوق مستوى سطح البحر. أعلى نقطة هي جبل طاهات الالهجار الذي يبلغ ارتفاعه 2908 مترًا في سلسلة جبال الهقار بمنطقة الصحراء. يقع شمال البلاد على حدود الصفائح التكتونية الإفريقية والأوروبية الآسيوية، وبالتالي فهو نشط من الناحية الزلزالية. في عامي 1980 و2003 ضربت الزلازل الكبرى البلاد، مما أسفر عن مقتل وإصابة الآلاف¹.

يعد موقع الجزائر رابطا بين الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط وهمزة وصل بين إفريقيا وأوروبا، وهذا ما جعلها قادرة على التحكم ومراقبة الملاحة البحرية في عمق البحر المتوسط وسهولة الاتصال بممرات العبور المؤدية من وإلى البحار المتصلة بها، فهي تعد على المستوى البحري قلب دول المغرب العربي وحلقة ترابط واتصال بين الشمال العربي ودول الجوار المغربي والجنوب الإفريقي، ومساحتها

¹ ibid

الواسعة منحتها عمقا إقليميا يحمي العاصمة والمراكز الهامة للبلاد خاصة الصناعية منها، كما أن اتساعها يؤدي إلى تنوع المناخ وهو ما ينعكس على الإنتاج الاقتصادي وتنوع الموارد الطبيعية.¹

الفرع الثاني: المناخ والتقسيم الجغرافي للجزائر

أما بالنسبة للمناخ السائد في الجزائر فهو انتقالي بين بحري (شمال) وشبه جاف إلى جاف (وسط وجنوب)، يتراوح متوسط هطول الأمطار السنوي من 500 ملم في الشمال إلى 150 ملم في الجنوب ويبلغ متوسط درجة الحرارة السنوية حوالي 12 درجة مئوية²؛ وتضاريسها موزعة بشكل متباين تؤثر على القوة الإنتاجية الطبيعية، وتقسّم البلد إلى مناطق بيو-مناخية، ويمكن مبدئياً التفريق بين مجموعتين كبيرتين متقابلتين: جزائر الشمال الخاصة بالتل والتي تمتاز بالمناخ المتوسطي وجزائر الجنوب ذات الحرارة الشديدة والجذب.³

تمتد المنطقة الشمالية بين منطقة البحر الأبيض المتوسط والصحراء عبر شريط متوسط عرضه 350 كلم، وهي مكونة من منطقتين غير متجانستين⁴:

- ✓ المنطقة التلية التي تحد الساحل المتوسطي، معدل عرضها 100 كلم. إن الطبيعة الجبلية لهذه المنطقة التلية المحاذية للساحل، وارتفاع السهول العليا، وعزلتها عن البحر، تحدد بشكل عام طبيعة المناخ بالجزائر، والذي هو مناخ أفسى بكثير مما هو عليه مناخ دولتي الجوار تونس والمغرب.
- ✓ منطقة السهوب الممتدة من جنوب التل إلى السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، بعرض يتراوح متوسطه بين 100 و300 كلم.

¹ سارة بوحادة، "السياسة الخارجية الجزائرية اتجاه الأزمة في شمال مالي"، مجلة دراسات حول الجزائر والعالم، مج2، ع5، مارس 2017، ص97

² AmineBoudghene Stambouli, " Algerian renewable energy assessment: The challenge of sustainability", *Energy Policy*, V39, Issue 8, August 2011, Pages 4508

³ عمر بسعود، "الفلاحة في الجزائر: من الثورات الزراعية إلى الإصلاحات الليبرالية (1963-2002)", مجلة إنسانيات، ع22، 2012، ص11.

⁴ Omar Bessaoud, " L 'Algérie agricole : de la construction du territoire à l'impossible émergence de la paysannerie ", *Insaniyat* , n 7 , 1999, p06.

أما منطقة الصحراء فهي جافة وشاسعة تبلغ 2 مليون كيلومتر مربع (88% من كامل الأراضي) وتتميز بنظام تكتل خاص للغاية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بخصائصها الفيزيائية والمناخية، تمتلك موارد الطاقة الرئيسية -النفط والغاز- وشهدت تطوير صناعة النفط جنباً إلى جنب مع بساتين النخيل التي توارثتها الأسلاف في المنطقة.¹

بالرجوع إلى التقسيمين السابقين لجغرافية الجزائر فإنه تتشكل تضاريس أخرى، ففي الشمال يمكن ملاحظة سلسلتين جبليتين: الأطلس التلي والأطلس الصحراوي الممتدين من الحدود الغربية إلى الحدود الشرقية والقائمين عبر اتجاهين: غرب-جنوب-غربي وشرق-شمال-شرقي، وبين هاتين السلسلتين الجبليتين تمتد سهول المنطقة الوهرانية والسهول العليا القسنطينية والتي تتراوح ارتفاع قممها بين 800م و400م عند انخفاض الحضنة لتصل إلى 1100م على مستوى الحدود مع المغرب، وحضور هذه السلسلة الجبلية المواجهة للساحل التي تتوسط بين البحر والمجال الداخلي للدولة تمنع تسرب التيارات الهوائية القادمة من الشمال أو الشمال الغربي، وتحد من تواجد الخزانات الكبرى للماء في البلاد ما يؤدي إلى تجفيف الهواء وتجعل المنطقة الداخلية قارية المناخ، عاملة على تكون مجاري مائية قصيرة تصل بسرعة إلى البحر الأبيض المتوسط مانعة من تكتفها في منطقة معينة".²

في ظل المناخ الذي يسود البلاد من مناخ جاف وشبه جاف في الشمال، ومناخ صحراوي بالجنوب الجزائري، يقدر نصيب الفرد من المساحة المزروعة ب 0.24 هكتار، وهذا ناتج عن نقص الموارد المائية،

¹ Kateb, Kamel. " Population et organisation de l'espace en Algérie ", *L'Espace géographique*, vol. 32, no. 4, 2003, p. 316.

² عمر بسعود، " الفلاحة في الجزائر: من الثورات الزراعية إلى الإصلاحات الليبرالية (1963-2002) "، مرجع سبق ذكره، ص12

حيث تقدر إمكانيات الجزائر من المياه إجمالاً بـ 19 مليار م³ سنوياً،¹ منها 13 مليار م³ في المنطقة الشمالية و5.2 مليار م³ في المناطق الصحراوية، وتتنوع ما بين المياه الجوفية والسطحية.² والجزائر من ضمن 17 بلداً إفريقياً يعاني من عجز في المياه في خزانة البلدان التي تفتقر إلى الموارد المائية إذا ما أخذ بعين الاعتبار عتبة الندرة التي حددها برنامج الأمم المتحدة للتنمية، أو تلك المحددة من طرف البنك العالمي بـ 1000 م³ سنوياً لكل ساكن، في حين لا تتجاوز بالجزائر 600 متر مكعب للفرد الواحد في السنة.³

يشير الموقع الجغرافي للجزائر إلى أنها في موقع رئيسي للعب دور استراتيجي مهم لغناها بالموارد الطاقوية الأحفورية منها والمتجددة، وفي المطلب التالي سنعرض على المدارك الجيو-اقتصادية والاستراتيجية للدولة الجزائرية

المطلب الثاني: المدارك الجيو اقتصادية والاستراتيجية للجزائر

عند الحديث عن جغرافيا الدول فلا بد من الإشارة إلى الاقتصاد حيث لا يمكن بأي حال فصله عن الجغرافيا وذلك لارتباط قوة الدولة بالموارد والمقومات، بل أن الاقتصاد هو المحدد الأساسي من جملة محددات تقدم أو تخلف الدول، وهو بدوره يرتبط بالأمن القومي للدول، وهو ما يجعل الجيو اقتصاد* موضوعاً محورياً في مدارك الأمن الوطني وتحقيق الاستقرار والتأثير والتأثر الخارجي.⁴

¹ سفيان عمري، "الملاحم الأساسية للزراعة بالجزائر وإشكالية نقص المياه"، مجلة البدر، مج05، ع06، جوان 2013، ص122

² بوغدة نور الهدى، دور الكفاءة الاستخدمية للموارد المائية في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة والأمن الغذائي - حالة الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة سطيف1، 2015، ص96

³ بوغدة نور الهدى، دور الكفاءة الاستخدمية للموارد المائية في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة والأمن الغذائي - حالة الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص ج.

* الجيو اقتصاد (Géo-économie) حسب فيليب بومان "مزج بين مصطلحين ذوي طبيعتين مختلفتين: الجغرافيا والاقتصاد، أي تعبيراً عن العلاقات الموجودة بين الفضاء الجغرافي والقوة والاقتصاد

⁴ عمر سعداوي، البعد الإقليمي للأمن الوطني الجزائري في ظل الحراك العربي الراهن دراسة في المضامين والأبعاد، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة1، 2020، ص96

ولا يختلف اثنان على أن الموقع الجغرافي للجزائر أكسبها أهمية استراتيجية وخصائص حيوية، إذ كما أشرنا سابقا، فالبلد وعبر التاريخ كان جسر اتصال ومحور التقاء للعديد من الحضارات، فضلا على كونه ممرا حيويا لطرق الاتصال العالمية، كما أنها تحوز على انتماءات عدة أكسبتها مكانة فاعلة ومؤثرة إقليميا وعلى الصعيد العالمي. فهي تمثل قلب المغرب العربي الكبير، ومركزه الاقتصادي والبشري، وهي كذلك الممر الطبيعي بين إفريقيا والشرق الأوسط اقتصاديا وثقافيا لارتباطها بالعالم الإسلامي.¹

وقد كان لأهمية موقع الجزائر تاريخيا أن وقعت ضحية أطماع واعتداءات قوى خارجية أثرت في وضعها الاقتصادي والاجتماعي لاحقا، فشهد الاقتصاد الجزائري منذ الاستقلال تحولات وتغيرات بارزة أملت الظروف والتحويلات التي شهدتها الأوضاع الوطنية والبيئة الدولية على كافة الأصعدة الاقتصادية، الإيديولوجية، السياسية... فقد ورثت الجزائر بعد الاستقلال وضع كارثيا، كنتيجة منطقية للاستعمار،² وسارعت الدولة غداة استقلالها في تبني استراتيجية وفق نظرة اشتراكية تركز على التخطيط المركزي وهيمنة القطاع العام على الاقتصاد، لكن سرعان ما بدأت هذه المرحلة تكشف عن بوادر الضعف والاختلال ابتداء من سنة 1986 نتيجة الأزمة النفطية المعاكسة وتأثيرها السلبي على الاقتصاد الجزائري الذي تعرض إلى أزمة حادة دفعت بالدولة ابتداء من مطلع التسعينات إلى تبني خيار اقتصاد السوق كبديل للاقتصاد الموجه.³ وساهمت كل هاته المراحل في سبيل تحقيق التنمية والنمو وما نتج عنها من تغيير للقرارات والأنظمة إلى تبني الجزائر جملة من المخططات التنموية تحولت بها إلى اقتصاد السوق،⁴

¹ محمد الهادي لعروق، *أطلس العالم والجزائر*. الجزائر: دار الهدى، 2002، ص12

² مختاري نصر الدين، "الاقتصاد الجزائري: بين إشكالية بناء الدولة وغياب مشروع مجتمع"، *مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية*، ع35، سبتمبر 2018، ص949

³ لطيفة تليلي، *الحماية الجمركية للمنتوج المحلي في مرحلة الانتقال إلى اقتصاد السوق*، مذكرة ماجستير جامعة الجزائر، 2012، ص1

⁴ عبد الجليل هجيرة، *العوامل المؤثرة في تنافسية الاقتصاد الجزائري*، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017، ص54

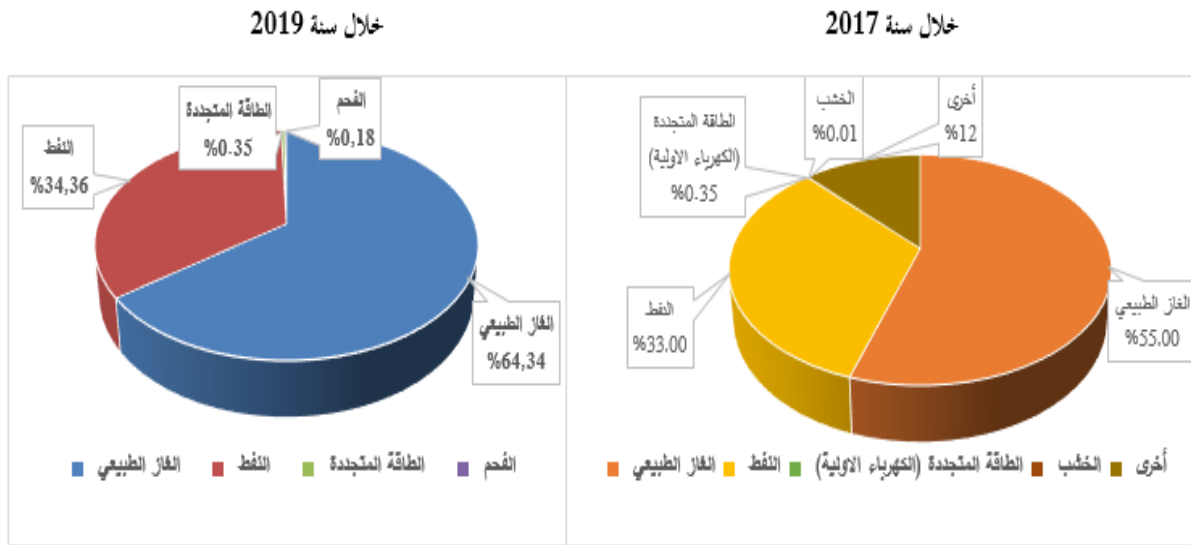
بعد العشرية السوداء بالجزائر، سعت الدولة إلى الخروج من عزلتها فوِّقت عام 2002م اتفاقية الشراكة مع الإتحاد الأوروبي، كإطار لإنشاء منطقة التبادل الحر وأرضية خصبة لتحقيق التعاون الاقتصادي والمالي مع الإتحاد الأوروبي، ولكن هذا الاتفاق لم يصل إلى مبتغاه ويرجع سبب ذلك حسب بعض المراقبين هو تعثر مسار انفتاح ولبرلة الاقتصاد الجزائري، والشيء نفسه يقال أيضا حول مسار مفاوضات انضمام الجزائر إلى منطقة التجارة العالمية، ورغم ذلك شهدت وتيرة الاقتصاد الجزائري المستفيد من ارتفاع أسعار النفط ديناميكية كبيرة.¹

ارتبط اقتصاد الدولة الجزائرية ارتباطا عضويا بالموارد الطاقوية، فهي تعد من أهم الدول التي تزخر بإمكانات هائلة منها، فيعتبر البترول والغاز الطبيعي العصب الرئيسي للتطور الصناعي الذي عرفه العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولعبت هاته الموارد الحيوية دورا فعالا في إعادة رسم الخريطة السياسية والاقتصادية في العالم، لكونها سلعة هامة في التجارة الخارجية،² والجزائر أضحت تلعب دورا مهما للغاية في أسواق الطاقة العالمية، سواء كمنتج مهم للهيدروكربون أو كمصدر، وفي الوقت الحالي هي تستغل فقط 30% من مواردها الطبيعية، والشكل التالي يبين الطاقة المنتجة خلال عامي 2017 و2019:

¹ فيروز مزباني، "تحولات البيئة الإقليمية وأثرها على الإستراتيجية الأمنية الجزائرية"، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2021، ص75

² حسيبة بلاطش، "السياسة الطاقوية في الجزائر وانعكاساتها على الأمن والتنمية والاستقرار"، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2021، ص104

الشكل رقم (09): المزيج الطاقوي للجزائر خلال سنتي 2017 و2019



Source: Zahraoui, Younes and all, **Current Status, Scenario, and Prospective of Renewable Energy in Algeria: A Review**; Energies; April 2021, p7
and

Cecilia Camporeale and all, **Country Report on Energy Efficiency and Renewable Energy Investment Climate: Algeria**; MeetMED; 2020, p20.

والملاحظ أن النفط والغاز الطبيعي هما اللذان يحوزان على النسبة الأكبر في الطاقة وهذا ما يجعل صادراتهما تأخذ الجزء الأكبر من إجمالي الصادرات، وبسبب وباء Covid-19 تضررت أيضا الصادرات غير النفطية وحدثت زيادات في بعضها وانخفاضات في البعض الآخر إلا أنها تبقى هامشية مقارنة بصادرات النفط والغاز، فقد حققت في سنة 2019 حوالي 2.6 مليار دولار أمريكي أما في سنة 2020 انخفضت إلى 2.3 مليار دولار أمريكي، والشكل التالي يبين التذبذب الحاصل في أرقام الصادرات غير النفطية خلال سنة 2020 بسبب الوباء:

الشكل رقم (10): الصادرات الرئيسية غير الهيدروكربونية سنة 2020



Source: The Report: Algeria Economic Recovery & Export Diversification; Oxford Business Group, June 2022, p6.

وفي ما يلي سنعرض بعض الإحصائيات عن الإمكانيات التي تمتلكها الجزائر من نفط وغاز وطاقات متجددة ومعادن استُغلت أو التي لم تستغل بعد.

الفرع الأول: موارد الطاقة الأحفورية

ما زال الاقتصاد الجزائري يركز بشكل كبير على أسعار النفط والغاز الطبيعي فعائداتهما هي المصدر الرئيسي لدخل الدولة من النقد الأجنبي، ومع انتشار جائحة Covid-19 تضرر الطلب العالمي والأسعار على الطاقة، وكانت الجزائر من الدول التي لمسها هذا الضرر فقد تزعزع اقتصادها الطاقوي إذ تراجعت صادراتها من النفط والغاز بنسبة 11% (إلى 82.2 مليون طن من النفط المكافئ) خلال عام 2020، وانخفضت إيراداتها بنسبة 40% (إلى 20 مليار دولار أمريكي)، ومع التعافي الذي حدث في نشاط الاقتصاد العالمي في سنة 2021 انتعشت عائدات الجزائر من تصدير الهيدروكربونات بنحو 70% لتصل إلى 34.5 مليار دولار.

☒ النفط:

إن جيولوجيا الجزائر وما تحتويه من ثروات طبيعية وقربها من الأسواق الأوروبية بسبب الممرات البحرية التي تملكها جعلتها من بين الدول الرائدة في مجال الطاقة الأحفورية، فهي تعد عضوة في منظمة البلدان المصدرة للنفط OPEC كما أنها ثالث دولة إفريقية منتجة للنفط بعد ليبيا ونيجيريا وتحتل المرتبة 11 عالميا في التصدير والمرتبة 16 كمنتج عالمي واحتياطي للنفط خلال سنة 2019، وتعتبر مجموعة النفط الجزائرية سوناطراك هي المسؤولة عن نقل وإنتاج وتسويق الهيدروكربونات، فقد صنفت Sonatrach Petroleum Intelligence Weekly الأولى إفريقيا و12 عالميا من بين الشركات الكبرى في إنتاج النفط، والجدول التالي يبين أهم الإحصائيات المتعلقة بالنفط الجزائري:

الجدول رقم (03): الإحصائيات العامة خاصة بالنفط الجزائري

سنة 2020	سنة 2021	
1.303 مليون برميل/ اليوم	1.353 مليون برميل/اليوم	الإنتاج الخام
12.2 مليار برميل	12.2 مليار برميل	الاحتياطيات
438.7 ألف برميل/اليوم	446 ألف برميل/اليوم	حجم الصادرات
5.5 مليار دولار أمريكي	9.7 مليار دولار أمريكي	قيمة الصادرات
383 ألف برميل/ اليوم	418 ألف برميل/ اليوم	حجم الطلب
42.1 دولار أمريكي /البرميل	73 دولار أمريكي/البرميل	متوسط السعر السنوي

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على: <https://www.statista.com/statistics> و

<https://www.trade.gov/country-commercial-guides/algeria-oil-and-gas-hydrocarbons>

تأثرت جل الاقتصادات العالمية بفيروس Covid-19 وما سببته من انهيار في الأسعار خلال سنة 2020، فقد تزعزع القطاع البترولي الجزائري خلال هذه السنة لكن ومع الإجراءات التي اتخذتها الحكومة استطاعت النهوض بالقطاع من جديد خلال سنة 2021، فقد حدثت زيادة طفيفة في كل من الإنتاج الخام

للنفط وحجم الطلب عليه حيث قدرت نسبة الزيادة في الإنتاج بـ 1.73% و 35 ألف برميل/اليوم في حجم الطلب، وارتفع متوسط سعره السنوي إلى 73 دولار أمريكي بعدما كان يساوي 42.1 دولار أمريكي في سنة 2020، وهذه الزيادة في السعر أثرت بشكل إيجابي على قيمة الصادرات فقد بلغت 9.7 مليار دولار أمريكي.

تدير شركة سوناطراك جل المصافي الموجودة بالجزائر الخاصة بالتكرير للنفط والغاز بدءا من الستينات وقدمت للحكومة عدة مقترحات لبناء مصافي جديدة وتوسيع التي قيد التشغيل، وكان التقدم يتأخر مرارا لعدة اعتبارات ولكن استطاعت الشركة تحقيق عدد معتبر من الإنجازات، والجدولين التاليين يوضحان المصافي القائمة والجديدة والتي قيد التحسين المتعلقة بالنفط:

الجدول رقم (04): المصافي النفطية القائمة في الجزائر

اسم المصفاة	القدرة الانتاجية (ألف برميل/اليوم)	الحالة	الملكية/المشغل
أدرار	13	تشغيل	سوناطراك وش.ب.و الصينية
الجزائر (سيدي رزين)	77	تشغيل	سوناطراك
أرزويو	81	تشغيل	سوناطراك
حاسي مسعود	23	تشغيل	سوناطراك
سكيكدة 1	355	تشغيل	سوناطراك
سكيكدة 2 (خاص بمكثف الغاز)	122	تشغيل	سوناطراك
المجموع	671	/	/

Source: Report of Country Analysis Brief: Algeria, U.S. Energy Information, March 2, 2023, p3.

الجدول رقم (05): المصافي النفطية الجديدة والتحسينات للمصافي القائمة في الجزائر

اسم المصفاة	تاريخ إتمام الهدف	الملاحظة
حاسي مسعود	2024	تبلغ سعة المصفاة المخططة 12000 برميل/اليوم ومن المتوقع عند الإكمال بلوغ 5مليون طن من النفط و120900طن من الغاز الطبيعي
سكيكة	غير متوفر	التخطيط للتوسعة لإنتاج الديزل والبنزين
تيارت	غير متوفر	تأخر الانطلاق الأولي إلى 2022، الاستثمار النهائي غير متوقع إلا بعد 2025، يتوقع بلوغ طاقة المصفاة 100000 برميل /اليوم
بسكرة	غير متوفر	تأخر الانطلاق الأولي إلى 2022، الاستثمار النهائي غير متوقع إلا بعد 2025

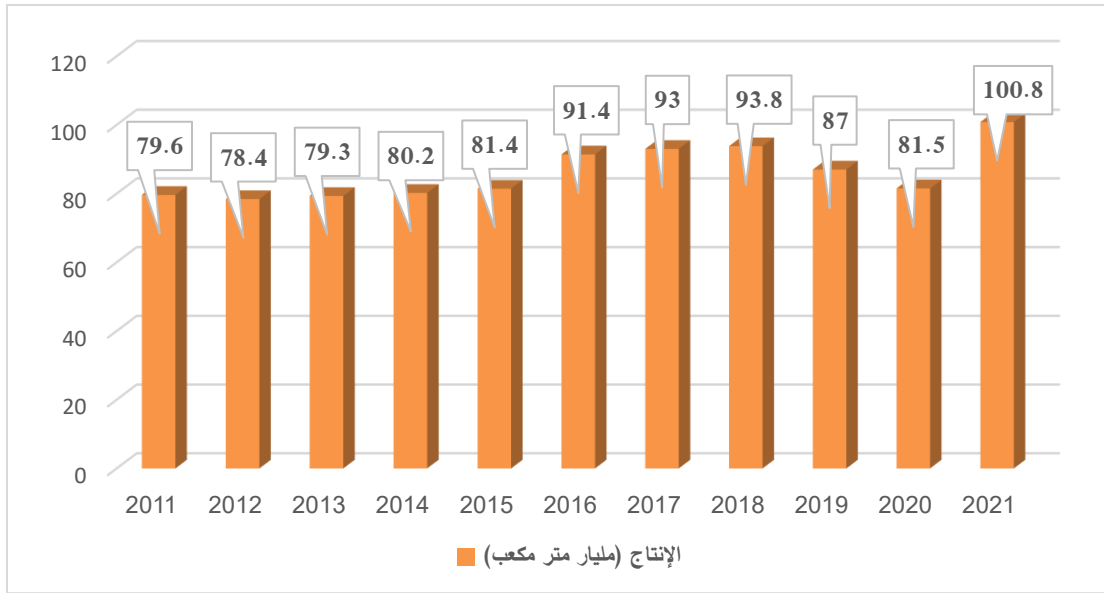
Source: Report of Country Analysis Brief: Algeria, U.S. Energy Information, March 2, 2023, p4.

☒ الغاز الطبيعي:

الجزائر هي أكبر منتج للغاز الطبيعي إفريقيا إلا أن 83% منه يتوجه إلى أوروبا فهي ثالث أكبر مصدر للغاز الطبيعي لأوروبا بعد روسيا والنرويج، والباقي فقط هو ما تستفيد منه إفريقيا والدول العربية¹، وخلال العشر سنوات الأخيرة والمشاريع الاستثمارية التي أقامتها الجزائر فقد حصل تطور ملحوظ في إنتاج الغاز الطبيعي، والشكل التالي يبين ما تنتجه الجزائر من هذه المادة خلال الفترة 2011-2021:

¹ Reinhilde Bouckaert and Claire Dupont "Turning to Algeria to replace Russian gas: A false solution", POLICY BRIEF, Issue 2, May 2022, p 4.

الشكل رقم (11): إنتاج الجزائر من الغاز الطبيعي خلال الفترة 2011-2021 (مليار متر مكعب)



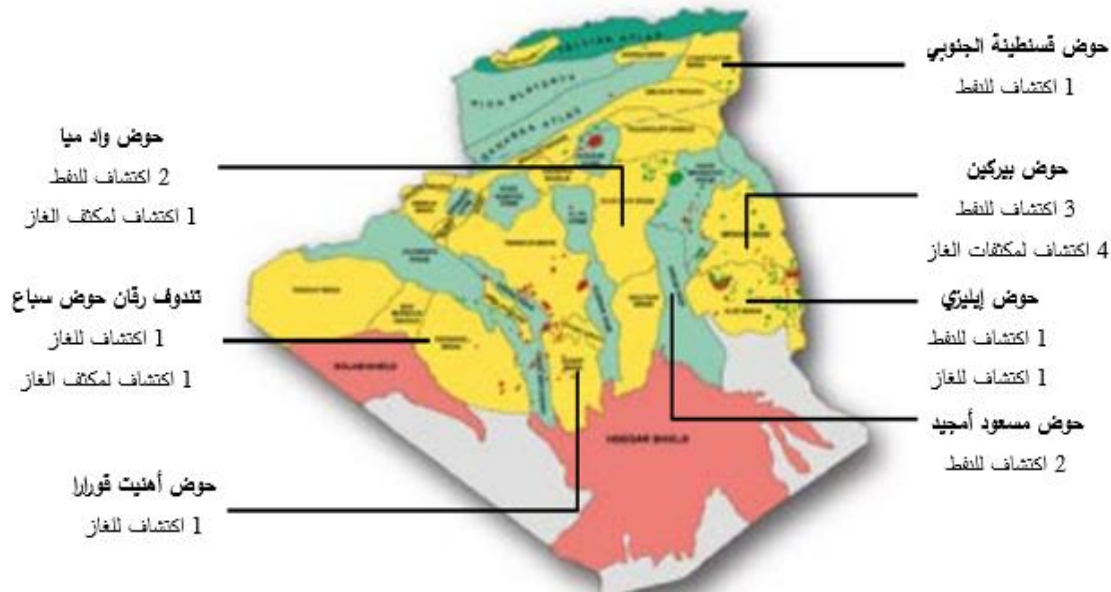
المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على The Report: bp Statistical Review of World Energy, June 2022,

71st edition, p29.

من سنة 2011 كانت الزيادة في كمية الإنتاج ضئيلة جدا وفي سنة 2013 حدث انخفاض ويرجع ذلك إلى الهجمات الإرهابية التي تلقتها منشآت الغاز بتيغنتورين (عين أميناس)، وفي العامين المواليين حدث شبه ركود في الإنتاج ولا يشير إلى تطور ملحوظ في الاتجاه، وبدءا من سنة 2016 سُجّلت زيادة ملحوظة وصلت إلى 91.4 مليار متر مكعب وذلك لعودة منشآت تيغنتورين إلى العمل بسعتها الكاملة إضافة إلى إمدادات الغاز من منشآت أخرى كعين صالح، واستمر الإنتاج في الارتفاع إلى غاية نهاية سنة 2019 وخلال سنة 2020 أين أحدث الوباء تدهورا وصل إلى 81.5 مليار متر مكعب، ومع الإجراءات المتخذة من طرف الحكومة الجزائرية تمكنت في عام 2021 تحقيق قفزة نوعية وقُدّر الإنتاج من الغاز الطبيعي أكثر من 100 مليار متر مكعب.

لقد سبب الوباء في سنة 2020 ضرارا كبيرا في سيرورة العمل الإنتاجي لإلا شركة سونطراك واصلت جهودها لتوسيع دائرة اكتشافاتها في مواقع جغرافية عدة، وقد سمحت هذه الجهود بتحديد 18 اكتشافا جديدا: تسعة منها نفطية، ثلاث للغاز وستة لمكثفات الغاز، والشكل التالي (رقم 07) يوضح مواقع هذه الاكتشافات:

الشكل رقم (12): خريطة مبسطة للاكتشافات الجديدة المحققة من طرف سوناطراك خلال سنة 2020



Source: Annual Report, SONATRACH, 2020, p27.

في عام 2021 وصلت الصادرات الجزائرية من الغاز الطبيعي إلى أوروبا 55.2 مليار متر مكعب واستحوذت إيطاليا وإسبانيا على 65% من الصادرات الجزائرية من الغاز الطبيعي والباقي لدول أخرى، ويتم تصديره من تحت البحر عبر ثلاث خطوط أنابيب رئيسية عابرة للقارات: خط أنابيب MedGaz لإسبانيا بطاقة تقدر بـ 8 مليار متر مكعب ومن المقرر زيادته إلى 10 مليار متر مكعب، خط أنابيب TransMed لإيطاليا حيث ينقل 22 مليار متر مكعب¹، وخط أنابيب المغرب العربي-أوروبا MEG إلا أنه في أكتوبر 2021 أوقفت الجزائر عبر هذا الخط تسليم صادراتها من الغاز الطبيعي لإسبانيا نتيجة التوترات السياسية المتزايدة بينها وبين المغرب، ومع عقد عدة مفاوضات استأنفت الجزائر في جوان 2022 تصدير شحناتها من الغاز عبر خط MEG، كما تم اقتراح إنشاء خطي أنابيب إقليميين رئيسيين: خط أنابيب Gasdotto-Algeria Sardegna-Italia (GALSI) وخط أنابيب الغاز عبر الصحراء

¹ Intissar Fakir, **Given Capacity Constraints, Algeria is no Quick Fix for Europe's Russian Gas Concerns**, 8 March 2022, Available at: <https://www.mei.edu/publications/given-capacity-constraints-algeria-no-quick-fix-europes-russian-gas-concerns>. (date of visit : 02.06.2022)

(TSGP) إلا أنه لم يتم الإعلان بعد عن قرار استثماري نهائي، وفي جوان 2022 وقع وزراء الطاقة من النيجر ونيجيريا والجزائر منكرة تقاهم لإنشاء فريق عمل لخط أنابيب TSGP بهدف تحديث دراسة الجدوى الاقتصادية له إذ يمكنه نقل الغاز الطبيعي من نيجيريا إلى حقل حاسي الرمل الجزائري عبر النيجر ومنه إلى أوروبا وبالتحديد إيطاليا، وبحسب ما ورد أعيد تشغيله ومن المحتمل أن ينقل خط الأنابيب الهيدروجين الأخضر بدلاً من ذلك¹.

وأنجزت شركة سوناطراك عدة مشاريع للغاز الطبيعي بعضها ترجع ملكية الإنجاز لها والبعض الآخر دخلت في شراكة مع شركات أجنبية متعددة، والجدول التالي يبين المشاريع المنجزة والمتوقع إنجازها مستقبلاً:

الجدول رقم (06): مشاريع الغاز الطبيعي في الجزائر القائمة والمخطط لها

اسم المشروع	الموقع	الحالة	الملكية/المشغل	سنة التشغيل الفعلية/المتوقعة
توات	جنوب غرب	تشغيل	سوناطراك 35%، نبتون 35%، إنجي 30%	2019
الحمرا (مشروع التعزيز)	حوض إليزي	تشغيل	سوناطراك	2020
شمال بركين	حوض بركين	تشغيل	سوناطراك، إنبي	2020
منطقة menzel Ledgmet SE	حوض بركين	تشغيل	سوناطراك	2020
غاسي طويل (الحقول المحيطية)	حوض بركين	تشغيل	سوناطراك	2020
حاسي الرمل (مشروع تعزيز)	حاسي الرمل دوم	تشغيل	سوناطراك	2021
توسعة 1 Tinher (رابط Ohanet)	حوض إليزي	تشغيل	سوناطراك	2022
إزارين (عين تسيل)	حوض إليزي	تحت التطوير	سوناطراك 62%، سوني هيل 38%	2023
حاسي باهامو (مشروع غاز جنوب غرب مرحلة 2)	جنوب غرب	تحت التطوير	سوناطراك	2024

¹ Report of Country Analysis Brief: Algeria; U.S. Energy Information, March 2, 2023, p8.

2024	سوناطراك	تحت التطوير	جنوب غرب	حاسي تحيران (مشروع جنوب غرب مرحلة 2)
2024	سوناطراك	تحت التطوير	جنوب غرب	تينركوك (مشروع غاز SW مرحلة 2)
2026	سوناطراك 35%، نبتون 35%، إنجي 30%	مخطط	جنوب غرب	توات مرحلة 2
مجهول	سوناطراك 51%، سييسا 11%، توتال 38%	تحت التطوير	جنوب غرب	تيميمون (مشروع تكثيف)
مجهول	سوناطراك 51%، أني 49%	تحت التطوير	حوض بركين	جنوب بركين
مجهول	سوناطراك	تحت التطوير	حوض إليزي	توسعة تنهير مرحلة 2 (Alrar tie-in)
مجهول	سوناطراك 51%، ريبسول 22.4%، توتال 26.4%	مخطط	حوض إليزي	تين فوي تابانكورت
مجهول	سوناطراك 51%، توتال 49%	مخطط	حوض إليزي	تين فوي تابانكورت سود

Source: Report of Country Analysis Brief: Algeria, U.S. Energy Information, March 2, 2023, p5.

يلاحظ من الإمكانيات الهائلة التي تحوزها الجزائر كقطر أساسي مصدر للطاقة استطاعت من خلاله أن يكون لها حضور قوي في مختلف المنظمات الدولية منها والإقليمية، فقد انضمت الى منظمة الدول المصدرة للنفط أوبك 1969م، ومنظمة الأقطار العربية للنفط أوبك 1970م، واللجنة الإفريقية للطاقة 1980م، وجمعية الدول المنتجة للنفط في إفريقيا 1987.

وتعود هاته المكانة التي تحظى بها الجزائر في السوق العالمية للطاقة الى عدة أسباب لعل أهمها ما

يلي:¹

¹ فيروز مزباني، "تحولات البيئة الإقليمية وأثرها على الإستراتيجية الأمنية الجزائرية"، مرجع سبق ذكره، ص 77

- موقعها الجيو استراتيجي والذي يجعلها قريبة من منابع النفط الإفريقية المهمة بالنسبة للقوى الكبرى بحيث تصبح سلامتها من سلامة هذه المصادر؛
 - تمثل الجزائر عضوا فعالا ونشيطا ومنضبطا داخل المنظمات الطاقوية؛
 - ضخامة احتياطاتها الطبيعية خاصة من الغاز في الجزائر ما جعلها تحتل المرتبة الثالثة في سلم الدول المصدرة للغاز في العالم؛
 - ضخامة الاستثمارات في مجال المحروقات؛
 - المكانة الدولية التي تحتلها الشركة البترولية الجزائرية "سوناطراك" في السوق الدولية؛
 - يكتسي قطاع المحروقات أهمية بالغة كونه قطاع استراتيجي يعتمد عليه الاقتصاد الوطني الجزائري.
- إن الحديث عن الطاقة المرتبطة بالمحروقات كونها ثروة طبيعية هامة، هي من ناحية المقاربة الجيوسياسية، تعتبر عنصرا من عناصر القوة، إذ أن موضوع المحروقات في الجزائر يساعد في الوقوف على الرهانات التي يجب على الجزائر أن تلتفت إليها لدى بناء استراتيجيتها الأمنية، ففي كثير من الأحيان يعتبر امتلاك الثروات الطبيعية نقمة على الدول، حيث توجد هناك علاقة طردية بين اكتساب الثروات المنتجة لاقتصاد ريعي وإمكانية بروز صراعات داخلية وحروب أهلية، ففي دراسة امتدت ما بين عامي 1960 الى 1999م احصى الباحثين "بول كولير Paul collier" و"آنكه هوفلر Ank hofller" 79 حربا أهلية في دول غنية بالثروات الباطنية.¹

الفرع الثاني: موارد الطاقة المتجددة

إن الحقول الشمسية والسدود إضافة إلى الرياح المتمركزة خاصة في الجنوب والهضاب العليا جعلت الجزائر من أغنى الدول بمصادر الطاقة المتجددة، وهي تحوز على واحدة من أعلى إمكانات الطاقة الشمسية

¹ نفس المرجع، ص76

في العالم،¹ إلا أنها لم تستغلها بما يكفي ومازالت تسعى جاهدة نحو التنفيذ على أرض الواقع لبعض المشاريع الطاقوية خارج المحروقات وتفعيل القوانين والأوامر المتعلقة بالطاقة المتجددة وهذا نتيجة للمساوئ البيئية التي تخلفها الطاقة الأحفورية والطلب المتزايد على الطاقة بسبب النمو السكاني، والشكل التالي يبين أهم القوانين والأوامر التي سنتها الدولة الجزائرية لتشجيع الاستثمار في الطاقات المتجددة:

الشكل رقم (13): القوانين والأوامر المتعلقة بتشجيع وإنتاج الطاقة المتجددة خلال الفترة 1999-2017



المصدر: من إعداد الباحث بناء على Cecilia Camporeale and all, Country Report on Energy Efficiency and

Renewable Energy Investment Climate: Algeria; MeetMED; 2020, p68.

تتمتع الجزائر بإمكانيات شمسية ومائية ورياح... إلخ تُكسبها القدرة على أن تكون مشاركا فعالا ولاعبا رئيسيا في سوق الطاقة المتجددة، إلا أنها لحد الآن لم تستغل تلك الإمكانيات وذلك راجع إلى اعتماد اقتصادها بشكل شبه كلي على عائدات النفط والغاز الطبيعي المصدرة للسوق الأوروبية خاصة - هذا ما أظهرته الإحصائيات المدرجة في الأعلى -، الاتفاقيات طويلة الأجل لتصدير الوقود الأحفوري والواجب الالتزام بها واحترامها لتجنب العقوبات والغرامات التي ستحملها إن فشلت في تنفيذها، لكن هذا لم يمنع الفاعلين الرئيسيين في الحكومة الجزائرية الإصرار على تنويع النظام الطاقوي بدافع اقتصادي وبيئي لرفع

¹ Amine Boudghene Stambouli, " Algerian renewable energy assessment: The challenge of sustainability", Energy Policy, V39, Issue 8, August 2011, Pages 4507

الاستثمار في الطاقة الخضراء، والجدول التالي يبرز الإمكانيات التي تزخر بها الجزائر في مجال الطاقة المتجددة:

الجدول رقم (07): إمكانيات الجزائر المتوفرة من مصادر الطاقة المتجددة

الإمكانيات	
<ul style="list-style-type: none"> تمتلك الجزائر واحدة من أكبر الإمكانيات الشمسية في العالم. يتجاوز وقت الشمس في الأراضي الوطنية 2000 ساعة سنوياً ويمكن أن يصل إلى 3900 ساعة (الهضاب المرتفعة والصحراء)؛ تُقدّر إمكانات الجزائر من الطاقة الشمسية بـ13.9 تيراواط ساعة/سنة. 	<p>الطاقة الشمسية</p>
<ul style="list-style-type: none"> أشارت الدراسات المحلية إلى أن متوسط توزيع سرعة الرياح العالية يتركز في جنوب غرب البلاد حيث يكون متوسط سرعة الرياح السنوية أعلى من 5م/ ثانية؛ تمتلك الجزائر إمكانات واعدة للرياح تبلغ حوالي 35 تيراواط ساعة/ سنة وتعتبر ثاني أهم مصدر للطاقة المتجددة، لها مشروع مزرعة رياح تجريبية بطاقته الإجمالية 10.2 ميجاوات قيد التشغيل في منطقة كابرتن بأدرار، تم تطويره باستخدام 12 توربيناً للرياح من GAMESA طراز G52 بطاقة تبلغ 0.85 ميجاوات لكل منها بتكلفة إجمالية تُقدر بـ 22.6 مليون يورو. 	<p>طاقة الرياح</p>
<ul style="list-style-type: none"> تقدر إمكانات المياه بـ 18 مليار م³/ سنة موزعة على النحو التالي: <ul style="list-style-type: none"> ✓ 12.5 مليار م³/ سنة في المناطق الشمالية منها 10 مليارات في الجريان السطحي و2.5 مليار في الموارد الجوفية؛ ✓ 5.5 مليار م³/ سنة في المناطق الصحراوية بما في ذلك 0.5 مليار م³ في الجريان السطحي و5 مليار م³ في الموارد الجوفية. 	<p>طاقة المياه</p>
<ul style="list-style-type: none"> الجنوب الجزائري يتميز بمتوسط تدرج حراري أرضي يبلغ 3 درجات مئوية/100م، فحوض بشار ساخن بشكل غير طبيعي مع انحدار يزيد عن 7 درجات مئوية/100م، ويُظهر الجزء الشرقي تذبذبا حرارياً يتراوح من 3 إلى 4 درجات مئوية/100م. 	<p>الطاقة الحرارية الأرضية</p>

<ul style="list-style-type: none"> • من الناحية النظرية تقدر السعة الإجمالية للكتلة الحيوية التي يمكن استردادها بـ 3.7 مليون طن في السنة، وتقدر القدرة النظرية للطاقة التي يمكن إنتاجها من النفايات الحضرية والزراعية بحوالي 1.33 مليون طن في السنة؛ • مشروع سونلغاز لطاقة الكتلة الحيوية في مرحلة الجدوى في موقع واد السمار، قدرته المركبة المتوقعة 2 ميغاواط والتي من المتوقع أن تصل إلى ذروة 6 ميغاواط عند الانتهاء منه. 	<p>الكتلة الحيوية</p>
---	------------------------------

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على: Youcef Himri and all, "Overview of the Role of Energy Resources

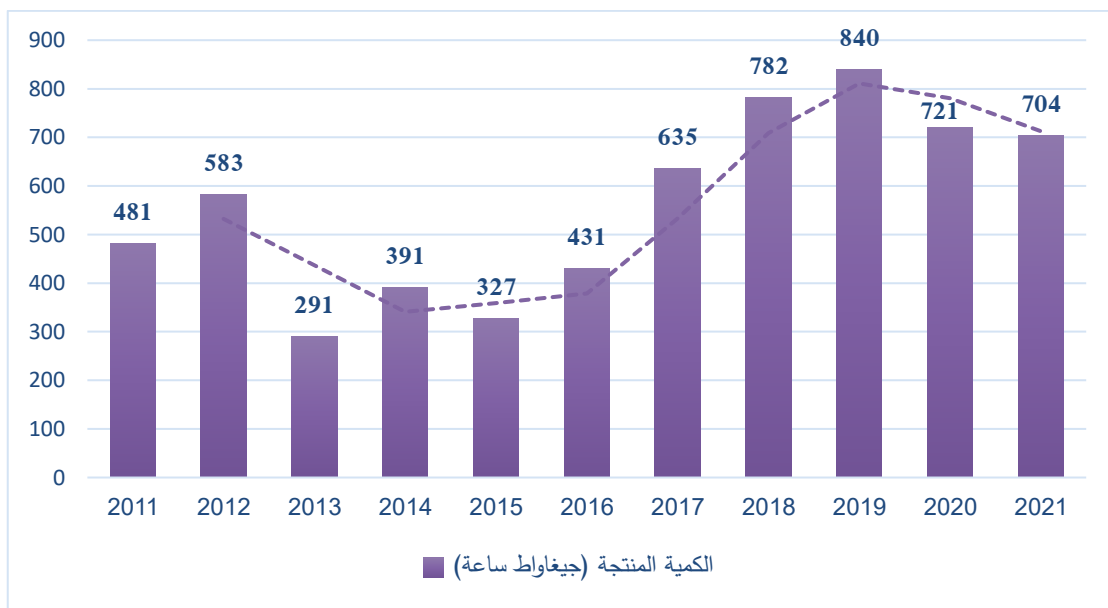
in Algeria's Energy Transition", Energies, 15-4731, 28 June 2022;

- Natural Resources, Algeria Invest, 2022, Available at:

https://algeriainvest.com/storage/uploads/discover_algeria/documents/1627814130Natural%20Resources.pdf.

مع برامج التنمية المستدامة وحماية البيئة التي تطلقها المنظمات العالمية للانتقال الطاقوي لإنتاج طاقة نظيفة تسعى الجزائر إلى إدخال الطاقة الخضراء في قلب برامجها وسياساتها الطاقوية والاقتصادية من خلال استغلال مواردها التي لا تنضب، وعلى مدار العشر سنوات الأخيرة تطور إنتاج الطاقة المتجددة بالجزائر والشكل التالي يبين ذلك:

الشكل رقم (14): حجم الإنتاج من الطاقة المتجددة في الجزائر خلال الفترة 2011-2021



المصدر: من إعداد الباحث بناء على "Arvydas Lebedys and all," Report of Renewable Energy Statistics 2020"; "Report of bp Statistical Review of World Energy", و International Renewable Energy Agency (IRENA), p3; June 2022, 71st edition, p44.

خلال الفترة 2011-2015 حدث تذبذب في الإنتاج المحقق من مصادر الطاقة المتجددة لعدة اعتبارات وابتداء من سنة 2016 استعادت الجزائر قدرتها على رفع الكمية المنتجة خاصة مع ارتفاع نمو سوق هذه الأخيرة والتأثير الذي لعبته جمعيات حماية البيئة وتمكنت من تحقيق زيادة بنسبة حوالي 75% مع حلول سنة 2019 بناتج يُقدّر بـ 840 جيغاواط ساعة إلا أنه حدث انخفاض ملحوظ راجع إلى أزمة Covid-19 ووصل إلى 721 جيغاواط ساعة.

تلتعب المساحة الصحراوية الجزائرية المقدر بـ 86% من المساحة الإجمالية دورا هاما في إنتاج كميات من المصادر المختلفة من الطاقة المتجددة، فارتفاع درجات الحرارة والتيارات الهوائية المتكونة هي موارد خصبة لتوليد مستويات عالية من طاقة كهربائية، والجدول التالي (رقم 08) يُظهر الكميات المنتجة لبعض مصادر الطاقة المتجددة المستغلة خلال الفترة 2012-2020:

الجدول رقم (08): الإنتاج المحقق لبعض مصادر الطاقة المتجددة خلال الفترة 2012-2020 (جيغاواط/ساعة)

2020	2019	2018	2017	2016	2015	2014	2013	2012	
663	678	655	560	339	162	198	193	193	الطاقة الشمسية
8	10	10	19	19	19	1	/	/	طاقة الرياح
50	152	117	56	72	145	193	98	389	الطاقة الكهرومائية

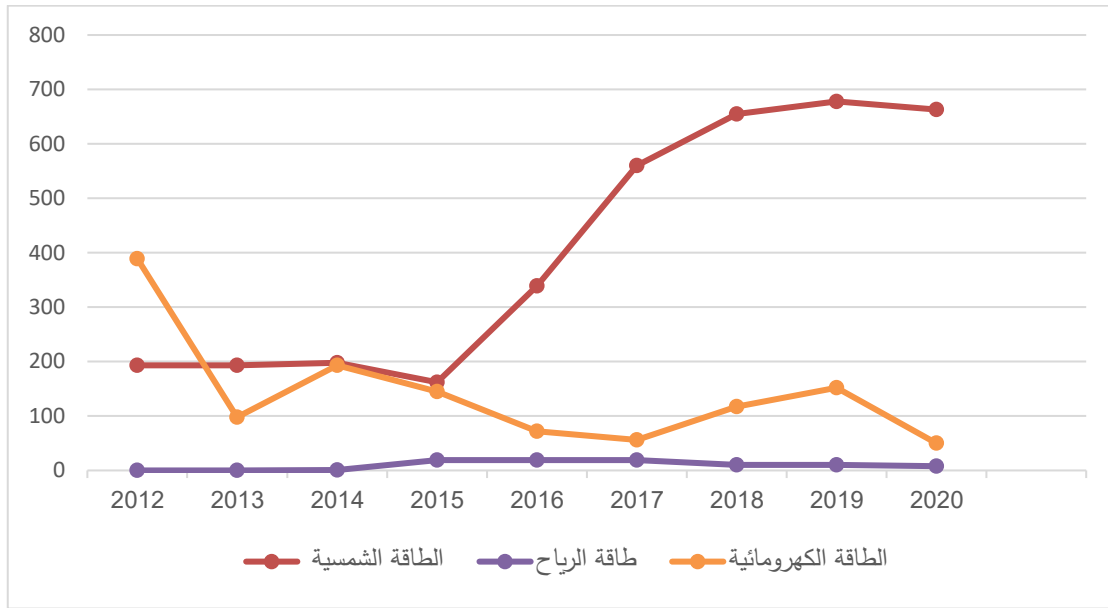
Source: Arvydas Lebedys and all," Report of Renewable Energy Statistics 2020"; International Renewable Energy Agency (IRENA).

ولتوضيح الجدول أكثر قمنا بتحويله إلى شكل بياني لتوضيح التطور الحاصل فيما تنتجه الجزائر

من طاقة شمسية وكهرومائية وطاقة الرياح خلال الفترة 2012-2020:

الشكل رقم (15): الإنتاج المحقق لبعض مصادر الطاقة المتجددة خلال الفترة 2012-2020 (جيجاواط

ساعة)



المصدر: من إعداد الباحث بناء على الجدول السابق

من الجدول والشكل نلاحظ أن هناك تذبذب ملحوظ فيما تنتجه الجزائر من كميات من مصادر الطاقة

المتجددة، ورغم الموقع الجغرافي المتميز للجزائر والتيارات الهوائية المتكونة في جنوبه وشماله المولدة لطاقة

الرياح إلا أنه لم يتم استغلالها ومستوياتها الإنتاجية متدنية جدا مقارنة بالطاقة الشمسية والكهرومائية.

أقامت الجزائر مشاريع عدة للطاقة المتجددة في مناطق صحراوية لكونها هي الأعلى في توليد الطاقة

الشمسية وطاقة الرياح، وباتت هذه المناطق رائدة في استغلال الكهرباء من المصادر المتجددة، والجدول

التالي يبين تفاصيل المشاريع المنجزة في الجنوب الجزائري:

الجدول رقم (09): الطاقة المنتجة والقدرة المركبة للمحطات التشغيلية المنجزة في الصحراء

الموقع	المنطقة	مساحة المشروع (كلم ²)	القدرة المركبة (ميغاواط)	الطاقة المنتجة في جوان 2017 (جيغاواط ساعة)	سنة التشغيل
الحجيرة	ورقلة	0.6	30	9.738	2017
واد نشو	غرداية	0.05	1.1	4.593	2014
تيندوف	تيندوف	0.18	09	6.376	2015
جاننت	إليزي	0.06	03	10.729	2015
بئر الرياح الشمالي	ورقلة	0.2	10	لا توجد	2018
برنامج شركة SKTM	؟	؟	343	لا توجد	2018
تمنراست	تمنراست	0.26	13	36.410	2015
أولف		0.1	05	12.557	2016
زاوية كونتا		0.12	06	15.213	2016
رقان		0.1	05	12.221	2016
تيميمون		0.18	09	23.8222	2016
عين صالح		0.1	05	12.328	2016
كابرتن (PV)	أدرار	0.06	03	9.584	2015
أدرار		0.4	20	59.585	2015
كابرتن (مزرعة الرياح)		0.33	10.2	51.579	2014

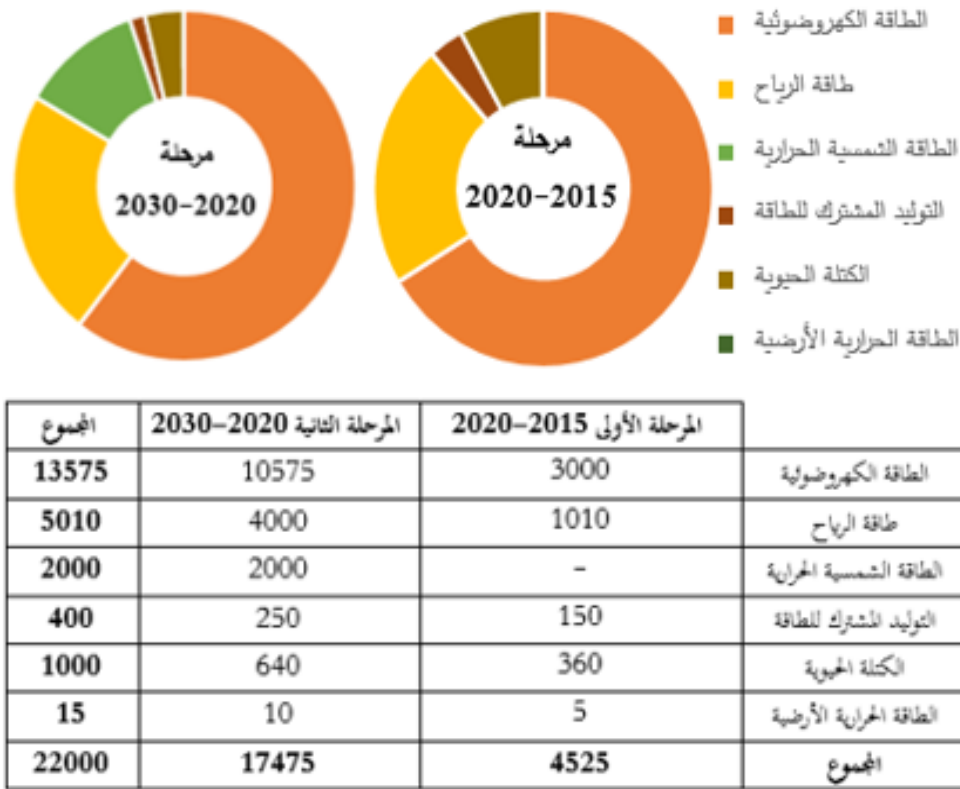
Source: - Youcef Himri and all, "Overview of the Role of Energy Resources in Algeria's Energy Transition", Energies, 15-4731, 28 June 2022, p15.

- Ersoy, S. R., & Pfaff, J. T, "Sustainable Transformation of Algeria's Energy System" May 2021, FRIEDRICH-EBERT-STIFTUNG, p20.

سّطرت الحكومة الجزائرية برنامجا متعدد السنوات لتطوير الطاقة المتجددة اعتمده في سنة 2015 وقسمته إلى مرحلتين زمنيّتين: 2015-2020 و 2020-2030، حيث تهدف من خلاله تحقيق إنتاج قدره 22000 ميغاواط من الكهرباء بحلول عام 2030 وفي فبراير 2020 قامت الحكومة بتحديث للبرنامج

المسّطر ورفعت التحدي لإنتاج 15000 ميغاواط من مصادر الطاقة المتجددة بحلول عام 2035، والشكل رقم(12) المدرج أسفله يشرح الخطة التي تتوقع وزارة تحول الطاقة والطاقة المتجددة من خلالها إنتاج كميات من كل مصدر من مصادر الطاقة المتجددة:

الشكل رقم (16): برنامج الطاقة المتجددة 2015-2030 في الجزائر (ميغاواط)



Source: Rapport de CEREFÉ, "Transition Energétique en Algérie : Leçons, Etat des Lieux et Perspectives pour un Développement Accélééré des Energies Renouvelables", 2020, Alger, p50.

لقد أوضح كبار الخبراء الماليين أنه في عام 2021 ارتفع الاستثمار في مصادر الطاقة المتجددة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بنسبة 60% عن مستويات عام 2019، وأن الجزائر قد أطلقت في منتصف عام 2022 مناقصة للحصول على 1 جيجاواط من الطاقة الشمسية الكهروضوئية وعازمة على أن تكون في سنة 2050 قد استطاعت استغلال أكثر من 50% من مواردها الطبيعية¹.

¹ International Energy Agency, "World Energy Outlook 2022", Report, October 2022, p209.

تسعى الجزائر من خلال عملية الانتقال الطاقوي هاته الى تحقيق جملة أهداف أهمها:¹

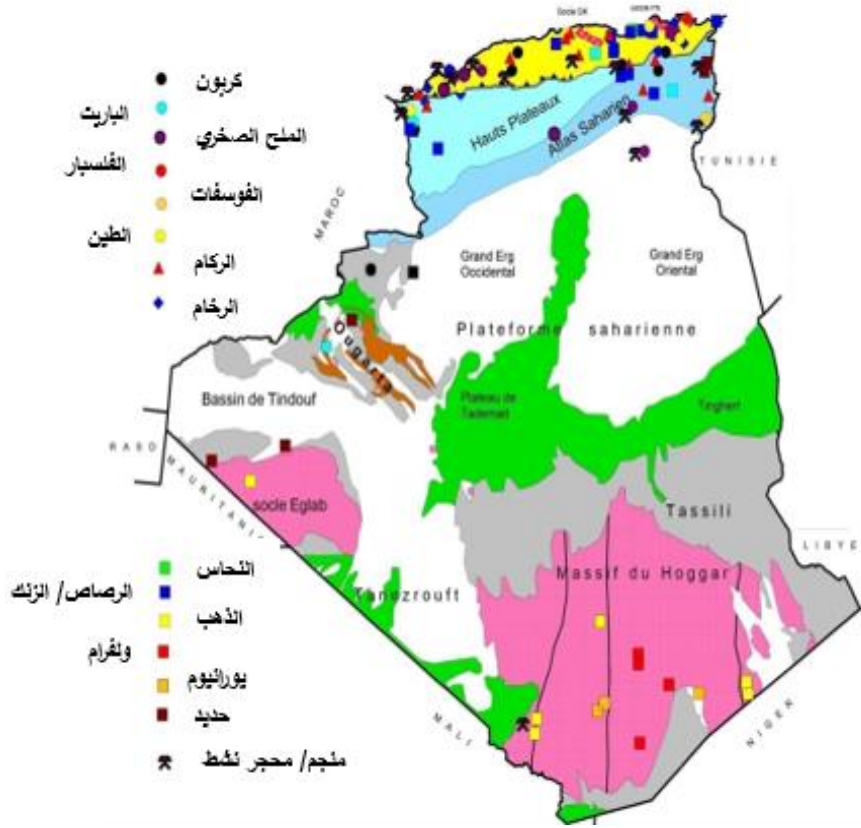
- تنوع موارد الاقتصاد الكلي؛
- حماية البيئة والمساهمة في الجهود الدولية للتقليل من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون؛
- الحفاظ على موارد الطاقة الأحفورية؛
- تنوع مصادر الطاقة وتقليل الارتباط بموارد الطاقة الأحفورية من النفط والغاز.

الفرع الثالث: الموارد المعدنية وغير المعدنية

إلى جانب النفط والغاز والإمكانات الطاقوية المتجددة يحتوي باطن الأرض في كل من شمال وجنوب الجزائر على العشرات من الرواسب المعدنية وغير المعدنية كالحديد، الفوسفات، الزنك، الذهب، اليورانيوم، كربونات الكالسيوم، الأملاح والباريت... وغيرها، انظر للشكل رقم (13)، وقد تم اكتشافها من خلال مخطط أبحاث التعدين الذي يُجرى منذ الاستقلال، ويعتبر الاستخدام الأمثل لهذه المعادن من الاستراتيجيات الهامة وكقوة دافعة لاستغلال المنافذ الجديدة للتحويل نحو الاقتصاد الأخضر الذي يعد أهم مطالب التوجه العالمي نحو تحقيق متطلبات التنمية المستدامة.

الشكل رقم (17): خارطة الموارد المعدنية الرئيسية في الجزائر سنة 2015

¹ فيروز مزياني، "تحولات البيئة الإقليمية وأثرها على الإستراتيجية الأمنية الجزائرية"، مرجع سبق ذكره، ص 85



Source: Directorate General of Mines/ Ministry of Industry and Mines, Report about "Miniral Potential of Algeria", 2015, p16.

حققت الصادرات خارج المحروقات للثمانية أشهر الأولى من سنة 2021 زيادة بمعدلات نسبية معتبرة حيث بلغت 2.9 مليار دولار بزيادة 118% مقارنة بنفس الفترة لسنة 2020 التي سُجل فيها تحقيق صادرات بقيمة 1.34 مليار دولار فقط، وكانت من بين أهم المواد المصدرة خلال سنة 2021 الحديد والصلب بقيمة 595.78 مليون دولار، 190.81 مليون دولار للمصنوعات المعدنية و886 مليون دولار للأسمدة المعدنية والكيماوية الأزوتية أي بزيادة قُدرت بـ1971% و6.54% و69.1% على التوالي خلال سنة 2020¹، وهذه الأرقام تثبت أن الجزائر أخذت مكانة معتبرة في تزويد العالم بالموارد المعدنية وغير المعدنية، وتملك العديد من المناجم والمشاريع الخاصة بالتعدين تعود ملكية بعضها لها والبعض الآخر تم

¹ وزارة التجارة وترقية الصادرات، "إحصائيات الصادرات خارج المحروقات لسنة 2021"، 2021/09/13، متاح على الرابط:

<https://www.commerce.gov.dz/statistiques/les-statistiques-de-l-exportation-hors-hydrocarbures-1>، (تاريخ

الإطلاع: 2023/04/07).

إنجازه بالشراكة مع العديد من الشركات العالمية الكبرى: الصين، إيطاليا، إسبانيا،... إلخ، وتبعاً لحصيلة سنة 2022 فالجزائر كان لها 7 مناجم لخام الحديد، ستة مناجم ومشاريع تعدين للذهب، موزعة جغرافياً على كل أنحاء البلاد، ومشاريع أخرى موضحة أدناه:

الشكل رقم (18): عدد المناجم النشطة ومشاريع التعدين بالجزائر لسنة 2022 حسب المعادن



Source: [https://www.statista.com/statistics/1330192/algeria-number-of-active-mines-by-](https://www.statista.com/statistics/1330192/algeria-number-of-active-mines-by-mineral/#statisticContainer)

[mineral/#statisticContainer](https://www.statista.com/statistics/1330192/algeria-number-of-active-mines-by-mineral/#statisticContainer) (تاريخ الإطلاع 2023/04/07).

وفيما يلي نعرض بعض الإحصائيات على سبيل المثال لا الحصر عن الكميات التي تنتجها الجزائر

من الموارد المعدنية وغير المعدنية

الجدول رقم (10): إنتاج الجزائر من بعض الموارد المعدنية وغير المعدنية خلال الفترة 2013-2018

موقع المرافق الرئيسية	2018	2017	2014	2013	
منجم غار جبيلت - تندوف، جيجل، وهران، تبسة، سطيف، عين الدفلى، عنابة،	497000	497000	900000	1066000	الحديد (طن)
عنابة، منجم أنك -تبسة-	1200000	1100000	1400000	1150000	فوسفات (طن)
مناجم أمسميسة وتيرك - تمنراست-	20	20	16	27	الفضة (كغ)

الذهب (كغ)	؟	85	137	286	مناجم أمسميسة وتيرك - تمنراست-، شرق ووسط الهقار
الزنك (طن)	؟	؟	1000	1000	منجم الغزوات -تلمسان- ، منجم عين الحمرا - سطيف-
الملح (طن)	172900	193000	160000	160000	لوطاية -بسكرة-، بيشوا - وهران- المغير وشط مروان الحمراء -الوادي-، قرقور لعمرى -سطيف-، ولاد الزواي -أم البواقي-، سيدي بوزيان -غليزان-
الباريت (طن)	30250	56800	40000	40000	منجم درايصة -بشار- منجم أمين ميمون - خنشلة- منجم بوكيد -تيسمسيلت-
بانتونايت (طن)	27700	31500	35600	35600	حمام بوغرغارة وفي مغنية -تلمسان-، المسيلة.
الكاولين (طن)	42500	181000	100000	100000	منجم الميليا، شقفة - جيجل-، منجم جبل الدباغ -قالمة-
الأمونيا (طن)	؟	1360000	980000	2235000	أرزيو-وهران-، عنابة،
اليوريا (طن)	؟	420000	633000	1596000	أرزيو -وهران-
الرمال (طن)	1547200 0	1755000 0	1700000 0	18000000	؟
الرخام (طن)	18000	209000	178000	200000	محاجر بوهران وسكيكدة، الشلف، وهران، تيزي وزو، تيارا، عين تيموشنت،
الأسمت (طن)	2193200 0	2480000 0	2865000 0	31100000	المسيلة، معسكر، باب الزوار، الشلف، باتنة، سطيف، ...
ميثانول (مليون م ³)	؟	108	91	66	مركب CP1Z بأرزيو - وهران-

سوائل أخرى (ألف برميل)	؟	244000	220000	239000	وهران، سكيكدة، غزوات، عناية
---------------------------	---	--------	--------	--------	--------------------------------

Source: - Mowafa Taib, "The Mineral Industry of Algeria", chapter of " 2017–2018 Minerals Yearbook";
U.S. Department of the Interior, U.S. Geological Survey, August 2021;
- Directorate General of Mines/ Ministry of Industry and Mines, Report about " Miniral Potential of Algeria",
2015, p16.

مما سبق يظهر جليا الإمكانيات الضخمة والمتنوعة التي تتمتع بها الجزائر من خلال جغرافيتها، إلا أن اغلب تلك الإمكانيات تبقى كامنة وغير مستغلة، فضلا عن أساليب وطرق استغلالها غير المتوازنة، مما جعل الاقتصاد الجزائري يركز على الموارد النفطية دون غيرها، في حين أنها لو استطاعت ترشيد سياساتها وتوزيع منتجاتها وفتح أسواق جديدة غير التقليدية كالتوجه نحو الاستثمار في السوق الإفريقية وبناء شراكات استراتيجية تحمي بها قوتها الاقتصادية، لبرزت بذلك كقوة إقليمية مهيمنة.

المبحث الثالث: واقع البيئة الأمنية لمنطقة الساحل الإفريقي بين التحديات

الداخلية والتداعيات الإقليمية

بعد ما تم عرضه في المباحث السابقة ، والتي حاولنا من خلالها تسليط الضوء على جغرافيا المنطقة وإمكاناتها الطبيعية المستغلة منها والكامنة، وانطلاقا من أهميتها الجيو-استراتيجية كان لابد من دراسة المنطقة أمنيا ومعاينة هاته البيئة وتحدياتها، وبذلك تعد منطقة الساحل الإفريقي أحد أبرز المجالات الأمنية بالغة الأهمية والتعقيد، ومن أكثر المناطق الضعيفة بنيويا والمختلة أمنيا نتيجة عدة عوامل وظروف تاريخية ومستجدة، باعتبارها مستعمرات أوروبية سابقة ورثت حملا ثقيلًا من الأزمات الداخلية كأزمة الهوية والاندماج الوطني، والمشاكل المستحدثة كتأخر التنمية وانتشار الجريمة المنظمة ونمو ظاهرة الإرهاب وما ترتب من تدهور الوضع الأمني وعدم الاستقرار في المنطقة وانعكاساته السلبية عليها وعلى شعوبها.

فمنطقة الساحل الإفريقي تواجه أشكالا متجددة من التهديدات والتحديات الأمنية اللاتماثلية، وزادت حدتها الحرب في ليبيا ومالي حيث أعطتها حساسية عالية وتصاعدا مستمرا، وساعدها على ذلك طبيعة دول المنطقة المتعددة التي تعاني من ضعف الرقابة على حدودها مما سهل عملية اختراقها، بالإضافة إلى هشاشة الأوضاع الداخلية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لدول المنطقة.

وضمن هذا المبحث سنحاول رصد واقع البيئة الأمنية للمنطقة والكشف عن تحدياتها الداخلية والمرتبطة أساسا بإشكالية بناء الدولة القطرية، ثم التعرض إلى التهديدات اللاتماثلية الجديدة في المنطقة.

المطلب الأول: تحديات البيئة الداخلية ومشاكل بناء الدولة في منطقة الساحل الإفريقي

إن من سمات عالم ما بعد الحرب الباردة بروز وانتشار مفهوم الدولة الفاشلة أو الدولة الشكلية الضعيفة، والتي لا تمارس أي شكل من أشكال السيادة على أراضيها، وهذا المفهوم في عمومته يشير إلى غياب كبير للمؤسسات وهي غير قادرة على تلبية الحاجيات الضرورية للسكان وغير قادرة على بسط نفوذها

وإحكام سيطرتها على كل مساحتها الجغرافية،¹ وهذا النوع من الدول يظهر بشكل لافت في منطقة الساحل الإفريقي، وهي منطقة شكلت طبيعتها تحدي في بناء الدولة ابتداء من جغرافيتها الصعبة ومناخها الصحراوي إلى الطبيعة القبلية المتباينة.

سنحاول في النقاط التالية عرض أهم التحديات التي خلقت الواقع الأمني المتأزم، والتي صعبت بشكل كبير بناء الدولة فضلا عن أدائها وظيفتها الأساسية؛

الفرع الأول: تحديات العوامل الطبيعية والمناخ على المنطقة

تسهم الطبيعة الجغرافية للساحل في جعل بعض المشكلات الأمنية الداخلية أكثر تهديدا، نظرا إلى ما ينجم عنها من صعوبات للدول الضعيفة في بسط رقابتها على مساحات واسعة يصعب الولوج إليها وفرض النظام عليها، كما تسهم عوامل المناخ القاسي للمنطقة في تعميق تلك المشاكل.²

تعمل الغالبية العظمى من سكان منطقة الساحل الإفريقي في القطاع الزراعي أو تمارس الرعي، وهاته الأنشطة تعتمد بشكل كبير على عوامل الأحوال الجوية والموسمية؛ فخلال موسم هطول الأمطار، تجبر الفيضانات الرعاة على أخذ قطعانهم إلى الأراضي الجافة، بينما تتحول المناطق التي غمرتها الفيضانات إلى حقول أرز. وفي موسم الجفاف، بمجرد حصاد الأرز، تعود الماشية من المناطق الصحراوية الشمالية إلى المراعي الجنوبية.³ ومع ذلك، فقد بدأ تغير المناخ المفاجئ في العقود الأخيرة إلى تغيير الدورة التقليدية للإنسان والماشية في الساحل الإفريقي.

وبالرجوع إلى تعريف منطقة الساحل الإفريقي المدرج سابقا يظهر أن من أبرز مقاربات تحديد هاته المنطقة هو معيار المناخ، ذلك أن هاته الأخيرة تحوي على أكبر صحاري العالم قساوة، والتي تتميز

¹ محمد الطاهر عديلة، التنافس الدولي في السياسة العالمية دراسة في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص 42

² كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص 36

³ Ahmet Berat ÇONKAR, "Développement Et Sécurité Dans La Région Du Sahel", Rapport assemblée parlementaire de l'otan, Décembre 2020, p03

بالمخاطر المناخية القاسية كالجفاف وانعدام مختلف مقومات الحياة، ومن المعلوم أن درجة الحرارة ونسب هطول الأمطار هما مؤشران رئيسيان على حالة المناخ في إفريقيا بشكل عام ويؤثران باستمرار على ظروف المعيشة في مجتمعاتها، فالأمن الغذائي والزراعة والموارد المائية تتأثر بشدة بالتغيرات التي تطرأ على هاذين المؤشرين، كما أن الزيادات المرتفعة فيهم تؤثر بشكل كبير على صحة السكان في جميع أنحاء منطقة الساحل الإفريقي، فدرجات الحرارة الأكثر دفئاً بالإضافة إلى ارتفاع معدل هطول الأمطار ينتج عنهما زيادة ملائمة الموائل لأنواع خطيرة من الحشرات العضوية وانتقال الأمراض المنقولة مثل الملاريا والحمى الصفراء وغيرها والأمراض، ولذلك فإن رصد والتنبؤ بهذين المؤشرين (درجة الحرارة وهطول الأمطار) يشكلان مدخلا رئيسيا لتحليل حالة المناخ في منطقة الساحل الإفريقي والآثار المرتبطة بها.¹

موقع منطقة الساحل الإفريقي يمثل الواقع القاسي لتغير المناخ، حيث ترتفع درجات الحرارة بمعدل 1.5 مرة أسرع من المتوسط العالمي بالنسبة لسكان منطقة الساحل الإفريقي الذين يعتمد مصدر رزقهم الرئيسي على الزراعة والرعي، فقد أدى ذلك إلى حدوث موجات جفاف وفيضانات أسوأ ومتكررة، مما أدى إلى شل قدرات إنتاج الغذاء في بيئة شبه قاحلة بالفعل، عانت الأراضي الزراعية والمراعي في منطقة الساحل الإفريقي من إزالة الغابات والرعي الجائر، مما قلل من قدرة التربة على الاحتفاظ بالمياه وجعلها عرضة لتآكل التربة.²

مع تواجد أكثر من 70% من السكان في منطقة الساحل الإفريقي اعتماداً على الزراعة والرعي كمصدر أساسي للدخل، زادت الآثار الضارة لتغير المناخ من مشكلة قائمة، مع وجود اختلافات في التنمية الاقتصادية وقدرة كل دولة على حدة، تختلف القدرة على التعامل مع آثار تغير المناخ. وقد أدت مؤسسات الحكم الضعيفة إلى تقليص هذه القدرة بشكل أكبر، مما أثر سلباً على حياة سكان الساحل الإفريقي وساهم

¹ World Meteorological Organization, 'State of the climate in africa2019'. Switzerland: Publications Board, 2019, p5

² Dieng, Adama. "The Sahel: Challenges and opportunities", International Review of the Red Cross, vol 103, No,918, 2021, p772

في تخلف المنطقة. وفي ظل المشاكل الحالية المتمثلة في ضعف المؤسسات وسوء الإدارة، والصراعات الداخلية على السلطة والفساد، لم تتمكن حكومات منطقة الساحل من الاستجابة بشكل مناسب لأسئلة ومخاوف سكان الساحل الإفريقي فيما يتعلق بالآثار السلبية لتغير المناخ، والتنمية الاقتصادية، وانعدام الأمن الغذائي، والعنف والنزوح.¹

ففي بلدان هاته المنطقة ارتفعت نسبة عدد الأشخاص الذين يعانون من نقص التغذية إلى 45.6% منذ عام 2012 وفقا لتقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة FAO وفي عام 2019 تم تسجيل تدهورا كبيرا في حالة الأمن الغذائي في منطقة الساحل الإفريقي، فضلا عن زيادة نزوح السكان وانعدام الأمن الغذائي لهؤلاء النازحين، وكثيرا ما يقيمون في بؤر ساخنة مناخيا، أين يتعرضون لمخاطر بطيئة ومفاجئة²، ما يؤدي مع الوقت إلى حالات تشريد ثانية.

إن الافتقار إلى الوصول الكافي إلى الري، وسوء نوعية الأراضي، والجفاف وعدم انتظام هطول الأمطار، وكذلك العدد المحدود للوظائف في المناطق الريفية، كل هذه العوامل تضر بالاقتصاد الرعوي والزراعي، وأصبحت عوامل محفزة لحركات الهجرة الجماعية.

بالإضافة إلى ذلك، لطالما كان السباق على المياه والمراعي مصدر نزاع بين المجتمعات الضعيفة، ففي السنوات الأخيرة، أدى التصحر وندرة الموارد بسبب تغير المناخ والضغط الديموغرافي وسوء الإدارة إلى زيادة هذه التوترات وتقويض الروابط الهشة بين المجتمعات وبيئتها،³ يترجم هذا بشكل متزايد إلى اشتباكات عنيفة تقوض الأمن والاستقرار الإقليميين.

طبيعة المناخ السائد وتغيراته يمثل أبرز التحديات الشائعة في جميع أنحاء منطقة الساحل الإفريقي، على الرغم من حقيقة أن بلدان الساحل تمثل حصة صغيرة من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري العالمية،

¹ Ibid, p773

² World Meteorological Organization, 'State of the climate in africa2019, Op Cit, p 18

³ Ahmet Berat ÇONKAR, "Développement Et Sécurité Dans La Région Du Sahel", Rapport assemblée parlementaire de l'otan, Décembre 2020, p03

وتأثير تغير المناخ محسوس بالفعل بشكل حاد، وسيشكل تهديدًا مستقبليًا للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعات الساحل الإفريقي في المستقبل والاستقرار السياسي في العقود القادمة

يعد تحدي تغير المناخ بالنسبة لبلدان منطقة الساحل اهم مواضيع جدول أعمالها، وينعكس ذلك في حقيقة أن جميع الأعضاء الخمسة في مجموعة الساحل الخمس G5، قد وقعوا وصدّقوا على "اتفاقية باريس" بشأن تغير المناخ ومع ذلك، نظرًا لنقص الموارد الكافية داخل منطقة الساحل والبلدان الواقعة داخل المنطقة باعتبارها من أصغر المساهمين في انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في العالم، لا يمكن للعمل الإقليمي وحده أن يوفر التخفيف الضروري للآثار القاسية لتغير المناخ. لذلك، عملت النيجر مع أيرلندا على المشاركة في صياغة مشروع قرار مواضيعي بشأن تغير المناخ والأمن وطرحه للتصويت أمام مجلس الأمن في نهاية عام 2021. وطلب مشروع القرار هذا "دمج المخاطر الأمنية المتعلقة بالمناخ باعتبارها عنصر مركزي في الاستراتيجيات الشاملة لمنع نشوب النزاعات، غير أن مجلس الأمن فشل في اعتماده في نهاية المطاف.¹

الفرع الثاني: التحديات التاريخية والسياسية

على غرار العديد من الدول الإفريقية فإن ما يلفت الانتباه في بلدان منطقة الساحل الإفريقي تجربتها الاستعمارية وتداعيات سياسة التفرقة بين شعوبها، إذ جرد التاريخ الاستعماري شعوب إفريقيا من بناء دولهم على قيمهم الأصلية ومؤسساتهم وتراثهم. وهاته الدولة الإفريقية الحديثة هي نماذج فكر المستعمر، أو بالأحرى هي نسخة للنظام الاستعماري الغربي على المجتمعات المستعمرة من حيث تسلط النظام، ذلك أن سيطرة نخبة معينة على الحكم أدى إلى دكتاتورية السلطة السياسية وتغلغل الفساد وانتشاره، وبذلك ورثت دول الساحل الإفريقي ملامح الفترة الاستعمارية وخاصة سياسة القمع، حيث تحولت الدولة إلى دولة مستبدة مبنية على شخصنة السلطة، كل هذا أدى إلى أن تتعرض الدولة الحديثة في دول الساحل الإفريقي للعديد

¹ Dieng, Adama. "The Sahel: Challenges and opportunities", op, cit, p773

من الازمات السياسية وتبعاتها الاقتصادية، وعلى الرغم من ذلك إلا أن محاولة العودة في هذا التاريخ المتأخر إلى الهويات والموارد الموروثة كقواعد لبناء الدولة الإفريقية الحديثة من شأنه أن يخاطر بانهايار العديد من البلدان. في الوقت نفسه، فإن تجاهل الحقائق العرقية يعني البناء على الرمال الرخوة، وهو أيضاً تمرين محفوف بالمخاطر.¹

تعاني جميع دول هذه المنطقة من هشاشة الدولة وضعف القدرات الإدارية، فبشكل فردي، لا يمكن لأي منهم الاستجابة بشكل مناسب للتحديات التي يواجهونها. هاته الدول الضعيفة التي تقتصر في نظر شعوبها إلى المصادقية والشرعية وبالاقتران مع ندرة الموارد، تكون النتيجة مزيجاً مميئاً، إذ مع تزايد ندرة الموارد تتحول النزاعات حول الوصول إلى الموارد الطبيعية إلى أعمال عنف بشكل متزايد.²

وبالرجوع إلى منهجية تشكيل الدولة الاستعمارية، فقد تم تقسيم مجتمعات الساحل الإفريقي مع تجاهل وعدم الاهتمام بخصائصها المشتركة أو سماتها المميزة، فورثت عن المستعمر حدودا لم تراعى فيه الامتدادات الحيوية للجماعات الإثنية، ووجدت هاته المجتمعات نفسها في أطر إدارية جديدة، تحكمها قيم ومؤسسات جديدة، ومبادئ وتقنيات تشغيلية حديثة، إذ تم استبدال النظرة المحلية المستقلة للنظام القديم بآليات السيطرة للدولة، حيث كانت السلطة النهائية دخيلاً أجنبياً. عملت هذه الآلية من خلال مركزية السلطة، والتي استندت في نهاية المطاف إلى الشرطة والقوة العسكرية، وأدوات الحكم الاستبدادي. ومع ذلك، تم تخفيف هذه القوة

¹ Francis M. Deng, "Ethnicity: An African Predicament", The Brookings Institution, June 1, 1997, on cite: <https://www.brookings.edu/articles/ethnicity-an-african-predicament/> (date of visit : 10.07.2022)

² Morten Bøås, "The Sahel – Fragile States and Weak Political Orders", Australian Institute of International Affairs, 01 APR 2021, on cite: <https://www.internationalaffairs.org.au/australianoutlook/the-sahel-fragile-states-and-weak-political-orders/> (date of visit : 10.07.2022)

الفجة من خلال استخدام الزعماء التقليديين كأذرع ممتدة لسيطرة الدولة على القبائل أو المجتمعات المحلية، مما أعطى هذا النظام المفروض من الخارج شكلاً من مظاهر الشرعية للجماهير.¹

نتج عن هاته التراكمات التاريخية في منطقة الساحل، تشكّل خارطة سياسية متشعبة الأزمت يظهر بها فراغ لم تتمكن الدول ولا الاستجابات الدولية من معالجته بشكل مناسب. يتفاقم هذا بسبب الطبيعة متعددة الأبعاد لأزمة الساحل: إنها تتعلق بالصراع والعنف المزمّن، ولكنها أيضاً أزمة إنسانية ناجمة عن مزيج من ضعف الدولة والتنمية المتعثرة. عواقبه هي النزوح البشري والهجرة على نطاق واسع.

بالحديث عن ضعف الدولة والتنمية المتعثرة بها، فتكاد تتطابق الدراسات الأكاديمية حول تلك المؤشرات السياسية التي خلفت فقدان دول المنطقة لشرعيتها وعدم قدرتها على بناء الدولة الوطنية، فضلا عن فشلها في تحقيق الحد الأدنى من التنمية، ونذكر أبرزها:²

- ✓ غياب الشفافية والحسبة الديمقراطية وكل معايير الحكم الراشد؛
- ✓ كثرة الانقلابات العسكرية، والصراعات العرقية والإثنية على الحكم، فمثلا في موريتانيا أطاح العسكريون أوت 2008 بأول رئيس مدني يصل إلى السلطة عبر الانتخابات، كما قام الجيش النيجيري فيفري 2010 باعتقال الرئيس مامادو تانجا واسقاط حكمه، ثم الانقلاب العسكري في مالي مارس 2012، وهو ما يؤكد عسكرة السياسة في منطقة الساحل الإفريقي³؛

✓ انتشار الفساد والنهب المؤسساتي التابع للدولة؛

✓ ضعف الثقة في المؤسسات السياسية بشكل يجعل المواطنين يعزفون عن الانتخابات؛

¹ Francis M. Deng, "Ethnicity: An African Predicament", The Brookings Institution, June 1, 1997, on cite: <https://www.brookings.edu/articles/ethnicity-an-african-predicament/> (date of visit : 10.07.2022)

² مصطفى ونوعي، "جدلية الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي"، مجلة الدراسات الإفريقية، ع38، جوان 2015، ص263

³ حمدي عبد الرحمان، "النيجر وملامح المشهد الاستراتيجي في غرب إفريقيا"، الأهرام الاستراتيجي، ع184، افريل 2010، ص47

✓ التدهور الحاد في الخدمات العامة، وانتشار البيروقراطية والمحسوبية الإدارية؛ فضلا عن محدودية وشح الوظائف الحكومية للسكان، فعدد الموظفين الحكوميين لكل فرد من السكان يتراوح بين 3 و10 لكل 1000 في تشاد وبوركينا فاسو والسنغال ومالي والنيجر، هذا هو سبب أهمية تدابير تعزيز الحكم¹.

✓ النقص الفادح لمرافق التعليم والصحة، وانعدامها في الكثير من مناطق النائية؛

✓ انتهاك حقوق الإنسان وغياب احترام القانون من قبل إدارات الدولة واستغلال النفوذ لخدمة المصالح الشخصية.

هاته المؤشرات السياسية هي إحدى مداخل المشكلات الأمنية في القارة الإفريقية بشكل عام، وفي المناطق محل دراستنا بشكل خاص. وتكمن المشكلة في كيفية تحقيق استقرار الدولة وبنائها في ظل مجتمعات مجزأة وعرضة للصراع حيث تأكلت فكرة الدولة ذاتها، إن لم تكن قد اختفت تمامًا.² إن التحدي الذي يشكله هذا واضح عندما ننظر في سجل إنجازات المجتمع الدولي لمساعدة جهود بناء الدولة في الدول الهشة. في أغلب الأحيان، لا ترقى هذه الأهداف إلى تحقيق أهدافها المعلنة، حتى في بعض الأحيان يجعل الوضع الصعب يتحول إلى أسوأ، مما يترك البلدان في ظل نظام دولي مصطنع لدعم الحياة، بعيدا عن دعم بناء الدولة الوطنية فيها.

من الأسباب الرئيسية التي جعلت الدولة تفشل، يعود إلى فكرة الدولة في حد ذاتها، إذ ترتبط بشخص الرئيس القائد والحزب القائد، وكذا في القبيلة والعرش والمنطقة والجهة والعرق، وعليه عرفت الدولة بالمنطقة

¹ Yasmine Osman, "The Sahel beyond the conflict: real economic and social development", *Equal Times*, 4 November 2021, on cite: <https://www.equaltimes.org/the-sahel-beyond-the-conflict-real?lang=en#.Y9N7enbMLIU> (date of visit : 15.07.2022)

² Morten Bøås, "The Sahel – Fragile States and Weak Political Orders", *Australian Institute of International Affairs*, 01 APR 2021, on cite: <https://www.internationalaffairs.org.au/australianoutlook/the-sahel-fragile-states-and-weak-political-orders/> (date of visit : 15.07.2022)

بوجود أنظمة عسكرية ونيوبتريمونيالية*، فشلت في بناء كيانات حديثة تضمن الوحدة الترابية لأقاليمها، كما أن الملاحظ لبلدان هاته المناطق لا زالت تعيش فترة ما قبل الدولة أو شبه الدولة، وهو ما يدفع إلى القول إن العجز الوظيفي للدولة في الساحل هو أحد المسببات الرئيسية للمشاكل الممتدة على المستوى المحلي والإقليمي.¹

وتجدر الإشارة أن المنظمات الإفريقية أكدت على عدم المساس بالحدود الموروثة مثل ما أكدت منظمة الوحدة الإفريقية سابقا، فكان التحدي لتلك الكيانات المستقلة حديثا أن تحاول استيعاب الاختلافات القائمة بين الجماعات والإثنيات المكونة لها، وضرورة دمجها في إطار المواطنة، وهذا الأمر خلق مشكلة تقوقع بعض الجماعات حول انتماءاتها الأولى، وفي بعض الأحيان محاولة إظهار تلك الانتماءات إلى الدولة الوطنية، بل وحتى إظهار تطلعاتها تكوين دول لها تضم جماعتها فقط دون غيرها.²

الفرع الثالث: التحديات الديمغرافية والإثنية

تعد منطقة الساحل الإفريقي من حيث البنية الاجتماعية والتركيبية الديمغرافية، المنطقة الأكثر تعقيدا لاحتوائها على العديد من الأعراق وخليط من الإثنيات³، (انظر الشكل رقم 19) وهو ما يضعف التجانس والاندماج الاجتماعي، ويخلق عراقيل داخل الدولة الواحدة وغالبا ما يتعداها إلى دول الإقليم، فمجموع الدول المكونة للساحل الإفريقي تشهد تداخل تلك العرقيات وانتشارها بين الحدود، ففي مالي مثلا تضم كل من: الطوارق، الكانوري، البولس، السونغاي، البامبارا، الجرما والعرب. وفي النيجر نجد؛ الهاوسا، الكانوري،

* الدولة النيوبتريمونيالية، هي الدولة الغنامية التي تعيش على الغنائم، وهي دولة الأقلية التقليدية الأركايبكية التي تسيطر على الثروة والحكم، وهي دولة العصبية القبائلية، التي تعني دولة القبيلة الحاكمة. أي دولة القبيلة العلوية.

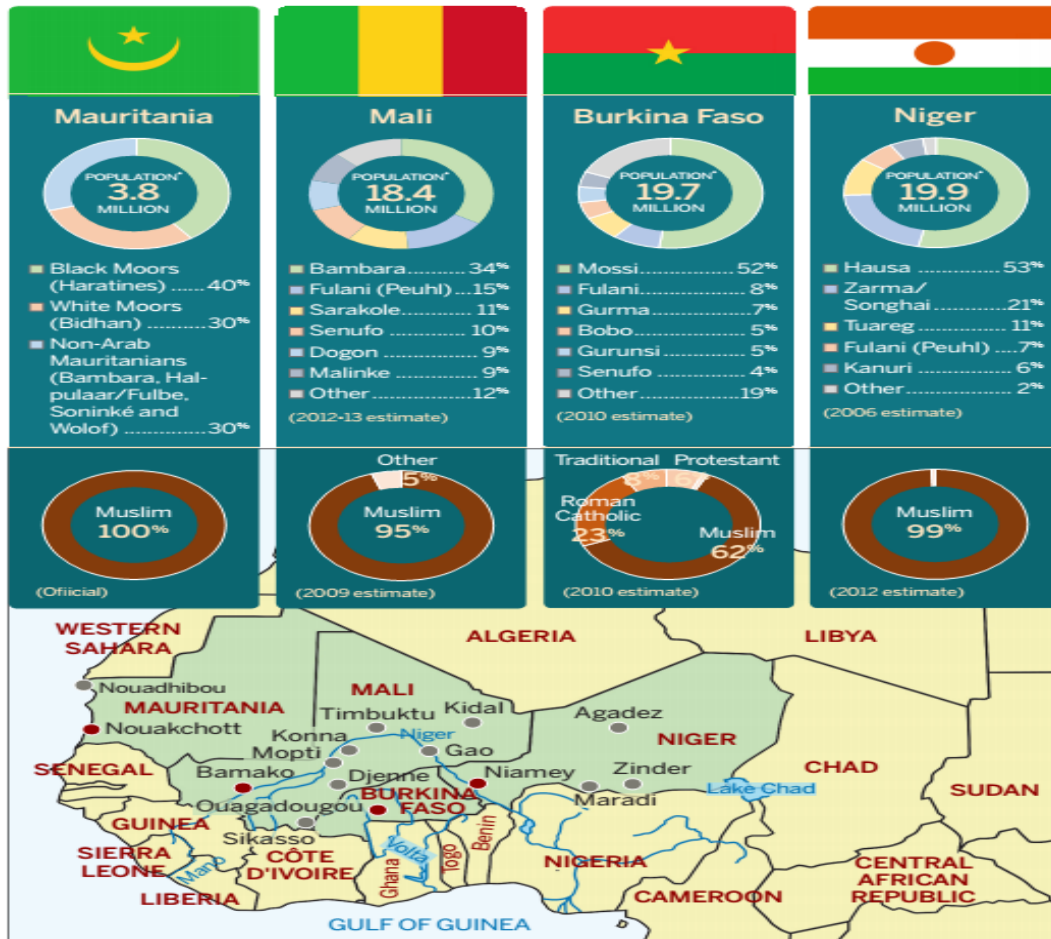
¹ عربي بومدين، فوزية قاسي، "المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية" المستقبل العربي، مج 39، ع 456 فيفري 2017، ص، ص 130، 129

² شاكر ظريف، "أزمة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى: دراسة في الأسباب والانعكاسات"، المجلة العربية للعلوم السياسية، ع 42، أبريل 2014، ص 93

³ الاثنية هي ظاهرة تاريخية تعبر شعب أو قبيلة بغض النظر عن الثقافة والمعتقدات، إذ أنها تشير إلى هوية اجتماعية تستند إلى ممارسات ثقافية معينة ومعتقدات متفردة والاعتقاد بأصل السلالي أو العرقي المشترك.

الطوارق، العرب. وفي تشاد؛ الطوارق، العرب، البايرمي، تاما، ماساليت، التيدا، الكوناري، هاوسا وغيرهم. كل هذا التعدد والتنوع الاثني يضاف إليه تباين الجانب الديني وتنوعه بين المسيحية والإسلام وأصحاب المعتقدات المحلية، وكذا من حيث اللغة فنجد لغات المستعمر الفرنسية والإنجليزية واللغة العربية واللغات المحلية. هاته الطبيعة الاجتماعية المفككة اثنيا وقبليا جعلت من حركات الاندماج المجتمعي غاية الصعوبة خاصة مع غياب ثقافة سياسية وطنية موحدة، مما يسبب في أزمات داخلية مثل أزمة الطوارق في مالي والنيجر، والاضطرابات العرقية في موريتانيا، والصدمات الإثنية في تشاد.¹

الشكل رقم (19): دول الساحل من حيث التنوع الاثني/العربي والكثافة السكانية



Mauritania, Mali, Burkina Faso and Niger – four of the Sahel countries. Statistics source: CIA Fact Book (* Population sizes are July 2018 estimates).

Source: Morten Bøås, *The Sahel Crisis and the Need for International Support*. Mali: February, 2010, p4

¹ محمد بوبوش، الامن في منطقة الساحل الافريقي والصحراء. مرجع سبق ذكره، ص 19

فالظاهرة الإثنية تعتبر أحد الأسباب الرئيسية لاندلاع الحروب الأهلية وانهيار الدولة الوطنية، حيث أن تعدد الاثنيات داخلها يثير في أغلب الأحيان نزاعات بين هاته الانتماءات المتباينة والتي تسعى كل واحدة منها إلى السيطرة على زمام السلطة والثروة وإقصاء الآخر، وقد تلجأ إلى الاستعانة بقوى خارجية تقوي مركزها،¹ كما تثار الأزمة بين تلك الاثنيات عندما يتم رسم السياسات العامة للدولة بتحيز إلى جماعة إثنية ما ويتم تجاهل الجماعات الأخرى داخل الدولة.

تعد تركيبة هاته المجتمعات المترامية في فضاء الساحل الإفريقي في ظل غياب ثقافة سياسية وطنية موحدة لدول المنطقة، هو ما ينتج أزمات داخلية وخارجية معقدة تجعل من الصعوبة التحكم فيها فهي في الغالب صراعات ونزاعات ذات طابع اثني وعرقي، أثرت على الدول في كل المجالات السياسية والاقتصادية، فعلى سبيل المثال نجد مشكلة الطوارق في مالي وصراعاتها مع العرقيات الأخرى ومواجهة دامية مع الدولة المالية، فالطوارق عرق منتشر في اغلب دول الساحل ففي النيجر تحوي 800 الف نسمة، تليها مالي 500 الف، ليبيا بـ70 الف وبوركينا فاسو بـ35 الف، كما يتواجدون بالجزائر بنسبة اقل، وقدما اطلق على مناطق تواجدهم باسم الأزواد.²

إن ما يميز الكثافة السكانية في منطقة الساحل الإفريقي إنها جد منخفضة مع تنوع وتباين كبير في الاتجاهات العرقية والدينية، ويقدر تعداد السكان بمنطقة الساحل محل الدراسة بحوالي 83 مليون ساكن، (انظر الجدول رقم:03)، وتعاني هاته الكثافة السكانية من اختلالات واضحة في توزيعها إذ هناك مناطق تقريبا خالية من السكان، وتتشارك دول المنطقة الخصائص الديمغرافية نفسها وهي: وجود كثافة سكانية ضعيفة جدا بكل المناطق الشمالية في حين تكون مرتفعة جدا بالعواصم السياسية أي الأجزاء الجنوبية من

¹ عبد السلام البغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا. ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص29.

² حنان لبدي، التحولات الدولية الراهنة وأثرها على الاستراتيجية الأمنية الأوروبية، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015،

الدول، فمثلا في موريتانيا يرتفع النمو الديمغرافي بالعاصمة نواكشوط حيث يقطن ربع السكان، أما المناطق الأخرى فتتميز بكثافة سكانية منخفضة جدا،¹ وفي مالي، يبلغ عدد سكان العاصمة باماكو أكثر من 1.5 مليون نسمة، أو 12% من السكان يعيشون بالعاصمة باماكو، في حين أن النصف الشمالي من البلاد قليل الكثافة السكانية. وبالمثل، فإن ثلاثة أرباع النيجر صحراء. تمثل العاصمة السياسية والديموغرافية، نيامي، التي يبلغ عدد سكانها ما يقرب من 900 ألف نسمة، ما يقرب من 6% من سكان البلاد، أي نسبة أصغر مقارنة بالإطار الحضري لموريتانيا ومالي.²

إذن، يؤدي التفاوت الجغرافي إلى اختلافات كبيرة في توزيع السكان موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد، التي تشمل مناطق صحراوية شاسعة، بها كثافة سكانية أقل من 20 نسمة لكل كيلومتر مربع. على النقيض من ذلك، تمتلك السنغال وبوركينا فاسو مناطق أصغر نسبياً، مع كثافة أعلى بنحو أربعة أضعاف.³ وتتسارع مؤشرات النمو الديمغرافي في المنطقة فحسب تقارير الأمم المتحدة من المتوقع أن تستمر بلدان إفريقيا جنوب الصحراء في النمو حتى عام 2100 وأن تساهم بأكثر من نصف الزيادة السكانية العالمية المتوقعة حتى عام 2050.⁴ ومع وجود 64.5% من السكان تحت سن 25 عاماً،⁵ نلاحظ أن منطقة الساحل تعد واحدة من أكثر مناطق العالم التي تمتلك على نسبة عالية من الشباب. وبالرغم من هاته الميزة النادرة لم تستفد دول المنطقة من الاستثمار في هاته الفئة لغرض خلق مكاسب ديمغرافية تساعدها في تخطي مشاكلها الوطنية.

¹ الطيب بروال، الامن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، مرجع سبق ذكره، ص 88

² Gérard-François Dumont., **LA GÉOPOLITIQUE DES POPULATIONS DU SAHEL [Sahel : the populations geopolitics]**. Paris: Cahier du CEREM, 2009, p34

³ International Energy Agency, **Clean Energy Transitions in the Sahel**. France: IEA Publications, 2021, p23

⁴ Department of Economic and Social Affairs Population Division, **World Population Prospects 2022: Summary of Results**. New York: United nation, 2022, p8

⁵ United Nations, "**THE SAHEL: LAND OF OPPORTUNITIES**", Article on cite: <https://www.un.org/africarenewal/sahel> (date of visit : 10.07.2022)

الجدول رقم (11): المؤشرات الديموغرافية الرئيسية لدول منطقة الساحل

الدولة	السكان (بالملايين)	المعدل السنوي للزيادة الطبيعية (%)	الكثافة السكانية (فرد لكل كيلومتر مربع)	معدل الخصوبة الإجمالي (متوسط عدد الأطفال لكل امرأة)
بوركينافاسو	17.9	3.1	65	5.9
تشاد	13.3	3.3	10	6.6
مالي	15.9	2.9	13	6.1
موريتانيا	4.0	2.6	4	4.1
النيجر	18.2	3.9	14	7.6
السنغال	13.9	3.2	71	5.3

Source: Population Reference Bureau, Demographic Challenges of the Sahel, 14/01/2015

on cite: <https://www.prb.org/resources/demographic-challenges-of-the-sahel/>

الفرع الرابع: التحديات الاقتصادية، الإنمائية والإنسانية

يعتمد التنفيذ الفعال للسياسة الاقتصادية في أي بلد بشكل كبير على جدوى النظام القانوني، والتي تنعكس عادةً في مدى إنفاذ القانون والنظام في البلاد، ونظرًا لأن إدارة الجودة أصبحت أداة رئيسية لتحقيق النمو المستدام وأغراض التنمية في جميع أنحاء العالم، فإن إنشاء بيئة اقتصادية كلية مواتية يتطلب سياسات تتضمن مؤشرات حوكمة تضمن إدارة الجودة الحيادية، ومكافحة الفساد، وفعالية الحكومة في تنفيذ السياسات، وإبداء الرأي والمساءلة في جميع الأنشطة الحكومية، وتحسين الجودة التنظيمية من خلال التطبيق المتسق للقواعد. كل هذه الشروط ضرورية لضمان نوعية البيئة للاقتصاد الكلي التي يمكن أن تعزز زيادة المدخرات والاستثمار والنمو الاقتصادي.

ومع ذلك، في العديد من الاقتصادات في أفريقيا ومنطقة الساحل الإفريقي بوجه خاص، تدهورت جودة الحكم منذ حصولها على استقلالها إذ تشترك دول الساحل الإفريقي في ضعف وهشاشة وتدهور اقتصادها، حيث أنها تصنف حاليًا ضمن فئة الدول الأقل نمواً، نتيجة الكثير من الاختلالات التي تعاني

منها بدأ من الفساد السياسي الاقتصادي، إلى كثرة الديون الخارجية الكبيرة والتي جعلتها دولا خاضعة للدول والمنظمات المدنية، كما تعاني دول الساحل الإفريقي من تركيز الثروات في المدن الكبرى وفي العواصم رغم محدودية مساحتها على حساب المساحات الكبرى ذات البيئة الجافة وقلة السكان، مما خلق انعدام التوزيع العادل للثروات واستمرار الفقر والحرمان، ولا يستفيد من تلك الثروات إلا الشركات المستغلة والفئات التي تدور في فلكها¹

وبالحديث عن تعاضم أزمة الديون التي وقعت بها دول منطقة الساحل الإفريقي كغيرها من دول جنوب الصحراء الكبرى، بدأت منذ الثمانينات من القرن العشرين تقريبا حين لم تعد هاته الدول قادرة على الدفع حيث كانت تحديات التنمية داخل حكومات هاته الدول تحتم عليها وجود رؤوس أموال كبيرة، فكان لا بد من الاستدانة باعتبار أنها ستساعدها على التنمية الاقتصادية السريعة، غير أنها وقعت ضحية تراكمات الديون ولم تعد الدول قادرة على السداد، ومن أسباب تفاقم المديونية؛ ازدياد أسعار الفائدة، وانخفاض أسعار المواد الخام والتي كانت المخرج الأساسي لسداد تلك الديون،² بالإضافة إلى أسباب أخرى كسوء استخدام الحكومات المحلية لحصيلة الديون، أو فرض الدول الدائنة استخدام تلك الأموال في مجالات لا تصب في صالح التنمية الاقتصادية لدول المنطقة.

بلغت الديون الخارجية لدول منطقة الساحل الإفريقي 77 مليار دولار أمريكي في عام 1982، وأخذت ترتفع إلى 164 مليار دولار في عام 1990م، معظم إجمالي الديون أي نحو 83% هي مستحقة لحكومات

¹ سالي محمد فريد، "الساحل والصحراء ما بين الإمكانيات الاقتصادية وفرص الاستثمار الجاذبة وبين انتشار ظاهرة الإرهاب" مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، 2021/09/18 متاح على الرابط: <https://pharostudies.com/?p=7818> (تاريخ الاطلاع: 2022/12/28)

² جيهان عبد السلام عباس، "الديون الخارجية وتأثيرها على النمو الاقتصادي في افريقيا جنوب الصحراء: دراسة قياسية منذ 2006"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، ع16، أكتوبر 2022، ص10

دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية والمؤسسات الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وباقي ديون (17%) هي مستحقة لبنوك خاصة أوروبية.¹

ووفقا للتقارير المتتالية التي يصدرها البنك الدولي للفترة من 2010 إلى 2021 تظهر أن معظم الدول الإفريقية تحت ازمة ديون خانقة، حيث تكافح من أجل سداد ديون متراكمة بلغت 665 مليار دولار أمريكي،² حجم ديون منطقة الساحل بلغ 140 مليار دولار أمريكي عام 2021، وقدر حجم الديون الخارجية لدولة مثل النيجر 4980 مليون دولار، وبوركينا فاسو بحوالي 1751 مليون دولار، وتشاد بحوالي 2134 مليون دولار، ومالي بحوالي 1863 مليون دولار وموريتانيا بلغ نهاية عام 2022 الدين الوطني إلى 4960 مليون دولار أمريكي.³

وفي الجدول التالي نعرض تطور قيمة الديون الخارجية لدول منطقة الساحل طيلة السنوات العشر

الأخيرة

الجدول رقم (12): قيمة الديون الخارجية لدول منطقة الساحل الإفريقي وما جاورها للسنوات من 2012-2021 (بالمليار دولار الأمريكي)

السنوات الدولة	2021	2020	2019	2018	2017	2016	2015	2014	2013	2012
مالي	6.46	5.83	5.01	4.60	4.33	3.85	3.75	3.52	3.48	3.07
النيجر	4.98	4.57	3.60	3.19	3.05	2.52	2.23	2.00	1.98	1.78
موريتانيا	4.82	5.71	5.37	5.23	5.24	5.08	4.99	4.53	4.52	4.28
السنغال	28.93	23.29	19.24	18.98	14.25	11.47	10.48	10.76	8.18	7.11
بوركينافاسو	10.30	9.76	9.16	10.62	12.77	10.25	12.60	10.30	8.94	7.43
نيجيريا	76.21	70.52	60.04	54.20	45.78	35.72	32.41	24.63	24.48	21.47
تشاد	3.93	3.67	3.33	3.24	3.12	2.86	2.80	3.72	2.91	2.35

¹ نفس المرجع، ص 11

² سالي محمد فريد، "الساحل والصحراء ما بين الإمكانات الاقتصادية وفرص الاستثمار الجاذبة وبين انتشار ظاهرة الإرهاب" مرجع سبق ذكره

³ Aaron O'Neill, "Mauritania: National debt from 2017 to 2027" *Statista*, Dec 2, 2022, on cite: <https://cutt.us/l8N4e>. (date of visit : 10.12.2022)

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على: World Bank Group, **International Debt Report 2022: Updated**

20222013-International Debt Statistics. Washington, DC: World Bank,

قد كان عبء الديون الذي تواجهه معظم البلدان الإفريقية عائقًا كبيرًا أمام نموها وتنميتها، وزاد من مستوى فقرها مع ما يترتب على ذلك من تدني مستويات المعيشة. ووفقًا لمنظمة العمل الدولية، فإن العبء الهائل لديون دول منطقة الساحل الإفريقي يمثل عقبة خطيرة أمام خلق فرص العمل والنمو، حيث يتم تحويل موارد الاستثمار التي ينبغي استخدامها في المساعي الإنتاجية، للوفاء بالتزامات خدمة الدين الخارجي. أعباء هاته الديون تصل إلى ثلاث أضعاف قيمة صادراتها السنوية، وهي تتفق على سداد هاته الديون أكثر مما تنفقه على الصحة والتعليم مجتمعتين، ويظهر في الجدول رقم 12 نسبة الدين العام لحكومات دول منطقة الساحل في مقابل قيمة الناتج المحلي الإجمالي

الجدول رقم (13): الدين الخارجي لحكومات منطقة الساحل الإفريقي وماجاورها سنة 2021 (% من الناتج المحلي الإجمالي)

ديون الحكومات بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي (% of GDP)						
2022	2021	2020	2019	2018	2017-2010	دول منطقة الساحل
49.5	48.6	45.0	39.8	36.9	23.6	النيجر
50.6	51.0	47.4	40.6	36.1	28.8	مالي
44.3	44.0	47.2	52.3	49.1	38.1	التشاد
36.9	35.7	35	29.2	27.7	18.7	نيجيريا
48.9	48.2	46.5	42	38	28.5	بوركينافاسو
70.1	71.9	68.7	63.8	61.5	41.0	السنغال

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على التقرير: International Monetary Fund, "Regional Economic Outlook sub-

saharan Africa", Washington, DC: International Monetary Fund, 2021, p31

ومن الجدول أعلاه المستخلص من التقرير السنوي الصادر عن صندوق النقد الدولي IMF واعتمادا على تقرير صادر عن تقرير آفاق الاقتصاد الإفريقي، كشف أن عتبة 60% من الدين إلى الناتج المحلي الإجمالي التي حددها برنامج التعاون النقدي الإفريقي (AMCP) وبالمثل، نسبة الدين إلى الناتج المحلي الإجمالي البالغة 55% التي اقترحها صندوق النقد الدولي قد تم تجاوزهما من قبل بعض الدول مثل السنغال في الفترة من 2018 إلى 2022. وباقي دول منطقة الساحل ليست ببعيدة منها، نظرا لما تجده هذه البلدان من صعوبة في خدمة مدفوعات الديون المستقبلية، مع ما يترتب على ذلك من آثار خطيرة على تكاليف الاقتراض وعوائد السندات الحكومية.

إلى جانب أزمة المديونية، اتبعت اغلب دول منطقة الساحل سياسات أضعفت مواقعها الخارجية. فقد أدى تزايد العجز المالي والطلب المتزايد على الائتمان الخاص إلى التوسع النقدي السريع في هاته البلدان، الأمر الذي ساهم بدوره في ارتفاع التضخم، حيث ارتفعت أسعار المستهلك في المتوسط بأكثر من 20 في المائة سنويًا منذ الثمانينيات. نظرًا لأن معظم هذه البلدان لم تخفض قيمة عملاتها لتعويض هذا التأثير التضخمي، فقد أصبحت العديد من العملات مقومة بأعلى من قيمتها. أدى ذلك إلى إعاقة الصادرات وشجع على تكوين أسواق الصرف الموازية. كما كان الحد من الصادرات هو الممارسة الشائعة لتسويق المحاصيل من خلال وكالات القطاع العام الاحتكارية التي قدمت أسعارًا منخفضة للمنتجين كوسيلة للوفاء بالتكاليف وزيادة الإيرادات الحكومية.¹

كما شجعت السياسات الاقتصادية المحلية الواردات، من خلال العملات المبالغية في تقدير قيمتها وتدابير أخرى. دعمت العديد من البلدان المواد الغذائية المستوردة والأسمدة والمنتجات البترولية كمسألة سياسية. بالإضافة إلى ذلك، شجعت التشريعات الجمركية على نمو مؤسسات التصنيع غير الفعالة والمكثفة

¹ Greene, Joshua E. "External Debt Problem of Sub-Saharan Africa". *Analytical Issues in Debt*. USA: International Monetary Fund, 1989, p53

للاستيراد من خلال فرض معدلات تعريفية عالية أو قيود كمية على واردات السلع التامة الصنع، في حين كانت التعريفات الجمركية على المواد الخام المستوردة والسلع الوسيطة منخفضة أو غير موجودة.

وأدت أسعار الفائدة الحقيقية السلبية في العديد من البلدان إلى تثبيط المدخرات المحلية، وشجعت تدفقات رأس المال إلى الخارج، وساهمت في تراكم الديون من خلال اشتراط اقتراض كبير لتمويل المشاريع الاستثمارية. بالإضافة إلى ذلك، أدت معدلات التضخم المرتفعة، وضوابط رأس المال، والقيود الواسعة على الاستثمار إلى تثبيط الاستثمار المباشر والنمو الذي كان من الممكن أن يولده.¹ إجمالاً، زادت هذه السياسات من احتياجات الاقتراض وخفضت عائدات الصادرات، مما قلل من قدرة بلدان منطقة الساحل على الوفاء بالتزامات خدمة الديون المتزايدة.

أدت نقاط الضعف في الهياكل الأساسية لدول الساحل بالإضافة إلى المناطق القاحلة الشاسعة المسؤولة عنها إلى ممارسة الاستعانة بمصادر خارجية للوظائف الأساسية للدولة (إدارة الاقتصاد، وتوفير الخدمات، والأمن). غالباً ما يُطلب من مجموعة من الفاعلين غير الحكوميين، بما في ذلك الزعماء المحليين وزعماء القبائل والمنظمات التقليدية وحتى مجموعات المساعدة الدولية، القيام بأدوار تقوم بها الدول عادةً، وهو الأمر الذي يخلق فراغاً وظيفياً ظاهراً تستغله جهات أخرى لصالحها.²

من جانب آخر، تُصنف دول الساحل من بين أدنى دول العالم على مؤشر التنمية البشرية (HDI) بسبب عدم المساواة في الحصول على الرعاية الصحية والتعليم الجيد، الأمر الذي يحمل علاقة مباشرة مع عدم المساواة في الدخل والثروة. إن وصول السكان إلى الرعاية الصحية محدود بشكل خاص بسبب تكلفة الخدمات، حيث أن أكثر من 50% من العائلات غير قادرة على تزويد أطفالهم بالرعاية الطبية التي يحتاجون إليها. ونتيجة لذلك، فإن معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة في السنغال مثلاً يزيد مرتين ونصف المرة

¹ Ibid, p54

² Ahmet Berat Çonkar, "développement et sécurité dans la région du sahel", op, cit, p2

بين أفقر 20% من السكان عنه بين أغنى 20%. وفي تشاد، تزداد احتمالية حصول النساء في الخمس الأغنى بأربع مرات ونصف على رعاية مؤهلة أثناء الولادة مقارنة بالنساء في الخمس الأفقر. ونفس الوضع يتكرر في كل من مالي والنيجر. تتفاقم هذه التفاوتات بسبب الموقع الجغرافي، حيث أن كثافة العاملين في مجال الرعاية الصحية في المناطق الريفية منخفضة بشكل مقلق، مما يؤدي إلى عواقب مأساوية. كما أن للوضع الاقتصادي للأسر تأثير حاسم على التحصيل التعليمي للأطفال. ففي بوركينا فاسو ومالي مثلا، غالبًا ما تثبت المستويات المعيشية للأسر أنها المحرك الرئيسي لالتحاق الأطفال بالمدارس، مما يؤدي إلى وجود فجوات واسعة بين أغنى وأفقر شرائح السكان، كما تتدنى معدلات الالتحاق بالمدارس بين 2% و3% للأطفال الرعاة الرحل.¹

ومسألة عدم المساوات نجدها تتكرر في كل مناحي الحياة لدى شعوب دول المنطقة، فيتأثر عشرات الملايين من السكان في المناطق البعيدة عن عواصم بلدان الساحل بشكل خاص بعدم المساواة في الوصول إلى الخدمات الأساسية كالصحة، التعليم، الأمن، مياه الشرب ... إلخ.

¹ Jean-Denis Crola, **Sahel: fighting inequality to respond to development and security challenges**. UK: Oxfam International, 2019, p05

المطلب الثاني: مظاهر التهديدات الأمنية العابرة للحدود وتداعياتها على استقرار دول منطقة الساحل

بعد أن عرجنا على أبرز التحديات الداخلية التي تشهدها بلدان منطقة الساحل الإفريقي منذ استقلالها، والتي تتشابه في جل خصائصها، كان لا بد من خلال هذا المطلب التعرض إلى التحديات الخارجية ومظاهر التهديدات الأمنية العابرة لحدود دول المنطقة، إذ شهدت الأوضاع الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي هشاشة متزايدة نتيجة بروز مشاكل وتهديدات جديدة عابرة للحدود تتجاوز مسألة السيادة، لتشكل أزمة إقليمية بالغة التعقيد والتشابك، ونظرا لخصوصية المنطقة التي تغطي مساحة شاسعة قاحلة وجرداء، الأمر الذي حول أجزاء كبيرة منها إلى ملاذات للجماعات الإرهابية وسوقا للتجارة غير الشرعية ومرتعا للجريمة المنظمة، وسنركز في هذا المطلب على أبرز مظاهر التهديدات الأمنية العابرة للحدود وتداعياتها على استقرار دول هاته المنطقة.

الفرع الأول: معضلة الإرهاب في منطقة الساحل الإفريقي

تتصدر ظاهرة الإرهاب التهديدات العابرة للحدود في إفريقيا، إذ ما فشلت في تحقيقه المنظمات الإقليمية كالاتحاد الإفريقي، وما لم تتجح في تحقيقه اللجان المشتركة والاتفاقيات الثنائية والزيارات المتبادلة نجحت فيه الحركات الإرهابية في إفريقيا ومنطقة الساحل بشكل خاص، والتي أضحت على قدر كبير من التنسيق والتعاون في شن الهجمات وتبادل الخبرات، فتحوّلت المنطقة بأكملها إلى ساحة مواجهة جديدة بين تنظيم القاعدة وامتداداتها المحلية وبين الأنظمة القائمة وانخراط الغرب في مسانبتها ودعم أنظمتها الفاشلة في معظمها.¹

¹ نبيل بويبة، الجزائر والمشاريع الإقليمية والدولية لبناء السلم في منطقة الساحل الإفريقي: التحديات والرهانات، أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، (2018)، ص 313

دول منطقة الساحل بضعف حكوماتها وفشلها في إحكام سيطرتها على مساحاتها الشاسعة جعلت نمو وتغلغل الظاهرة الإرهابية يزداد بوتيرة متسارعة، فوجدت المنظمات الإرهابية في هشاشة المنطقة، وخصوصيتها التي يغلب عليها الطابع البدوي والرعوي والجفاف والتصحر والفقر عوامل أساسية في اتخاذ المنطقة مقرا ومنطلقا لمختلف عملياتها الإجرامية في الدول المجاورة،¹ بالإضافة إلى افتقار هاته الدول إلى قوات عسكرية متمرسة في مجابهة خطر تلك التنظيمات الفاعلة في المنطقة (جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، حركة الوحدة والجهاد، تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، حركة أنصار الدين التارقية)،² كما تجدر الإشارة إلى أن بروز تلك الجماعات الإرهابية تزامن مع اكتشاف العديد من الثروات الباطنية: الذهب، البترول، اليورانيوم، الحديد والأحجار الكريمة ... في كل دول الساحل الإفريقي، خاصة الجزائر، ليبيا، مالي، النيجر وموريتانيا³. وقد أدى ذلك إلى أن تصبح المنطقة بؤرة للصراع. احتلت نيجيريا المرتبة الثالثة في العالم في مؤشر الإرهاب العالمي لعام 2020، بعد أفغانستان والعراق. واحتلت كل من مالي وبوركينا فاسو المركزين 11 و12 على التوالي.⁴

ركزت الجماعات الإرهابية انتشارها بالصحراء التي تعرف اليوم باسم "تورا بورا الصحراء"، أو الصحراء داخل الصحراء الكبرى الإفريقية، وهي التي تمتد من عرق تينزروفت الذي يخترق الجزائر ومالي وموريتانيا غربا إلى جبال تيبستي شمال غرب تشاد، ومن وديان جنوب جبال الأهمقار الجزائرية شمالا إلى تخوم نهر النيجر، (بمعنى أنها منطقة تمتد عبر دول النيجر، مالي، الجزائر، موريتانيا). وتقدر مساحة المنطقة مثلثة

¹ دالع وهيبه، السياسة الخارجية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي 1999-2014، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2014، ص150

² عادل زقاع، سفيان منصور، "امن منطقة الساحل الإفريقي: بين المنظور الأمني الفرنسي والاستراتيجية الأمنية الجزائرية". المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج04، ع01، جانفي 2014، ص62

³ محمد رزيق، "التقلبات الجيوسياسية في المنطقة العربية ومنطقة الساحل وتداعياتها على الأمن القومي الجزائري"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج17 / ع02، (2020)، ص394

⁴ Institute for Economics and Peace, **Global Terrorism Index 2020 Measuring The Impact Of Terrorism**. New York: Institute for Economics and Peace, 2020, p94

الشكل بحوالي 720 كلم². ولصعوبة مسالك هاته المنطقة وتضاريسها التي تمنع تعقبهم، استغلتها الجماعات الإرهابية مرتعا لهم ولنشاطهم.¹

ديناميكية الإرهاب في منطقة الساحل الإفريقي أدت إلى أشكال هجينة جدًا من العنف حيث يتفاعل الدفاع عن النفس والتمرد والجهادية، ويتواجهان ويتغذيان ببعضهما البعض، فتتعدّد بذلك دراسة هاته الظاهرة ويصعب على الدول المركزية التعامل معه، فتقع بذلك هاته الأخيرة في أخطاء استراتيجية تستغلها نفس التنظيمات الإرهابية في التغلغل.²

تنتشر بمنطقة الساحل الإفريقي العديد من التنظيمات الإرهابية ذات التكوينات المختلفة ولعل البعد الديني والاثني يعد السمة الأساسية في تكوينها وركيزة تواصلهم واندماجهم في أغلب الأحيان، وأخطر تلك التنظيمات هي التي حملت لواء الدين شعارا لها، وبلغ نشاطها إلى بقاع متعددة من العالم خارج إقليم الساحل الإفريقي، الأمر الذي جذب أنظار القوى العالمية للمنطقة وإعطاءها حجة قوية للتدخل في المنطقة وشؤون دولها التي عجزت أغلبها في مواجهة هاته التنظيمات، وفي النقاط التالية نذكر أهم تلك التنظيمات النشطة في المنطقة:

1- تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي:

يعد أقدم تنظيم في منطقة الساحل الإفريقي له خلفية دينية متعصبة، إذ يرجع جذور هذا التنظيم إلى الجماعة الإسلامية المسلحة (GIA)، وهي كيان إسلاموي إرهابي التزم بالإطاحة بالحكومة الجزائرية في أوائل التسعينيات. ومنه ظهرت الجماعة السلفية للدعوة والقتال عام 1998 وبعد عملية التطوير التي

¹ إدريس عطية، "الإرهاب كمصدر جديد لتهديد الأمن في الساحل الإفريقي أولوية بناء الأمن بدل استيراده"، مجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد 06، ع01، (جوان 2019)، ص89

² Mathieu Pellerin, **Les violences armées au Sahara**. paris: Études de l'Ifri, 2019, p47

استمرت قرابة العشر سنوات، حيث ظهرت على الساحة الدولية في بداية عام 2003 مع الاستيلاء المذهل على ثلاثة وثلاثين سائحًا أوروبيًا في أقصى جنوب الجزائر*.

وقد كان اعتراف القاعدة المركزية بتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي جاء نتيجة لعملية طويلة وشاقة. بدأ ذلك في زمن الجماعة الإسلامية المسلحة ووصل أخيرًا إلى ذروته في عهد عبد المالك دروكدال، أول أمير للجماعة السلفية للدعوة والقتال ثم زعيم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي. تطورت الجماعة السلفية للدعوة والقتال ثم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي لتصبح فاعلاً إقليمياً ملتزماً أيديولوجياً جنباً إلى جنب مع الشركة الأم في معركتها ضد الغرب وفي النضال من أجل تحرير الأمة. ومنذ عام 2005، كرس دروكدال نفسه لترجمة وعوده بالولاء لابن لادن إلى أعمال ملموسة على الأرض. بشكل ملموس، بدأ هو ومساعديه بتشكيل روابط مع العديد من المنظمات الإرهابية الأخرى مثل GICM (الجماعة الإسلامية المقاتلة في المغرب)، و GICL (الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا)، و GICT (الجماعة الإسلامية المقاتلة في تونس)، وكذلك إلى جانب العديد من الجماعات الإسلامية الأخرى العاملة في موريتانيا ومالي، وقد كان الهدف توحيد جميع الجماعات الإرهابية تحت راية ما كان سيصبح تنظيمًا للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وإعادة تحديد دورها في إطار قتال مشترك على المستويين الإقليمي والدولي¹، ولم يكن يهدف تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي إلى احتلال سلطة الدولة في دول جنوب الصحراء الكبرى، بل كانت الغاية إنشاء إمارة تغطي مساحتها الجغرافية ("الصحراء الكبرى") منطقة جديدة تمتد غرباً من

* أخذ الرهائن هذا كان من عمل أماري الصايقي، المعروف باسم البار وقد كان هذا الضابط السابق في القوات الخاصة الجزائرية قد تدرّب من 1994 إلى 1997 من قبل القبعات الخضراء الأمريكية في Fort Bragg. أحد الشخصيات الرئيسية في الجماعة السلفية للدعوة والقتال، تم تسليمه إلى الحكومة الجزائرية في عام 2004. ووفقاً للبعض، كان عميلاً لدائرة الاستعلام والأمن (DRS) المسؤولة عن التسلل إلى هذه المجموعة.

¹ Pahlavi, Pierre, et Jérôme Lacroix Leclair. " L'institutionnalisation d'AQMI dans la nébuleuse Al-Qaida ", *Les Champs de Mars*, vol. 24, no. 2, 2012, pp. 12,13

أقصى الجنوب الغربي للجزائر إلى شمال مالي وموريتانيا، ومن الشرق من كتلة تيميرين الجزائرية- المالية، على حدود تشاد.¹

هذا التحول لمنطقة الساحل إلى "إمارة حرب" له أهمية إستراتيجية للتنظيم لأنه ينقل مركز ثقل تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي من الجزائر إلى منطقة الساحل لجعله مخبأه الدولي الرئيسي. تنفذ الجماعات المسلحة التابعة للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي عمليات في كل دول منطقة الساحل الإفريقي، فالنيجر كانت الدولة التي يكون فيها أخذ الرهائن أكثر شيوعًا، وكانت موريتانيا مركز الهجمات على الثكنات والمباني الدبلوماسية وبدرجة أقل بشأن أخذ الرهائن، أما بالنسبة لشمال مالي، فقد كانت ملاذًا للتنظيم لفترة طويلة،² ينقسم هذا الملاذ إلى "كتلتين" يرأسهما أمراء يتنافسون على القيادة، ويؤدي ثلاث وظائف: احتجاز الرهائن ومكان الإعدام ومصدر توريد الذخيرة.

يعتبر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أبرز فرع تابع للقاعدة عندما يتعلق الأمر بختف الأجانب وتقديم الفدية، حيث جمع أكثر من 90 مليون دولار بحلول نهاية عام 2012. كما يشن هذا التنظيم مئات الهجمات الصغيرة كل عام ضد قوات الأمن التابعة للأمم المتحدة والفرنسية والمحلية، مما أسفر عن مقتل المئات منهم، ويمتلك التنظيم نظام استخباراتي فعال للغاية يسمح لها بتوقع العمليات التي يتم إطلاقها ضدها، فيحوز على تكنولوجيا متطورة، بما في ذلك في مجال الاتصالات.³ ومع ذلك، ولأسباب واضحة، فهي محصورة (في مجال الروابط الإستراتيجية) بوسائل قديمة أكثر بكثير تمر عبر الرسل. هذا الجانب الأخير يدل على قدر كبير من التنقل.

¹ Bourgeot, André. " Sahara de tous les enjeux ", *Hérodote*, vol. 142, no. 3, 2011, p. 56

² ibid, p. 59

³ Ibid, p 60

2- حركة أنصار الدين:

جماعة أنصار الدين، التي تُرجمت إلى "حماة الدين"، هي جماعة سلفية جهادية تأسست في ديسمبر 2011 من قبل مقاتل الطوارق إياد أغ غالي، ركزت الحركة نشاطها بشمال مالي وتروج نفسها باعتبارها الناطق الرسمي لأبناء المنطقة الذين يعانون التهميش والإقصاء، ولذلك استقطبت أبناء المنطقة والالتحاق بصوفوها كون أن خطاباتها أقرب إلى معاناتهم اليومية، فهي تعد الجماعة الدينية الوحيدة في المنطقة التي يقودها وينتمي لها أبناء المنطقة ولا تحمل عقدة المقاتلين الأجانب، وفي إطار محاربتها للنظام القائم في دولة مالي تسعى الجماعة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ومحاربة كل رموز الدولة واستهداف المراكز العسكرية فقط دون الوصول إلى المواقع المدنية والشعبية¹،

اشتهرت جماعة أنصار الدين بتورطها في انقلاب مالي عام 2012. في أوائل عام 2012، أطلق المتمردون بقيادة الحركة الوطنية لتحرير أزواد (MNLA) انتفاضة للسيطرة على شمال مالي بينما قام الجيش المالي بانقلاب وتم الإطاحة به. رئيس مالي. استغلت جماعة أنصار الدين والحركة الوطنية لتحرير أزواد والقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي والحركة من أجل التوحيد والجهاد في إفريقيا (MUJAO) الانتهاك الأمني من خلال العمل معاً لغزو شمال مالي وهزيمة قوات الأمن المالية واحتلال المنطقة. عندما استولت الحركة الوطنية لتحرير أزواد على أراض جديدة، سيدخل أنصار الدين المنطقة للمساعدة في احتلالها، ولكن بعد ذلك يتولى القيادة من الحركة الوطنية لتحرير أزواد لتحقيق هدفه المتمثل في تثبيت قانون الشريعة.²

¹ عبد الرؤوف بن الشهب، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الجزائرية في ظل التهديدات الأمنية لدول الجوار 1999-2018، أطروحة

دكتوراه، جامعة قسنطينة3، 2019، ص176

² Center for International Security and Cooperation, "Ansar Dine is an Islamic Tuareg militant organization operating in Mali" Stanford University, July 2018, on cite : <https://cisac.fsi.stanford.edu/mappingmilitants/profiles/ansar-dine> (date of visit: 10.07.2022)

في أبريل 2012، أنهت جماعة أنصار الدين والقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وحركة التوحيد والجهاد الإسلامي تحالفاتها مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد، لأن هدف الحركة الوطنية لتحرير أزواد، إقامة دولة علمانية ومستقلة في شمال مالي، يتناقض بشدة مع أهداف الجماعات لإنشاء دولة مالي موحدة تحكمها الشريعة الإسلامية. بعد استيلاء أنصار الدين على تمبكتو من الحركة الوطنية لتحرير أزواد في نهاية أبريل، دعا "غالي" السكان المحليين لمساعدة جماعة أنصار الدين في وضع قانون الشريعة في جميع أنحاء المنطقة. ويُزعم أن أنصار الدين أرسلوا 100 مقاتل لمساعدة حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا في طرد الحركة الوطنية لتحرير أزواد من غاو وتمبكتو من 26 إلى 27 يونيو 2012. بحلول أواخر يونيو 2012، سيطر أنصار الدين وحلفاؤها على تمبكتو وكيدال وغازو والمناطق المحيطة بها في قطعة واحدة.¹

3- حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا (MUJAO)

انشقت الحركة عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وكان أول إعلان لوجودها من خلال تبنيها عملية اختطاف ثلاثة من عمال الإغاثة من إسبانيا وإيطاليا في تشرين الأول/أكتوبر 2011 في منطقة تندوف الجزائرية. ووصفت الحركة بأنها الجماعة الإرهابية الأكثر إثارة للربح في شمالي مالي وجنوب الجزائر، حيث تبنت الحركة عدة عمليات انتحارية كان أبرزها العملية الانتحارية التي استهدفت مقر الدرك الوطني الجزائري بتمنراست شهر مارس 2012، وخلال نفس السنة اختطفت الجماعة سبعة دبلوماسيين جزائريين في مقاطعة غاو المالية في أبريل 2012.²

كان لحركة التوحيد والجهاد الإسلامي توجهًا ساحليًا واضحًا، حيث أطر قتالها من حيث الجهاد التاريخي الذي قاتل في المنطقة في القرن التاسع عشر، وروج علانية لتجنيد لها لأفارقة الساحل وجنوب الصحراء، وتركز تواجد هاته الحركة في شمال مالي وبالضبط حول مدينة غاو وضواحيها، وجاء تأسيس

¹ Ibid

² عبد الرحيم رحومني وآخرون، الأمن الجزائري والفضاء الإقليمي: التعامل والتداعيات. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2019، ص 30

هاته الحركة نتيجة تمرد زعيمها "سلطان ولد بادي" المدعو بـ "أبو علي"، حين رفض تنظيم القاعدة بتأسيس سرية خاصة بعرب أزواد بشمال مالي. لكن سرعان ما تم تسوية الخلاف مع التنظيم الأم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"، وكان قد تم التوصل إلى هذا السلام على بوساطة حركة "أنصار الدين" منذ نيسان/أبريل 2012م، ثم في آب / أغسطس 2015، انقسمت حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا وانضم جزء من مقاتليها إلى كتيبة الملتهمين وانضم آخرون إلى كتيبة الموقعون بالدماء وأسس بعض القادة البارزين أمثال إياد أغ غالي جماعة جديدة سميت بـ جماعة نصرة الإسلام والمسلمين¹

4- جماعة نصرة الإسلام والمسلمين (JNIM)

في مارس 2017 أعلنت الجماعات الجهادية الرئيسية في منطقة الساحل وهي أنصار الدين وجبهة تحرير ماسينا وتنظيم "المرابطون" وجناح الصحراء التابع لتنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي أنها شكلت تحالفاً تحت لواء هذا الكيان الجديد، والمعروفة أيضاً باسم جماعة دعم الإسلام والمسلمون (GSIM)، وقائدها إياد أغ غالي.

أنهى هذا الاندماج جميع المنافسات بين الجماعات التابعة للقاعدة في المنطقة، وبرز منذ ذلك الحين هذا التنظيم GSIM باعتباره أقوى تنظيم جهادي في منطقة الساحل، حيث يقاتل تحت لوائه ما يقدر بنحو 1200 رجل. وتجدر الإشارة إلى أن التنظيم قد تعهد بالولاء لدروكدال والظواهري، وبالتالي قدم نفسه على أنه تابع لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في منطقة الساحل وأكد ارتباطه بالقاعدة².

¹ Andrew Lebovich, "MAPPING ARMED GROUPS IN MALI AND THE SAHEL", European Council on Foreign Relations, 14 May 2019. on cite: https://ecfr.eu/special/sahel_mapping/mujao. (date of visit: 10.12.2022)

² Djallil Lounnas, "Jihadist groups in north africa and the sahel: between disintegration , reconfiguration and resilience", Menara working papers, No. 16, October 2018, p18

وكان من أبرز أسباب هذا التحالف هو إنفاذ رسالة واضحة لداعش والجهاديين الآخرين مفادها أنه طالما أن القاعدة موجودة، فلها الولاء التام، وبالتالي لا خلافة لداعش¹

منذ ذلك الحين، كثفت جماعة نصرة الإسلام والمسلمين هجماتها في جميع أنحاء المنطقة، وظهرت كأقوى منظمة في منطقة الساحل، الأمر الذي اقلق المجتمع الدولي، وقال الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريس" في حديث له لمجلس الأمن في 26 ديسمبر 2018 أنه منذ تشكيل التحالف "يبدو أن الجماعات الإرهابية [في مالي] قد حسنت قدرتها على تنفيذ العمليات ووسعت نطاقها مما تسبب في ارتفاع عدد الضحايا جراء الهجمات الإرهابية".²

5- جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد (بوكو حرام بنيجيريا)

نشأت الجماعة خلال عام 2002م، على يد زعيمها الروحي محمد يوسف، وهي جماعة تحمل العديد من المسميات، فتارة وصفها بانها طالبان نيجيريا وذلك لتأثر الجماعة بنموذج طالبان أفغانستان، كما سميت بـ "جماعة التكفير والهجرة" إلا أن اتباعها يفضلون تسمية جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد، وبلغه الهوسا الذين يشكلون أغلبية المجتمع النيجيري تسمى بوكو حرام، بمعنى تجريم التعليم الغربي، حيث رأت في التعليم الغربي كفرا وانحرافا عن الدين الإسلامي.³

بوكو حرام، جماعة جهادية نيجيرية تعهدت بأداء الولاء للدولة الإسلامية (داعش) في مارس 2015، تسببت الحركة في مقتل أكثر من 15000 شخص في نيجيريا والدول المجاورة مثل النيجر وتشاد. في حين لا تشكل بوكو حرام تهديداً وجودياً لهذه الدول، لكنها عطلت الحكومة- تسبب في حالة

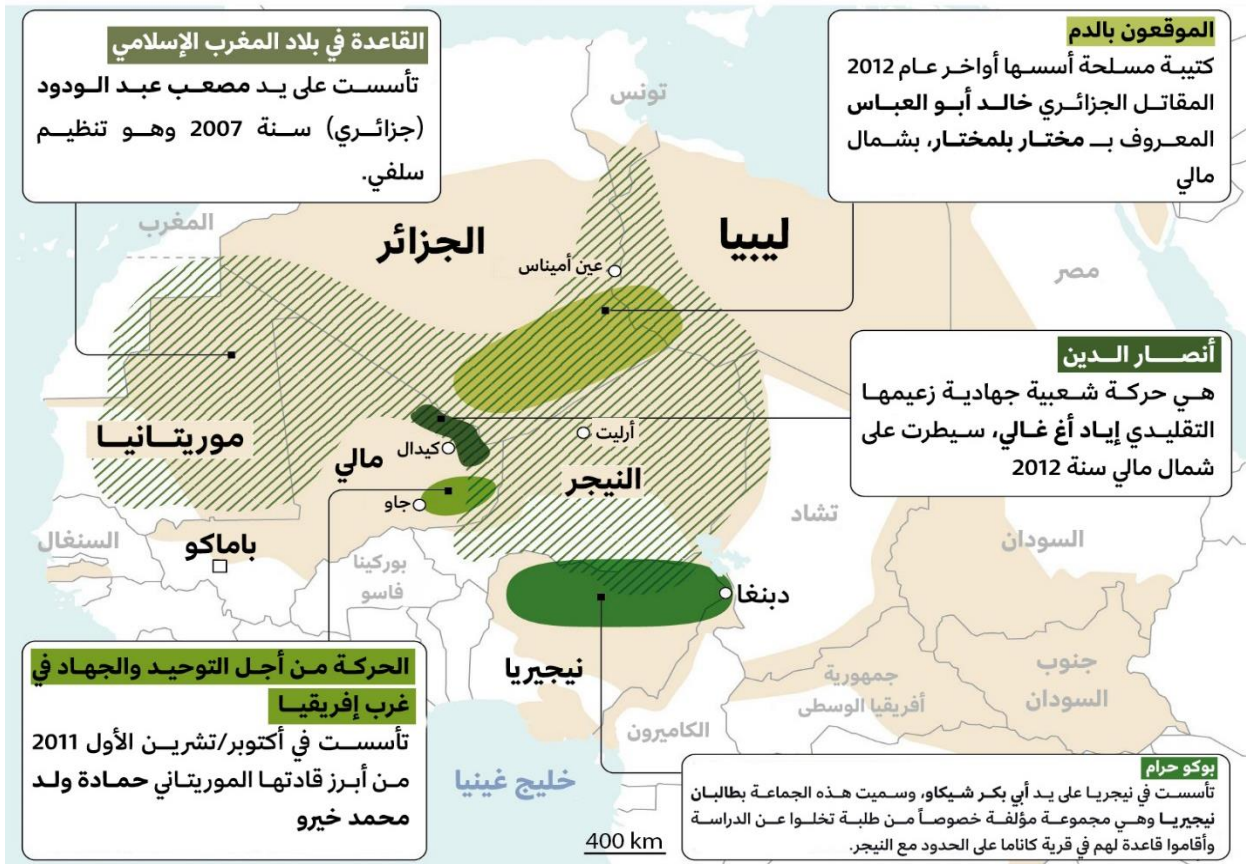
¹ يُنظر إلى الدولة الإسلامية (داعش) على أنها منظمة تكفيرية جديدة وليست منظمة سلفية جهادية، معروفون بسلوكهم العنيف للغاية تجاه السكان المدنيين المحليين والأقليات، والسلفية الجهادية هنا - كما تشير اغلب الدراسات- هي أيديولوجية تنظيم القاعدة.

² Fabien Offner, Changing Relationships and Growing Threats: Evidence for Insurgent Groups in the Sahel, *The New Humanitarian*, 26 February 2018, on cite; <https://www.thenewhumanitarian.org/ar/2018/02/19/llqt-lmtgyr-wlthdydt-lmtzyd-dlyl-ljmt-lmtmrd-fy-mntq-lshl>, (date of visit: 10.12.2022)

³ حمدي عبد الرحمان حسن، "الجهادية المسلحة في الساحل"، رؤية تركية، مج 1، ع 6، ربيع 2017، ص 67

طوارئ إنسانية حول بحيرة تشاد. وتؤدي رسائلها الشديدة إلى تفاقم التوترات بين المسلمين وتفاقم العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة.¹

الشكل رقم (20): خريطة لأبرز الجماعات الإرهابية الناشطة في منطقة الساحل الإفريقي



المصدر: عائد عميرة، "الإرهاب" يتجاوز الساحل ويتمدد في غرب إفريقيا، نون بوست، 2022/05/25، على الرابط:

<https://www.noonpost.com/content/44209>

وفي الساحل الإفريقي، تنتشر العديد من الكتائب والسرايا التي تستقل بنفسها في تحركاتها وإن كانت

توصف بانها فروع ثانوية للتنظيمات الإرهابية المذكورة في المنطقة، ومن أبرز هاته الكتائب نذكر:²

¹ نفس المرجع

² عبد الرحيم رحومني وآخرون، الأمن الجزائري والفضاء الإقليمي: التعامل والتداعيات، مرجع سبق ذكره، ص 31

- كتيبة الموقعون بالدماء، التي حلت مكان كتيبة المثلثين، وكانت بقيادة وتأسيس مختار بلمختار* المدعو "بلعور"، وهي تتألف أساساً من الطوارق والعرب؛
- كتيبة طارق بن زياد، تحت قيادة الجزائري عبد الحميد أبو زيج؛
- كتيبة المرابطين الجهادية، بزعامة عدنان أبو الوليد الصحراوي الرجل الثاني بعد بلمختار، وقد أعلنت الولاء عام 2015 إلى البغدادي أبو بكر (زعيم داعش)، وكون بعد ذلك كتيبة الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى (ISGS)، حينما رفضت قيادات المرابطين ولاءه لداعش، ونشطت هاته الأخيرة على الحدود النيجر مع مالي وبوركينا فاسو؛
- سرية الفرقان بقيادة جمال عكاشة، المدعو "يحيى أبو همام"؛
- سرية الأنصار تحت زعامة أبو عبد الكريم التارقي المالي؛
- سرية أنصار الشريعة والتي كان لها يد في أحداث تيقنتورين بعين أمناس.
- كتيبة ماسينا، التي يشار إليها باسم جبهة تحرير ماسينا، بقيادة الداعية السلفي أمادو كوفو. الذي حظي بشعبية كبيرة في وسط مالي، منطقة ماسينا، ويحظى بدعم مهم من الفولان، كونه من هذا المجتمع نفسه.¹

ومما سبق، نلاحظ أن كل تلك الجماعات الإرهابية والكتائب المرافقة لها المنتشرة في منطقة الساحل

ركزت بدرجات متفاوتة على أعمال العنف الدموي في مساعيها المتباينة لغرض تحقيق أهدافها، سواء كان

* يرجع تواجد هاته الشخصية بالغة النفوذ في منطقة الساحل إلى عام 1994، حينما كان أمير إقليمي للجماعة السلفية للدعوة والقتال (GSPC) حتى عام 2005، عندما تم تخفيض رتبته من قبل دروكدال إلى دور قائد لواء بسيط، على الرغم من كونه عضواً رسمياً في القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي حتى عام 2012، ومنذ ذلك الحين كان بلمختار يعمل. مع الاستقلال التام عن القيادة الإقليمية للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وكذلك عن دروكدال. في الواقع، أراد بلمختار أن يصبح الأمير الأعلى للجماعة السلفية للدعوة والقتال في عام 2004، بعد وفاة زعيمها السابق نبيل الصحراوي. ومع ذلك، فقد فاجأه دروكدال، الذي تمكن من أن يصبح أميراً بدلاً من ذلك. منذ ذلك الحين كانت العلاقات بين الرجلين صعبة للغاية. وقد تفاقم ذلك بسبب تخفيض مرتبة بلمختار في عام 2005 ومنافسته مع أبو زيد في مجموعة واسعة من القضايا، بما في ذلك روابط بين بلمختار والمافيات المحلية التي أداها أبو زيد ورفض بلمختار تقاسم الأموال التي كان يتلقاها من عمليات احتجاز الرهائن الغربية.

¹ Djallil Lounnas, "jihadist groups in north africa and the sahel: between disintegration , reconfiguration and resilience", op. cit, p16

العنف موجها إلى الجهات الرسمية لدول المنطقة وحلفائها، أو على المدنيين الذين يخالفون عقائدهم وتوجهاتهم.

وهذا ما يفسر تزايد وتضاعف معدلات الأحداث المتطرفة التي شنتها هاته الجماعات وبشكل خاص منذ عام 2019 إذ بلغ عددها 2800 حدثا، كما أدت الزيادة السنوية بنسبة 80% في أحداث العنف المرتبطة بالجماعات الإسلامية المتشددة في الساحل إلى تسجيل رقم قياسي جديد من أعمال العنف المتطرف في إفريقيا في عام 2022. وقد اتسع نطاق هذا العنف في وحشيته وانتشاره الجغرافي من خلال:¹

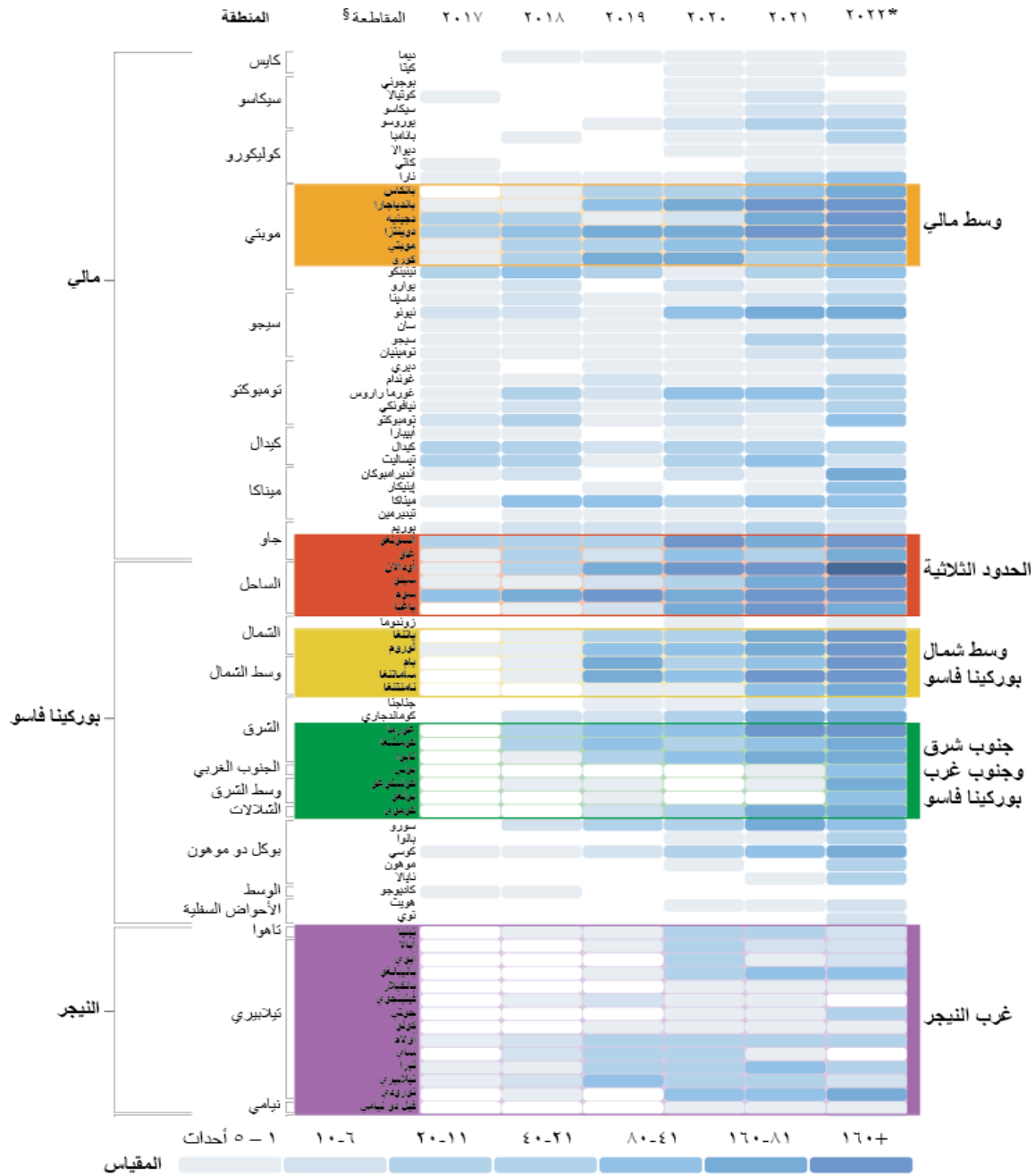
- تعرض ما يقارب الثلثين من مقاطعات أبرز دول الساحل الإفريقي، حيث من بين 135 منطقة إدارية في مالي وبوركينا فاسو وغرب النيجر، تعرضت 84 مقاطعة، لهجمات متطرفة عنيفة في عام 2022؛
- ووقع أكثر من 80 % من جميع أحداث العنف في 30 مقاطعة في شمال ووسط مالي في عام 2017. وفي عام 2022، وقع أكثر من ثلثي الأحداث العنيفة المرتبطة بالجماعات الإسلامية المتشددة في منطقة الساحل خارج مالي، ومعظمها في بوركينا فاسو؛
- كان العنف ضد المدنيين هو أكثر أشكال العنف دموية منذ بداية الأزمة الأمنية، فقد كانت الوفيات المقدرة بـ 4839 حالة وفاة والمرتبطة بهذه الأحداث العنيفة في منطقة الساحل في عام 2021 أعلى بنسبة 18% عن العام السابق. وتركزت في المناطق المجاورة لتواجد قوات التحالف لدول الساحل G5.²؛

¹ Centre d'études stratégiques de l'Afrique, "Cinq zones de violence des groupes islamistes militants au Sahel", Infographie, 30 septembre 2022, in site: <https://africacenter.org/wp-content/uploads/2023/02/Five-Zones-fr.pdf> (date of visit: 28.02.2023)

² Jabir Touré, "Les opérations francophones de lutte contre le terrorisme : l'exemple du G5 Sahel", Revue internationale des francophonies, vol, 9, 2021, p11

- الهجمات المبلغ عنها على المدنيين (833 هجمة) والقتلى المرتبطين بها (1332) في منطقة الساحل تضاعفت تقريباً اعتباراً من عام 2020. ويمثل عنف الجماعات الإسلامية المتشددة ضد المدنيين في منطقة الساحل 60% من كل هذا العنف من هذا النوع في إفريقيا.
- من خلال الشكل البياني الموالي نرصد أكثر المقاطعات التي تعرضت للعنف في المنطقة خلال الفترة الممتدة من 2018 إلى 2022م، والذي يتجلى من خلالها تركيز العنف المسلح على الدول الثلاث: مالي والنيجر وبوركينا فاسو.

الشكل رقم (21): أكثر المقاطعات انتشارا للعنف في الساحل الإفريقي للفترة 2017-2023



Source : Centre d'études stratégiques de l'Afrique, "Cinq zones de violence des groupes islamistes Source: militants au Sahel", Infographie, 30 septembre 2022, in site: <https://africacenter.org/wp-content/uploads/2023/02/Five-Zones-fr.pdf>

إن الدارس لمنطقة الساحل الإفريقي والتشكيلات الإرهابية المنتشرة بها، يلاحظ في الغالب- ارتباط كل تلك الجماعات بطريقة أو بأخرى تحت شعار ديني متطرف، فلا عجب إذا رأينا تلك الجماعات تتنافس أو تتعاقد مع بعضها البعض، فتارة تعيد تشكيل نفسها ومسمياتها، وتارة تجدد ولاءاتها إما لتنظيم لقاعدة

أو لتنظيم داعش كما فعل تنظيم بوكو حرام في الجنوب، والغرض من كل ذلك بسط السيطرة على منطقة الساحل وإخضاعها إلى النموذج الإسلامي المتطرف تحت مسمى الخلافة في الصحراء والساحل.

كانت الانقسامات بين هذه المجموعات الجهادية دائماً أقل أهمية مما تبدو عليه. ومن الممكن أيضاً أن يكون إنشاء بعض الحركات الجديدة جزءاً مما يمكن تسميته "الفصل المُدار"، حيث سمح تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي لنفسه بالتفتت من أجل البحث عن فرص جديدة للتمويل والتجنيد مع السماح لأجزاء أخرى من المنظمة بالتركيز على مجموعات سكانية مختلفة أو مناطق العمليات، قد يساعد هذا في تفسير سبب قدرة هاته بعض التنظيمات على التعاون بسرعة مع منظمة رفضتها سابقاً¹.

الفرع الثاني: ظاهرة الخطف للحصول على فدية

ارتبط تزايد عمليات الاختطاف للحصول على فدية ارتباطاً وثيقاً بتنامي وجود التنظيمات الإرهابية في منطقة الساحل والتي كانت محركاً رئيساً له، فمنذ منتصف التسعينيات برزت ظاهرة الاختطاف للرعايا الأجانب من حين إلى آخر لغايات سياسية أو مالية، وكان اختطاف 32 أوروبياً في جنوب الجزائر² عام 2003 وفي ديسمبر 2007 قتل أعضاء من تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أربعة 04 سياح فرنسيين في جنوب موريتانيا. وفي أوائل سنة 2008 بدأت سلسلة من عمليات الخطف في المنطقة وبحلول نيسان/أبريل 2012 تم استهداف 42 مواطناً أجنبياً حيث أفرج عن 24 منهم في حين قتل أو أسر خمسة رهائن، شملت مواقع الخطف جنوب الجزائر وتونس وموريتانيا والنيجر فضلا عن شمال مالي ولكن في جميع الحالات جرى احتجاز الرهائن وإطلاق سراحهم في شمال مالي من جانب تنظيم القاعدة في المغرب

¹ Andrew Lebovich, "AQIM and Its Allies in Mali", *The Washington Institute: Policy Analysis*, Feb 5, 2013 on cite; <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/aqim-and-its-allies-mali> (date of visit: 28.02.2023)

² أطلق سراح سبعة عشر منهم على التراب الجزائري، في حين تم إطلاق سراح الرهائن الخمسة عشر الباقين في شمال مالي بعد ستة أشهر من الأسر، وقد نفذت عمليات الخطف جماعة جزائرية متمردة هي الجماعة السلفية للدعوة والقتال، والتي غيرت اسمها في أوائل العام 2007 إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

الإسلامي، وقد ركّز الخاطفون على مواطني الدول التي كانت معروفة باستعدادها للتفاوض على دفع الفدية.¹

وقد تمكنت منظمة القاعدة بالمغرب الإسلامي على وجه الخصوص من الحصول على فدى وصلت في إحدى الحالات إلى 6 ملايين دولار، كما جمعت ما يقدر بـ 70 مليون دولار عبر مدفوعات الفدى ما بين عامي 2006 و2011، وتمكن التنظيم والجماعات المنشقة عنه من اختطاف غربيين في الجزائر وموريتانيا والنيجر ومالي وشمال نيجيريا، فعلى سبيل المثال تم خطف سبعة أجانب يوم 16 فبراير/ شباط 2013، وتم إعدامهم في 9 مارس 2013، وبعد ذلك خطفت بوكو حرام عائلة فرنسية من سبعة (بينهم أربعة أطفال) في الكاميرون وذلك يوم 19 فبراير 2013 ثم نقلتهم إلى نيجيريا إلى أن تم الإفراج عنهم في 18 أبريل 2013 بعد دفع فدية وصلت إلى ثلاثة ملايين دولار أمريكي.²

لعبت الدوافع السياسية لنشر الرعب دورا محدودا في عمليات الاختطاف واحتجاز الرهائن التي قامت بها التنظيمات الإرهابية في المنطقة، إلى أن الأدلة المتاحة تشير إلى أنه تم تأمين إطلاق سراح المواطنين الغربيين كافة من خلال دفع الفدية، بالإضافة إلى أنه في بعض الحالات أطلقت مالي أو موريتانيا سراح سجناء مرتبطين بالتنظيمات الإرهابية (تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي أو حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا (MUJAO) ، وأحيانا أدت محاولات الإنقاذ أو رفض دفع الفدية إلى قتل الرهائن.³

تحولت عمليات الخطف من أجل طلب الفدية إلى صناعة مربحة للغاية الأمر الذي سمح لتنظيم القاعدة أن يصبح قوة سياسية وعسكرية كبيرة في منطقة الساحل والصحراء.

¹ Wolfram Lacher, "conflict in the sahel-sahara region." *Carnegie middle east center*, 13 september 2012, p8. on site: shorturl.at/gst15 (date of visit: 28.02.2023)

² فريدم أونوها، جيرالد إزيريم، "غرب إفريقيا: الإرهاب والجرائم المنظمة العابرة للحدود"، الجزيرة للدراسات، 2013/07/24، شوهد في shorturl.at/alQZ5 تاريخ الاطلاع: (2023/02/28)

³ Wolfram Lacher, "conflict in the sahel-sahara region", op cit, p8

ويستنتج من المعلومات المتاحة أن من المرجح أن يكون الدخل الذي يجنيه تنظيم القاعدة وحركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا والوسطاء المرتبطون بهما من عمليات الخطف قد بلغ ما بين 40 و65 مليون دولار منذ العام 2008، دفعت الحكومات الغربية معظمها في الوقت نفسه، تسبب تكرار عمليات احتجاز الرهائن في تعريض السياحة في منطقة الساحل الإفريقي إلى الانهيار وبالتالي الحد من فرص العمل والربح خارج النشاط الإجرامي¹

الفرع الثالث: التأثير المتنامي للجريمة المنظمة في المنطقة

تعددت أوجه الجريمة المنظمة² من حيث طبيعتها وأشكالها وأهدافها بحيث تجمع أنماطا متباينة من التجارات غير الشرعية كتجارة الأسلحة، تجارة المخدرات، الاتجار بالبشر، غسيل الأموال، وبالنظر إلى الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني في منطقة الساحل الإفريقي نرى تفاقما لتلك الظواهر بأبعادها المختلفة والتي تمس بصورة مباشرة الأمن الوطني للدول وبالتالي الأمن الإقليمي والدولي.³

أصبحت الجريمة المنظمة التي تقودها شبكات التهريب مصدر تهديد حقيقي على دول المنطقة خاصة وأن هذه الشبكات باتت تمتاز ببنية مؤسسية كبيرة ذات ارتباط بأطراف خارجية فاعلة، وتناميها يشكّل مصدرا من مصادر عدم الاستقرار خاصة على المناطق الحدودية،⁴ وترتبط الشبكات الإجرامية بالجماعات الإرهابية ارتباطا وثيقا، وهنا يقول الدكتور "كاليدو سيديببي" في دراسته بعنوان "إدارة الأمن"، التي أجريت عام 2012، أن "هناك تحالف موضوعي بين هذه الشبكات الإجرامية والجماعات الإرهابية تغذيه

¹ Ibid, p9

² تعرفها الأمم المتحدة حسب اتفاقية باليرمو بانما: مجموعة مهيكلية مكونة من ثلاثة أشخاص أو أكثر وتعمل هاته المجموعة بالتركيز على هدف ارتكاب عدد من المخالفات الضارة.

³ جدادي سليم، زيطاري اسماعيل، التنافس الدولي في السياسة العالمية: دراسة في منطقة الساحل الإفريقي. برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2020، ص34

⁴ مصطفى موسى محمد علي، "أثر بناء الدولة على التهديدات الأمنية اللاتماثلية في منطقة الساحل والصحراء". دفاثر السياسة والقانون، مجلد12/ع01، 2020، ص12

مصالحها المتقاربة: تستفيد الشبكات الإجرامية من الأعمال العنيفة للجماعات الإرهابية أو الجماعات المتمردة، في حين تستفيد الأخيرة من التمويل الذي تستطيع الأنشطة الإجرامية القيام به. على سبيل المثال، لا تشتري الجماعات الإرهابية التابعة للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، الأسلحة والذخيرة وغيرها من المعدات ذات الصلة مباشرة مثل سيارات الدفع الرباعي وأجهزة الاتصال (هواتف الأقمار الصناعية ونظام تحديد المواقع ...) التي يستخدمونها في قتالهم. بل يحصل عليها الإرهابيون في الواقع، من خلال تجار المخدرات". وبذلك تنشأ العلاقات بين العملاء والموردين بين الإرهابيين وتجار المخدرات¹. كما يلاحظ، مع ذلك، تقسيماً معيناً للعمل: "المنظمات الإجرامية عبر الوطنية، تتعاون مع القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في تهريب المخدرات. لكن كل فرد له الأولوية الخاصة به. إذا أخذ تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، على سبيل المثال، "عمولة" على الأدوية التي تمر عبر "إقليمه"، يشكل مقاتلو القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي قافلة آمنة لشحنات المخدرات المهربة.

ظلت هذه الشبكات المنظمة تمارس نشاطاتها في منطقة الساحل الإفريقي عبر الممرات القديمة² التي عرفت بها المنطقة بسبب غياب سلطة الدولة لفترة طويلة من الزمن، بل يمكن اعتبار أن طبيعة الدولة ساعدت إلى حد كبير في انتشار هذا النوع من النشاطات الإجرامية بسبب ضعف أجهزتها القانونية والقضائية، انتشار الفساد في أجهزة السلطة وأوساط المجتمعات الساحلية، فأدى هذا الوضع بسكان المنطقة إلى تقديم الولاء لعصابات الجريمة المنظمة أو المتمردين طمعا للاستفادة من المداخل المالية لنشاطاتهم التهريبية والحصول على الحماية³.

¹ Serigne Bamba Gaye, "Connexions entre groupes djihadistes et réseaux de contrebande et de trafics illicites au Sahel". Sénégal: Friedrich-Ebert-Stiftung, 2017, p13

² أحد أبرز الممرات الرئيسية للنشاط الإجرامي هو الذي يمر من نيامي وأفاديز في النيجر وقاو في مالي، بالإضافة إلى مثلث جبال تيبستي شمالي تشاد، وبالإضافة أيضا إلى بحيرة التشاد كمر مائي وتضم حدود تشاد وكمبيرون ونيجيريا وجزء غربي من ليبيا.

³ جداي سليم، زيطاري إسماعيل، التنافس الدولي في السياسة العالمية: دراسة في منطقة الساحل الإفريقي. مرجع سبق ذكره، ص35

بشكل عام، تندرج ضمن خارطة الجريمة المنظمة عدة أشكال من الجرائم والأعمال الخارجة عن القانون دوليا، والتي تؤثر سلبا على بناء الدولة واستقرار المنطقة ككل، وسنخرج على أبرز أشكال الجريمة المنظمة وتأثيرها في التالي:

❖ التجارة غير المشروعة للأسلحة:

تعتبر إفريقيا من أكثر الدول المستقبلة للأسلحة الصغيرة في العالم إذ يعد هذا النوع من التجارة عملا ديناميكيا في إفريقيا، وقد أوضح تقرير مسح الأسلحة الصغيرة الذي قدر حجم هذه التجارة بـ 10 إلى 20 % من حجم التجارة العالمية، لذلك تعد هذه التجارة من أكبر التحديات في مواجهة التنمية في الدول الإفريقية وعلى كل المستويات، ورصدت مجلة الأسلحة الصغيرة لسنة 2003 عن تقديرات انتشار ما يقارب 30 مليون قطعة سلاح في منطقة الساحل الإفريقي جنوب الصحراء، وهذا العدد شديد التأثير في زيادة اللااستقرار السياسي لدول المنطقة، إعاقة التنمية الاقتصادية، تمكين الجماعات الإجرامية وترهيب المجتمعات، وأهم العوامل التي شجعت على تجارة الأسلحة غير المشروعة في هذه المنطقة بالذات، ما يلي:

➤ ضعف الرقابة على صادرات الأسلحة في البلدان الموردة؛

➤ قدرة المشتريين على استخدام الأموال غير الشرعية أو تبادل الممتلكات واحتساب قيمتها عبر استخدام

الألماس والذهب أو الخشب وغيرها.¹

يعتبر المتمردون وغيرهم من الجماعات المسلحة مصدرا رئيسيا للأسلحة الصغيرة في منطقة الساحل الإفريقي، فوفقا لإحصائيات 2006 فإن الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها نقلت ما يفوق 8.5 مليون دولار من الأسلحة الصغيرة إلى البلدان الإفريقية، وهنا نشير أيضا إلى أكثر أنواع التجارة للأسلحة انتشارا في منطقة الساحل وهي معروفة باسم تجارة النمل (The Ant-trade) والتي تعرف بأنها عملية يتم فيها شراء

¹ خديجة بوريب، "الدبلوماسية الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: الواقع والرهانات"، المجلة العربية للعلوم السياسية، مجلد 41، ع42،

(2014)، ص، ص29، 28.

الأسلحة بشكل قانوني في دولة واحدة ثم يعاد بيعها بطريقة غير مشروعة في الدول المجاورة عبر دفعات صغيرة أحيانا، كما تهرب دفعة واحدة نتيجة صغر وسهولة نقلها عبر الحدود وهي منتشرة بكثرة في التشاد والنيجر ومالي وما جاورها.¹

❖ تهريب المخدرات:

لقد شهد التهريب منذ ستينيات القرن الماضي تطورا سريعا في منطقة الساحل. في الواقع، كان التهريب بشكل عام الملاذ الأخير في مواجهة عزلة المناطق المحيطة، وتجاهل الدولة لأقاليمها الحدودية. فبدأ الاقتصاد الموازي في الظهور تدريجياً من خلال شبكات الاتجار بالمنتجات الأساسية من مواد غذائية، الأدوية، ثم تطور إلى منتجات ثقيلة كمواد التعدين والبناء والوقود، ولكن الوضع اخذ منحى آخر حين ظهرت شبكات تجارة غير مشروعة كالمخدرات، تعمل هذه الشبكات في الغالب بالتواطؤ مع السلطات المحلية التي غالباً ما تكون جزءاً منها²، ولكن أيضاً بالتواطؤ مع المجتمعات التي تعيش على جانبي الحدود.³

لفهم ظاهرة الاتجار بالمخدرات، من الضروري الحصول على فكرة دقيقة عن مختلف الجهات المشاركة في هذا الاتجار. سواء كان الحشيش أو الأفيون أو الكوكايين، فإن الزراع هم في أعلى السلسلة. ثم يأتي دور الناقلين المسؤولين عن نقل المواد غير المشروعة إلى أماكن الاستهلاك. عادة، هناك طريقتان لنقل المخدرات، إما من خلال المهربين الذين يعملون في مجموعات تنقل كميات كبيرة من المخدرات التي يمكن قياسها بالأطنان، أو باستخدام ناقلات تعمل بشكل فردي كما هو الحال مع المهربين الذين يستخدمون

¹ المرجع نفسه، ص30

² عام 2009، طائرة "اير كوكاين" تحبط في شمال مالي: وهي طائرة بوينج 727 قادمة من فنزويلا ومحملة بـ 10 أطنان من الكوكايين تقدر قيمتها بنحو 300 مليون يورو، وهبطت في سينكريباكا بمنطقة جاو بمالي. استفادت المافيات الكولومبية التي نقلت هذا المخدر إلى مالي من تواطؤ وكلاء الطيران المدني المالي، وقوات الدفاع والأمن (التي قامت بتأمين المدرج والشحنة) والمهربين المحليين وغرب إفريقيا الذين سمحوا بنقل البضائع عبر أربعة طرق مختلفة: جنوب مالي، الجزائر، النيجر.

³ Serigne Bamba Gaye, "Connexions entre groupes djihadistes et réseaux de contrebande et de trafics illicites au Sahel". Op,cit, p13

وسائل النقل المشتركة (عن طريق الجو، البحر أو الأرض). أسفل سلسلة تهريب المخدرات، هم تجار التجزئة المسؤولون عن إمداد الأسواق المحلية. ولإغلاق دائرة الاتجار بالمخدرات، أخيراً، تتدخل عمليات غسيل الأموال، وهي عناصر أساسية في تنظيم شبكات تهريب المخدرات.¹

وبهذا، عرفت منطقة الساحل تنامي لتجارة المخدرات بعد أن تحولت المنطقة إلى مركز عبور للمخدرات الصلبة كالهروين والكوكايين الآتية من أمريكا اللاتينية إلى أوروبا، فحسب إحصائيات قدمها مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة لعام 2008 تم حجز 49 كلغ من الكوكايين و4 أطنان من المخدرات الموجهة نحو شرق أوروبا وحجز 75 كلغ من الكوكايين على الحدود الجزائرية المالية (منطقة تنزاواتين)،² وقد قدر نفس المكتب أن حوالي 14 % من الكوكايين يدخل إلى أوروبا عبر غرب إفريقيا حيث يتم نقلها إما عن طريق الجو أو البر أو البحر، ولذلك نجد مطارات مثل باماكو ونيامي وواغادوغو من أبرز مراكز الشحن الجوي إلى أوروبا والتي يمر بعضها عبر العاصمة الجزائرية، وهي طرق لا تزال نشطة نظراً إلى ما تؤكدته المضبوطات خلال عامي 2011 و2012 في نفس المطارات.³

إن التنظيمات الإرهابية بما فيهم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي تتحالف لتوفير المرافقة المسلحة لمهربي الكوكايين عبر الصحراء الإفريقية من أجل توفير المورد المالي منهم، كما صرح بذلك مسؤول مكافحة الإرهاب في الإدارة الأمريكية "مات ليفيت" عندما أكد "أن كميات متزايدة من المخدرات تصل إلى الأسواق في بريطانيا وأوروبا من غرب إفريقيا عبر المناطق الخاضعة لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب

¹ Fenouche Messaoud, Touatit Lotfi, "Le terrorisme et ses liens avec le trafic de drogue en Afrique subsaharienne", (Terrorisme et trafic de drogues en l'Afrique sub-saharienne), Institut Espagnol d'Études Stratégiques, 2013, p48

² محمد بوبوش، الأمن في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء. مرجع سبق ذكره، ص32.33

³ خديجة بوريب، "الدبلوماسية الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: الواقع والرهانات"، مرجع سبق ذكره، ص31

الإسلامي وبحمية التنظيم ... لذلك فإن قادة هذا التنظيم وحلفائهم هم مجرمون أيضا إلى جانب كونهم إرهابيين"¹.

وبهذا تشكل المخدرات تهديدا كبيرا لدول منطقة الساحل خاصة في الجانب الاقتصادي فضلا عن ولايتها في الجانب الاجتماعي، إذ انتشر تعاطيها بشكل كبير في صفوف الشباب مما يجعله سببا رئيسيا لانتشار العديد من الأمراض العابرة للحدود، فالتعاطي المتعدد للحقنة الواحدة يسهل انتقال فيروس فقدان المناعة المكتسب بين المدمنين، وقد انتشر خارج الحدود ليشكل تهديدا أمنيا عابرا للحدود يستهدف الأمن الصحي للدول.²

الفرع الرابع: معضلة الهجرة غير الشرعية في المنطقة

لطالما ارتبطت مشكلة الهجرة غير الشرعية بالأزمات والمشاكل التي تعرفها القارة الإفريقية بصفة عامة ومنطقة الساحل بصفة خاصة كانتشار الفقر، النزاعات المسلحة، الحروب الأهلية، الإرهاب. وهذا الأخير ونظرا لتناميه ووحشيته في السنوات الأخيرة -كما أشرنا سابقا- فقد انجر عنه في منطقة الساحل تشريد أكثر من 2.4 مليون شخص، بما في ذلك أكثر من 190.000 لاجئ و2.2 مليون نازح داخلياً.³ أضف إلى ذلك التهديدات البيئية كالجفاف وغيرها من التحديات متعددة الأبعاد التي تشهدها منطقة الساحل الإفريقي والتي تدفع بشعوبها وخاصة فئة الشباب منهم إلى خيار الهجرة غير الشرعية كبديل للهروب عن أوطانهم المتأزمة والتي تقنقد إلى أدنى الخدمات الاجتماعية والصحية.

¹ المرجع نفسه، ص35

² المرجع نفسه، ص36

³ Centre d'études stratégiques de l'Afrique, "La hausse de la violence des militants islamistes au Sahel, une dynamique qui domine le combat de l'Afrique contre les extrémistes", *Infographie*, 26 janvier 2022, in site: <https://africacenter.org/fr/spotlight/mig2022-01-hausse-violence-militants-islamistes-sahel-dynamique-domine-combat-afrique-extremistes/#> (date of visit: 11.03.2023)

والهجرة غير الشرعية أصبحت اليوم عامل مؤرق للدول سواء منها المستقبلية أو المرسلات وحتى دول العبور، فمن الناحية الأمنية من المحتمل أن يقوم المهاجرون غير الشرعيين بجرائم وأعمال عنف وحتى إرهابية نتيجة الفقر والتضييق عليهم، وكثيرا ما يستغلون من طرف الجماعات المسلحة كتنظيم القاعدة، كما أن تداعيات توافد المهاجرين يؤثر على البناء الديمغرافي السوسيو ثقافي للدول المستقبلية خاصة حين يتمسك المهاجرون بثقافتهم، الأمر الذي يمس الأمن الاجتماعي الثقافي، أما من الناحية الاقتصادية فشبه المختصون المهاجرون غير الشرعيين بالإسفنجة التي تمتص التنمية لأن زحف الفقراء بأعداد كبيرة يزيد من عبء البطالة ويزيد من مستوى المنافسة بين مواطني الدولة المستقبلية والمهاجرين غير الشرعيين وهو ما يولد اضطراب داخل الدولة.¹

ارتفعت وتيرة الهجرة غير الشرعية نحو شمال إفريقيا وأوروبا طوال سنوات التسعينيات من القرن الماضي، مثلا تمكنت الجزائر من إيقاف حوالي 6000 مهاجر سري بين سنوات 2002 و 2006 مقابل 150 مهاجر فقط بين عامي 1990-2002، وقدرت منظمة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أنه في سنة 2004 حاول 120.000 مهاجر سري عبور المتوسط بينهم 35000 من دول جنوب الصحراء، وتقدر الأمم المتحدة المعدل السنوي لأعداد المهاجرين السريين الطامحين لبلوغ الضفة الأوروبية من إفريقيا بحوالي 300.000 شخص سنويا، ينجح منهم حوالي 200.000 في حين تفشل 100.000 الأخرى في الوصول لمبتغاها.²

يتعرض المهاجرون غير الشرعيين غالبا لتربصات أفراد العصابات والذين يعملون على استغلالهم في أعمال غير قانونية وغير أخلاقية كالدعارة العابرة للحدود والتي انتشرت على نطاق واسع مستفيدة من

¹ بسمه مطالي، "طبيعة التهديدات اللاتماثلية في المناطق الحدودية". مجلة السياسة العالمية، مجلد 05/ع 01، (2021)، ص، ص 144، 145

² ظريف شاكر، "معضلة الهجرة السرية في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى وارتداداتها الإقليمية". مجلة العلوم القانونية والسياسية، ع13، (جوان 2016)، ص18

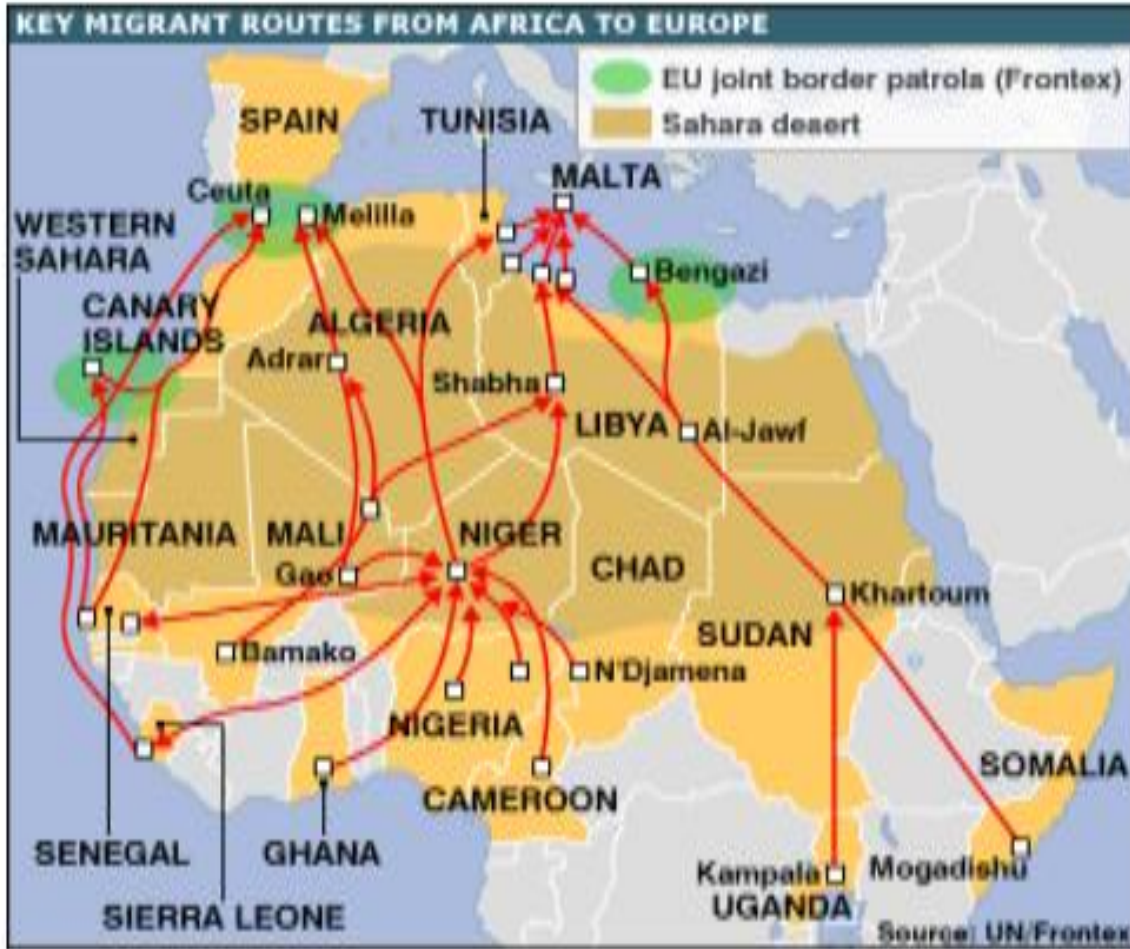
التطور التكنولوجي والعولمة، كما أن هذه الظاهرة تعد وسيلة لانتقال الأمراض العابرة للحدود، وترويج المخدرات أو تجنيد بعض المهاجرين للقيام بعمليات إرهابية أو سطو مسلح وغيرها¹

كما أن المنطقة أضحت سوقا رخيصةا للتجارة بالبشر من الأطفال والنساء لاستغلالهم بكل الأشكال، فالأطفال يتم تجنيدهم في الصراعات المسلحة والقيام بعمليات التهريب على امتداد منطقة الساحل الإفريقي، وتشير الكثير من الدراسات أن تهريب الأطفال يكون غالبا نحو أوروبا ودول الخليج العربي انطلاقا من مناطق جنوب الصحراء عبر الجزائر وموريتانيا، أو عبر خط المغرب-إسبانيا، وتقدر قيمة تهريب طفل عبر هذه المناطق 10 آلاف دولار، و50 ألف دولار للمرأة الواحدة، مع العلم أنه يتم تهريب من 3800 إلى 5000 امرأة وفتاة سنويا من منطقة غرب إفريقيا نحو أوروبا، بقيمة إجمالية تقدر بـ: 228 مليون دولار كأرباح لمهربي البشر في المنطقة.²

¹ محمد بوبوش، الامن في منطقة الساحل الافريقي والصحراء. مرجع سبق ذكره، ص39

² ظريف شاكر، "معضلة الهجرة السرية في منطقة الساحل الافريقي والصحراء الكبرى وارتداداتها الاقليمية"، مرجع سبق ذكره، ص21

الشكل رقم (22): خريطة خطوط سير المهاجرين غير الشرعيين نحو أوروبا



المصدر: رضا شوادة، "التبعات الاستراتيجية للهجرة غير الشرعية الآتية من الساحل والصحراء الإفريقية على الأمن المجتمعي الجزائري". المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد 05/ ع02، (2018)، ص49.

والخريطة أعلاه توضح المسارات الرئيسية للمهاجرين غير الشرعيين من منطقة الساحل والصحراء نحو شمال إفريقيا ومنها إلى أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط، وتتم رحلتهم الشاقة والمحفوفة بالمخاطر بعدة مراحل يقيمون بداية في مدن محلية أثناء الرحلة وذلك من أجل العمل وتحصيل بعض الأموال الكافية لمواصلة الرحلة، والمناطق المفضلة لهم هي الكامبيرون ونيجيريا، ليبيا، الجزائر و عند وصولهم إلى مدينة أغادير بالنيجر يتخذون اتجاهين بعضهم يأخذ طريق الواحات في الشمال الشرقي لليبيا في حين تكون وجهة البعض الآخر إلى مدينة تمنراست الشاسعة خاصة منطقة تيتراواتين، ومن ثم يتجهون إلى المناطق

الداخلية الساحلية للجزائر وآخرون يواصلون طريقهم إلى المغرب ومنها إلى إسبانيا وبعضهم يفضلون السواحل الشمالية والشرقية للجزائر للهجرة نحو إيطاليا¹.

¹ رضا شوادة، "التبعات الاستراتيجية للهجرة غير الشرعية الآتية من الساحل والصحراء الأفريقية على الأمن المجتمعي الجزائري". المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد 05/ ع02، (2018)، ص 49

خلاصة الفصل الثاني

تعتبر الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي منطقتان ذات أهمية استراتيجية وخصائص حيوية كبيرة نظرا لموقعهما المتميز والغني بالثروات الطبيعية الكامنة، وقد كان ذلك سببا لوقوعهما لفترة طويلة من الزمن ضحية أطماع واعتداءات خارجية أثرت في أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وحاولت سلبها تاريخها وحضارتها العريقة.

فالجزائر عبر التاريخ تعد جسرا ومحور التقاء واتصال للعديد من الحضارات، ما جعلها تحوز على انتماءات عدة أكسبتها مكانة ماثرة إقليميا وعالميا، فهي تمثل قلب المغرب العربي ومركزه الاقتصادي والبشري، ولطالما تتمتع الدولة الجزائرية بإمكانيات ضخمة ومتنوعة من خلال جغرافيتها، غير أن أغلب تلك الإمكانيات تبقى كامنة وغير مستغلة، فضلا عن أساليب وطرق استغلالها غير المتوازنة، الأمر الذي جعلها تركز على الموارد النفطية بدرجة كبيرة طيلة الثلاث عقود من استقلالها.

أما منطقة الساحل الإفريقي وعلى الرغم من التباين في تعيين حدود المنطقة بين الباحثين والمختصين، إلا أنها تشترك في أهميتها الاستراتيجية البالغة لكونها منطقة تتربع على مخزون كبير من الثروات الباطنية المحركة لعجلة الاقتصاد بالعالم نظرا لجودة وتنوع مواردها ما جعل أطماع الدول الكبرى تتوجه نحوها.

كما أن المنطقة تشترك في واقعها الأمني المتأزم فهي من أكثر المناطق الضعيفة بنيويا فقد ورثت بعد استقلالها حملا ثقيلا من الأزمات الداخلية كأزمة الهوية والاندماج الوطني وضعف التنمية فضلا عن انتشار التهديدات الأمنية اللاتماثلية العابرة للحدود كالجريمة المنظمة والإرهاب، ما أدى إلى تدهور أمني وعدم استقرار للمنطقة ككل فانعكس كل ذلك سلبا على شعوبها والدول المجاورة لها.

طبيعة الواقع الأمني المعقدة لمنطقة الساحل الإفريقي والتي تشكل تهديدا كبيرا للدولة الجزائرية بحكم القرب والتّماس الجغرافي والترابط الاجتماعي لأغلب المناطق الحدودية، يستدعي كل ذلك تفعيل أكبر لكل الوسائل والإمكانيات المتاحة للوقوف على أمانة المنطقة، والعمل في إطار التعاون والشراكة على تنمية المنطقة وتجفيف منابع التهديدات والتقليل من التحديات والمشكلات الداخلية، ومن الإمكانيات المتاحة التي لا بد من تفعيلها بشكل استراتيجي هي التوظيف الجيد للروابط الدينية والثقافية المشتركة بين الطرفين والتي تشكل بمثابة قوة ناعمة للدولة الجزائرية تجاه فضاءها الإفريقي جنوبا.

الفصل الثالث:

الخلفيات الثقافية والدينية

للعلاقات التاريخية بين

الجزائر ومنطقة الساحل

الإفريقي

بعد أن تناولنا في الفصل السابق بالتحليل موقع الجزائر ومنطقة الساحل وأهميتهما الجيو-استراتيجية، وعرضنا كرونولوجيا الواقع الأمني الذي شهدته المنطقة خلال العقود الأخيرة ومن القرن الحالي، وبعد أن عرفنا الإمكانيات الضخمة التي تحوزها كل من الضفتين وخاصة الكامنة وغير المستغلة منها، ومن أجل السعي إلى إيجاد أرضية مشتركة نستطيع من خلالها ربط تلك الإمكانيات والاستفادة منها بين هاتين الدولتين، كان لابد من الرجوع إلى التاريخ غير البعيد الزاخر بالتفاعلات المشتركة التي تدل على علاقات وطيدة تجمع الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي منذ العصور الوسطى، وبالتحديد منذ الفتح الإسلامي وانتشاره كدين وثقافة عبر الجزائر إلى منطقة الساحل الإفريقي جنوباً.

المبحث الأول: تاريخ التواصل الحضاري بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي

تعد العلاقات التي تربط المنطقة المعروفة اليوم بالجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي (أو بمفهوم العصر الوسيط "المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي") ذات امتدادات تاريخية عميقة منذ فجر التاريخ وما قبل ظهور الإسلام، وتعمقت تلك العلاقات أثناء انتشار الدين الإسلامي وحتى العصر الحديث على المستوى البشري والثقافي والتجاري، وقد أكد الإسلام على الروابط الدينية والثقافية بين شعوب هاته المناطق، وتميزت الجزائر على مر التاريخ بكونها مركز التفاعلات بغرب إفريقيا وكان لرقعتها الجغرافية الفضل الكبير في انتقال الإسلام إلى منطقة الساحل الإفريقي، كما كانت مدنها مراكز للتجارة من جهة ومنارة للثقافة والإشعاع العلمي والتصوف من جهة أخرى، ولعلمائها الفضل البارز في إعادة تشكيل مجتمعاتها ونظمها السياسية. وسنتطرق بشيء من التفصيل في هذا المبحث إلى الجانب التاريخي لتلك العلاقات وكيف احتلت الجزائر بجغرافيتها مكانة متميزة في نشر الإسلام ونقله إلى ممالك منطقة الساحل الإفريقي، والوسائل التي من خلالها تم التواصل الحضاري بين المنطقتين وخاصة الأهمية الكبرى التي عنيت بها الطرق والقوافل التجارية ودورها الحضاري في ربط شعوب المنطقة.

المطلب الأول: الأهمية التاريخية لموقع الجزائر اتجاه منطقة الساحل الإفريقي

تعد دراسة البيئة الجغرافية لأي قطر من الأقطار ضرورية لفهم تاريخه، وفهم الارتباط الرئيسي للدراسة بتاريخ دول المنطقة ابتداء من العصور الوسطى، كان من الضرورة بمكان تبيان أهم المحطات التاريخية التي مرت بها الجزائر (المغرب الأوسط) وعلاقتها بمنطقة الساحل الإفريقي (السودان الغربي والأوسط قديما).

الفرع الأول: أهم الممالك السائدة في منطقة الساحل الإفريقي وعلاقتها بشمال الصحراء

تمتد العلاقات العربية الإفريقية بين شمال القارة وجنوبها منذ القدم، وقد أثبتت الدراسات التاريخية وعلم الحفريات عن عمق الصلات بينهما، وأن الصحراء لم تكن عازلا لشمال القارة عن جنوبها، وترجع أصول أغلب ملوك ما وراء الصحراء إلى شمال القارة كما هو حال ملوك غانا الأوائل وملوك صنغاي، وتذكر الأساطير أن هذه الممالك قامت نتيجة لهجرات من الشمال عبر الصحراء لتستقر في مناطق أكثر رطوبة واخضراراً على ضفاف البحيرات والأنهار (بحيرة تشاد- نهر النيجر)، وتم التزاوج والاستقرار بين الطرفين منذ وقت مبكر¹.

عُرفت منطقة الساحل الإفريقي قديماً بالعديد من المسميات أبرزها السودان الغربي، وهي منطقة قامت عليها العديد من الإمبراطوريات الزنجية* والممالك الوثنية قبل أن تتحول إلى أرض خصبة للسلطنات والممالك الإسلامية، التي برزت خلال الفترة ما بين القرن العاشر والثامن عشر الميلاديين، كمالى وصنغاي وماسينا وكانم برنو، كما برزت عليها مدن ومراكز إسلامية كجنى وتمبكتو وكاتسينا وكانو وغيرها، وقد مثلت هاته المنطقة فضاءاً لمراكز الإشعاع الثقافي الإسلامي، وتوافدت عليها العديد من القوافل لأغراض متنوعة أبرزها الجانب التجاري.

وفيما يلي لمحة مختصرة عن تلك الممالك والإمارات السياسية السودانية التي سادت منطقة الساحل

الإفريقي:

¹ علي كسار غدير سلطان الغزالي، "الصلاة الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الإفريقية قبل ظهور الإسلام"، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج05، ع01، آذار 2008، ص ص 77-78.

* يعد أصل الزنوج أكبر لغز، فقبل إنهم فرع من الكوشية أو أنهم نتاج امتزاج الكوشيين بالبوشمن أو الاقزام، وهناك نظريات تربطهم بزنج الهند أو إندونيسيا والذين هاجرو بطريقة خفية إلى صحراء إفريقيا. انظر: دونالد ويدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، تر، راشد البراوي. لبنان: دار الجيل للطباعة، ب س ن، ص 19

✘ إمبراطورية غانا (469-600هـ/1076-1203م): برزت هاته الإمبراطورية بين منحني نهر النيجر ونهر السنغال وتشمل جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزءا من مالي وربما غينيا أيضا، عاصمتها تسمى "كمبى صالح" تقع على بعد حوالي 205 كم إلى شمال مدينة "باماكو"، وقدر عدد سكانها بثلاثين ألف نسمة؛ يتكونون من قبائل "السوننك" وهي إحدى فروع شعب "الماندي" الذين يسكنون معظم نواحي غرب إفريقيا، وقد اعتمدت مملكة غانا على التجارة كمصدر رئيسي في اقتصادها خاصة تجارة الذهب، حيث صارت تعرف ببلاد الذهب، وبذلك عرف ملوك غانا من اغنى ملوك الأرض، بفضل سيطرتهم على مناجم الذهب والطرق المؤدية لها، ودخل الإسلام إليها سلميا عن طريق التجار والدعاة المسلمين،¹ وقد قيل أن العروبة أسبق من الإسلام إلى تلك المناطق بدليل تسمية عاصمة غانا بكمبى صالح، فكمبى بلغة الزنج تعني مدينة، وصالح اسم عربي، والمعنى العام مدينة صالح، مما نستشف أن مؤسسها عربي،² وقد أرجع السعدي أصول البيضان الذين حكموا غانا قبل البعثة النبوية إلى العرب النازحين من المغرب الكبير،³ وتمكنت بعدهم أسرة من السوننكي مع نهاية القرن الثامن الميلادي، وتحدث البكري أثناء زيارته لهذه البلاد عام 460هـ/1068م، عن مدينتين يحيطهما سور احدهما للمسلمين وبها إثني عشر مسجدا، يعين لها الأئمة والمؤذنين والقضاة، أما المدينة الأخرى، فهي مدينة الملك وتسمى بالغابة وبها قصر الملك ومسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين، ويضيف البكري أن مترجمي الملك وصاحب

¹ رجب محمد عبد الحليم، المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء. القاهرة: سفير، 1996، ص 27

² الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر.

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص 25

³ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان. باريس، طبع هوداس، 1981، ص 9

بيت ماله وأكثر وزرائه كانوا من المسلمين، وهو ما يدل على أن الإسلام قد انتشر بين زنوج غربي إفريقيا¹؛

✘ **سلطنة مالي (596-874هـ/1200-1469م):** حكمت هذه السلطنة مناطق جمهورية مالي الحالية والسنغال الشرقي وجنوب موريتانيا وشمال غينيا وشمال كل من بوركينا فاسو والبنين؛ وقد أسس هذه السلطنة شعب زنجي أصيل وهو شعب "الماندنجو"، ويطلق "الفولاني" على هذا الشعب اسم "مالي"، وقد اشتهرت باسم بلاد "التكرور" وهي أحد أقاليمها التي اشتملت عليها السلطنة زمن قوتها وازدهارها، اعتنق ملوكها الإسلام وقد توسعت زمن سلطانها "منسا موسى" فقدرت بمساحة كل دول غربي أوروبا مجتمعة، وقد كانت مالي من أعظم الإمبراطوريات في القرن الرابع عشر الميلادي²؛

✘ **مملكة سنغاي (777-1000هـ/1375-1591م):** هي ثالث مملكة سودانية نمت وترعرعت على أنقاض مملكة مالي، حرص ملوكها وخاصة في عهد الأساقي على تمكين شعبهم من الإسلام وثقافته الصحيحة، وكان لعلماء الجزائر مكانة خاصة وعلى رأسهم الشيخ المغيلي التلمساني الذي شغل منصب القضاء فيها. وازدهرت مملكة سنغاي في عهده الأساقي ذات ارتباطات وثيقة بالعالم الإسلامي وكانت عاصمتها الإدارية غاو وعاصمتها العلمية تمبكتو³ وهاته الأخيرة أصبحت محطة القوافل الأولى في كل بلاد السودان الغربي، فسكنا تجار كثر، وقصدها جمع كبير من العلماء والطلاب، مما جعلها عاصمة العلم والثقافة في إفريقيا جنوب الصحراء.

1 رجب محمد عبد الحليم، المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص 27.

2 نفس المرجع، ص 33

3 الحاج بن عمر أوزايد، العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، 2016، ص. ص 47، 52.

✘ مملكة الكانم-برنو (479-1262هـ/1086-1846م) التي قامت في المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد ونهر الكانوري والتي تشملها اليوم جمهورية التشاد وجزءا من شمال نيجيريا، ويقول اليعقوبي أن أول ممالिकهم الزغاوة، وقد كانت لهذه المملكة علاقات تجارية وثقافية ودبلوماسية مزدهرة مع الجزائر خاصة¹.

وهناك إمارات قامت بالمنطقة لم تحز على تأثير كبير لها مقارنة بالمملكات التي نكرت أنفا مثل إمارة الهوسا الإسلامية بغرب بورنو في الجزء الشمالي لنيجيريا، وإمارة البولالا الإسلامية (766-1218هـ/1365-1900م) التي قامت في غرب كانم فيما يعرف بحوض فترى، وقد كانت أغلب هاته الممالك والسلطنات بمنطقة الساحل الإفريقي على درجة كبيرة من التأثير العالمي في زمانها، وما دل على قوة ملوكها أن ملك مالي كان يعتقد أنه خلال هاته الفترة الزمنية لا وجود في العالم أجمع إلا أربع ممالك يمكن مقارنتها بمالي هي التكرور وبغداد والقاهرة واليمن².

وقد كانت هاته الممالك والإمارات على علاقات مباشرة بالشمال الإفريقي وخاصة من الجانب الاقتصادي التجاري وذلك ما تؤرخ له تاريخ تجارة القوافل التجارية بين المنطقتين، وقد تطورت تلك العلاقات بُعيد دخول الإسلام وانتشار ثقافته في اغلب تلك الممالك والإمارات الإفريقية، وتداخلت المؤثرات الاجتماعية بين ضفتي الصحراء الكبرى، وتحوز الرقعة التي تمتد عليها الجزائر اليوم، شواهد عديدة لأصالة وقدم العلاقات التي نسجت عبر قرون الى أن تم تقليصها بسبب اجتياح الاحتلال الغربي للمنطقة ومحاولاته تفكيك تلك العلاقات والحد من تأثيرها.

¹ نفس المرجع، ص52

² حسن مكّي محمد أحمد، "رواد الفكر والتجديد بالسودان وإفريقيا جنوب الصحراء في مئتي السنة الأخيرة" مداخلة في مؤتمر: إتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث، 19-21/01/2009، الإسكندرية، ص2

الفرع الثاني: المحطات التاريخية لعلاقة الجزائر بمنطقة الساحل الإفريقي

كانت مناطق شمال إفريقيا وبالخصوص الجزائر المعروفة قديماً بالمغرب الأوسط مهداً للعديد من الحضارات القديمة، فقد شهدت أراضيها العديد من الصراعات والتنافس الدولية بين القوى القديمة خاصة منها الفينيقية والرومانية والبيزنطية، ولم يكن للبربر والأفارقة دور هام في تلك الحضارات، ولم تكن مساهماتهم في الحضارة الإنسانية هامة إلى غاية دخولهم للإسلام.

ففي العصور الوسطى حدثت تغيرات كبيرة في شمال إفريقيا حيث تمكن الدين الإسلامي في نشر عقيدته في شمال إفريقيا، وكان للعامل الجغرافي أهمية كبيرة إذ أن التجاور بين بلدان شمال إفريقيا ومناطق جنوب الصحراء كان له الدور الأساسي في خلق تداخل وتلاحم وثيق بين شعوب المنطقتين، ويبين العامل التاريخي حقائق تثبت عمق الصلات الوثيقة بين العرب والبربر سكان الشمال والأفارقة سكان جنوب الصحراء الكبرى، ويبرز ذلك في التشابه العرقي واللغوي والثقافي¹.

منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي تمكن دعاة الدين الإسلامي العرب من فتح مصر واندفعوا نحو المغرب الكبير غرب القارة الإفريقية،² خاصة مع حملات عقبة ابن نافع الفهري الذي وصل إلى بلاد التكرور عبر المغرب الأوسط* (الجزائر) واتجه إلى غانا عام 60 للهجرة/680م³، وهنا يقول الرحالة الألماني بارث (Barth) أن عقبة بنى مسجداً هناك⁴، وإن كانت بعض الدراسات تستبعد سيره بنفسه إلى الجنوب بل

¹ علي كسار غدير سلطان الغزالي، "الصلاة الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الإفريقية قبل ظهور الإسلام"، مرجع سابق، ص76.

² جوزفين كام، المستكشفون في إفريقيا، تر يوسف ناصر. القاهرة: دار المعارف، 1983، ص21.

* إن التسميات المعروفة عن المنطقة منذ القدم هي اسم المغرب وهو مصطلح لغوي يقصد به الاتجاه الأصلي الذي يحدد غروب الشمس، أما المعنى المتعارف عليه فهو الإقليم الواقع وسط المغرب الأدنى والأقصى. وهي تسمية فرضتها ظروف الفتح الإسلامي للأقطار العربية. انظر: عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، ج2. الجزائر: دار الامل، 2008، ص99

³ عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر. القاهرة: 1998، مكتبة المدارس، ص06.

⁴ أمل الشمراي، رحلات الحج وأثارها على بلاد السودان الغربي في عصر دولتي مالي وسنغاي، أطروحة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، 2012، صه

بعث بحملة استكشافية صغيرة إلى بلاد السودان حين قدومه إلى القيروان لأول مرة¹، وقد اتخذ هذا القائد من المناطق الجزائرية (عنابة، بسكرة، بجاية...) مركزا له في جهاده اتجاه الجنوب الإفريقي وأسلم على يده العديد من قبائل البربر، وكان لإسلامهم دور كبير في نشر الدين الإسلامي في غرب إفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى، وأتى بعد ذلك القائد العربي موسى ابن نصير ليؤكد على ما تم فتحه من قبل عقبة ابن نافع، فوصل إلى جنوب المغرب الأقصى وواصل خليفته عبد الرحمان بن حبيب سياسته في نشر الإسلام في مناطق الصحراء الكبرى خاصة النائية منها².

ومن أعرق المدن التي كانت ذات شأن في عهد الفتوحات الإسلامية وتعاقت عليها كل الحضارات بالمغرب الأوسط هي مدينة "ميلة"، التي كانت رمزا للحضور العربي في بلاد كتامة البربرية، بالإضافة إلى مدينة "تاهرت" (تيارت) العريقة التي لها دور في إدارة عجلة التاريخ في المغرب الكبير³. فضلا عن أهمية الأقاليم الصحراوية التي شهدت حركة التفاعلات المستمرة بين الشمال وممالك جنوب الصحراء كإقليم وارجلان وتوات.

وخلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي تأسست بالمغرب الأوسط (الجزائر) أولى الكيانات السياسية في بلاد المغرب التي ارتبطت بعلاقات سياسية وتجارية رسمية مع الممالك السودانية في منطقة الساحل الإفريقي، وهي "الإمارة الرستمية" 160هـ/ 786م، التي عاصرت بعض الدول في السودان الأوسط والسودان الغربي منها "دولة غانة"، "رام" و"مملكة كوكو"، وقد نالت الإمارة الرستمية شهرة واسعة في الممالك السودانية وارتبطت عاصمتها تاهرت (تيارت) بطريق صحراوي للقوافل مباشر مع بلاد السودان الغربي،

¹ عبد الكريم عباس، "الصلوات التجارية بين المغرب والسودان الغربي"، مجلة التربية الأساسية، ع4، سبتمبر 2010، ص48.

² عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سبق ذكره، ص06

³ خلاصي علي، "القيروان ومدن المغرب الأوسط بين 50-170هـ/671-800م"، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ع1، أفريل 2009،

حيث ينتقل من العاصمة تاهرت إلى ورجلان (ورقلة) الذي ذكرها "ابن سعيد المغربي" بقوله: والسفر من ورجلان في الصحراء إلى بلاد السودان كثير، ووصفها ابن خلدون بأنها باب الدخول إلى المغارة الصحراوية المؤدية إلى بلاد السودان¹.

تطورت العلاقات التجارية بين الرستميين والممالك السودانية في منطقة الساحل الإفريقي في عهد الإمام "أفلق بن عبد الوهاب" (208هـ-258هـ / 823م-871م) الذي أرسل سفارة إلى ملك السودان عبر وزيره "محمد بن عرفة"، وقد أعجب الملك السوداني بعظمة هذا السفير الرستمي وسجل "ابن الصغير المالكي" ذلك قائلاً: "فقد أعجب ملك السودان مما رآه من هيئته وجماله وفروسيته، وقال له ملك السودان كلمة بالسودانية.. معناها أنت حسن الوجه، حسن الهيئة والأفعال"².

وتجدر الإشارة أن المصادر التاريخية لم تسجل أي مملكة سودانية وجهت إليها السفارة ولا اسم الملك السوداني، غير أننا نستنتج أنها وصلت إلى أحد المملكتين القويتين في منطقة السودان الغربي في ذلك الوقت وهما غانة وكوكو المعاصرتين للإمارة الرستمية.

تباينت المنتجات الرستمية التي تحملها قوافلهم إلى بلاد السودان بين الأكسية القطنية والكتانية، العمام ومنسوجات الصوف، وأصناف من الزجاج، الأصداف، العطور والتحف المعدنية، بالإضافة إلى الملح الذي يعتبر أهم بضاعة في تجارة الرستميين مع بلاد السودان، وفي المقابل ترجع القوافل الرستمية محملة من بلاد السودان الغربي محملة بالذهب والعاج وريش النعام والأحجار الثمينة وجلود الحيوانات والشب وغيرها³.

¹ عمر صالح سالم الفانوس، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2002، ص 47

² نفس المرجع، ص 48

³ نفس المرجع، ص 47

حرصت الدولة الرستمية بعد توسع سيطرتها على احتكار التجارة مع ممالك السودان الغربي، وكانت آلياتهم لتحقيق هذا الهدف هي: إصلاح الطرق وحفر الآبار وتعميرها وتنظيم الشرطة لحفظ الأمن لخدمة الحركة الاقتصادية التجارية.¹ فساهمت الدولة في نشر الإسلام -على مذهبهم الإباضي- في بلاد "كانم" في السودان الأوسط خاصة بين المجتمع الزغاوي، إذ أن أحد ملوك زغاوة اعتنق الإسلام، ويُذكر أن "أبي يحيى بن أبي القاسم الفرستائي" رحل إلى بلاد السودان والتقى فيها بأحد ملوكها فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وغالبا تُسلم رعية الملك بإسلامه، وبهذا فقد كان للإباضية من رعايا الإمارة الرستمية الفضل في نشر الإسلام في بلاد السودان.²

وهكذا كانت العلاقات التي نسجت بين الرستميين وملوك السودان الغربي لم تكن تشمل التجار العاديين فقط، وإنما شارك فيها كبار دعاة الإباضية وأئمتها الذين اهتموا بنشر الثقافة الإسلامية في كل مكان تصل إليه قوافل تجارتهم جنوبا، وقد تشكلت لهم جالية مهمة في تلك الأصقاع، وقد زخر التراث الإباضي بالكثير من الروايات التي تضمنت أخبار الفقهاء وكثرة ترددهم على ممالك منطقة الساحل الإفريقي، وهو ما يبين درجة التقارب التي كانت تنسج بين ضفتي الصحراء الكبرى.

بعد سقوط الدولة الرستمية عام 296هـ/909م، شهد المغرب الأوسط تنظيمات سياسية بربرية ذات توجه إسلامي توسعت على أراضيها، وبرزت من قبيلة صنهاجة الإماراتين "الزيرية" 361هـ/972م، و"الحمادية" 405هـ/1014م، وكان لهاتين الإماراتين تأثير كبير في انتشار الإشعاع الثقافي والديني لدى حواضر جنوب الصحراء، وقد نسجت علاقات دبلوماسية بين الإماراتين وممالك السودان الغربي عبرت عنها الهدايا التي كان يرسلها ملوك منطقة الساحل الإفريقي إلى حكام المغرب الأوسط خلال تلك الفترة.

¹ جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9 إلى 11م. الجزائر: منشورات بلوتر، 2001، ص131.

² عمر صالح سالم الفانوس، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص51.

أما الزيرون فقد حكموا المغرب الكبير كله تحت راية الإسلام خلال "القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وفي عهدهم تأسست العديد من المدن والحواضر العلمية والتجارية التي ذاع صيتها لدى ممالك السودان الغربي، وقد أدت هاته الحواضر دورا كبيرا في الحركة العمرانية والفكرية بالمغرب الأوسط، ومنها نجد كل من طنبنة(باتنة)، مسيلة، تنس(الشلف)، الجزائر، وحاضرة "أشير" (المدية) التي بناها زيرو بن مناد الصنهاجي، وامتد حكمه منها شرقا إلى ليبيا وغربا إلى المغرب الأقصى، وكانت لهم علاقات طيبة مع ملوك السودان الغربي فقد كانوا يرسلون الهدايا ويتبادلون البعثات الدبلوماسية، إذ تذكر المصادر العربية أنه خلال سنة 382هـ/992م تلقى الزيرون هدايا من أحد ملوك السودان تشمل زرافة التي أدهشت كثيرا "المنصور" فخرج لاستقبالها، كما وصلت هدايا أخرى من ملك سوداني في عهد "المعز بن باديس" (406-454هـ/ 1016-1062م) شملت عدد كبيرا من العبيد والزرافات وأنواع أخرى من الحيوانات الغريبة.¹ وتجدر الإشارة أن المعز بن باديس هو الذي حمل جميع أهل المغرب الكبير على التمسك بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وحسم الخلاف في المذاهب، واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن، كما أن المعز بن باديس المذكور قطع دعوة الشيعة من إفريقية ودعا لبني العباس بالحجاز.²

بعد سقوط الدولة الزييرية، برزت إمارة الحماديين كثنائي دولة مستقلة عن الخلافة قامت بالجزائر (المسيلة)، وكانت حضارة الحماديين شديدة التألق وانجذب إليها العلماء والفنانون والطلاب من جميع الأقطار الإسلامية وحتى من أوروبا المسيحية شمالا وجنوبا من الممالك السودانية، وكانت المدن كجاية والقلعة أهم

¹ نور الدين شعباني بوكنة، دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2013، ص، ص390،391

² أحمد بن خالد سلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2014، ص113

مراكزها إشعاعاً، فالإدريسي ذكر أن مدينة القلعة من أكبر البلاط قطراً، وأكثرها خلقاً، وأغزرها خيراً، وأوسعها أسواراً وأحسنها قصوراً، ولا شك أنها كانت مركزاً يستقطب تجارة أهل السودان الغربي،¹

ومع منتصف القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي بدأت حركة المرابطين القادمة من الساحل السنغالي، تقودها قبائل الشمال البربرية المنتشرة في صحراء المغرب الأوسط والأقصى، وقد كان لتوسع إمارة المرابطين الدور الكبير في توغل الفتح الإسلامي جنوباً والدخول في صراعات مع مملكة غانة الوثنية، التي أخضعت عاصمتها "أودغشت" في القرن الحادي عشر الميلادي على يد قائد المرابطين "عبد الله بن ياسين" عام 446هـ/1054م²، وكان لإسلام ملوك غانة دافعاً قوياً لنشر الدعوة الإسلامية إلى بلاد التكرور ومناطق أعمق من غرب إفريقيا، وامتد نفوذ حركة المرابطين لتشكل دولة امتدت من الجنوب إلى الشمال لتحكم بلاد السودان والجزء الغربي للمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وحتى بلاد الأندلس³.

وتميزت في العهد المرابطي العلاقات المرتبطة بين مدن الجزائر الكبرى كتلمسان وملوك منطقة الساحل الإفريقي بالطيبة، فقد كانت "لهلال القطلاني" حاجب "عبد الرحمان أبو تاشفين الأول" صداقة متينة مع ملك مالي "منسى موسى"، وهو الأمر الذي قوى التبادل التجاري بين تلمسان ومالي، ومن جهة أخرى تذكر المصادر أن العديد من التجار التلمسانيين أقاموا بمالي ونشروا بها الإشعاع الثقافي أمثال: "محمد الفقيه الجزولي" وصهره الفقيه "عبد الواحد المقري" والشيخ "اللبان التلمساني" وغيرهم⁴.

واللافت للنظر، أنه خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وبعد سقوط دولة المرابطين المفاجئ على يد الموحدون لم تتأثر العلاقات التجارية والروحية بين ضفتي الصحراء الكبرى، ويرجع ذلك

¹ أوريدة عبود، "الدولة الحمادية وبنيتها الثقافية"، مجلة علوم الانسان والمجتمع، ع24، سبتمبر 2017، ص336

² أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج2. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ص862.

³ عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سبق ذكره، ص9.

⁴ بالحاج بن عمر أوزايد، العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، مرجع سبق ذكره، ص58.

إلى أن حركة الموحدين هم من قبائل زناتة البربرية المنتشرة في صحراء المغرب الأوسط، ولم يختلف توجهها العام عما سبقها إلا فيما يتعلق بمسائل في العقيدة الإسلامية وبقي التوجه الاقتصادي الخارجي في تزايد، حيث تنامت المعاملات الاقتصادية وظلت الطرق التجارية قائمة بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي، وتعاضم دور المراكز التجارية واستقطابها لتجار المشرق العربي والجنوب الإفريقي، فذاع صيت حواضر قسنطينة وبجاية وتلمسان خاصة في عهد أمير المؤمنين "عبد المؤمن بن علي الندرومي"¹.

وذكر ابن سعيد في كتاب الجغرافيا في نفس الفترة يصف العلاقة بين ورجلان (ورقلة) وبلاد السودان بقوله: "وهي (أي ورقلة) بلاد نخل وعبيد، ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقيا، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"²، وهو بذلك يشير إلى كثرة التعاملات التجارية بين ضفتي الصحراء الجزائرية.

وبعد سقوط الدولة الموحدية في 668هـ/1269م خلفتها على المغرب الأوسط الدولة الزيانية التي شهدت أسواقها تعاملات مباشرة مع الضفة الجنوبية للصحراء الكبرى³، واعتمدت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط في اقتصادها على النشاط الفلاحي والثورة الحيوانية واشتهرت بهما، إذ يقول صاحب الاستبصار عن الإمارة الزيانية: "للمغرب الأوسط مدن كثيرة قد ذكرنا أكثرها في البلاد الساحلية، وهي كثيرة الخصب والزرع، كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي ومنها تصدر الأغنام إلى بلاد السودان"⁴.

¹ زعيم خنشلاوي، "دور الاشراف المرابطين"، مجلة رسالة المسجد، ع08، اوت 2008، ص11.

² غربي بغداد، "أضواء على العلاقات بين السودان وبلاد المغرب الإسلامي حتى فترة الموحدين العلاقات التجارية نموذجاً"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مح05، ع03، جوان 2022، ص333

³ Voguet, Élise. " Le Maghreb central au ixè/xvè siècle. Résistances à l'idéal islamique d'unité ", Hypothèses, vol. 7, no. 1, 2004, p. 227.

⁴ مجهول، كتاب الاستبصار في غرائب الامصار. المغرب: دار النشر المغربية، 1985، ص179

اشتهرت في عهد الزيانيين العديد من المدن التجارية الجزائرية، التي كانت كهمة وصل بين أسواق أوروبا (العالم المسيحي) وأسواق إفريقيا جنوب الصحراء (بلاد السودان)، إذ تمثل هذه الأسواق المركز الاقتصادي وتُعنى بوظائف أخرى اجتماعية وثقافية، ومن بين الأسواق التي اشتهرت بها مدن المغرب الأوسط (الجزائر) كما قال البكري: "أسواق مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط"، فقد كانت خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي من أكبر موردي السلاح من أوروبا، وكان تجار تلمسان يبادلون هذا السلاح بالعاج والأبنوس والذهب بصورة خاصة في إفريقيا جنوب الصحراء.¹

وفي نفس الفترة، يصف "الإدريسي" أسواق مدينة "وهران" بأنها شديدة التنظيم ووفودها كثر، وكما أعجب "حسن الوزان" بكثرة أسواق "جزائر بني مزغنة"، فيقول: "وهي كبيرة جدا تضم نحو أربعة آلاف كانون أسوارها رائعة ومتينة جدا مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميل وأسواق منسقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص، وفيها كذلك عدد كثير من الفنادق والحمامات..."²

خلاصة القول، أن الجزائر وبالرغم من التغيرات السياسية التي مرت بها وتعدد الإمارات والأنظمة المتعاقبة عليها، إلا أنها وبحكم موقعها الجغرافي المميز، جعلها من أهم المراكز الاقتصادية في شمال إفريقيا ومنطقة عبور وملتقى لتجارة بلاد السودان جنوب الصحراء وأوروبا شمالا، ومكانا لمقايسة بضائع المغرب العربي الكبير والبضائع الآتية من الشرق العربي، وهذا ما زاد من أهمية الحواضر الكبرى الجزائرية سواء الواقعة شمالا كقسنطينة والجزائر ومعسكر وتيارت وتلمسان³، والواقعة جنوبا كورقلة وتوات وتندوف والهقار حيث كانت المنطقة الصحراوية للجزائر منذ القدم مساحة للتواصل وتدفقات الهجرة والتبادلات

¹ الحاج بن عمر أوزايد، العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، مرجع سبق ذكره، ص 59.

² مبخوت بودواية، "الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني"، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، ع 01، ديسمبر 2008، ص 56

³ ناصر الدين سعيدون، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 73

التجارية الواسعة، ورغم شساعتها لم تكن عائقا أمام تواصل الشعوب الإفريقية من الجنوب والشمال، ولذلك لم تكن هذه الاتصالات اقتصادية فحسب، بل كانت أيضاً فكرية وفنية وروحية.¹

ساهم تزايد نمو التجارة بين ضفتي الصحراء الجزائرية إلى تغير معالم الحياة داخلها من حياة بسيطة إلى حياة أكثر تحضراً، فقد نمت المراكز التجارية وتوسعت وامتدت حدودها حتى أصبحت قوة اقتصادية، شهدت العديد من الصراعات بهدف السيطرة على هذه المراكز، وعليه كانت الأطماع الأوروبية في تزايد للاستحواذ على مقدراتها والاستفادة من موقعها القريب والرابط من مراكز الذهب والموارد الطبيعية في إفريقيا جنوب الصحراء.

¹ مولاي أحمد. "التجارة والرحلة ودورها في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي ما بين القرنين 11 و 12 هـ- 17 و 18 م". مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية ع 5، جويلية 2015، ص 47

المطلب الثاني: الطرق والقوافل التجارية الجزائرية ودورها الحضاري في ربط شعوب منطقة

الساحل الإفريقي

شكلت المسالك والطرق على مر العصور أهمية كبرى للمراكز الحضارية، فنشاط حركتها هو الذي يحدد مدى أهمية تلك المراكز، وهنا يأتي عامل الموقع ودوره في نمو المركز وتحويله إلى مدينة بأبعادها الحضارية على طول الطرق الرابطة بين جميع الجهات المحلية والعالمية، والطرق هي شريان الحياة لدى المجتمعات المتباعدة¹.

وقد اتخذت مقاييس لقياس المسافات القصيرة والطويلة، وهي لا تختلف عن مثلتها في بلاد المشرق، مثل المرحلة*، الذراع²، الفرسخ³، الميل⁴ واليوم، ولعبت الطرق خاصة التجارية منها العابرة للصحراء الكبرى أدوارا هامة في تاريخ المنطقتين الواقعتين على طرفيها الشمالي والجنوبي، فقد تم من خلالها التبادل التجاري منذ أقدم العصور، وبفضل نشاط الحركة التجارية اتصلت إفريقيا جنوبي الصحراء بحضارات البحر الأبيض المتوسط⁵.

وقد تمت دراسة الكثير من الآثار القديمة للطرق والمسالك عبر الصحراء الكبرى، الأمر الذي ساعد على تتبع ارتباطاتها القديمة بالمراكز والشعوب الإفريقية على حوض نهري السنغال والنيجر، فوجدت المراكز التجارية على أطراف الصحراء حول الواحات والوديان، حيث كان التعامل أول الأمر بسيطا بين السكان

¹ فاطمة بلهوارى، "التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ/10م"، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع42، 2008، ص63

* شاع استعمالها في قياس المسافات بين مدينة وأخرى وتم تحديدها بحوالي ثلاثون كلم،

² فهو قياس ذراع رجل معتدل. وقدرت ما بين 24 إلى 48 سم.

³ أحصى "المقدسي" قياسه باثني عشر ألف ذراع. انظر: محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991، ص65.

⁴ قدر بثلاث الفرسخ. وهو ما يعادل 1,440 كلم.

⁵ إبراهيم محمد احمد بلولة، "الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وآثارها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية"، مجلة دراسات دعوية، ع09، فيفري 2005، ص67

المستقرين على أطراف الصحراء والبدو المتجولين لسد حاجياتهم نظرا للتباين الكبير بين إنتاج المنطقة الصحراوية والأقاليم المحيطة بها، فانتعش نطاق هذا التبادل عندما تم عبور الصحراء بصورة منتظمة منذ العهد الفينيقي، ودخلت سلع منطقتي حوض البحر المتوسط والسافانا جنوبي الصحراء في الميدان التجاري، فازدادت الحركة التجارية في المحطات الواقعة على مرافئ الصحراء الشمالية والجنوبية وتغيرت طبيعة الحياة فيها¹.

غير أن العصر الذهبي لمصادر الطرق في منطقة الساحل جنوب الصحراء يبدأ بدخول الإسلام في شمال إفريقيا منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وبدأت اتصالات المسلمون بممالك جنوب الصحراء تتكشف، وقد سجلت كتب التراث العربي معلومات غزيرة عن هذه المنطقة والطرق والمسالك المؤدية إليها إضافة إلى أهم المراكز الحضارية بها، وتضمنت تلك المعلومات الأنشطة الاقتصادية والثقافية والعلاقات الاجتماعية لشعوب المنطقة والأنظمة السياسية التي سادت عليها².

إن أول من اهتم بدراسة طرق القوافل عبر الصحراء هم الرحالة والجغرافيون والمؤرخون العرب الذين سجلوا في كتاباتهم ورحلاتهم بداياتها ونهاياتها، منهم "ابن حوقل" في القرن العاشر الميلادي، "البكري" في القرن الحادي عشر، "الإدريسي" خلال القرن الثالث عشر، "ابن بطوطة" و"العمري" و"ابن خلدون" في القرن الرابع عشر، و"الحسن الوزان" في القرن الخامس عشر وغيرهم.

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي جذب النشاط التجاري الواسع بالصحراء الكبرى انتباه الرحالة الأوروبيين والدوائر الاستعمارية، خاصة البريطانية والفرنسية منها التي

¹ كلثوم بن تيسة، الصلات الثقافية بين بلدان المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 10هـ/16م، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، 2016، ص36

² إبراهيم محمد أحمد بلولة، "الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وآثارها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية"، مرجع سبق ذكره، ص68

اهتمت بالتعرف على طرق القوافل الصحراوية القديمة، وإرسال البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية معتمدة في ذلك على ما سجله الكُتّاب العرب من معلومات غزيرة، ومن بين الأوروبيين الذين اهتموا بذكر هذه الطرق: بارث، رولفس، ناختيجال، جيمس ريتشاردسون، بويرمان، فوجل وغيرهم¹.

وهكذا أضحت الطرق التجارية عبر الصحراء هي الوسيلة والمنفذ الوحيد في نقل كافة المؤثرات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تصل بين نقطة وأخرى وتوجد عشرات المحطات في كل طريق، ومن كل طريق كانت تتفرع عدة مسالك، وعلى امتداد كل هذه الطرق والقوافل كانت هناك آبار ارتوازية تستريح فيها القوافل وبها تعرف وجهتها.

عبر الطرق والمسالك سارت قوافل* الصحراء وهي من أبرز العوامل المساهمة في توثيق الروابط بين الشعوب، وشاهدا على الاتصال المحكم بين اللغة والعقيدة والثقافة والفكر والتفاعل الحضاري، فقد كانت الصحراء الكبرى تعج بقوافل التجارة والدعاة والرحالة المسلمين والدعاة الذين ينتقلون من بلد إلى آخر، كما كانت تحتضن اللاجئين السياسيين الذين يعملون من أجل استرداد أمجادهم المسلوقة في كل مكان يحلون فيه.²

كانت أهمية طرق القوافل العابرة للصحراء تتغير طبقا لقيام الدول وانهارها وانتقال مركز الثقل السياسي والاقتصادي، ففي عهد مملكة "غانا" مثلا كانت الطرق الغربية أكثر أهمية، وبانهارها وقيام مملكة

¹ رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر. ليبيا: مركز جهاد للدراسات التاريخية، 1998، ص214 * مصطلح القافلة لغة: من القفول أي العودة، يقول ابن منظور: سميت القافلة تفاقولا بقبولها عن سفرها الذي ابتدأته. انظر: ابن منظور، لسان العرب المخط، مج05. بيروت: دار الكتاب العلمية، 2005، ص634

والقافلة اصطلاحا: يقصد بها القافلة التجارية، وهي تنظيم مسبق تقوم به جماعة أغلبها تجار قد تختلف اصولهم ولكن هدفها اقتصادي هو الربح التجاري والمتاجرة بيبعا وشراء، وهناك القافلة التجارية الدينية، وهي القافلة التي أغلبها حجاج بيت الله. انظر: علي جواد، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط2، ج7، بغداد: جامعة بغداد، 1993، ص232

² بالحاج بن عمر أوزايد، العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، مرجع سبق ذكره، ص65

"مالي" انحرفت هذه الطرق شرقا، وبقيام مملكة "صنغاي" زاد انحراف هذه الطرق ناحية الشرق وأصبحت نهاية الطرق تمبكتو وجاو، وعقب سقوط مملكة صنغاي عام 1000هـ/1591م قلت أهمية الطرق الغربية ونشطت الطرق الشرقية عند قيام ممالك "الهوسا"¹.

وبحكم الموقع المميز للجزائر فقد ارتبط حيزها الجغرافي بمنطقة الساحل الإفريقي عبر شبكة من الطرق والمسالك المتعددة الممتدة من أقصى الشمال إلى أقاليم ممالك جنوب الصحراء، وقد تشكلت تلك الطرق نتيجة علاقات تاريخية متينة خاصة في المجال التجاري الاقتصادي من أجل تلبية الحاجات وإشباع الرغبات، الأمر الذي عزز سبل التواصل والتلاحق الفكري والثقافي والاجتماعي في إطار حضاري تم من خلاله نشر الدين والثقافة الإسلامية.

منذ القرن 9هـ/15م كانت التجارة رائجة بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي عبر عدة طرق ومراكز تجتمع وتلتقي فيها قوافل الجزائر بالمغرب الأدنى والأقصى، لتتجه كلها عبر الصحراء الجزائرية ومنها إلى حواضر "تمبكتو" و"غانا" وأسواقها التي اشتهرت بتجارة الذهب والرقيق والملح².

أما وسائل النقل لهذه القوافل التجارية الكبرى فكانت الجمال التي بلغ عددها خلال العام الواحد والتي تنطلق من مدينة ورقلة وحدها حسب ما ذكر العلامة "ابن خلدون" اثنا عشر ألف (12000) جمل، وكانت لتلك القوافل تقاليد في السير والحراسة وعند وصولها إلى بلدان منطقة الساحل الإفريقي تحظى باستقبالات بهيجة من طرف الوجهاء والهيئات الرسمية والساكنة، وقد شاع في أوروبا آنذاك خبر الخيرات الكثيرة المتبادلة بين العرب والأفارقة بمنطقة الساحل الإفريقي، وكان ذلك من بين العوامل الباعثة لديهم على البداية بالاستكشافات الجغرافية، ومثال ذلك ما فعلته جمهورية "جنوا" الإيطالية في تمويل رحلة أحد رجالها وهو

¹ مولاي الطاهر سعيد، "تجارة القوافل عبر الصحراء بين المغرب والسودان الغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة متون، مج 11، ع 01، أبريل 2019، ص 150

² جوزفين كام، المستكشفون في إفريقيا، تر يوسف ناصر. القاهرة: دار المعارف، 1983، ص 21

"مالفانت" الذي تمكن من الوصول إلى مشارف الصحراء الجزائرية في تمنطيط (توات) عام 1493م، بقصد الاطلاع بعين المكان على قوافل التجارة من إحدى منطلقاتها الكبرى، وأيضاً معرفة البضائع المتداولة ونوعيتها وما كانت تدره تلك التجارة من أرباح¹.

بالرجوع إلى ما كتبه الرحالة والمستكشفين سواء العرب منهم أو الغربيين نلاحظ بشكل جلي أهمية المدن الجزائرية الكبرى كمراكز تنطلق أو تمر بها القوافل التجارية، إذ في إطار تحديدهم لمسارات وطرق القوافل التجارية كان لابد من ذكر إحدى المراكز الجزائرية المشهورة بأسواقها وقصورها. وسنسلط الضوء فيما يلي على: المسارات الرئيسية التجارية ومحطاتها بين بلاد الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي، أهم السلع المتداولة والأسواق التجارية القائمة بين الطرفين.

الفرع الأول: أبرز الطرق التجارية العابرة للجزائر اتجاه منطقة الساحل الإفريقي

تعددت وتشعبت الطرق والمسالك التي ارتكزت عليها العلاقات التاريخية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي، فقد تشكلت شبكة واسعة متداخلة ربطت الأراضي الجزائرية ببعضها البعض كما ربطتها بمناطق جنوب الصحراء الكبرى وباقي الدول المجاورة، ووفقاً لأبرز ما وثقته الكتابات التاريخية للمؤرخين العرب* والمستكشفين والرحالة الغربيين² يمكن تقسيم هاته الطرق والمسالك إلى جهات ثلاث، وهي كالآتي:

أولاً: المسالك والطرق من ناحية الغرب

¹ عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص، ص 43، 44.

* أمثال: ابن بطوطة، الادريسي، ابن حوقل، الحسن الوزان، ابن خلدون، البكري، وغيرهم ممن جهلت أسماءهم.

² أمثال: جودراي (Goudray)، ادوارد بلان (Edouard Blanc) هذا الأخير كتب دراسة هامة وضع فيها خريطة جامعة حدد فيها حتى تلك التي سلكها امثاله من المغامرون الأوروبيين أواخر القرنين 18 و 19 ميلادي. انظر: بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 91

أ- **طريق مراكش إلى تمبكتو:** ويمر على مدينة تندوف ويتجه إلى تاوديني ويخترق صحراء الجوف ليتجه إلى تمبكتو وقد سلك هذا الطريق الجيولوجي الألماني أوسكار لينز (Oskar Lenz) في رحلته الاستكشافية عام 1880م¹، كما له أفرع أهمها من مدينة تافيلالت إلى تيميمون وعين صالح إلى أودغست وولاتة ليصل إلى تمبكتو²؛

ب- **طريق فاس ومكناس إلى تمبكتو:** اشتهر هذا الطريق بتجارة الذهب ومسيرته ثلاثة أشهر ويتوسط مساره إقليم توات المشهور، إذ يبدأ الطريق من فاس ومكناس ويمر بقصبة المخزن وأم دريبينة، ثم يتبع حوض وادنمير إلى ايجلي، وحوض واد أم الساورة إلى إقليم توات، كابلي (أقبلي)، بيرتير، والسن، عين رنان، ومبروك ليصل إلى تمبكتو³، يوجد على هذا المسار العديد من الآبار المكسوة بجلود الإبل والمبنية بعظامها⁴؛

ت- **طريق وهران إلى تمبكتو:** ويمر على الخيثر، مشرية، عين الصفراء، فجيح ويتبع مجرى وادي زوزفانة نحو إيجلي، حيث يلتقي بمسلك فاس إلى تمبكتو، ولهذا المسلك فرع آخر إلى شرق الطريق الأول ويوازيه في المسار، إذ يبدأ من الخيثر إلى البيض والأبيض سيدي الشيخ، المنقب إلى توات⁵؛

ث- **طريق تلمسان إلى السودان الغربي:** من تلمسان وتاهرت يتجه صوب الصحراء يمر على البيض، متليلي، واد زاب، ورجلان، تادمكة إلى مدينة كوكو (شمال مالي)، ويتقاطع هذا المسار مع مسارات

¹ أحمد إبراهيم دياب، الاستعمار الأوروبي ونتائجه على العلاقات العربية الأفريقية. مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991، ص 41

² كلثوم بن تيسة، الصلات الثقافية بين بلدان المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سبق ذكره، ص 48

³ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر. مصر: جامعة الدول العربية، 1984، ص 128

⁴ الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، مرجع سبق ذكره، ص 317

⁵ محمد الكبير فقيحي، "الدور الاجتماعي والاقتصادي للقوافل التجارية والحجوية بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة"، مجلة دراسات، مج 04، ع 02، ديسمبر 2015، ص 188

متعددة عند مدينة ورقلة حالياً¹، وسجل البكري مسلكاً آخر يمر به هذا الطريق قائلاً: "تلمسان ومنها إلى قلعة ابن الجاهل، وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار والأنهار ثم إلى جبل تادني وإلى مدينة تيزيل وهي أول الصحراء ومنها يسافر إلى مدينة سجماسة وإلى ورجلان"².

ثانياً: المسالك والطرق من ناحية الوسط:

✓ طريق مدينة الجزائر إلى تمبكتو: يبدأ هذا الطريق من الجزائر إلى تمبكتو ويمر على البليدة، بوغار، الأغواط، غرداية، المنيعة، عين صالح، أقلي، بير تيريشومين حيث يلتقي بطريق توات إلى تمبكتو، وقد سلكه الضابط الفرنسي "بالا"، ولهذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بير عسيو، حيث يتفرع إلى فرعين كذلك: الأول يسلك إلى الجنوب مباشرة نحو أقاديم وماو شرق بحيرة تشاد. والثاني يتجه نحو الجنوب الغربي نحو أغاديس، حيث هو الآخر يتفرع إلى فرعين: فرع إلى سوكوتو، وفرع إلى كاتسينا بنيجيريا حالياً³.

ثالثاً: المسالك والطرق من ناحية الشرق:

أ- طريق سكيكدة إلى تمبكتو: يمر على قسنطينة ثم باتنة، بسكرة، تقرت، ورقلة، البيوض، امقيد، الهقار، تيميساو وايفروان وصولاً إلى تمبكتو. ويُذكر أنه مر على هذا المسار الضابط الفرنسي فلاترس (Flatres) ويضطر عابري هذا المسلك اجتياز صحراء جافة وخطيرة.

¹ كلثوم بن تيسة، الصلات الثقافية بين بلدان المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سبق ذكره، ص46

² عمر صالح سالم الفانوس، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص64

³ عبد الله عباس، " دور إقليم توات في المبادرات التجارية بين بلدان المغرب الإسلامي والسودان الغربي"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج05، ع12، ديسمبر 2017، ص215

ولهذا المسار فرع يبدأ من جنوب بسكرة ليتجه إلى واد سوف، ومن هناك إلى غدامس وغات، جبادو، بلما، أقاديم وماو. كما لهذا الطريق فرع ثالث يبدأ من البيوض إلى عين صالح ثم إلى غات¹؛

ب- **طريق طرابلس إلى تمبكتو:** يعتبر هذا الطريق أطول الطرق التجارية المتجهة صوب جنوب الصحراء، حيث تستغرق القافلة مدة لا تقل عن تسعة أشهر ذهابا وإيابا، وهو أكثر الطرق تعرضا للخطر²، ويصف المؤرخ الجزائري يحيى بوعزيز هذا الطريق بأنه يبدأ من طرابلس ويمر على سيناو وخدامس ثم يدخل الأراضي الجزائرية عند تماسين (تقرت) حيث يلتقي بطرق قسنطينة المؤدية إلى تمبكتو. ولهذا الطريق مسلك فرعي إلى غات وبئر عيسو، أغاديس، سوكتو، كاتسينا غربا إلى أقاديم وماو شرقا³، وفصل في بيان هذا الطريق Zimmerer حين قال أن هذا الطريق يمر بمنطقة كثنان رملية في الجزائر ويصل إلى ورقلة ووادي سوف وطرق جنوبي غربي يمر عبر البيوض نحو عين صالح وواحات توات، ويستمر من هناك باتجاه تمبكتو، وطريق جنوبي شرقي يسيّر مباشرة نحو تمبكتو عبر تماسين أمغيد، إدلس. وطريق جنوبي عبر غات وبلاد الأير أو مرتفعات الأسبن وأغاديس نحو زندر وكانو وسوكتو⁴. ويذكر الرحالة الألماني فريدريش رولفس (1831-1869م) والذي سلك أغلب الطرق الصحراوية: "أن القدامى قد وصلوا بين مناطق الشمال مثل طرابلس وتونس وربطوا بين الجنوب حتى توات وتمبكتو"⁵.

¹ بالحاج بن عمر اوزايد، العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من مطلع القرن 16م إلى نهاية القرن 19م، مرجع سبق ذكره، ص98

² فاطمة علي أحويلات، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2016، ص119

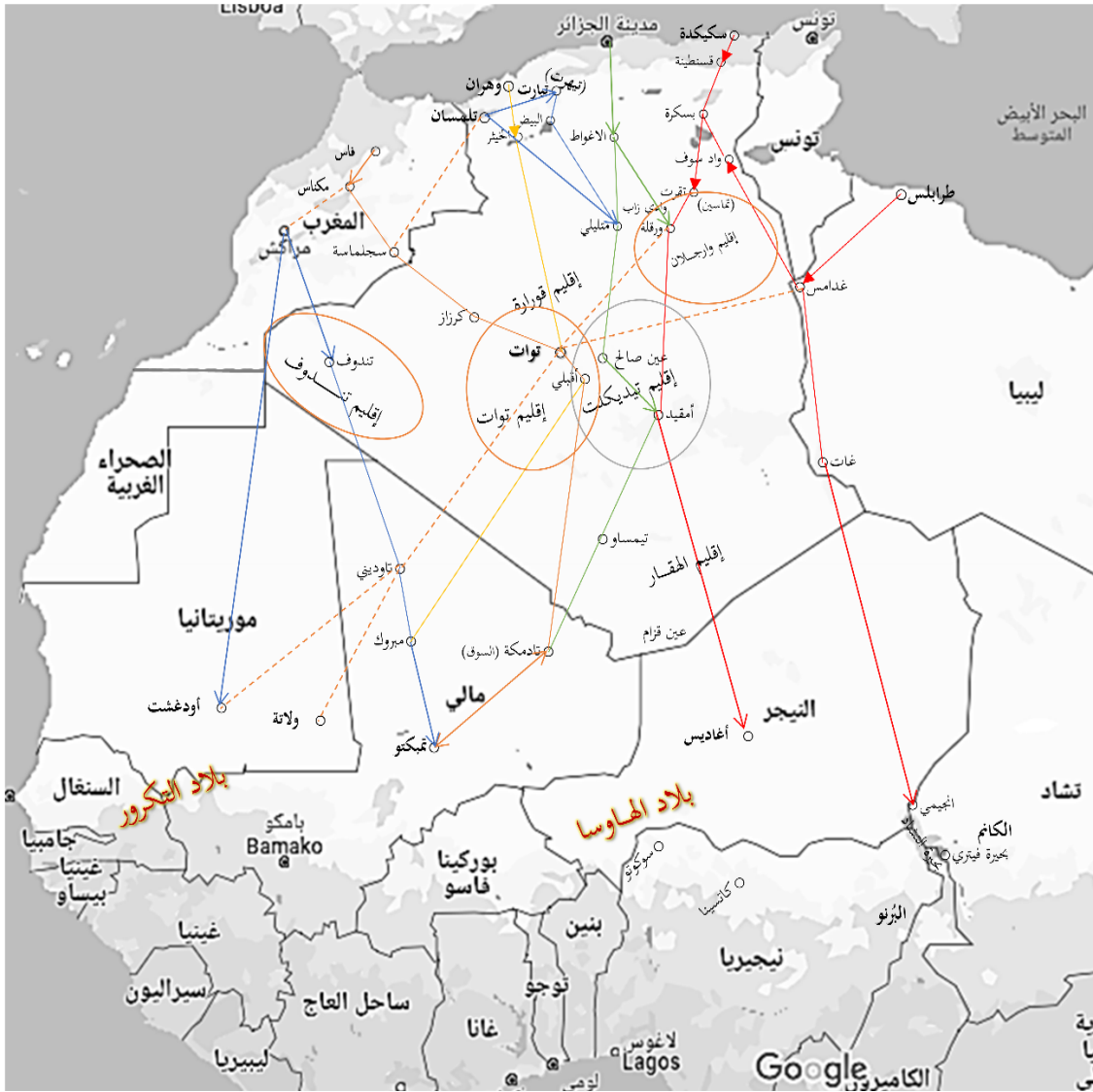
³ بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص93

⁴ رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر. مرجع سبق ذكره، ص224

⁵ فاطمة علي أحويلات، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص120.

إن الطرق والمسالك السالفة الذكر لم تبقى ثابتة عبر الحقب الزمنية، إذ أن تباين الظروف السياسية والأمنية التي تعرضت لها الصحراء الكبرى عملت على تغيير بعض مساراتها من فترة لأخرى، ولكن الاتجاهات عموماً حافظت على ثباتها لارتباطها بالمراكز التجارية التي لم تفقد أهميتها¹.

الشكل رقم (23): خارطة للطرق والمسالك التجارية العابرة للجزائر تجاه منطقة الساحل الإفريقي



المصدر: من إعداد الباحث بناء على ما سبق

¹ أوزايد بالحاج، بوسليم صالح، "تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري"، مرجع سبق ذكره،

وفقا لما سبق وتأكيدا على ما تبينه الخريطة أعلاه فإنه توجد عشرات المحطات في كل طريق ومن كل طريق كانت تتفرع عدة مسالك وعلى امتداد كل هذه الطرق والقوافل كانت هناك آبار ارتوازية تستريح فيها القوافل وبها تعرف وجهتها، وهكذا أضحت الطرق التجارية عبر الصحراء هي الوسيلة والمنفذ الوحيد في نقل كافة المؤثرات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تصل بين نقطة وأخرى.

ولأهمية هاته الطرق خاصة الجنوبية منها بالأراضي الجزائرية بالنسبة لممالك السودان الغربي، فقد وجدت الكثير من المراسلات التي حرص من خلالها ملوك مالي على ربط علاقات طيبة مع أمراء كل من منطقة "الزاب" و"ورجلان"، وليس لارتباط الطرفين بمصالح تجارية فقط، وإنما لحاجة ملوك مالي لتأمين الطريق المؤدي إلى الحج الذي يرتادونه كل موسم حج، والذي يمر ببلاد تقرت.¹

إن أغلب هذه الطرق التجارية كانت تمر بالصحراء الجزائرية في مراكز تلتقي فيها القوافل كورقلة وعين صالح وتوات والأهقار، تنتهي مسيرة تلك القوافل في حاضرة تمبكتو بسبب سوقها الكبير ومركزيتها في منطقة الساحل الإفريقي آنذاك خاصة خلال القرن الرابع عشر الميلادي/8هـ، وقال عنها عبد الرحمان السعدي بأنها ملتقى التجار وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة من كل بلاد²، وقد كانت تلك الطرق عموما شرايين حيوية، أسهمت في تدفق التجارة وازدهارها بين شمال الصحراء وجنوبها وكان للجزائر وحواضرها الحظ الأوفر منها والمركز الأساسي للتفاعلات التجارية في شمال إفريقيا وجنوب الصحراء.

مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي برزت الطرق البحرية بشكل لافت وأصبحت البديل الأيسر للوصول إلى منطقة الساحل الإفريقي عبر المحيط الأطلسي، مما أدى إلى تراجع أهمية الطرق البرية

¹ نور الدين شعباني، دور عائلة كايثا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها الخارجية بين القرنين 05 و09 و11 و15م، مرجع سبق ذكره، ص387

² الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15 م. لبنان: دار الملتقى للطباعة والنشر، 2001، ص99

الداخلية، كما شهدت الجزائر في عهد العثمانيين إهمالا كبيرا للطرق التجارية العابرة للصحراء والعلاقات التجارية الإفريقية.

ومع منتصف القرن التاسع عشر الميلادي/13هـ، أصاب الركود العديد من المراكز والمدن الجزائرية الصحراوية منها كورقلة وتوات والشمالية كتلمسان والجزائر، ويرجع ذلك إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر وتوغله فيها، ففي الوقت الذي كانت فيه ورقلة مخزنا للبضائع المستوردة عن طريق القوافل من الشمال نحو الجنوب، فإن القوافل المارة عليها من بسكرة والقادمة من سكيكدة وقسنطينة قد مُنعت من طرف الاحتلال الفرنسي بحجة أنها تنقل المؤن للثوار الجزائريين في الجنوب، كما مُنعت القوافل القادمة من البريد التونسي لذات السبب، الأمر الذي شل الحركة التجارية الموجهة إلى منطقة الساحل الإفريقي وجعلها تسير بطريقة مختلفة¹.

سعت فرنسا في إطار سياستها التوسعية إلى إحكام السيطرة على كل من الجزائر ودول الساحل الإفريقي والتحكم في موارد هذه الأخيرة وتجارتها، فسارعت إلى الحد من أهمية الطرق التجارية والمراكز القديمة داخل مستعمراتها، ولكي تستفيد من خيارات مستعمراتها الجديدة وتمهيدا لربطها استعملت وسائل للنقل كالشاحنات والطائرات والسفن، ففي عام 1923م عبرت أول سيارة الصحراء الكبرى من الجزائر إلى تمبكتو، وبحلول عام 1930م كانت الشركات التجارية للنقل بالسيارات تعمل في المراكز الرئيسية للنشاط الاقتصادي في الجزائر وبلدان منطقة الساحل الإفريقي².

¹ سميرة دعاشي، "واقع تجارة القوافل بين ضفتي الصحراء الجزائرية في ظل التغيرات التي أحدثتها فرنسا بالمنطقة بدايات القرن العشرين"، مجلة

عصور جديدة، مج13، ع01، ماي 2023، ص280

² نفس المرجع، ص287

الفرع الثاني: أهم السلع في المبادلات التجارية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي

اشتهرت بلاد الجزائر بتنوع منتوجاتها ووفرة محاصيلها الزراعية، إذ أفاضت مصنعات الرحالة والجغرافيين في ذكر معلومات قيمة بتفاصيل نادرة عن خيراتها وما تفيض به أرضها، وما تنقله القوافل التجارية من منتجاتها وما تتاجر به عبر الأقاليم المجاورة لها وخاصة بلدان الساحل الإفريقي، وبذلك شهدت الحركة التجارية بين القطرين الجزائري والساحل الإفريقي كثافة في تنقل البضائع والسلع بتنوعها وتعدد مصادرها، ويمكن تصنيفها إلى سلع صادرة إلى منطقة الساحل الإفريقي وأخرى واردة منه، وسنورد في التالي أبرز السلع الصادرة والواردة بين القطرين.

أولاً: السلع الصادرة إلى منطقة الساحل الإفريقي

تباينت السلع التي وصلت إلى ممالك دول الساحل الإفريقي عبر القوافل الجزائرية فمنها ما هو محلي منتج بالجزائر ومنها ما تم استيراده من مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط أو البلدان المجاورة لها والتي يقع خط سير قوافلها على الأراضي الجزائرية، ومن بين أهم الصادرات نذكر:

أ- **الملح:** كان الملح سلعة ذات قيمة عالية ليس فقط لأنه صعب الحصول عليها في منطقة جنوب الصحراء الكبرى ولكن لأنه كان يُستهلك باستمرار ولم يلب العرض الطلب الكلي مطلقاً¹، لذلك كان تجار الشمال يستغلون ندرته بالساحل الإفريقي، وكون تكلفة نقله مرتفعة جعل التجار يرفعون من سعره. وبالتالي، غالباً ما تم استبدال الملح بالذهب، فكان التاجر التلمساني يبيع الملح وزناً بوزن الذهب أو يضاعف وزن الذهب مقابل وزن الملح².

¹ Mark Cartwright, "The Salt Trade of Ancient West Africa", *World History Encyclopedia*. Last modified March 06, 2019. <https://www.worldhistory.org/article/1342/the-salt-trade-of-ancient-west-africa/>. (date of visit: 11.03.2023)

² طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر، 2004، ص95

قال ابن حوقل: "ربما بلغ الحمل من الملح في دواخل بلاد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار"¹، وقال ابن بطوطة مشيراً إلى قيمته النقدية: "وبالمح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، ويقطعونه قطعاً ويتبايعون به"²، ودل هذا القول على أن القيمة الشرائية للمح كانت تعادل وزنه ذهباً وفضة.

وعن أهميته التجارية لدى مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي ورد عن الإدريسي قوله: "يملحون به ضرباً من السمك والحيتان التي يصطادونها من النيل (السنغال)"³، ويذكر خوان جوزيف عنه بقوله: "إن الملح يعتبر رحيق الحياة للإنسان الذي يعيش في مناطق السافانا ذات الشمس الحارقة التي تشع حرارة شديدة، يخرج على أثرها الخزين الملحي الذي يتحصن به جسم الإنسان، فيتعرض إلى العلل والأمراض التي تؤدي إلى موت حتمي"⁴.

ب- **القمح**: ويعد من أهم المواد الغذائية التي عُرفت بمنطقة الساحل الإفريقي عن طريق القوافل التجارية الواردة إليها من الضفة الشمالية من الصحراء الجزائرية، وقد كان ثمنها مرتفع، فكان لا يأكله إلا الطبقات المترفة الثرية في بلاد السودان وتجارها⁵.

ت- **التمور والفواكه المختلفة ومنها البرتقال والليمون**: كانت تزرع في جميع أنحاء البلاد، كما زرع التين والكروم، وتُستهلك بكثرة في بلاد الساحل الإفريقي ما ساهم في ارتفاع ثمنها لدى التجار، ونظراً لكثرة زراعة النخيل بالجنوب الجزائري اشتهر تمر ورقلة وتوات بجودته وكثرة بيعه في

¹ الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15 م. مرجع سبق ذكره، ص 99

² محمد الشريف، الغرب الإسلامي نصوص دفينية ودراسات. تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الاندلسية، 1999، ص 118

³ عمر صالح سالم الفانوس، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص 67

⁴ خوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر، مختار السويقي. القاهرة: دار الكتاب المصري، 1984، ص 52

⁵ أمل الشمراي، رحلات الحج وأثارها على بلاد السودان الغربي في عصر دولتي مالي وسنغاي، أطروحة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، 2012، ص 245.

الأسواق¹، ويذكر الرحالة "لويس فانون" كثرة النخيل وإنتاج التمور بمنطقة عين صالح باعتبارها مركزا تجاريا هاما تلتقي فيه القوافل، فقد عدّ نخيل المنطقة نهاية القرن التاسع عشر بحوالي (90.000) نخلة².

ث- **النحاس:** يأتي معدن النحاس في الأهمية بعد الذهب والملح، وذلك للحاجة الماسة إليه في الصناعات الحربية، الزينة وصناعة الأواني وغيرها، عُرفت منطقة اكجوجت بموريتانيا وتكدا به غير أنه غير كاف لإشباع السوق المحلية³، فكانت القوافل الجزائرية والعبارة لصحرائها تستورده من بلدان شمال البحر المتوسط، وتواجدت بكثرة في أسواقها الداخلية وكانت تجارتها رائجة في بلدان الساحل الإفريقي، فقد تحدث ابن بطوطة على استخدام النحاس كعملة تستعمل في البيع والشراء وقال: " فإذا سبكوه نحاسا أحمر، صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف بعضها رفاق وبعضها غلاظ...، يشترون برقاقها اللحم والحطب، ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح"⁴.

ج- **الكتب والمخطوطات:** ساهم التجار العرب المسلمين بدرجة كبيرة في نقل الكتب الدينية التي أعانتهم على نشر تعاليم الإسلام، فقد وصل إلى بلاد السودان الغربي العديد من الكتب مثل صحيح البخاري ومسلم، كتب النحو والصرف ككتاب قطر الندى وبل الصدى لابن هشام وغيرها الكثير من الكتب التي ساعدت في نشر الثقافة الإسلامية والحضارة العربية وتعليم اللغة العربية التي استعملها المجتمع السوداني، وظهرت في مخطوطاتهم الباقية إلى يومنا هذا من مراسلات

¹ نفس المرجع، ص، 245

² Vionot louis, *le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire, les mœurs du pays*. Paris: edition Jacques Gandini, 1908, p25

³ الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص 285

⁴ محمد ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، بيروت: دار القلم، 2020، ص. 516.

ومخاطبات بينهم وبين المجتمعات شمال إفريقيا¹؛ ونظرا لأهميتها أصبحت تجارة الكتب من أبرز السلع المتداولة بين التجار الجزائريين وغيرهم وشهدت إقبال مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي لها، وقد جنى منها التجار أرباحا طائلة بسبب الإقبال الكبير، وقد عبر "ليون الإفريقي" عن ذلك فقال: "... وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر، وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع"²، فثمن المخطوط في أقاليم الساحل تصل الى الضعف ونصف الضعف، هذا فضلا على حاجة طبقة الأغنياء لها لبيان مكانتهم داخل مجتمعاتهم باعتبار غلاء أسعارها وكانت مدينة تمبكتو سوقا رائجا لها³.

ح- **سلع أخرى:** اشتهرت جزائر بني مزغنة بإنتاجها "العسل"، "السمن" و"التين"، وأيضا مدينة تنس المعروفة بكثرة الزرع ورخص الأثمان وتلمسان نكرها لسان الدين ابن الخطيب بأنها: خزانة زرع ومسرح ضرع⁴، وأن منتوجاتها كانت تتداول في أغلب الأسواق الإفريقية، بالإضافة إلى صادرات الأقمشة بأنواعها المختلفة صوفية كانت أم قطنية أو حريرية والتي شغف المجتمع الإفريقي باقتناء الأنواع المختلفة منها⁵، وقد كانت تشتهر بتصديرها كل من حواضر المسيلة ومتيجة ومستغانم، كما عُرف استهلاك مادة التبغ التي اشتهرت به قوافل إقليم توات مثلما عبر عن ذلك "أوسكار لانز" (Oskar Lenz) حين قال أن القوافل التواتية في تمبكتو كانت تحضر معها التمر والتبغ وتعود محملة بالذهب والعبيد وريش النعام والعاج⁶.

¹ فاطمة علي أحويلات، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص169

² الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، ط2، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص167

³ فاطمة علي أحويلات، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص170

⁴ لسان الدين ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 ص184

⁵ مولاي الطاهر سعيد، "تجارة القوافل عبر الصحراء بين المغرب والسودان الغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة متون، مج11، ع01، افريل 2019، ص155

⁶ مبارك جعفري، عبو طاهر، "منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من القرن 9 إلى 13هـ/15 إلى 19م"، مداخلة بالملتقى الدولي: (التجارة والتجار عبر التاريخ)، الجمعية التونسية المتوسطة للدراسات، تونس، 13.12.11 ديسمبر 2014، ص4

التبع من المنتوجات التوتانية التي نالت إقبالا واسعا في حاضرة تمبكتو، حيث ظهرت فائدته ونفعه في علاج مرض عضال كان يعاني منه الكثير من ساكنة أرياف تمبكتو، فأصبح التبغ يوزن بالذهب والفضة، وراجت تجارته في أسواق السودان الغربي.¹

أما عن المنتوجات الحيوانية فقد اشتهرت تاهرت بتربية الحيوانات إذ يقول الحميري: "بأراضيها مزارع وضياع جمّة وبها نتاج البراذين والخيل كل شيء حسن وبها البقر والغنم الكثيرة جدا"، ولم تتوفر منطقة الساحل الإفريقي على الخيول الأصلية لذا كانت تستورد من الجزائر والمغرب الأقصى وكانت جاو سوقا رائجا لتجارة الخيول مع سروجها.²

هذا واشتهرت مدينة بونة (عنابة) في شرق الجزائر تجارة الصوف والمنسوجات والماشية والدواب،³ والجلفة جنوبا كانت من أكبر المراكز التجارية المنتجة والمصدرة للصوف بأكثر من سبعمائة قنطار سنويا، وألفين وخمسمائة رأس من الغنم.⁴

واشتهرت الجزائر عامة بتصدير الفواكه والحبوب والزيت والتمور أكثر من غيرها باعتبارها الأكثر جودة والأكثر طلبا وتسويقا منذ القدم وإلى غاية يومنا هذا، وهذا ما أفسح المجال لأن تكون حواضر الجزائر المساهم الأبرز في حركة تنشيط الحركة التجارية الخارجية في الغرب الإفريقي آنذاك.

ثانيا: السلع الواردة إلى الجزائر من منطقة الساحل الإفريقي

استفادت الجزائر عبر القوافل التجارية سؤاء المستقرة أو المارة بها من منطقة الساحل الإفريقي من العديد من السلع المهمة والأساسية، من أهمها ما يلي:

¹ مجموعة مؤلفين، كتاب الملتقى الوطني الخامس أولاد السي حمو بلحاج اعلام وآثار. الجزائر: دار الكلمة، 2019، ص 58

² الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص 333

³ مصطفى كامل محمد الشباني، "النشاط التجاري في المغرب الأوسط وأثره في تطور الحركة التجارية"، مجلة مداد الآداب، ع 24، 2021، ص 286

⁴ احمد جعفري، "طرق القوافل التجارية العابرة إن صالح خلال القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الجغرافيين"، مجلة عصور جديدة، مج 10، ع 01، مارس 2020، ص 316

1. الذهب: يعد من أهم السلع التجارية الإفريقية الغالية والضرورية وفي مقدمة صادراتها، فقد كانت منطقة الساحل الإفريقي تشتهر بوفرة هذا المعدن النفيس خلال العصور الوسطى، ويعتبر أهم عامل في ازدهار اقتصاد الممالك المتعاقبة على منطقة الساحل الإفريقي قديماً، وقد أفاض عدد من الرحالة والمؤرخين في الحديث عن الذهب وأماكن تواجده وكثرت، فمثلاً ذكر اليعقوبي عن مملكة غانة فيقول: "وملكها عظيم الشأن وفي بلاده معادن الذهب"، وقال البكري أن ملك غانة كان يستصفي لنفسه أجود الذهب ويدع ما سواه لشعبه حتى لا تهون قيمة هذا المعدن، وكان عند بعض الملوك قطعاً كبيرة من الذهب تصل إلى حجم الحجر الضخم¹.

لقد كانت كمية الذهب المصدرة إلى الجزائر والبلدان المجاورة لها ضخمة جداً تتراوح بين 4-9 طن سنوياً، وإن كانت هذه الكمية تتغير بفعل التوترات السياسية بالشمال الإفريقي، الصراعات القبلية بالصحراء وتبدل انتماءاتهم خاصة عهد المرابطين والموحدين، وهو وضع سياسي أثر على المسلك الغربي للذهب المتجه عبر تندوف وسجلماسة لينتقل رواج حركة الذهب عبر المسالك الوسطى باتجاه مدينة ورقلة، ويذكر الإدريسي أن أهل وارجلان يكثر في أيديهم الذهب السوداني إذ يُخرجونه إلى دور السكك في بلادهم فيضربونه دنانير ويتصرفون بها في التجارة²؛

2. الرقيق: عرف الرقيق كتجارة رواجاً كبيراً في الأسواق العالمية في العصور الوسطى، وفي إفريقيا الغربية أشارت العديد من الأبحاث التي اهتمت بموضوع بيع الرقيق في المغرب العربي أن العملية لم تكن وليدة الفتوحات الإسلامية لإفريقيا السوداء كما كان يعتقد، بل هي ظاهرة عرفها المجتمع الإفريقي منذ القدم تماشياً مع عاداتهم ومعتقداتهم، وقد أُستخدم كيد عاملة في العديد من المناجم لاستخراج الملح والذهب والأحجار الكريمة، أما بالنسبة لشمال إفريقيا فقد استفادت منهم أكثر في

¹ محمد فاضل باري، سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا. لبنان: دار الكتب العلمية، 2007، ص 65

² غربي بغداد، "أضواء على العلاقات بين السودان وبلاد المغرب الإسلامي حتى فترة الموحدين العلاقات التجارية نموذجاً"، مرجع سبق ذكره،

مجال الحروب، وزاد الاهتمام برقيق السودان أكثر عندما أصبح التجار أغنياء حيث تنافسوا فيما بينهم خاصة اليهود منهم. وقد اشتهرت مدينة أودغشت كسوق للرقيق كما استقبلت سوق سجلماسة وورقلة العبيد¹؛

3. **سلع أخرى:** من أبرز السلع الأخرى التي رافقت معدن الذهب اتجاه الضفة الشمالية للصحراء الجزائرية وراجت الأسواق بها نجد "مادة العاج" الذي توفر بكثرة خاصة زمن دولة صنغاي، والذي أدخل ضمن مواد الزينة، وهو من سلع العبور الهامة التي تمر إلى أوروبا خاصة بريطانيا، إذ يعد العاج من الكماليات المرغوب فيها بالشمال الإفريقي وتناقصت في ثمانينيات القرن التاسع عشر.² وأيضا نجد "مادة العنبر" التي كانت تُستخرج من حوت العنبر بالمحيط الأطلسي، فلقد كثر عليها الطلب بالأسواق الجزائرية وما جاورها. كما وجد ببلاد السودان الغربي "جلد اللط" الذي يصنع منه الدروع الحربية بحكم أن له ميزة خاصة تمنع اختراق السهام والسيوف،³ بالإضافة إلى مواد أخرى كزيت النعام والشب والصمغ والبول السوداني وغيرها⁴.

ثالثا: طرق التبادل التجاري بالأسواق الجزائرية والإفريقية

اعتمدت القوافل التجارية المتنقلة بين منطقتي الجزائر والسودان الغربي على أشكال عدة لتبادل السلع التي تحملها وتسهيل عملياتها التجارية، ومن بين هذه الأشكال:

¹ جميلة بن موسى، "ذهب السودان الغربي ودوره في تجارة المغرب الإسلامي"، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 09، ع 02، ديسمبر 2020، ص 100

² بوترة علي، القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء، رسالة ماجستير، جامعة احمد دراية ادرار، 2010، ص، 85

³ جميلة بن موسى، "ذهب السودان الغربي ودوره في تجارة المغرب الإسلامي"، مرجع سبق ذكره، ص 102

⁴ عادل بن محمد جاهل، "حاضرة تنبكت في نهاية القرن التاسع عشر من خلال الكتابات الفرنسية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 03، ع 02، ديسمبر 2019، ص 305

i. المقايضة: كانت التجارة مع السودان الغربي تقوم على المقايضة وكان الذهب باعتباره سلعة أساسية لدى مجتمع الساحل الإفريقي هو ما يتم التفاوض به مع تجار الشمال، وهي أقدم أنواع التبادل التجاري¹، وقد سجل ابن بطوطة في قرن الرابع عشر الميلادي /8هـ وصفا دقيقا لنظام مقايضة سلعة بأخرى في الأسواق التجارية في مملكة مالي، فيقول: " وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشري ما نحتاج إليه من طعام والسمن والملح والعطريات وحلي الزجاج"²، وعن حسن الوزان فقد وصف تجارة أحد ملوك بورنو وقال: " جاء بتاجر من بلاد البربر ليأتوه بخيل يستبدلونها بعبيد يأخذون مقابل كل فرس خمسة عشر أو عشرين عبدا"³.

ويبدو أن التجار العرب المسلمين من بلدان شمال الصحراء الجزائرية كانوا يتاجرون ويقايضون بضائعهم مع تجار أقاليم منطقة الساحل الإفريقي، إذ يجلبون هؤلاء التجار معهم إلى بلدان الساحل الصدف والنحاس والخرز والودع في مقابل ذلك يحصلون على الذهب من تلك البلاد⁴.

ii. البيع والشراء: ظهر الدفع نقدا عندما كثرت السلع كما وكيفا وزاد نشاط حركة التجارة بالأسواق، فلم تعد طريقة المقايضة في التبادل التجاري تلقى رواجاً حيث شهدت الفترة بروز العملات الذهبية والفضية والنحاسية إلى جانب السلع الأخرى التي صارت لها قوة نقدية⁵، ومن أقدم العملات التي ضربت بمدينة الجزائر في العهد العثماني دنانير تحمل اسم السلطان سليمان القانوني خلال عام 1520م/ 926هـ، وتتوعد العملات بعدها وكانت قيمتها غير ثابتة، إلا أن العملة التي كانت رائجة في التعامل مع بلاد السودان ما ذكره البكري في كتابه وصف إفريقيا، أنه وجد أن العملة

¹ عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري. بيروت: دار الشروق، 1983، ص302

² عمر صالح سالم الفانوسي، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص177

³ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص176

⁴ عمر صالح سالم الفانوسي، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص177

⁵ الحاج بن عمر اوزايد، العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من مطلع القرن 16م إلى نهاية القرن 19م، مرجع سبق ذكره،

الرائجة هي قطع الذهب الخالص غير المسكوك، وكذلك قطع الحديد لشراء اللبن والخبز والعسل إذ تزن هذه القطع رطلاً أو نصف رطل أو ربعه.¹

iii. الصكوك الائتمانية: لقد كان لازدهار التجارة بين بلاد المغرب العربي الكبير وبلاد إفريقيا جنوب الصحراء دور في استخدام نظام الصكوك الائتمانية لتسهيل العمليات التجارية، فقد ورد أن أستمعت الصكوك في دواخل بلاد السودان الغربي وعبر عنها ابن حوقل حين رأى بأودغست صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست، وهو من سلجماسة باثنين وأربعين ألف دينار، ما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبيهاً ولا نظيراً².

والشكل الموالي يلخص ما تم التطرق إليه أعلاه:

الشكل رقم (24): أهم السلع والطرق المطبقة في التبادلات التجارية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي



المصدر: من إعداد الباحث بناء على ما سبق

¹ نفس المرجع، ص 144

² شمس الدين الكيلاني، الآخر في الثقافة العربية: صورة الشعوب السوداء عبد العرب في العصر الوسيط. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

2009، ص 171

الفرع الثالث: الأسواق التجارية الرئيسية جنوب الصحراء الكبرى

إن الحديث عن الأسواق جنوب الصحراء الكبرى مرتبط بالأساس بازدهار التجارة بين ضفتي الصحراء من جانب، وبوجود المدن والمحطات على طول المسالك التي تنتهجها القوافل التجارية، ووقوع هاته المدن في مواقع استراتيجية بالنسبة لهاته المسالك من جانب آخر. وهذا الموقع الإستراتيجي هو الذي يكسب المدينة أهميتها الإستراتيجية كمحطة وسوق تجاري للقوافل الواردة عليها، وقد تقع بعضها محاذية لنهر النيجر القابل للملاحة كحاضرة ملك مالي "مدينة جنى" بها سوق ضخم تتوافد عليه البضائع من كل مكان، وقد استمر ازدهار أسواق منطقة الساحل الإفريقي حتى فترة متأخرة.¹

وعليه فقد احتوت الطرق والمسالك التجارية في أعماق الصحراء غرب إفريقيا على عدة أسواق هامة شهدت مختلف التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية، وساهمت في توسعة المدن والحواضر التي عرفت بها ممالك السودان الغربي ويمكن تصنيف تواجد هاته الأسواق في منطقتين رئيسيتين هما²:

1. أسواق السودان الغربي: نجد أهمها تمبكتو في أقصى الجنوب، والتي كان لها أهمية بالغة تجاريا وثقافيا خلال العصر الوسيط، وقد ذكرها الكاتب هكارد (Hacquard) بقوله: "تمبكتو منتهى القوافل التجارية الآتية من الشمال المحملة بالملح والتمر والتبغ..."³ واشهر الأسواق التابعة لإقليم تمبكتو سوق بلد "فوتن الكبير" والذي ارتبط بأسواق إقليم توات وتيديكلت في حدود شمال الصحراء، وبين سوق تمبكتو وأسواق توات وتيديكلت على طول الطرق توجد أسواق أخرى نذكر منها: أروان، مبروك، إيفرون، تيميساو، أونان، تاوديني، والن، تيريشومين، تيط وأكابلي، وهي أسواق تتربط فيما

¹ مامادو كان، "الأسواق ووسائل المعاملات التجارية ما بين ضفتي الصحراء 5-10هـ/11-16م"، مجلة كان التاريخية، ع43، مارس 2019، ص135

² بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. مرجع سبق ذكره، ص140

³ Hacquard Augustin, *Monographie de Tombouctou*, Paris: Société des études coloniales et maritimes, 1900, P23

بينها بروابط تجارية قوية، باعتبار أغلب التجار يقيمون ويتزوجون في تلك المناطق، وتذكر أغلب المصادر أن منطقة "المبروك" مثلا في شمال مالي حاليا أسسها قبائل الكنتيين وأصبحت سوقا ومركزا للعديد من القوافل التجارية المتجهة إلى تمبكتو ؛

تميزت بعض هاته الأسواق بكبر الحجم وعادة ما تكون مخصصة بالاستيراد والتصدير في المواد الرئيسية كالذهب والرقيق والملح فقط.

2. أسواق السودان الأوسط:¹ وهي التي تقع نواحي دولتي تشاد والنيجر حاليا وكانت تشمل عدة مناطق مشهورة من ضمنها: سوكونو، قاندو، كاتسنا، تافليل، كوكه في بورنو، أبشر في وادي، ماو، أقاديم، بيلما، تنتيلوست، بيرعسيو، جبادو، وين وماو (كاوار)، وإلى شمال هاته الأسواق تقع أسواق فزان وأسواق واحات الكفرة بليبيا.

¹ بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. مرجع سبق ذكره، ص 140

المبحث الثاني: الدور التاريخي للزوايا الصوفية الجزائرية في منطقة الساحل

الإفريقي

لم يكن الإسلام مجرد شعائر دينية ومناسك وطقوس بل هو حضارة شاملة لأن الدين هو أساس وجودها وتوحيدها، وجميع نظمه وأخلاقياته وعلومه هي تعبير عن روحه، والإسلام بهذا المفهوم حامل لقوته في ذاته، لذلك لم يكن عبئا على كاهل معتقيه من الزنوج والقبائل الإفريقية الذين كانوا ينظرون إليه على أنه دليل الارتقاء إلى حضارة جديدة ومنزلة اجتماعية أسمى مما هم فيه، فكان من شعوب إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى إلا أن اعتنقوا الدين الإسلامي في وقت مبكر، وكان للقوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى فضل كبير في ربط شعوب صفتي الصحراء، وتوغل الدين الإسلامي من خلالها.

فبالتلاحم الجغرافي وبفضل القوافل التجارية تعززت جسور الترابط بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي، وترتبت عنها روابط أخرى ساهمت في تدعيم التفاعل الحضاري والثقافي بينهما، ويعتبر الرابط الديني من أهم هذه الروابط المتشكلة من التجارة، فقد كان ضمن تلك القوافل الدعاة والفقهاء والعلماء الذين أرادوا نشر الدعوة الإسلامية كل حسب الطريقة الصوفية التي يتبعها، هذا ما ساهم في رسم ملامح التواصل الديني بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي (السودان الغربي).

وسنحاول في هذا المبحث التطرق إلى أهم هذه الطرق الصوفية التي كان ولا يزال لها تأثير كبير في نسج العلاقات الاجتماعية بين شعوب صفتي الصحراء، ونسلط الضوء على دورها في تدعيم العلاقات الجزائرية الإفريقية في العقود المتأخرة.

المطلب الأول: انتشار الزوايا والطرق الصوفية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي

انتشر الإسلام في منطقة الساحل الإفريقي بعدة أساليب وطرق سلمية قلما نجدها مجتمعة في مناطق أخرى دخلها الإسلام، وذلك بفضل طبيعة العلاقات بين سكان شمال الصحراء وجنوبها، والمتمثلة في

المعاملات التجارية وقوافل الحج والهجرات، بالإضافة إلى دور الدعاة والمصلحين ومشايخ الطرق الصوفية وتلامذتهم.

يمثل التصوف* طبعة الإسلام الأكثر رواجًا وانتشارًا في إفريقيا، وقد امتدت في الزمان طولًا مرافقةً تاريخ الإسلام ونضاله من أجل تقليص مساحات الوثنية التي كانت اللباس الديني للقارة السمراء، إذ امتدت في المجتمع عمقًا لتوجه القيم والأفكار والعادات وإعادة ترتيب المراكز والمواقع، وبناء المجتمعات واستقرار نظمها واستقرار حاضرتها.

إن إفريقيا لم تعرف الإسلام إلا من خلال التصوف الذي كان النهر الإسلامي الأكثر تدفقًا -بين الأفكار والنحل الإسلامية- إلى بلاد السودان، فاستقر في أرجائها وخصوصًا في منطقة الساحل الإفريقي، وبين رياض التصوف وحضرات الأشياخ والمريدين نشأت قصة الإسلام في هذا الجزء من بلاد المسلمين وفي ذلك الركن من القارة السمراء¹.

ولعل انتشار الطرق الصوفية ووصولها إلى المنطقة كان مرافقًا للعلاقات التجارية ومواكبًا لحركتي الهجرة والدعوة الإصلاحية داخل المجتمعات البدائية والتي تزعمها شيوخ ومريدي تلك الطرق، وقد كان لأسلوبهم ميزات غير موجودة في أسلوب التجار، ففي حين كان التجار ينزلون المدن فإن رجال الطرق الصوفية كانوا لا يهتمون بالمال ولا يسعون إلا للكفاف، وإذا كان نشاط التجار أغلبه يكون بالنهار فإن نشاط الطرق الصوفية يرتبط بالليل غالبًا².

* اختلفت الآراء حول أصل كلمة "صوفية" فقال البعض أنها نسبة إلى رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر' ظهر في العصر الجاهلي، وقال البعض الآخر إنها اشتقاق من الكلمة اليونانية 'صوفيا Sophia' أي الحكمة، وقيل أيضا إن الصوفية من الصوف لاشتغال أتباعها بلبسه، أو لأنهم كانوا يركنون إلى صفة المسجد.

¹ محمد سالم ولد محمد، الأبعاد الاجتماعية للتصوف في غرب إفريقيا: البنى والوظائف والعلاقات"، مركز الجزيرة للدراسات، 26.09.2018 مقال على رابط: https://studies.aljazeera.net/sites/default/files/articles/reports-ar/documents/8cab6446df394b19a15b2a75f1d5f353_100.pdf

² محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، مرجع سبق ذكره، ص 42

الفرع الأول: مراحل التصوف في المناطق الجنوبية للصحراء الكبرى

الطريقة الصوفية عبارة عن رابطة روحية تضم أفرادا وجماعات من الناس تحت قيادة واحدة، يقدمون لها الطاعة وحسن الانقياد، وقد اهتمت الطرق الصوفية أول أمرها في المنطقة التي يغلب على مجتمعاتها الشرك والوثنية بنشر التدين الصحيح عبر التعليم والتوعية والإرشاد ومحاربة كافة أنواع البدائية المقيتة، والسعي لتأسيس مجتمعات إسلامية تتخذ من الشريعة الإسلامية منهاجا وسبيلا للحكم، وقد مر التصوف في مناطق جنوب الصحراء بعدة مراحل لاسيما في الفترة الممتدة بين القرنين 16 و19م، هي¹:

✓ **المرحلة الأولى:** اهتمت بتعليم العامة من المجتمع بأمور الدين كالقرآن والفقه والأدعية والأذكار للتحصين، على الرغم من افتقار تلك الطرق في هذه المرحلة إلى التنظيم إلا أنها كانت تمثل عصر قوتها وازدهارها، على اعتبار أنها كانت تقتصر بين العلاقة بين الشيخ وتلاميذه؛

✓ **المرحلة الثانية:** بازدياد رقعة انتشار الإسلام وانتشار الزوايا وتطور نظام التدريس خاصة في الجانب الروحي فقد ازدادت الصوفية قوة، واتسمت خلال هاته المرحلة بمقاومة شيوخها للظاهرة الاستعمارية التي بدأت تهدد أقطار القارة الإفريقية ابتداء من القرن 18م.

الفرع الثاني: أهم الطرق الصوفية المنتشرة في مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي

تذكر المصادر التاريخية أن المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء في اعتناقها الإسلام إنما ارتبطت في الغالب بإحدى الطريقتين الصوفيتين "القادرية" و"التيجانية"، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين، وبخاصة الطريقة التيجانية واسعا جدا خلال القرن 19م، ولا يمكن فهم انتشار الإسلام في المنطقة دون النظر إلى ارتباط الزعماء المسلمين هناك بإحدى الطرق الصوفية، لأن النفوذ السياسي لأحدهم كان يرتبط إلى حد كبير بمدى الزعامة الدينية التي يتمتعون بها، فمثلا إسلام منطقة "قوتا جالون" (التي تقع اليوم في غينيا-

¹ عبد الحميد جلابي وعبد الكريم قرماطي، الطرق الصوفية ودورها الجهادي في السودان الغربي خلال القرنين 19/20م، مرجع سبق ذكره،

كوناكري) وارتباطها بالقادرية سار معا في نهاية القرن 18م، وبالإضافة إلى الطريقتين السابقتين كان هناك طريقة ثالثة وصلت إلى غرب إفريقيا وهي الطريقة السنوسية لكن نفوذها كان أقل من التيجانية والقادرية¹.

أولاً: الطريقة القادرية وتغلغلها داخل مجتمعات جنوب الصحراء:

تعتبر الطريقة الصوفية القادرية هي الأقدم من حيث الزمان والانتشار مقارنة بالطريقة التيجانية، أسسها الشيخ سيدي "عبد القادر الجيلالي" دفين بغداد (ت 561هـ/1166م)، وكلمة "الجيلالي" نسبة إلى بلاد جيلان التي ولد بها الشيخ، عاش ببغداد وتصدى للتدريس والإفتاء على المذهب الحنفي واشتهر بالزهد والتقوى²؛ وأول من نقل الطريقة إلى المغرب الكبير (إلى الجزائر) هو "أبو مدين شعيب بن حسن الأندلسي التلمساني" عند لقائه بالشيخ "الجيلاني" والتلمذ على يده وأخذ التصوف منه بجبل عرفات بين سنتي 551هـ و556هـ، وعند عودته توجه إلى "بجاية" واستقر بها³، وقد ورّثها الشيخ "أبو مدين" لعدد من التلاميذ أبرزهم "عبد السلام بن مشيش" الذي ورّثها من بعده إلى "أبي حسن الشاذلي"، ومنه انتقلت إلى الشيخ "مصطفى بن مختار الغريسي" الذي أخذ الطريقة عنه "الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي"⁴.

أخذت الطريقة القادرية في الانتشار وترسيخ تعاليمها بفضل شيوخها وأتباعهم لتصل إلى أقصى جنوب الجزائر بتوات التي تعتبر البوابة الرئيسية التي ولجت من خلالها الطريقة القادرية إلى السودان الغربي، فنتيجة للارتباطات التجارية والهجرات العلمية والتنقلات العائلية ورحلات الحجيج وغيرها من

¹ محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، مرجع سبق ذكره، ص 43

² الهادي هارون، بوسليم صالح، "التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصور الحديث"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع 2، 2017، ص 67.

³ حناي محمد، مياطه التجاني، "التجربة الصوفية الجزائرية حضور حضاري وتأثير عالمي"، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي مابين القرنين 16 و20م المنعقد يومي 15-16 أكتوبر 2017، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، ص 04.

⁴ يوسف الطيب، "الحضور الاجتماعي والسياسي للطرق الصوفية في الجزائر العثمانية"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2015، ص 92.

التحركات التي تحدث بين غرب إفريقيا ومنطقة توات، جعلت من هذه الأخيرة موقعا حضاريا للثقافة الإسلامية للسودان الغربي.

تغلغت القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن الخامس عشر الميلادي (9هـ) على أيدي مهاجرين من توات، واتخذوا من مدينة ولاتة (جنوب موريتانيا اليوم) أول مركز لهم، ثم توسعوا حتى وصلوا مدينة تمبكتو، وانتشروا في الدعوة الإسلامية عبر القبائل المنتشرة في الصحراء، واتبعوا أساليب متعددة لنشر الإسلام فمنهم من جلسوا معلمين للصبيبة أو علماء وخطباء وكتّابا، وكان أغنياؤهم يفتحون المدارس للطلاب ويختاروا أذكى شبان المنطقة ليرسلوه إلى التفقه في المراكز العلمية الجزائرية ويعود قادة بين أهلهم، وبهذه الوسائل تحول الدخول للإسلام من حالات فردية إلى جماعية.

ويعد الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي" التلمساني (ت940هـ/1533م) أول من نشر القادرية في مجتمعات جنوب الصحراء حيث وصل إلى كل من كانو وكاتسينا، ثم تلاه "سيدي أحمد البكاي الكنتي" في القرن 16م ثم انتشرت الطريقة جنوبا إلى حدود غينيا وغامبيا وليبيريا وغانا على يد الشيخ "المختار الكنتي" والشيخ "السيد التآززي" مطلع القرن العشرين¹، وقد ساهموا بدرجات كبيرة في القضاء على كثير من البدع والخرافات التي تفتت في المجتمعات المسلمة والمتأثرة بالتقاليد الوثنية السابقة.

تفرعت من الطريقة القادرية والتي نالت حظوة كبيرة في غرب إفريقيا خاصة نجد "الطريقة البكائية الكنتية"، وقد بلغت هذه الطريقة أوجها على يد الشيخ المختار الكبير الكنتي، الذي جدد تعاليم الطريقة وجمع

¹ قاسم الحادك، البعد الروحي في العلاقات المغربية الإفريقية: السياق والرهانات"، مجلة مدارات سياسية، مج01، ع04، مارس 2018،

شتاتها، وكان له دور كبير في نشر الدين الإسلامي في بلاد الساحل الإفريقي، وقد كان شيوخ كنتة يجولون

أراضي الساحل الإفريقي حيث وصلوا إلى أراضي حاضرة "برنو" وطبقوا بها تعاليم الطريقة القادرية.¹

في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي (12هـ) أسس شيوخ كنتة الجزائريون مدينة "مبروك" بشمال

مالي، والتي صارت مركزا لنشر الطريقة القادرية، وظهر بين جماعة كنتة عدد كبير من الفقهاء الذين

عهدت إليهم القيادة الدينية وتوسعت دائرة انتشار طريقتهم فشملت مناطق عديدة وتعمقت بشكل كبير، وذاع

صيتها بين شعوب منطقة الساحل الإفريقي، وكان لها الأثر البالغ في نشر الإسلام بين هذه الشعوب.²

ثم إن الطريقة القادرية ازدهرت بشكل أوضح خلال القرن التاسع عشر الميلادي (13هـ)، وتفرعت

إلى شعبتين كبيرتين هما: البكائية الكنتية والفاضلية، حيث انتشرت مواطنهم في أماكن كثيرة في غرب القارة

الإفريقية، سواء في جبال فوتاجالون أو في بلاد المانندجو أو على طول نهر جامبيا وحتى بلاد الهوسا،

حيث ظهرت أول حركة إصلاحية كبرى على أيدي الزعيم القادري الشيخ "عثمان بن فودي" الذي أسس

دولة إسلامية ساعدت على نشر الثقافة الإسلامية من شمال نيجيريا.³

ثانيا: الطريقة التيجانية وإشعاعها العلمي في منطقة الساحل الإفريقي:

نشأت الطريقة التيجانية في الجزائر على يد الشيخ "أبو العباس أحمد التيجاني" (1737-1815م)،

والذي حث على بناء الزوايا والاهتمام بالمقدمين لكي يجمع أكبر عدد من المريدين عبر المناطق التي

تنتشر فيها⁴، وارتبطت الطريقة التيجانية بمسألة اللجوء إلى القوة عند الضرورة في مكافحة الوثنية والشرك

¹ صالح بوسليم، " جهود الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي في نشر الطريقة القادرية بالساحل والغرب الإفريقي خلال القرنين 18-19م"، الحوار المتوسطي، مج5، ع02، ديسمبر 2014، ص139.

² نفس المرجع، ص148

³ عبد الله عبد الرزاق، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا. القاهرة: دار الفكر العربي، 2006، ص6

⁴ شيخ لعرج وفغرور دحو، "انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن 19م ونشاطاتها المختلفة"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، جوان 2016، ص615

التي كانت منتشرة بمجتمعات غرب إفريقيا، وبهذا اختلفت الطريقة التيجانية عن القادرية التي عرفت بالتسامح¹.

يُعد أول من نشر هذه الرابطة الروحية داخل مجتمعات غرب إفريقيا جنوب الصحراء هو الحاج "عمر الفتوي" الذي ولد 1795م، ويقال إنه أخذ الطريقة التيجانية من الشيخ "علي حرازم"، صاحب كتاب "جواهر المعاني"، والتلميذ الأكبر لمؤسس الطريقة الشيخ أحمد التيجاني، وقد كان الشيخ علي حرازم أول من نشر الطريقة في بلاد السنغال،²

وقد وجدت الطريقة التيجانية أنصارا لها لدى تلك المجتمعات، فقد انتسب إليها سلطان سوكوتو "محمد بللو بن عثمان" الذي نشر الطريقة في إمارته الواقعة في شمال غرب النيجر، ومن ثم انتشرت الطريقة جنوبا باتجاه نيجيريا حاليا، بداية القرن العشرين، وفي هذه الفترة تذكر الروايات أن الشيخ "إبراهيم إناس الكولخي" أرسل من بلاده بالسنغال جوابا إلى أغنى رجل في مدينة "كنو" بنيجيريا يدعى "الحسن طن تاتا" وكان له نفوذ كبير في الدوائر التجارية، ولم يلبث أن انضم إلى الطريقة "أمير كنو"، الحاج "عبد الله بايرو" كما انضم إلى الطريقة التيجانية أيضا أمير كتنا، وأرغغ، وعدة قضاة ورجال علم.³

ومما زاد في انتشار الطريقة التيجانية في جنوب الصحراء الكبرى، كثرة زيارات شيوخها الكبار من الجزائر، ففي عام 1949م زار نيجيريا الحفيد الرابع للشيخ أحمد التيجاني، السيد عمر التيجاني، فنالت الطريقة من الشهرة والانتشار مجالا واسعا، ولقد لقي الزائر الحفاوة البالغة لدى المسلمين عموما والتيجانيين خصوصا.⁴

¹ محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، مرجع سبق ذكره، ص 45

² موسى عبد السلام أبيكن، "الطريقة التيجانية ودورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا"، مجلة حوليات التراث، ع 14، سبتمبر 2014، ص 32

³ نفس المرجع، ص 32

⁴ نفس المرجع، ص 32

لعبت الطريقة التيجانية أكثر الأدوار وأخطرها في حمل راية نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، بحيث لم يقتصر دورها على الشق الديني والاجتماعي بل تعدى ذلك ليشمل جوانب عدة حتى الميدان السياسي وهو ما أتاح الفرصة لقيام دويلات وإمارات تستند أسسها على تعاليم ومبادئ الطريقة ومثال ذلك دولة الحاج عمر (1798-1865م) ودولة "الشيخو احمدو" وغيرها من الدول التي لم تعمر طويلاً نظراً لوصول المستعمر الفرنسي وتخريبه للمنطقة¹.

وما زاد من تغلغل هذه الزوايا وانتشارها القوي هو تبنيها من طرف عدة حكام وملوك مناطق السودان الغربي واتخاذ أصحابها كمستشارين للإستفادة من خبراتهم وثقافتهم من جهة، كما أن أغلب مریدوها كانوا من الجنود المقاومين للاحتلال الفرنسي خاصة في المراحل الأولى.

ويرجع الفضل أساساً في انتشارها بغرب إفريقيا بشكل عام، إلى جهود الشيخ عمر الفوتي المشهور بعمر تال الفوتي وتفرعت عن طريقته التيجانية زوايا عدة، نذكر من أهمها²:

- العمرية: تنسب إلى الشيخ عمر الفوتي (1795-1864م) وامتدت بين السنغال وغينيا والنيجر ومالي وتشاد وشمال نيجيريا ومنطقة كوش في شرق موريتانيا، وأدت دوراً حيوياً ودينياً في تاريخ تلك المنطقة، وترتبط سندا بالشيخ مولود فال تلميذ الشيخ محمد الحافظ والشيخ عبد الكريم الناقل؛
- الحافظية: تنسب إلى الشيخ محمد الحافظ العمري المتوفي سنة 1245هـ/1829م في أدرار مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت بدايتها بمدينة شنقيط ثم ما لبثت أن عمت مختلف المناطق الصحراوية شاملة منطقة تجكجة قبل أن يصل أهله إلى بلاد الترارة، ولم تنته سنة 1245هـ/1829م حتى كان الجزء الأكبر من قبيلة "اداو علي" يتبع الطريقة التيجانية، وقامت

¹ عبد الحميد جلابي وعبد الكريم قوماطي، الطرق الصوفية ودورها الجهادي في السودان الغربي خلال القرنين 19/20م، مرجع سبق ذكره، ص128

² قاسم الحادك، "البعد الروحي في العلاقات المغربية الإفريقية: السياق والرهانات"، مجلة مدارات سياسية، المجلد 1، العدد4، 2018، ص 228.

بدور كبير في تدعيم الأخوة بين القبائل الصحراوية، والجمع بين الظاهر والباطن مستفيدة من الفيضية وما تعلق بها من إشراقات روحية؛

● المريديّة: تنسب الطريقة إلى مؤسسها أحمد حبيب الله بامبا وهو سنغالي من قبيلة الولوف كان في بداية أمره قادريا ثم تحول إلى التيجانية بعدما وجد في كنفها تساهلا في قضية حرية البلاد، وكانت نشأتها سنة 1889م، وأسس مؤسسها مسجد يدعى "مسجد طوبا"، كما عرفت طريقته نشاطا اقتصاديا تمثل في حث المريدين على العمل الزراعي تحت شعار "من يعمل يأكل"، ونتج عن ذلك تطور اقتصادي بالسنغال في إنتاج الفول السوداني؛

● الحموية: ظهرت في مدينة نيورو التابعة للسنغال على يد الشيخ محمد المختار بن أحمد بيللي سال (1860-1930م) الذي لعب دورا في تقديم الطريقة التيجانية إلى المناطق الساحلية مثل: الغابون، غانا، توغو، كوت ديفوار، وسيراليون، كما وصلت الطريقة أيضا إلى مدينة كانو شمال نيجيريا على يد الشيخ أحمد باه الفولاني، أما الإمتداد المعاصر للطريقة للتيجانية راجع إلى الشيخ العلامة إبراهيم نياس الكولخي، أما في بوركينافاسو فقد انتشرت الطريقة التيجانية على يد كل من الشيخ أبو بكر ميغا والشيخ عبد الله دوكوري، وفي النيجر اشتهرت بفضل الشيخان أبو بكر هاشم (شيخ كيبوتا) وعلي جاتي (شيخ كاراجي بمدينة نيامي)¹.

وهكذا ازداد انتشار الطريقة التيجانية في مناطق استراتيجية في الغرب الأفريقي، وانتشرت بفضلها المدارس والزوايا والمساجد وكان لها نشاطات متعددة، وخاصة في مجالات التربية والتعليم ونسخ المخطوطات وتعليم وتثقيف العبيد ثم إعتاقهم حتى أصبح الكثير منهم فقهاء ودعاة.

وقد حوّت كل زاوية من زوايا التيجانية غرماً لتحفيظ القرآن وتدرّيس العلوم الإسلامية، بما فيها الفقه والتفسير والحديث، والنحو والصرف. ولم يكتفِ علماء التيجانية بالتربية الشفوية، بل ألفوا الكثير من الكتب

1 غانفي عمرو سعيد، مرجع سبق ذكره، ص ص 202، 204.

في مختلف التخصصات، وخصوصاً التفسير والفقه، وكانت زواياهم في غرب الجزائر زاخرة بالمخطوطات التي شكلت السند الأساس لانتشار الثقافة العربية والإسلامية، وينقل بعض الباحثين أن الأتراك سلبوا من زاوية عين ماضي لوحدها غداة حملاتهم عليها كتباً على 60 بغيراً، ما يدل على الدور الثقافي والديني الكبير الذي اضطلعت به هذه الزوايا.¹

لقد حرص شيوخ التيجانية على إصلاح المجتمع الإفريقي، ما حقق لهم محبة الناس والتفافهم حولهم، فأصلحوا بين المتخاصمين من القبائل، وجعلوا من الزوايا مراكز للصلح، فكان لشييوخهم صوت مسموع واحترام كبير في كل مناطق التي نفذت إليها، وعرف عن الشيخ التيجاني المؤسس مراسلة أتباعه، لحل المشكلات الاجتماعية. وقد ورد الكثير من هذه الرسائل في مخطوط "جوهر المعاني" وأدى حفيده الشيخ محمود التيجاني دوراً أساساً في الصلح بين موريتانيا والسنغال بخصوص خلافات نشبت قبل سنوات. وبالتالي، لم تكتفِ الطريقة التيجانية بالتربية الروحية، بل تعدتها إلى وظائف اجتماعية هدفت من خلالها إلى بناء مجتمع إسلامي متماسك.²

من ناحية أخرى، عرفت الطريقة التيجانية اهتماماً كبيراً بالجانب الاقتصادي والتنموي داخل المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء، إذ لم يقتصر نشاطها على بعث الدعاة فحسب ولكن اتخذوا من التجارة وسيلة لنشر طريقتهم فأنشأوا قوافل تجارية كانت تخترق الصحاري من وارجلان وتوات إلى تمبكتو ثم سيغوا ومنها إلى السنغال ذهاباً وإياباً وقد وفروا لها كل الشروط المادية والأمنية، وعمدت على إقامة الزوايا المنتشرة والتي كانت عبارة عن مآمن من قطاع الطرق ومكان لخرن البضائع إلى حين نقلها،

¹ محمد عجمي، "الطريقة التيجانية ودورها الحضاري في أفريقيا"، الميادين، 2023/07/29، مقال متاح على الرابط:

<https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/26)

² نفس المرجع

فحصلت الطريقة التيجانية على نصيب وافر من التجارة عن طريق بث زواياها عبر الصحراء ويعتبر هذا مصدر دخل هام للزوايا التيجانية، كما قامت بتوزيع الأراضي حول الزوايا من أجل زراعتها حيث تم تشغيل الأفارقة من سكان مجاورة، الأمر الذي حقق ازدهارا ورفاهية اقتصادية للمجتمعات الإفريقية الإسلامية نتج عنها قيام مدن وقرى وُقِرَت الأمن والاستقرار ونشرت الدين الإسلامي، كما أسهمت القوافل التيجانية التي تجوب إفريقيا جنوب الصحراء في نشر الطريقة التيجانية في أوساط تلك المجتمعات¹.

لقد تدفقت الخيرات على مدينة عين ماضي الجزائرية مركز الطريقة التيجانية، خاصة بين عامي 1830-1843م وكانت نتيجة ازدهار التجارة التي أقامها التيجانيون بين "عين ماضي" عاصمتهم ومراكز التجارة بغرب إفريقيا، وقد أسهم موقع الزوايا التيجانية على مشارف الطرق الرابطة بين المغرب الأقصى وتونس وحتى المشرق، وتحكمها في طرق القوافل العابرة للصحراء في جعل زواياها محطات تجارية آمنة².

ثالثا: الطريقة السنوسية وسبل نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

للطريقة السنوسية أثر بارز في نشر الإسلام في غرب إفريقيا وفي حوض النيجر بشكل خاص خلال القرن التاسع عشر الميلادي (13هـ)، إذ أسسها الشيخ الفقيه الجزائري سيدي محمد بن علي السنوسي المولود سنة 1202هـ الموافق لـ 1787م (توفي سنة 1859م) في قرية "الواسطة" بولاية مستغانم غرب الجزائر على أصح الروايات، ونشأ بها وتلمذ على يد العلماء البارزين في الفقه والحديث والتصوف³، وقد شهد مرحلة تغل الاستعمار الأوروبي لشمال إفريقيا خاصة بداية القرن التاسع عشر/ 13هـ، فعمد إلى التفكير في إيجاد الطرق والوسائل التي قد تؤدي إلى إصلاح حال المسلمين وتجديد الثقة لديهم واسترجاعها، كي يواجهوا التحديات التي تجابههم وهذا ما ساهم به الشيخ محمد بن علي السنوسي وعليه تميزت طريقته

¹ محمد أمين شرويك ومحمد مكحلي، "نشاط الطريقة التيجانية في المجتمعات الإفريقية الإسلامية النشاط السياسي والاقتصادي أمودجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، ع1، جانفي 2018، ص170.

² نفس المرجع، ص170

³ بلعالية ميلود، "الشيخ محمد بن علي السنوسي (1757-1859)", مجلة عصور، مج 5، ع 2، 2006، ص 109-110.

السوسية بكونها تعتمد على التنظيم العسكري الى جانب التنظيمات الأخرى الروحية والعلمية والتجارية، ذلك أن المريدين في الطريقة السنوسية ينتظمون في مجموعات كل منها لا تتفصل في نشاطها عن الأخرى، بحيث تشكل جميع المجموعات خلية منسجمة متكاملة ، والهدف منها هو تمكين المسلمين من النهضة ومجابهة طوارئ العصر.¹

دعا الشيخ السنوسي عند إنشاء زاويته عام 1843م، إلى الاجتهاد كي يواجه المسلمون متطلبات كل فترة بما يتلاءم وإصلاح حالهم، كما دعا وعمل على أن ينظم المسلمون أنفسهم ليكونوا على استعداد للجهاد كلما دعت الحاجة، وهذا الأمر جعله مطاردا من قبل المستعمر الفرنسي بالجزائر ما اضطره الى تأسيس زاويته والاستقرار بليبيا (بالجبل الأخضر ببنغازي) وحرص على توسيع زاويته ليستنهض الشعوب إلى الجهاد في سبيل رفع راية الإسلام، وسرعان ما تعددت الزوايا التابعة له في عدة مدن نظرا لتكاثر المريدين وانتشار الطريقة السنوسية وشهرتها في التجديد والاجتهاد والإصلاح، بالإضافة الى تنظيماتها العسكرية لتهيئة المسلمين للدفاع عن أنفسهم أمام التهديدات المحدقة والمحيطة بوجودهم.²

وقد حرص على إنشاء زوايا وأربطة في أنحاء الصحراء الكبرى إلى بحيرة تشاد وعمل على نشر الإسلام والعلم في مجتمعات تلك الربوع³، وكان الشيخ محمد السنوسي يهتم اهتماما كبيرا بدعوة القبائل الوثنية في إفريقيا، فمن وسائله في نشر الإسلام بمنطقة الساحل الإفريقي أنه اشترى قافلة من العبيد من سوق الرقيق، وأعتقهم جميعا وأكرمهم وعلمهم في زاويته تعاليم الإسلام، اللغة العربية والقرآن الكريم، وقد زرع فيهم حبه وتقديره، ثم عادوا إلى قبائلهم وذويهم دعاة يتحدثون عن طغيان المسيحيين الذين أسروهم وباعوهم، وعن بر المسلمين وأخلاقهم، فكانوا دعائم نشر الإسلام داخل مجتمعاتهم، وبهاته الطريقة أصبحت

¹ عبد القادر زبايدية، دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سبق ذكره، ص 237

² نفس المرجع، ص 238

³ محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريدية، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، مرجع سبق ذكره، ص 46

قبائل "وادي" في تشاد يرسلون أبناءهم لتعلم الإسلام في الزوايا السنوسية¹، والطريقة على الرغم من انتشارها المحدود مقارنة بالطريقتين القادرية والتيجانية، إلا أنها تحمل نفس الرسالة وتسعى إلى نفس الهدف المرتبط بتحرير الشعوب الإفريقية من العادات والطقوس الوثنية، فلا بد وأن مريدو الطريقة السنوسية كان لهم دور في الحركات الجهادية التي شهدتها منطقة الساحل الإفريقي.

عموما، لقد شهد القرنان الثامن عشر/12هـ، والتاسع عشر/13هـ نهضة إسلامية حقيقية تحت قيادة الطرق الصوفية الجزائرية من القادرية والسنوسية والتيجانية، وقد أطلق على هذه النهضة تسمية "حركات الجهاد" لارتباطها بالدعوة إلى تقويم معتقد المسلمين من أهالي منطقة الساحل الإفريقي، وسعيها الحثيث إلى نشر الدين الحنيف بين بقايا الوثنيين، ثم مواجهتها في فترة لاحق لزحف الاستعمار الأوروبي إلى الأراضي الإفريقية.

ويمكن أن نجل أن أبرز رجالات هذه الحركات: الشيخ عثمان بن محمد فودي في بلاد الهوسا جنوب النيجر وشمال نيجيريا؛ والشيخ أحمد الماسني المعروف بأحمد لوبو في شمال شرق مالي (منطقة ماسينا)؛ والشيخ الحاج عمر الفتوي الذي أسس إمبراطورية التكرور التيجانية الإسلامية التي امتدت من السنغال غربا إلى حدود نهر النيجر شرقا. وقد أسس هؤلاء الزعماء الثلاث دول إسلامية في فترة تاريخية وجيزة، مما يجسد بوضوح الحيوية التي ميزت الإسلام في منطقة الساحل الإفريقي وفاعلية الطرق الصوفية التي عبرت من الجزائر إلى تلك الربوع.

ورغم اختلاف الطرق الصوفية ذات المنبع الجزائري، فلقد ساهمت بشكل كبير في إدخال الإسلام إلى ممالك جنوب الصحراء الكبرى، وكان لدخول الإسلام إليها أهم حدث، إذ ساعد مجتمعاتها على الخروج من العزلة وانفتاحهم على العالم الخارجي واتصالهم به، وكما ساعدت الزوايا على استيعاب المفاهيم

¹ علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا. ط3، لبنان: دار المعرفة، 2009، ص121

الحضارية بشكل كبير وواسع لشعوب الصحراء وما دونها، كما كان للطرق الصوفية دور هام في المجال الثقافي خاصة وأن مجتمعات المنطقة كانت تعيش مستوى ثقافي متدني جدا، ويظهر الدور الثقافي للطرق الصوفية في نشر الثقافة الإسلامية، هذا إضافة إلى مؤلفات أقطاب الصوفية بالمنطقة التي أصبحت مصدر تشرب منه الشعوب الأفارقة أسس الثقافة العربية والإسلامية، مثل مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ككتاب "إحياء السنة وإخماد البدعة"، وكتاب "أصول الدين" وكتاب "السلاسل الذهبية للسادة الصوفية"، ومؤلفات الشيخ الحاج عمر الفتوي وأبرزها كتاب "رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم"، وغيرها من المؤلفات الصوفية التي أصبحت فيما بعد ركائز أساسية يعتمد عليها كل طلاب العلم الأفارقة وغيرهم من العوام الذين ينتشرون هذه الثقافة في المساجد ومناسبات التقاء واحتكاك العامة بطلاب العلم داخل المجتمع الإفريقي.¹

¹ زهرة مسعودي، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م، مذكرة ماجستير، جامعة أدرار، 2010، ص 80

المطلب الثاني: دور العلماء والفقهاء الجزائريين في نشر الثقافة الإسلامية داخل مجتمعات دول الساحل الإفريقي

تعج البحوث والدراسات المختلفة بذكر العلماء الجزائريين ومكانتهم المؤثرة في منطقة الساحل الإفريقي قديما وحديثا، فقد كان لهم دور متميز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى مجتمعاتها، إذ يؤكد أغلب المؤرخين أنه بجهود العلماء الجزائريين* تغلغت الثقافة العربية في إفريقيا وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في المراسلات الرسمية للدول الإفريقية الإسلامية بالإضافة إلى أنها اللغة المستعملة في التجارة التي كانت أغلبها بأيادي الرحل الجزائريين، الذين كان لهم في عاصمة غانا القديمة إثنا عشر مسجدا ولكل مسجد مدرسة لتعليم اللغة العربية والفقهاء الإسلامي وبعدها أصبحت اللغة العربية هي لغة التدوين في شتى أنحاء غرب إفريقيا¹.

تميز العلماء الجزائريون بكثرة التنقل والحركة وعدم الاستقرار في مكان واحد، حيث كان جهادهم السلمي في الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه العامل الرئيسي في فتح قلوب الأفارقة الوثنيين على الدين الإسلامي ودخولهم فيه، ولما تأسست مدينة تمبكتو في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كان للفقهاء الجزائريين دور كبير في الدعوة للإسلام ومرجعا رئيسيا للفتوى يقصدهم السلاطين والأمراء وعامة الناس، فكانوا أئمة للمساجد ومعلمين للصبية، فكان لهم الفضل في إنشاء أجيال تربت على النهج الإسلامي.

ويرجع تأثير العلماء الجزائريين في السودان الغربي إلى عدة عوامل نذكر أهمها²:

* ففي كتاب "تعريف الخلف" لصاحبه "أبو القاسم الحفناوي" ذكر أكثر من عشرين شخصية جزائرية من أهل الصلاح والولاية والفقهاء، ممن بلغت شهرتهم الآفاق.

¹ عباس عبد الله، "التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة الحقيقة، ع34، ص98

² شريف أسماء، شعباني نورالدين، "التفاعل الثقافي والفكري بين الجزائر والسودان الغربي خلال القرنين (9-12هـ/ 15-18م)"، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج06، ع01. افريل 2022، ص627

- ✓ التقارب الجغرافي بين الجزائر ومنطقة غرب إفريقيا الذي مهّد بشكل كبير للترابط والتواصل الحضاري وتتميته بين المنطقتين؛
- ✓ النشاط التجاري للقوافل التي ساهمت بقوة من خلاله البوابات الصحراوية كمنطقة توات خاصة في تدفق الأموال على هاته المناطق من جهة ونشر تعاليم الطرق الصوفية خارج الحدود الجزائرية وتوسعها في السودان الغربي؛
- ✓ الزوايا وطلاب العلم التي كانت بمثابة قلاع ومدارس لاستقطاب المتوافدين من المناطق الجنوبية لإفريقيا من أجل تحفيظ القرآن وتدريس العلوم الإسلامية ومختلف العلوم¹؛
- ✓ الحج حيث شكّلت القوافل الحجّية التي تمر على توات، عين ماضي، تماسين ووادي سوف وغيرها فرصة سنوية مناسبة للأفارقة لزيارة المغرب الأوسط -الجزائر حاليا- والالتقاء بعلمائه؛
- تتقلّ الكثير من العلماء الجزائريين خلال القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين/ ق15-19م إلى منطقة الساحل الإفريقي، ونادرا ما نجد عالما في البلاد السودانية إلا وكان تلمسانيا أو تواتيا، خاصة بالمراكز الثقافية كتمبكتو، جاو، شنقيط وولاتة. ولما كانت تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب الإمام مالك بن أنس فإن ابن بطوطة ذكر أن أحد أبناء الشيخ "اللين" التاجر التلمساني قد درّس ملك مالي "منسا موسى" في نياني وقد أكرمه الملك وقرّبه إليه².

¹ عبد العزيز الهادي، مرجع سابق، ص 129.

² شريف أسماء، نور الدين شعباني، "التفاعل الثقافي والفكري بين الجزائر والسودان الغربي خلا القرنين (9-12هـ/15-18م)"، مرجع سبق ذكره، ص 619

الفرع الأول: علماء حاضرة تلمسان وتأثيرهم في منطقة الساحل الإفريقي

أنجبت حاضرة تلمسان عدة علماء كان لهم تأثير كبير في العالم الإسلامي عموماً وفي منطقة الساحل الإفريقي خصوصاً، سواء بتثقلهم الشخصي كالإمام المغيلي أو بتأثير مؤلفاتهم وكتبهم التي أغلبها تم اعتمادها مناهج تدريس بها، ومن بين هؤلاء نذكر:

❖ **أبو عبد الله التلمساني (ت 771هـ/1370م)** هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني

فقيه متميز انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بالمغرب العربي في عهده، ومن كتبه التي راجت في بلاد الشنقيط وجنوبها كتاب "المفتاح في أصول الفقه"، وقد استفاد منه علماء التكرور¹، وترجم له باستفاضة العالم أحمد بابا التمبكتي في كتابيه "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج" و"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"²، وقد تتلمذ على يد الشيخ العلامة عبد الرحمان ابن خلدون صاحب المقدمة، كما تتلمذ على يده مراسلة العالم "أبو إسحاق الشاطبي" والفقيه "لسان الدين الخطيب"؛

❖ **العالم الفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني (ت 914هـ / 1509م)** صاحب كتاب "المعيار

المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"، وقد وقف على هذا المؤلف الشيخ أحمد بابا التمبكتي واستفاد من فتاويه³، كما انتفع بهذا الكتاب في وقت مبكر علماء موريتانيا واعتمدوا عليه اعتماداً كبيراً في أقضيتهم ونوازلهم وفتاويهم، وذلك ما أكده عالم الشناقطة النابغة الغلاوي (ت 1245هـ/1829م) حين جعله من بين الكتب المعتمدة عند قومه ويجدد قيمته ورتبته في كتب النوازل والفتاوى⁴؛

¹ محمد بن المحبوب، "الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج 04، ع 05، نوفمبر 1998، ص 290

² أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج لتطريز الديباج. طرابلس: دار الكاتب، 1999، ص 432

³ نفس المرجع، ص 135

⁴ محمد بن المحبوب، "الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط"، مرجع سبق ذكره، ص 291

❖ الإمام محمد بن يوسف الحسني السنوسي التلمساني (ت895هـ/1490م) عالم تلمساني قيل فيه "إن سمعته تغني عن التعريف به"، لقب بإمام التوحيد و خليل الأشعرية، قال عند عالم السودان أحمد بابا التمبكتي (ت1036هـ): "التلمساني، عالمها وصالحها وزاهدها وكبير علمائها الشيخ العلامة المتقن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع له في العلوم الظاهر أوفر نصيب جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب"¹، وكانت مؤلفاته حاضرة في الفكر الأشعري بمنطقة الساحل الإفريقي، بل ربما هي عماد الدرس الكلامي هناك ومصدر مؤلفات القوم ومرجعهم الأول ومنطلقهم كذلك في التدريس، فقد تداولوا بين أظهرهم مؤلفاته العقدية جميعا من "الكبرى" إلى "الوسطى" ثم "الصغرى"، ودليل ذلك أن كتاب "أم البراهين" (عقيدة السنوسي) قد شُرحت كثيرا من قبل علماء التكرور وتداولت تداوليا كبيرا بينهم²؛

ومن الفقهاء التلمسانيين المهمين أيضا والذين تركوا بصمة ذات أثر كبير بمنطقة الساحل الإفريقي على المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية نجد:

❖ "الشيخ عبد الكريم المغيلي" (ت909هـ/1505م) من خلال مجهوداته الدعوية والإصلاحية ومنهجه المتميز في التدريس والتأليف، وهو من أكابر علماء الجزائر في القرن التاسع الهجري، وذلك لما عُرف عنه من ثورة فكرية وإصلاحية امتد صداها على طول الساحل الإفريقي وحتى أذغال إفريقيا مرورا بإقليم توات محل إقامته النهائية وموطن جهاده التاريخي ضد اليهود³.

نظرا لنشأته الصوفية القادرية قضى الشيخ المغيلي أزيد من عشرين سنة في الدعوة إلى الإسلام ونشر ثقافته وأحكامه بين شعوب منطقة الساحل الإفريقي، ولا شك أن مساهمته كانت كبيرة في نشر تعاليم

¹ روان عزالدين، " جهود الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) في علم التوحيد"، مجلة الصراط، مج24، ع02، ديسمبر 2022، ص97

² محمد بن محبوب، "الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط"، مرجع سبق ذكره، ص292

³ احمد أبا الصافي جعفري، "الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مصلحا/اديبا"، مجلة الفضاء المغاربي، مج5، ع2، أكتوبر 2007، ص117

الإسلام والأخذ بيد الحكام وإدخال شعوب وقبائل وثنية عديدة في الإسلام، كما يعترف رواد الإصلاح الأفارقة في العصر الحديث بمرجعية الشيخ المغيلي في مختلف أحكامهم الدينية والسياسية، مما يؤكد على الدور الهام للفقيه المغيلي¹.

وقد ساهمت قدرات ومؤهلات المغيلي على قيامه بدور إصلاحى بارز في منطقة الساحل الإفريقي، وسهلت له تجربته الزاخرة في توات في التعرف على طبيعة المجتمعات الصحراوية وطرق انسياب الإسلام إليها، اختار المغيلي بعد نجاحه في القضاء على مكائد اليهود في توات مواصلة نهجه الإصلاحى في منطقة الساحل الإفريقي، فرحل أولا إلى مدينة "تيكدة" من بلاد نيجيريا واشتهر فيها كعالم ومصلح ومقاوم للبدع والخرافات، بعدها انتقل إلى "كانو" بنيجيريا في عهد ملكها "محمد رمفا" 1463م-1499م، وقد استقبله الملك استقبالا باهرا وأكرمه غاية الإكرام واتخذة صديقا أمينا وشيخا هاديا، حتى أصبح مستشاره الخاص في أمور دينه ودنياه، وكان الإمام المغيلي يشارك في تنفيذ أمور الحكم، وقد كان لمقامه هناك أثر بالغ في نشر الثقافة الإسلامية في تلك المملكة.²

ثم انتقل الشيخ إلى "كاتسنا" حيث استقر هناك مدرسا وإماما، وتقرب من أميرها "ابن عبد الله محمد بن يعقوب" الذي طلب منه أن يكتب له كتابا في أحكام ردع الحاكم الناس عن الحرام، فكتب له رسالة شرح فيها كيف يمكن للأمير أن يحكم بلاده ويسوس رعيته وفقا للشريعة الإسلامية، وكيف يمكن أن يحارب العادات الوثنية ويصلح المجتمع وينشر العدل.³

¹ رابح دفرور، عبد الله مقلاتي، " الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي مصلحا دينيا وسياسيا في توات والسودان الغربي"، مجلة الحقيقة، مج09، ع01، أبريل 2010، ص 25

² خديجة عنيشل، "التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزواوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط"، مجلة الذاكرة، مج03، ع05، ماي 2015، ص 104

³ رابح دفرور، عبد الله مقلاتي، " الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي مصلحا دينيا وسياسيا في توات والسودان الغربي"، مرجع سبق ذكره، ص 28

وعند انتقاله إلى بلاد التكرور غرب بلاد غانة القديمة بذل الشيخ المغيلي جهودا جبارة في نشر الإسلام ومحاربة الوثنية، ومنها انتقل إلى مدينة "غاو" عاصمة مملكة صنغاي التي التقى بأمرها "الأسكيا محمد الكبير" (ت1528م) الذي اعتمده مستشارا له، وأعانه في نشر الإسلام وثقافته في مملكته وألف له تأليفا أجابه فيه عن مسائل عدة، ونتيجة للتأثير الكبير للشيخ فقد أقبل عليه العديد من الفقهاء منهم المحدث الفقيه "محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي" (ت1530م)، الشيخ "العاقب بن عبد الله الأنصمني" (ت1543م) و"محمد بن عبد الجبار الفيحي" وغيرهم¹.

الفرع الثاني: أبرز علماء باقي الحواضر الجزائرية وتأثيرهم في الساحل الإفريقي

إلى جانب علماء حاضرة "تلمسان" هناك علماء وفقهاء جزائريين من مناطق أخرى، فقد ذكر صاحب كتاب "فتح الشكور في معرفة أعلام التكرور" أسماء أكثر من أربعين شخصية جزائرية من أهل الصلاح والولاية والفقهاء، كان لهم تأثير بارز على بلدان الساحل الإفريقي نذكر منهم:

✘ الشيخ "مخلف بن علي بن صالح البلبالي" (ت940هـ/1534م): نسبة إلى واحة تابلالت على

الضفة الشمالية للصحراء الجزائرية (توات)، أخذ عنه الكثير من الطلبة بولاية موريتانيا وفاس ثم رحل للتدريس في أكبر مدن شمال نيجيريا "كانو" و"كاتسيا" فضلا عن تمبكتو، وبعدها إلى مدينة "كانو" حيث بدأ التدريس بها والإفتاء والتصدي للقضاء، وقد وصفه الفقيه "محمد بن عمر أقيت" قاضي تمبكتو بأن الشيخ اشتهر بقوة حافظته حتى ذكر أنه كان يحفظ صحيح البخاري كله، وفي أواخر حياته رحل إلى المغرب واشتغل بالتدريس في مراکش قبل أن يُقتل مسموما بعد عام 1534م²؛

¹ عبد القادر سليمان، "مظاهر التواصل العلمي بين بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي"، مجلة المعيار، مج26، ع3، 2022، ص1137

² عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص160

✘ العالم عبد الرحمان الأخضرى (ت953هـ/1545م) بن الشيخ محمد الصغير الأخضرى*، ولد في أسرة علمية مشهورة في جنوب غربي بسكرة على بعد 30 كلم، كانت ولادته في السنين الأولى من حكم الأتراك للجزائر في سنة 920هـ / 1512م¹، وله مؤلفات عديدة منها مختصر في الفقه، نظم في المنطق سماه "السلم المرونق إلى علم المنطق" وغيرها الكثير، لقيت مؤلفاته صدى قوي بالربوع الإفريقية وخاصة الشنقيطية منها، فقد دأب المجتمع التكروري على تحفيظ أبنائهم مختصر هذا الجزائري حيث قرروا تدريسه في مؤسساتهم التعليمية بالمراحل الأساسية الأولى، وذلك بعد عهد الكتاب وحفظ القرآن الكريم مباشرة².

ولا شك أن كتابه "المختصر في الفقه" نال انتشارا كبيرا في مدارس منطقة الساحل الإفريقي، فهو كتاب تربوي مدرسي جامع بين الفقه والعقيدة، ميسر للحفظ والاستظهار، فقد أقبل الناس في تلك البقاع على درسه وتدرسه، حتى أن كلمات منه أضحت تجري على ألسنة الناس باستمرار وترسخت في منطوقهم القومي³؛

✘ الشيخ أبو القاسم التواتي (ت935هـ/1516م): قال عنه صاحب كتاب تاريخ السودان: "هو الشيخ الفاضل الصالح الخير الزاهد العابد العارف بالله تعالى الولي سيدي أبو القاسم التواتي"⁴، كان إمام المسجد الجامع في تمبكتو يستقبل في داره طلبة العلم وكان السلطان "أسكيا محمد" يصلي وراءه ويطلب دعاءه، وأنشأ مقبرة تمبكتو الكبرى التي حبس عليها الأسكيا صندوق فيه ستون جزءا

* العلامة محمد الصغير الأخضرى له مؤلفات كثيرة غزت العديد من المكتبات الإفريقية ووصلت إلى المدينة المنورة، فمن أشهر مصنفاته كتاب شرح ألفية ابن مالك، وشرح مختصر خليل في الفقه المالكي.

¹ طالي عمار، "عبد الرحمان الاخضرى - حياته و أعماله"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج02، ع01، ماي 1987، ص121

² محمد بن المحبوب، "الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط"، مرجع سبق ذكره، ص291

³ نفس المرجع

⁴ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص194

من المصحف. وعندما توفي الشيخ سنة 1516م في تمبكتو كان فيها خمسون عالما من علماء توات¹؛

✘ الشيخ سيدي أحمد (ت 1163هـ/1749م) المعروف بأبي نعامة بن عبد الرحمان القبلاوي:

يتصل نسبه إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع، لُقّب بشيخ الركب النبوي ويقال أنه أول من هيا المراكب للحج وأحيا سنة الوفود إلى الحج في توات وبلاد الساحل الإفريقي بعد أن اندثرت لسنين طويلة قبله، كان يتوافد عليه شيوخ ركب الحجيج بالتكرور لذلك أسس زاويته بأقبلي سنة 1138هـ وأنشأ بها خزانة كبيرة للكتب والمخطوطات وهي متواجدة إلى الآن²؛

✘ الشيخ سيدي أبي الأنوار (ت 1168هـ/1755م) بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التتلاوي:

ولد بزواية تتلان بإقليم توات وأخذ العلم عن الشيخ سيدي محمد دين الله التطافي، ثم سافر إلى أرض التكرور وتربع هناك على عرش التدريس والإفتاء فترة طويلة من الزمن، وحين رجع إلى الجزائر استقر في زاويته المشهورة التي تنسب إلى ولد ابنته مولاي هيبه وبها توفي سنة 1168هـ.³ ومن العلماء الذين نبغوا في بلاد "البرنو" وأثروا في الحياة الاجتماعية والسياسية الشيخ محمد الطاهر الفلاني التواتي والعالم الفقيه "الشيخ محمد بن يحيى بن إيدر التادلسي" الذي تتلمذ على يد محمد بن عبد الكريم المغيلي، كما ذكر "السخاوي" عالما آخر من علماء بجاية يدعى أبو بكر الموصل" الذي زار هو الآخر مدينة "جاو" من أجل التعليم في مدارسهم خلال فترة حكم الأسقيين، بالإضافة إلى القاضي سالم العصموني الذي تنقل إلى هناك قائما بأمر الدعوة إلى الله وإرشاد الناس فأسلم على يده خلائق لا تحصى⁴.

¹ عباس عبد الله، "التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة الحقيقة، مج14، ع3، سبتمبر 2015، ص100

² أحمد أبا الصافي جعفري، المخطوطات الجزائرية واعلامها في الخزائن والمكتبات الافريقية. الجزائر: وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، 2015، ص124

³ نفس المرجع، ص117

⁴ سالم بوتدارة، "الرحلات والمناظرات العلمية بالجزائر الحديثة (منطقة توات نموذجاً)"، الحوار المتوسطي، مج12، ع13، ديسمبر 2017، ص69

كما ارتحل إلى بلاد الساحل الإفريقي الشيخ أحمد الرقادي الكنتي وكان له نشاط علمي بارز إذ أقبل الطلبة السودانيون عليه ما جعله يؤسس زاوية ومدرسة بتمبكتو لنشر العلم، وكانت الزاوية مركزا للرحلات العلمية بين الضفتين¹.

كان لعلماء قبيلة "الكنتيين" التي نزحت من توات دور كبير في نشر الطريقة القادرية والثقافة العربية وربط أوامر العلاقة بين ضفتي الصحراء الكبرى، يقول "بول مارتى" عن هذه القبيلة: كنتة هي تلك القبيلة القوية والتي تتدرج فروعها المختلفة ابتداء من توات حتى منطقة "زيندر" بواسطة الطوق الغربي من الصحراء الكبرى المتمثل في توات وأدرار الموريتاني وتغانت والعصابة والحوض والأزواد ونهر النيجر وأدرار إفوغاس². ويعود انتقال القسم المهم من قبيلة الكنتيين لأزواد في مالي حاليا إلى سنة (1130هـ/1742م)، وهو تاريخ المجاعة التي ضربت الأقاليم الشمالية للصحراء³، وقد أسسوا بشمال مالي قرية "المبروك" التي تمر بها القوافل التجارية المتجهة إلى تمبكتو، وقد كان لهم الفضل في إعمار نواحي شنقيط والسنغال، حيث أسسوا بها الزوايا الثقافية وأشرفوا على القوافل التجارية القادمة من توات، وتذكر بعض الروايات أن سلطان بورنو "كاندي ولد جاماش" (شمال شرقي نيجيريا) عام 883هـ/1478م، أرسل إلى كل المشايخ من نسل الشيخ "مختار الكنتي" ومن قاربهم في توات برسالة، وقد حثهم فيها على عدم ترك عادة أجدادهم بالقدوم إلى بلادهم وقد كانت منطقة نفوذ لهم⁴.

تغلب على قبائل الكنتيين ظاهرة الحل والترحال بين توات والتكرور وباقي ممالك السودان الغربي، وقد أدى ذلك لاستقرار الآباء بالتكرور وعودة الأحفاد، فتذكر الروايات الكنتية أن العلامة "أحمد البكاي

¹ سالم بوتدارة، "الرحلات العلمية التواتية نحو بلاد الساحل الإفريقي وإسهاماتها العلمية"، مرجع سبق ذكره، ص77

² خديجة عنيشل، "التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط"، مرجع سبق ذكره، ص103

³ الطالب أحمد المصطفى، رحلة المنى والمنة. لبنان: دار الكتب العلمية، 2013، ص23

⁴ يحيى ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، ج01. الجزائر: دار المعرفة، 2009، ص09

الكنتي" قد وصل إلى بلاد السنغال وخلف من الأبناء ثلاثا يعتبرون أصول القبيلة الكنتية، بمعنى أن العشيرة الكنتية تفرعت إلى ثلاث قبائل وهم:

○ ذرية الطالب "أبو بكر الحاج" بن سيدي أحمد البكاي بودمعة بن سيدي محمد الكنتي الكبير، ويلقبون بالهُمَّال.

○ ذرية "محمد الكنتي الصغير" بن سيدي أحمد البكاي بودمعة بن سيدي محمد الكنتي الكبير، وأغلبيتهم بموريتانيا ويطلق عليهم كنتة الغربيون.

○ ذرية "سيدي عمر الشيخ" بن سيدي أحمد البكاي بودمعة بن سيدي محمد الكنتي الكبير.

استقر الشيخ "أحمد البكاي" الكنتي بإقليم "لواتة" ومات ودفن بها، حيث يشير "البرتلي" صاحب كتاب "فتح الشكور" إلى أن مزاره مقصد للقوافل القادمة من بلاد الشمال عموما والآخذة بطريق "ولاتة" نحو بلاد التكرور¹.

عاد إلى توات "عمر الشيخ" ابن أحمد البكاي رفقة أستاذه محمد بن عبد الكريم المغيلي، كما عاد من ولاتة المختار الشيخ حفيد "أحمد البكاي" دفين زاوية كنتة، كما قدم من أزواد مؤسس زاوية الركب الشيخ أحمد أبو نعامة بأقبلي، وعاد حفيده أبا محمد بونعامة إلى السنغال، وهكذا فإن الترحال الكنتي كان عاملا مساهما في تعزيز الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي².

وقد كان سيدي "المختار الكنتي" (ت1811م) مصلحا كبيرا اجتذبت زاويته القادرية عددا من الأتباع والمريدين الذين انتشروا في منطقة الساحل الإفريقي وأصبح له نفوذ سياسي بارز فيها، فقد قال عنه

¹ مولاي عبد الله سماعيل، تحقيق مخطوط كاشم الغمم والعمامة عن حياة الشيخ أبي نعامة لصاحبه محمد بون الكنتي التواتي السينغالي. الجزائر: دار الكلمة، 2017، ص37

² نفس المرجع، ص38

المستشرق الفرنسي "بول مارتى: " كان السيد الذي وطد، وأثار للمشايخ طريق إيمانهم، والزعيم الديني الذي أدخل في الإسلام الأقوام الوثنية، وبالإضافة إلى مكانته ونفوذه عند القبائل الصحراوية، فإن ذكره كانت أكثر من غيره حيوية وبقاء في السنغال وغينيا وساحل العاج الشمالي، بل وكل السودان المسلم"¹.

وتجدر الإشارة إلى أن للأولياء والصالحين من أهل الجزائر حضورا كبيرا في منطقة الساحل الإفريقي وخاصة في الصعيد الشنقيطي، فقد كان للشناقطة اهتمام خاص بالأولياء لا سيما أبناء الجزائر منهم، فقد اعتنوا كثيرا بآراء الصوفي الجزائري شعيب أبي مدين الغوث (ت594هـ/1197م) ذلك الزاهد المتعبد الذي تنسك بمنطقة بجاية وكثر أتباعه حتى أسس حضرات صوفية -الطريقة القادرية- وقبره في مسجد العباد ضاحية تلمسان مشهور المزار. كما نال هذا الولي شهرة كبيرة وسيرورة بأرض شنقيط حيث تسمى باسمه أعلام كثيرون يلتمسون بذلك بركته، كما كانوا يروون قصصه وكراماته ينعشون بها مجالسهم وأنديتهم².

ومن الأولياء الجزائريين أيضا الذين شاعت شهرتهم الآفاق وكان لهم حضور كبير في ذاكرة شعوب منطقة الساحل الإفريقي الشيخ سيدي أحمد التيجاني (ت1230هـ/1815م) صاحب الطريقة التيجانية المذكورة سابقا، ولهذه الطريقة أتباع إلى يومنا هذا.

وقد كان طلبة العلم الأفارقة وعلمائها يشدون الرحال إلى الشيخ أحمد التيجاني، ونذكر هنا التقاء الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب (ت1246هـ/1830م) من قبيلة أولاد عمر الموريتانية بالشيخ أحمد التيجاني عام 1780م وقد أخذ عنه مبادئ الطريقة التيجانية، وعينه مقدا لها ببلاد شنقيط والسودان الغربي، وقد كسب أنصارا له بالساحل الإفريقي، وكانت له شهرة واسعة³.

¹ مقالتي عبد الله، "علاقات إقليم توات بمواضير السودان الغربي" مرجع سبق ذكره، ص.ص. 7، 8
² محمد بن المحبوب، "الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج4، ع05، نوفمبر 1998، ص288
³ موسى أحمد كامره، زهور البساتين في تاريخ السوادين. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، 2010، ص706

أما من فقهاء المذهب الإباضي، فقد ورد الحديث عن الكثير من كبار الفقهاء الذين اشتهروا بزيارتهم لمنطقة الساحل الإفريقي، حيث سجلت كتب الطبقات والسير العديد من الروايات عن ترحالهم وأثرهم البالغ في مجتمعات غرب إفريقيا، فهناك الكثير منهم يحملون اسم "ابن يخلف" من بينهم: "علي بن يخلف بن يخلف"، أبوه "يخلف" علامة ونسابة عرف بسرعة البداهة (ت660هـ/1203م)، وقد أقام بوارجلان (ورقلة) وأخذ العلم من مشايخها كأبي سليمان أيوب ابن إسماعيل الورجلاني، أما ابنه "علي" فعرف بعلمه وبيانه وفصاحته وتمكنه من الأدب والعلوم الدينية، وقد وصل إلى غانة عام 575هـ وهو من أكبر شيوخ الإباضية، وقد نسبة إليه أنه أسلم على يده "المسلماني" أحد ملوك السودان الغربي، كما رواها المؤرخ الدرجيني نقلا عن البكري. ومن مشايخ الإباضية أيضا "أبو نوح سعيد بن يخلف" من علماء النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، وقد اشتهر "ابن يخلف" هذا أيضا بكثرة أسفاره إلى غرب إفريقيا.¹

في المقابل، أنجبت منطقة الساحل الإفريقي عددا كبيرا من العلماء والفقهاء المالكية الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية بالمنطقة، ولعل من أشهرهم على الإطلاق الشيخ أحمد بابا التمبكتي (ت1036هـ/1628م) من أسرة أقيت*، ذاع صيته في بلاد المغرب والسودان وكان من نوابغ العلماء، صنف الشيخ العديد من المؤلفات بلغت أكثر من أربعين مؤلفا وقصده بعض الطلبة الجزائريين بعد محنته المشهورة بمراكش². وقد وضع مؤلفه القيم "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" في تراجم علماء المالكية وألحقه

¹ نور الدين شعباني بوكنة، دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، مرجع سبق ذكره، ص389

* وكانت أسرة أقيت التي ينتمي إليها العالم أحمد بابا من الأسر الكبيرة التي حملت لواء العلم والفقهاء المالكية في منطقة الساحل الإفريقي وتوارثته، فقد كان والده الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت من كبار علماء الفقه المالكي، وقد أخذ العلم عن عمه محمود بن عمر أقيت، ومن علماء هذه الأسرة الفقيه عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، كان فقيها نوحيا، ومنهم أيضا العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت قاضي تمبكتو. انظر: محمد أبو محمد امام، "سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية" مرجع سبق ذكره، ص101

² محمد أبو محمد امام، "سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية" مداخلة في مؤتمر دولي: الإسلام في إفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006، جامعة إفريقيا العالمية، ص111، 112

بكتاب آخر سماه "كفاية المحتاج في معرفة من ليس في الديباج"، أورد فيه العديد من العلماء الجزائريين الذين كان لهم بالغ الأثر في بلاد السودان جنوب الصحراء.

إن أهم ما لمحّه الباحث وشدّ انتباهه أثناء تتبع سيرة العلماء والفقهاء الجزائريين الذين كان لهم تأثير في منطقة الساحل الإفريقي وجود أربع ظواهر بارزة هي:

(1) العدد الهائل للعلماء الجزائريين الذين تنقلوا إلى منطقة الساحل الإفريقي وتأثيرهم على مجتمعاتها وخاصة من حاضرتي تلمسان وتوات.

(2) دور حركة القبائل المعروفة والمشهورة بالعلم في إنشاء مراكز علم وزوايا روحية، التي ساهمت في ترسيخ الثقافة الإسلامية، ونخص هنا قبيلة كنتة.

(3) التنقلات المستمرة للعلماء الجزائريين عبر حواضر منطقة الساحل الإفريقي ودورهم الفعال في نموها وازدهارها الثقافي، فكانوا يحملون رسالة الدين والدعوة الإسلامية.

(4) كثرة الإسهامات العلمية للعلماء الجزائريين وتأثيراتها الجلية في المناهج التعليمية في كل أرجاء الساحل الإفريقي.

المبحث الثالث: الحركات الثقافية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي (علاقات

التأثير والتأثر)

إلى جانب الانتشار السلمي للدين الإسلامي في الغرب الإفريقي عبر مر العصور وتأثيراته وانعكاساته الكبيرة، ظهرت العديد من المدن والحوضر المصبوغة بالثقافة العربية الإسلامية، وازدادت فكرة السفر والترحال لطلب العلم والاطلاع أكثر بأفكار ناشري الحركات الصوفية والتشيع بتوجهاتهم، وتشكلت عنها بعثات علمية مباشرة أو ضمنية سواء خلال رحلات الحج أو التجارة، وهذا ما عزز وطور من الترابط الثقافي بين المغرب الكبير ومناطق إفريقيا جنوب الصحراء. وللتعمق أكثر سنعالج، في هذا المبحث الجوانب الثقافية للرحلات العلمية وأهمية الحواضر على ضفتي الصحراء الكبرى.

المطلب الأول: الرحلات العلمية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي (التلاقح الثقافي)

لعبت الرحلة العلمية دورا كبيرا في تمتين وتوطيد العلاقات الثقافية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي خلال الفترة الوسيطة، كما أنها ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية من خلال مختلف الكتب والمصنفات التي يتداولونها فيما بينهم، فقد كانت الرحلة في طلب العلم وركب الحجيج من الفرص الثمينة التي توفرت للعلماء وطلاب العلم وغيرهم من الجانبين.

الفرع الأول: مفهوم الرحلة العلمية

ارتبطت الرحلات العلمية بإفريقيا عموما بانتشار الإسلام فيها، ويعد هذا الارتباط في طلب العلم ونشره من أقدم الأسباب التي دفعت الناس إلى الهجرة والترحال لغرض نشر تعاليم وثقافة الدين الإسلامي، والإسلام دائما كان مشجعا لشدة الرحال في طلب العلم عملا بقول النبي -صل الله عليه وسلم-: "طلب

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"¹، وقوله: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"²، وبذلك نجد الارتحال في طلب العلم ظاهرة مألوفة منذ ظهور الإسلام.

يعرّف أبو القاسم سعد الله الرحلات العلمية أنها تلك "الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيادة والاطلاع على البلدان عموماً والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحياناً"³.

فالرحلة مثّلت مظهراً من مظاهر الحياة الحضارية في مختلف العصور الإسلامية، ومعلوم أن الارتحال في طلب العلم عامل من أهم العوامل التي توثّق الروابط بين الشعوب وتعد رمزا من رموز الاتصال المحكم بين العقيدة واللغة والثقافة والفكر، وقد ساهمت تلك البعثات والرحلات في المحافظة على استمرار الدعوة ونشاط الدعاة في المجتمع الإفريقي⁴.

في الوقت الذي كانت طرق القوافل التجارية شريانا اقتصاديا بين مراكز بلاد شمال الصحراء الجزائرية وجنوبها، فقد كانت أيضا إشعاعا للمؤثرات الثقافية والحضارية بين الضفتين، حيث أضحت المراكز المنتشرة على طول طرق القوافل التجارية عبر الصحراء محطات لاحتكاك الأفكار وتأثيرا وتأثرا، بفضل ما تقدمه للمسافرين من مؤوى وسبل للالتقاء والتلاحق الثقافي.

لم يقتصر دور التجار المسلمين الجزائريين على مجالات التجارة والأنشطة الاقتصادية فحسب، بل تعداه إلى الدعوة إلى نشر تعاليم الدين الإسلامي وتعميق الصلات الثقافية، إذ تجلّى ذلك في نشر اللغة العربية، بناء المساجد والمدارس لتعليم القرآن الكريم، هكذا أصبح التجار الجزائريين ومن سار في دروبهم

¹ حديث شريف، انظر: ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله. بيروت: دار الكتب العلمية، 2010، ص 14

² حديث شريف، انظر: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم). بيروت: الكتاب العالمي للنشر، 2008، ص 375.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2. لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2005، ص 383

⁴ مولاي أحمد، "التجارة والرحلة ودورها في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي ما بين القرنين 11 و 12 هـ- 17 و 18 م"، مرجع سبق ذكره، ص 47

يقومون بمهمة الدعاة المسلمين إلى جانب نشاطهم التجاري، فحملوا معهم العقيدة الإسلامية والحضارة العربية. وكان من نتائج احتكاكهم واختلاطهم بشعوب منطقة الساحل الإفريقي أن حدث التزاوج والمصاهرة وانتشار الدين الإسلامي تدريجيا وسلميا¹.

فالدعاة والمعلمين الذين أخذوا على عاتقهم الترحال في سبيل العلم وطلبه وتعليمه، كانوا يعتبرونه وسيلة من الوسائل التي ساعدت على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بمنطقة الساحل الإفريقي، فقد كانوا يدعون الناس إلى الإسلام ويفقهونهم في أمور دينهم ودنياهم، لذلك حظي هؤلاء الدعاة والمعلمين بتقدير المجتمعات السودانية لهم، إذ أصبحت كثيرا من القرى ومدن بلاد الساحل تبني المساجد والمدارس لاستقبال أولئك المعلمين الفقهاء ويعاملونهم باحترام كبير، واتخذوا منهم مستشارين ووزراء يصرفون لهم أمور الدولة. ولدرجة إجلال الناس لشخصيات هؤلاء الدعاة كان لا يتعرض لهم أحد بسوء أثناء انتقالهم من دولة لأخرى أو من جهة لأخرى حتى لو كانت الحروب ناشبة بين هذه الدول أو تلك الجهات، مما يدل على عمق التقدير وعظيم الاحترام لهم².

إن، الرحلة تعد أهم رافد شمل الإسهامات العلمية لعلماء الجزائر بمنطقة الساحل الإفريقي، لما كان يتم فيها من احتكاك وتبادل للعلوم والمعارف. كانت الرحلات تتنوع بين الدينية كركب الحجيج التي كان يصحبها العلماء والفقهاء أو العلمية مبتغاها طلب العلم ونشره، أو حتى تلك الرحلات التي كانت عبارة عن هجرات بين الضفتين سواء كانت فردية أو جماعية. لقد أعطى هذا التنوع في الرحلات نسيجا علميا غير منقطع بين ضفتي الصحراء نتج عنه أسر علمية اشتهرت بفقهاؤها الذين خلفوا تآليف شكلت زخما وتراكما

¹ محمد الزين، "إسهامات اعلام إقليم توات في ترسيخ الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في افريقيا جنوب الصحراء ما بين القرن 16-19م"، مجلة عصور، مج17، ع02، ديسمبر 2018، ص، ص235، 237.

² عبد الله سالم بازينة، انتشار الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء، ط1. ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2010، ص.ص. 170، 171.

حضرًا بين المنطقتين، كما أن لحركة العلماء والطلبة كما هائلا من الإجازات والساعات أعطت القرينة عن المكانة العلمية لتلك الجهات في فترة تاريخية اتسمت فيها العلاقات بالاتصال والاستمرارية¹.

ساهمت الرحلات العلمية لعلماء توات في تفعيل المشهد الثقافي ودفع الحركة العلمية إلى منطقة الساحل الإفريقي عن طريق تجارة القوافل، فساهموا في نشر الثقافة الإسلامية والتصوف بنقل ما عندهم من العلوم والمعارف إلى حواضر منطقة الساحل كتمبكتو، "جاو" و"جني"، وبفضل مجهوداتهم العلمية انتشرت المدارس القرآنية ومعاهد العلم وبلغت مستوى رفيعا، هذا ما جاء في مخطوط مطول منسوب إلى القرن التاسع الهجري /15م عن رسالة بعث بها ملك "برنو" إلى بعض العلماء البارزين من "توات" طالبا منهم إرسال بعثات علمية إلى مملكته²، هذه الوثيقة التي عثر عليها في توات الضابط الفرنسي المؤرخ "مارتان" Martain تؤكد تاريخ البعثات العلمية التي كانت قائمة بين علماء الكنتيين التواتيين وإقليم بورنو، وقد كتب هاته الوثيقة السلطان "كاندي ولد جامشاش" إلى كل المشايخ من نسل الشيخ المختار الكنتي ومن سيدي عمر الشيخ، وإلى كل إخوانهم المقيمين في توات، يقول فيها³:

" مما يثير الدهشة كيف تركتم عادة آبائكم وعزفتم عن القدوم إلى بلدنا؟ ... فمنذ المعاهدة مع السلطان سيدنا سقرا لم تعودوا لبلدنا ... ومن المؤكد -قسما بالله- إنني لم أسبب لكم، ولن أتسبب في أي نوع من الأذى ... اقبلوا إذن كما كانت العادة: ولن يكون أي واحد من أولئك الذين يفدون من توات، مزودا برسالة منكم، مضطرا لدفع ضرائب لأن البلد بلكم، مثلما كان لأبائكم من قبل."

¹ سالم بوتدارة، "الرحلات العلمية التواتية نحو بلاد الساحل الإفريقي واسهاماتها العلمية"، افاق فكرية، مج04، ع خاص، 2018، ص75

² شريف أسماء، نور الدين شعباني، "التفاعل الثقافي والفكري بين الجزائر والسودان الغربي خلا القرنين (9-12هـ/15-18م)"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع01، ماي 2022، ص 621

³ بول مارتني، كنتة الشريون، تر، محمد محمود ولد ودادي. دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، ب س ن، ص، ص35، 34

وقد وفدت بعثات تعليمية مالكية إلى بلاد "كانم" ضمت مجموعة من العلماء والفقهاء وحفاظ القرآن الكريم من الجزائر وغرب إفريقيا، حيث طافت هذه البعثة بلاد مالي وكانم، وكان من أشهر أفرادها الشيخ مخلوف البلبالي ومحمد بن أحمد التازختي¹.

ومن جانب آخر، كانت مواسم رحلات الحج فرصة ذهبية يلتقي فيها العلماء وطلاب العلم، فقد كان الجنوب الجزائري يشمل على العديد من المحطات الأساسية لاجتماع حجاج بلدان وممالك منطقة الساحل الإفريقي كورقلة وتوات، حيث يتشكل الركب الواحد من الحكام والتجار والعلماء والفقهاء وطلبة العلم، الذين كانوا يجلسون للتدريس خلال فترات الراحة وفيها تم منح الإجازات العلمية.

كان الحج وطلب العلم من أبرز دواعي الارتحال لدى أغلب العلماء بين ضفتي الصحراء الكبرى، فقد ألف العديد منهم كتباً تضم وصفاً لرحلاتهم وما تلقوه من علم نافع ووصف للمناطق التي مروا بها وعن أحوال مجتمعاتها، وعن الإجازات التي أخذوها عن علماء تلك المناطق.

الفرع الثاني: رحلات بعض علماء الساحل الإفريقي باتجاه الجزائر

من بين العلماء الذين زاروا حاضرة توات خلال رحلتهم الشيخ الموريتاني أبو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي خلال عام 1121هـ / 1709م رفقة الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، كما حج في عام 1151هـ / 1744م الشيخ الولاتي أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي والذي أتى بخزانة نفيسة من الكتب اقتناها من الحج وقد تم نسخ البعض منها في توات².

¹ محمد أبو محمد امام، "سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية" مداخلة في مؤتمر دولي: الإسلام في إفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006، جامعة إفريقيا العالمية، ص 106

² سالم بوتدارة، "الرحلات العلمية التواتية نحو بلاد الساحل الإفريقي وإسهاماتها العلمية"، ص 76

كما استقبلت توات الرحلات العلمية السودانية من بلدان الساحل الإفريقي، نذكر منها¹:

✚ **رحلة الشيخ أبي عبد الله الفلاني (ت1194هـ/1780م):** الذي قام برحلته من بلاد التكرور إلى

تتلان بتوات لتلقي العلم عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتلاني، فمكث شهرين وستة ليالي حيث أجازته الشيخ التتلاني بعدها ببعض العلوم؛

✚ **رحلات الشيخ أحمد بن الأمين الغلاوي (ت1157هـ/1744م):** وهو الحاج حمد بن الحاج الأمين

الملقب بالتواتي الغلاوي، انتفع على يديه كثير من المهاجرين وكان مسموع الكلمة في بلاد التكرور من أهل الهمم العالية، حريصا على طلب العلم من علماء الأمصار وتدرسه أينما ارتحل، أعتبر شيخ ركب الحجيج من منطقة الساحل الإفريقي إلى إقليم توات وتولى الأمر عنه الشيخ أبي نعامة القبلاوي²؛

✚ **رحلة الشيخ محمد الإدواعلي (ت1198هـ/1784م):** الذي هو من قبيلة مشهورة بالعلم بشنقيط

(ادوعل*) بموريتانيا وأثناء رحلته قادما من بلده نزل بأقبلي في توات بزواية الركب، حيث استقبله شيخ الزاوية أبو نعامة ثم تنقل إلى تمنطيط عند الشيخ بن عبد الكريم البكري وبقي عنده دارسا ومدرسا، فذاع صيته في توات وطلبه عدد من أعيان القصور، فاخترت قصر أعباني بفنوغيل، ثم استقر هناك وبنى زاويته ومدرسته لكن في آخر أيامه هاجر لبلاد الساحل الإفريقي وتوفي هناك؛

¹ مولاي أحمد. "التجارة والرحلة ودورها في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي ما بين القرنين 11 و12 هـ-17 و18 م". مرجع سبق ذكره، ص47

² محمد البرتلي، فتح الشكور في معرفة اعيان علماء التكرور. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ص48

* من اول القبائل التي أسست مدينة شنقيط وعمرتها، إلى جانب شريكها قبيلة الأغلال، التي كانت معها في حروب انتهت بانتقال جمهور منهم إلى هضبة تكالت التي اسسوا فيها تحكجة عام 1070هـ/1660م، وبقيت فروع إدواعلي أخرى في شنقيط وقسم كان قد انتقل إلى بلاد الترازة في الجنوب الغربي، ومن هذه القبيلة انتقل إلى توات الشيخ محمد إدواعلي في قرن 12هـ. انظر: محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية. الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1996، ص188

✚ رحلة محمد يحيى الولاتي الشنقيطي (ت 1311هـ/1894م): من علماء موريتانيا الذين داوموا

الترحال سواء أثناء رحلته للحج المشهورة أو دونها، فقد كان الشيخ الولاتي يتردد على المدرسة

الجانانية في تندوف بغرب الجزائر، أخذ العلم من علمائها ودرس بها كل من مر من فطاحلة

الشناقطة كمحمد التركي مصحح القاموس المحيط.¹

وإذا ما راجعنا كتاب العلامة التمبكتي أحمد بابا "نيل الابتهاج" فيما يرتبط بالرحلات العلمية نجدها

في الغالب في اتجاه واحد من بلدان الضفة الجنوبية للصحراء باتجاه شمالها، على اعتبار الفارق الحضاري

والعلمي الشاسع بين الضفتين، فقد كانت بلاد الجزائر وما جاورها مقصدا لأهل الساحل الإفريقي لغاية طلب

العلم وخصوصا الفقه، حيث أن أهل السودان كانوا أشد تأثرا وتمسكا بالمذهب المالكي، وعرض الشيخ أحمد

بابا التمبكتي في كتابه على تراجم علماء أهل الجزائر الذين رحلوا إلى بلاد السودان الغربي، سواء للاشتغال

بالتدريس والدعوة هناك أو للقاء بعض الشيوخ المشاهير من أهلها وأخذ الإجازات العلمية منهم².

الفرع الثالث: أبرز الإجازات والمؤلفات العلمية الناتجة عن الرحلات

تعتبر الإجازة العلمية بمثابة الشهادة العلمية في يومنا هذا، ولأهميتها اهتم أهل العلم على الضفتين

بالحصول عليها من علماء مشهود لهم بالعلم والمعارف، إذ أجاز الشيخ "عبد الرحمان بن عمر التواتي"

التتيلاني الشيخ "عبد الله الفلاني" الذي قدم من بلاد التكرور لطلب العلم، كما أجاز الشيخ "البكري عبد

الكريم" الشيخ "محمد الإدوعلى" 1674م، حيث درس بتوات وذاع صيته وأسس زاوية ومدرسة بفنوغيل،

وتشير الرحلات العلمية ومختلف المصادر على أن طلب الإجازات العلمية قد شاع الحصول عليها في تلك

¹ حبيب بريك الله، "صدقة من أحط الدين بماله" من نوازل الرحلة الحجازية للفقير الولاتي الشنقيطي بتندوف (1912 م / 1330 هـ) تحقيق

ودراسة، مجلة مدارات تاريخية، مج2، ع1، مارس 2020، ص129

² عبد القادر سليمان، "مظاهر التواصل العلمي بين بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي"، مجلة المعيار، مج26، ع3، 2022، ص1136

الفترة لأهميتها وتمييز صاحبها عن أقرانه من طلاب العلم، وكان لهذه الشهادة الفضل في التواصل الثقافي بين الجزائر وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء¹.

من خلال كل تلك الرحلات العلمية بين الضفتين منذ العصور الوسطى راجت الكتب والمخطوطات التي بقيت شاهدة على المنتج الفكري للعلماء والفقهاء في تلك المناطق الشاسعة، إذ يعبر انتشار الكتاب على التطور الحضاري والثقافي ويوضح مدى الحركة العلمية التي عرفتها العصور الحديثة خاصة بين الجزائر والسودان الغربي، كما أن انتشار الكتب والمخطوطات يعبر على المنتج العلمي، إذ كانت تجارة الكتب من السلع الرائجة في تلك العصور لذا لم تخلو القوافل التجارية من هذه السلعة، التي كان يتهافت عليها العلماء وطلاب العلم سواء من الجزائر أو علماء بلدان الساحل الإفريقي، إذ تشير الدراسات التاريخية على أن المكتبات ببلدان الساحل تحفظ العديد من الكتب والمخطوطات الجزائرية، وكان لعلماء توات العديد من المصنفات والمخطوطات التي ما تزال إلى يومنا هذا في خزائن ومكتبات كل من مالي والنيجر وغانا، ونيجيريا، وموريتانيا، ومن أهم هذه المكتبات ما يلي²:

• مكتبة أحمد بابا التتبيكتي 126 مخطوطا؛

• مكتبة ماما حيدة بمالي 34 مخطوطا؛

• مكتبات غانا 31 مخطوطا؛

• مكتبتى شنقيط وودان بموريتانيا 8 مخطوطات؛

• مكتبة كادونا وأبادان بنيجيريا 71 مخطوطا.

¹ نارة عبد العزيز، " تجارة القوافل بين الجزائر وطرابلس الغرب والسودان الغربي في العهد العثماني"، منصة اريد، 2019/10/19 مقال متاح على الرابط: <https://portal.arid.my/Publications/de1d6ff2-2faa-4582-9efb-6cc1d013ed50.docx> (تاريخ الاطلاع: 2023/08/22)

² مقالتي عبد الله، "علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي: العلاقات الثقافية وابعادها الحضارية نموذجاً"، مداخلة بالملتقى الوطني: العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، 14 افريل 2009، جامعة احمد دراية ادرار، ص4

وتجدر الإشارة إلى أن تنقل التأثيرات الثقافية والفكرية لعلماء منطقة الساحل الإفريقي وشعوبهم كانت نتيجة إحتكاكهم المباشر بالعلماء والتجار المسلمين الجزائريين والمغاربة، فنتج عنه إنتقال الطابع الديني المميز بمذهب الإمام مالك، وكان الفقه كله يدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الأخرى التي تخدم هذا الفقه، وقلما تجد في منطقة الساحل مذهباً إلا مذهب الإمام مالك، حيث الفقهاء مالكيون في حياتهم وتقاليدهم وإنتاجهم وتأليفهم وتدريسهم حتى الشعوب مالكية تأثرت بالفقهاء وإهدت بهم، فتشابهت مدارس الثقافة الإسلامية في الضفة الجنوبية للصحراء بنظيرتها بالشمال إذ طُبقت نفس اللغة ونفس الأسلوب وحتى خط القلم العربي نفسه.

أما الكتب والمناهج المتبادلة فهي ذات الكتب والمناهج نفسها: موطأ مالك، المدونة الخرجية، كتب عياض، كتب سحنون، شروح ابن القاسم وخليل، كتب الونشريسي، مؤلفات الشيخ المغيلي، تحفة الحاكم والعباد، مدخل ابن الحاج، مقدمة التاجوري، صغرى السنوسي، شرح الجزائرية، عقيدة السنوسية المعروفة بأسم البراهين، دليل القائد وابن عاشر والقرطبي¹.

إن المتأمل في تأثير تلك الكتب و المؤلفات المتداولة في الساحل الإفريقي يجد للجزائريين حضوراً كبيراً خاصة فيما يتعلق بالنحو والمنطق وعلم الكلام، ويظهر جلياً أن العلماء الجزائريين كان لهم قدم سبق في التأليف العقدي، بل ربما أمكن القول أن لهم سلطاناً معرفياً كبيراً في العلوم العقلية بالغرب الإسلامي عموماً، فمعظم المؤلفات المغاربية في المنطق وعلم الكلام من مسطورات الجزائريين ومنتوجهم (المقري، السنوسي، الأخضرى)، ولا شك أن المؤلفات الجزائرية وصلت إلى البلاد الموريتانية في وقت مبكر، فألفية*

¹ محمد أبو محمد امام، "سيادة المذهب المالكي في افريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية" مداخلة في مؤتمر دولي: الإسلام في افريقيا، 26-27 نوفمبر 2006، جامعة افريقيا العالمية، ص 107

* تسمى الالفية: "الدرة الألفية في العلوم العربية"، وقد ذكرها ابن مالك في مقدمة نظمه لألفيته معترفا لصاحبها بفضل سبق يقول:

وأستعين الله في ألفية *** مقاصد النحو بما محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز *** وتيسر البذل بوعد منجز
وتقتضي رضا بغير سخط *** فائقة ألفية ابن معطي

ابن معطي الزواوي الجزائري¹ (ت628هـ) قد وصلت بلاد موريتانيا وكان للقوم بها اعتياد كبير بل هناك من العلماء من يتقنها معنى ولفظا ومنهم من يحفظها حفظا².

كما تجدر الإشارة أن حضور المذهب الكلامي الأشعري في المنظومة الفكرية الجزائرية كان له تأثير كبير في بناء المعرفة والعقيدة الكلامية في منطقة الساحل الإفريقي، وتظهر معالمها جليا في المسائل والقضايا والإشكاليات الفكرية التي تناولتها المتون الكلامية التي انتشرت خاصة بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وترد في أغلب الكتب والشروح المنتشرة في منطقة الساحل الإفريقي مقولات الأشاعرة مثل: قال الشيخ أبو الحسن الأشعري، وقال القاضي الباقلاني (...)، وهو ما نجده في الكتب الرائجة في حواضر الساحل الإفريقي كالعقيدة الوسطى وشرحها للإمام السنوسي.

وهو بسبق حائز تفضيلا *** مستوجب ثنائي الجميلا

انظر: محمد ابن مالك الاندلسي، ألفية ابن مالك في النحو والصرف. بيروت: دار الكتب العلمية، 2016، ص9

¹ أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، والملقب زين الدين، النحوي الحنفي؛ كان من أئمة عصره في النحو واللغة، اشتهر بدمشق ومصر وبها توفي، وهو من قبيلة زواوة، وهي قبيلة كبيرة بالجزائر وبالتحديد بظاهر بجاية. انظر: احمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1978، ص163

² محمد بن المحبوب، "الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج04، ع05، نوفمبر 1998، ص290

المطلب الثاني: الحواضر العلمية وتأثيرها في تثبيت العلاقات بين المنطقتين

لقد شكلت الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي وحدة ثقافية وحضارية متكاملة على الرغم من الانقسامات السياسية التي شهدتها المنطقتين، إذ لم تقف التوترات السياسية عائقا أمام حرية حركة العلم والعلماء بين مناطق الغرب الإفريقي، إنما على العكس كانت جميع الظروف مواتية لأن يجد علماء تلك المناطق التسهيلات التي تساعدهم على الإفادة والاستفادة العلمية والثقافية.

لقد كانت العلاقات الثقافية بين ضفتي الصحراء الكبرى في نمو مطرد منذ العصر الوسيط، نشأت عليهما مراكز هامة كان لها أثر بعيد في الحياة الثقافية فكانت بجاية، تلمسان، توات، تمبكتو، غاو وجنى حواضر ومراكز إشعاع ثقافي تزدهر بفعل الحركات العلمية والنشاطات التجارية المستمرة، وفيما يلي عرض لأبرز تلك الحواضر العلمية الثقافية التي نشأت وتنامى صيتها بكل من الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي.

الفرع الأول: المراكز والحواضر الثقافية الجزائرية وثقلها الحضاري

شكلت الحواضر الجزائرية عبر تاريخها العريق مركز ثقل حضاري وثقافي وسياسي فعال في شمال إفريقيا ومنطقة الساحل الإفريقي على وجه الخصوص، وقد أدت أدوارا مهمة في ربط الصلات الحضارية ضمن محيطها الإفريقي، كما سهلت مكانتها الإستراتيجية في نشر الثقافة العربية الإسلامية، وجعل حواضرها منارة للعلم، وتجدر الإشارة أن التأثير الثقافي للحواضر إنما ترافق جنباً لجنب مع مكانتها التجارية والاقتصادية، فقد برزت العديد من الحواضر الجزائرية وتوسعت بأسواقها التجارية وعلاقاتها بمختلف الأقطار وكان لها من التأثير الثقافي ما مكنها من التأثير التاريخي على باقي الحواضر الخارجية، ومن أبرز تلك الحواضر الجزائرية التي ذاع صيتها نذكر:

أ- حاضرة تلمسان:

تعد مدينة تلمسان أيضا من أهم المدن التي كان لها دور حضاري في عملية البناء الفكري والثقافي والعمراني في تاريخ الغرب الإفريقي، واكتسبت بذلك منزلة إستثنائية لما شهدته من ازدهار ثقافي وعلمي، فمنذ أن غدت حاضرة للدولة الزيانية (633هـ/1236م) أخذت تنمو وتزدهر وأبهرت كل من زارها من الرحالة وطلبة العلم، كما أخذت تتغذى بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوحات الإسلامية، فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الإسلامي، ونما في أهلها التشبث بالإسلام وتعاليمه واحترام العلماء وتبجيلهم¹.

كانت حاضرة تلمسان بفضل جهود سلاطين بني زيان مركزا ثقافيا هاما، وقد نبغ بها أجيال من العلماء حملوا مشعل الفكر أمثال الشيخ المغيلي والشيخ المقرئ، حيث كتب هذا الأخير في بيان أهمية تلمسان: "وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضب، ويكفيها افتخارا دفين ولي الله سيدي أبي مدين بها"²، وقد سبق ذكر علماء تلمسان وتأثيرهم في حواضر منطقة الساحل الإفريقي من خلال مؤلفاتهم وحضورهم التي ساهمت في تشكيل الثقافة الإسلامية بها، وكتب البكري عن حاضرة تلمسان قائلاً: "لم تزل دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس"³.

ولأن تلمسان من أهم الحواضر التجارية بالغرب الجزائري فقد لعبت دورا هاما على الصعيد الداخلي والخارجي، وهو ما أوضحه الأدريسي حين قال: "وهي على رصيف للداخل والخارج لا بد بها والاجتياز منها على كل حال"⁴. فموقعها الإستراتيجي الذي يجمع بين التل والصحراء مكنها من أن تكون قبلة للقوافل

¹ نعيمة طيب بوجمعة، "من حواضر المغرب الأوسط: مدينة تلمسان"، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج 05، ع 01، جانفي 2018، ص 100

² أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج 7. بيروت: دار صادر، 1968، ص 136

³ أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، الجزائر: 1911، ص 77

⁴ محمد الأدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. لبنان: دار الكتب العلمية، 2016، ص 174

التجارية السائرة بين المحورين الرئيسيين بين الواحات الصحراوية وبلاد السودان الغربي من جهة وبحر الروم والمغرب الأقصى من جهة أخرى، أما إقليمها فهو عامل جذب كبير بسبب أهميته التجارية البالغة، حيث اجتذب قبائل العرف التي اشتهرت بتنشيط الحركة التجارية كقبيلتي بني هلال وبني سليم¹.

كما عرفت مدينة تلمسان أيضا كحاضرة في مجال التصدير والاستيراد لأن بها أسواقا اشتهرت بازدهارها وتنوع منتجاتها، ولعل عوامل الاستقرار والأمان الذي شهدته خلال عهدها المزهرة جعلت منها قطبا تجاريا هاما للبلدان المجاورة، لذلك تكاد تجمع النصوص التاريخية للرحالة الجغرافيين بأنها بلغت مبلغ التاج عند السلطان بالنسبة للجزائر².

ب- حاضرة الجزائر:

تعد أبرز مراكز الشمال الجزائري وتعرف قديما بجزائر بني مزغنة، تدل آثارها على مكانتها التاريخية الهامة وهي كمعظم المدن الساحلية، بقي تاريخها مجهولا إلى غاية قيام "بلكين بن زيري" ابن القبلية الصنهاجية بإعادة بنائها في نهاية الفترة الفاطمية لتأخذ اسم بني مزغنة.

دُمجت المدينة في الفضاء السياسي الزيري ثم بعد ذلك الحمادي، وقد تداول على حكمها عدد من أفراد الأسرة الحمادية، وبالرغم من سقوطها في يد المرابطين لمدة عشر سنوات إلا أنها رجعت إلى الفضاء الحمادي قبل أن تسقط من جديد في يد "عبد المؤمن بن علي" قائد الموحدين. لقد شهدت مدينة الجزائر الصراع بين خلفاء الموحدين وبني غانية الميورقيين، وعلى الرغم من الصراع الحفصي والزياني والمريني عليها، فإن الثعالبة سيطروا عليها وتوارثوا حكمها إلى غاية وصول عروج، فأكمل "عبد الرحمن الثعالبي" (ت 1470/هـ 874م) السيطرة السياسية والروحية للثعالبة على مدينة الجزائر مع نهاية الفترة الوسيطية³.

¹ مصطفى كامل محمد الشباني، "النشاط التجاري في المغرب الأوسط وأثره في تطور الحركة التجارية"، مجلة مداد الآداب، ع24، 2021، ص283

² نفس المرجع، ص283

³ عمارة علاوة، زينب موساوي، "مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، مح44، ع45، 2009، ص25

وقد جاء ظهور مدينة الجزائر الأول باسم "جزائر بني مزغنة" في مرحلة تاريخية مهمة تميزت بكثافة النشاط الملاحي والتجاري لمدن الساحل مع نهاية القرن الثامن ميلادي/8هـ¹، وعلى يد الثعالبة تحولت المدينة إلى "إمارة-الدولة" وكانت الانطلاقة التاريخية للمدينة لتلعب دورها الهام كعاصمة سياسية وعسكرية في الفترات اللاحقة، خصوصا في الفترتين التركية والاحتلال الفرنسي، ثم استمرت المدينة تؤدي نفس الدور المركزي كعاصمة للدولة الجزائرية الحديثة².

أشاد الرحالة والمؤرخون كالبركي و"الإديسي" بحاضرة الجزائر ومكانتها الاستراتيجية الثقافية والتجارية فأبلغوا في وصف أسواقها وتجارها المربحة، ووصفوا أسوارها وأهلها ومواردها وكل ما تحمله من مزايا، وقد اتخذها العثمانيون مركزا لحكمهم خلال القرن السادس عشر الميلادي/10هـ، فأصبحت من أهم مراكز المبادلات التجارية في البلاد والمدينة الكبرى في شمال إفريقيا. إذ كانت مركزا لالتقاء القوافل الآتية من كل الأقطار الإسلامية المجاورة ومن المشرق، كما كانت لها علاقات اقتصادية مع بلدان أوروبا عبر موانئها الضخمة، إذ تصدر كميات كبيرة من الحبوب (القمح والشعير)، الزيوت، التين، الصوف، الجلود، التمر وريش النعام المستورد من منطقة الساحل الإفريقي، في المقابل كانت تستورد الأقمشة، الحديد، الرصاص، العتاد الحربي، التبغ، السكر والبن³.

ت- حاضرة تيهرت/ تيارت:

يختلف موقع تيهرت عن مواقع المدن الجزائرية الأخرى وحتى في المغرب الإسلامي ككل، إذ أنها جاءت في مكان مستو نسبيا تتوسط التل والصحراء ومفتوحة على جميع الجهات⁴، وقد جاء وصفها في

¹ عمارة علاوة، "الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة تأسيس وتطور مدينة وسيطة"، مجلة معابر، مج3، ع01، ديسمبر 2016، ص26

² نفس المرجع، ص40

³ اوزايد بالحاج، بوسليم صالح، "تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري"، مرجع سبق ذكره، ص106.105

⁴ عقاب محمد الطيب، "مدينة تيهرت في بعض المصادر التاريخية المبكرة"، مجلة بحوث، مج2، ع01، جوان 1994، ص200

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار للمراكشي بأنها: "مدينة مشهورة قديمة كبيرة، عليها سور صخر ولها قسبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة ..."¹.

تعتبر مدينة تيارت من بين المدن التاريخية الضاربة في القدم التي كان لها حضور متميز وتأثير جعلها تملك تاريخا هاما إلى جانب موقعها الاستراتيجي البالغ الأهمية، كما أنها أول عاصمة للجزائر في العصور الوسطى حيث ازدهرت حضارتها وتطور العلم والعمران بها، وشدت العديد من رجالات الفكر والسياسة والثقافة².

قد اشتهرت مدينة تيارت بالأمن والاستقرار السياسي خلال العهد الرستمي، فقد تمتع الأئمة الرستميون مؤسسو حضارة "تيهت" بثقافة عالية، إذ كان الإمام عبد الرحمان بن رستم (ت788هـ) ضمن حملة العلم الخمسة الذين قدموا إلى المغرب العربي وبفضل علمه لا حسيبه نال الإمامة، وكانت مساجد الدولة الرستمية عامرة بالعلماء خاصة المسجد الجامع بـ"تيهت" الذي كان مجمعا لأهل العلم، عُقدت به المناظرات بين الفرق وامتازت الأباضية عن غيرها بلطف المناظرة³.

سادت خلال دولة الرستميين أجواء التسامح الديني ما أدى إلى انتعاش التجارة، حيث استقطبت تجار بلاد المشرق العربي الذين اتخذوها مركزا لنشاطهم ومعبرا نحو بلدان منطقة الساحل الإفريقي، فاضحت مركز إشعاع علمي وفكري وحضاري يقصدها العلماء والرحالة من كل الأمصار للاستزادة والإفادة⁴، ذلك ما خلق تلاقحا حضاريا ونماء فكريا استغله أهالي حاضرة تيارت بمختلف مستوياتهم الفكرية، خاصة رسل

¹ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، 1981، ص66

² سعاد بوجلابة فوزية، "تاريخ مدينة تيهت الأثرية"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج04، ع08، سبتمبر 2016، ص73

³ حناي محمد، مياطة التجاني، "حواضر وأعلام البناء الحضاري بالمغرب الأوسط "تيهت والحسن بن علي التيهرتي" أمودجا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج08، ع02، فيفري 2023، ص243

⁴ بوسالم أحلام، عابد يوسف، "دور اباضية المغرب الأوسط في تنشيط التجارة الصحراوية"، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، ع01، مارس 2010، ص121

الأئمة والتجار المساهمين في نشر الإسلام وثقافته في بلدان منطقة الساحل الإفريقي، فاستطاعوا إيصال مبادئ الدين الإسلامي إلى بلاد ما يسمى اليوم مالي، غينيا، غانا، بوركينا فاسو، ليبيريا، تشاد وساحل العاج وغيرها¹.

ث- حاضرة بجاية:

هي مدينة قديمة من الناحية التاريخية عُرفت باسم "سليدا" أو "سلاي" في عهد القرطاجيين حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، ثم إستولى عليها الرومان فالوندال، وفي عام 708م فتحها المسلمون وبسطوا نفوذهم عليها، وقال عبد الرحمان ابن خلدون في تاريخه أن موقع بجاية كان قرية تسكنها قبيلة بربية تسمى بجاية أو بقاية (بقاف معقودة) فأطلق هذا الاسم على المدينة وسميت به، وتبوتت هذه المدينة مكانة مرموقة في عهد بني حماد حيث أعاد الناصر الحمادي بناءها سنة 460هـ/1067م، ثم ازدهرت المدينة في عهد المنصور منذ 1091م وعرفت تطورا كبيرا ونعمت بالرخاء والازدهار الاقتصادي والعلمي، وفيها قال ابن خلدون: "من أعجب قصور الدنيا، وقد بنى الناصر فيها المباني العجيبة المنمقة وشيد المدارس العظيمة"²، ويدل كثرة تشييد المدارس بها على كثرة طلاب العلم والاهتمام البالغ بالثقافة الإسلامية ونشرها.

ظلت حاضرة بجاية تحتل المكانة المرموقة الثقافية والتجارية في مختلف العصور بدءاً بالعهد الحمادي (450هـ-547هـ) مروراً بعصر الموحدين (547هـ-626هـ) ثم في عهد الدولة الحفصية على الرغم من كثرة الاضطرابات السياسية التي شهدتها المغرب العربي³.

¹ حناي محمد، مياطة التجاني، "حواضر وأعلام البناء الحضاري بالمغرب الأوسط" تيهرت والحسن بن علي التيهرتي "أمودجا"، مرجع سبق ذكره، ص246

² عبد الحميد هيمة، "حاضرة بجاية ودورها في تطور الحركة الصوفية بالمغرب العربي"، مجلة النضال المغاربي، مج05، ع02، أكتوبر 2007، ص174

³ نفس المرجع، ص174

أما من ناحية ازدهارها الثقافي وانتشار تأثيرها وإشعاعها العلمي والفكري والروحي في مختلف بروج الغرب الإفريقي إلى جنوب الصحراء الكبرى، تؤكد الأدلة والأمثلة المهمة التالية¹:

- ✓ ازدهار التعليم بالمدينة وتخرج الكثير من العظماء بمدارسها مثل ظهور الشيخ عبد المومن بن علي مؤسس دولة الموحدين التي حكمت كل غرب إفريقيا والأندلس؛
- ✓ الدور الكبير الذي قامت به حاضرة بجاية في نشر المذهب المالكي، فقد ذكر أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني (نسبة إلى ورقلة) الذي تخرج من قرطبة في عهد دولة الموحدين في الجزء الثالث من كتابه (الدليل والبرهان) أن الإمام يحيى بن يحيى الليثي ويحيى بن بكير ومعهما جماعة من العلماء قاموا بالمجهودات الكبيرة في نشر مذهب الإمام مالك بالأندلس، بالإضافة إلى مصنفاتهم التي انتشرت بالساحل الإفريقي كمرجعية للعقيدة والفقهاء واللغة؛
- ✓ دور حاضرة بجاية في نشر اللغة العربية، فعلى الرغم من أن دولة بني حماد كانت دولة بربرية من قبائل صنهاجة إلا أنها كانت جميع نظمها ودواوينها ومدارسها تعتمد اعتمادا كليا على اللغة العربية، الأمر الذي سهل من نشر نفوذها العلمي والروحي في أقاصي بلاد الساحل الإفريقي؛
- ✓ ازدهار ورواج سوق الأدب والشعر خاصة في مجال التصوف، فكتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبو العباس العبريني (ت 714 هـ) أكبر دليل على نشاط حركة التصوف والشعر الصوفي بهذه الحاضرة في القرنين 6-7هـ / 12-13م بالتحديد.

ج- حاضرة ورقلة: (وارجلان)

تعدّد ذكر مدينة وارجلان في المصادر التاريخية والجغرافية المتعلقة بالفترة الوسيطة، وهي أهم الحواضر والمراكز الصحراوية الواقعة جنوب المغرب الأوسط (الجزائر)، وقد أسهمت هذه المدينة في إنعاش

¹ نفس المرجع، ص 175

المناخ العام للحضارة العربية الإسلامية عموما والمغربية خصوصا، ذلك من خلال موقعها الجيوسياسي الهام وإسهامات سكانها العلمية والثقافية، فضلا عن مكانتها وأهميتها الاقتصادية كونها إحدى أهم المراكز التجارية الإسلامية الصحراوية التي لعبت دورا كبيرا في التبادلات التجارية مع ممالك السودان الغربي خلال العصر الوسيط¹.

إن لموقع ورقلة الصحراوي ميزة خاصة إذ أنها تقع بين العرق الشرقي والغربي الكبيرين، والقوافل التجارية القادمة من الشمال تتحاشى المصاعب الطبيعية ما يضطرها إلى المرور بورقلة، حيث تتوفر على سبل الراحة وتبادل السلع واقتناء الزاد والماء².

وبسبب هذا الموقع المتميز نتج لمركز وارجلان أهمية كبيرة في التجارة العابرة للصحراء بفضل نشاط القبائل الأباضية بها، فقد وصف الإدريسي المدينة وقال: "قبائل وارجلان مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم وهم وهبية إباضية"³، كما وصف خيراتها صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار قائلا بأنها بلد خصيب كثير النخل والبساتين... وفيها سبع مدن مسودة... وهي بلد كثير الزرع والضرع والبساتين، كثير المياه...⁴.

¹ محمد بن عربة، أحلام بوسالم، "دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريّة في شمال إفريقيا، مج04، ع01، جانفي 2021، ص80

² صيد عاشور، "مدينة وارجلان التنظيم الاجتماعي والدور التجاري خلال العصر الإسلامي"، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع03، أكتوبر 2022، ص20

³ الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية. الجزائر: دار الكتاب، 1957، ص89

⁴ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، 1981، ص224

وبهذا قد اكتسبت حاضرة ورقلة شهرتها الكبيرة لارتباطاتها التجارية الواسعة ولكونها المركز التجاري الأول للتجار الإباضية - انتشار المذهب والثقافة الإباضية في منطقة الساحل الإفريقي - الذين لهم تواصل مع مملكة أغادس¹.

ح- حاضرة بلاد أريغ (تقرت) وأسوف (واد سوف):

لما تأسست الدولة الرستمية انضمت المنطقتين أسوف وأريغ لها، فكان حظها من الازدهار الحضاري الذي عرفته الدولة وافرا، فبالنسبة إلى أريغ يشير صاحب كتاب غصن البان في تاريخ ورجلان إلى أنها من الأوطان القديمة واسعة الأرجاء متينة الأكتاف وقاعدتها تقرت، وعرفت أريغ وأسوف على غرار حواضر الشمال ازدهارهما علميا وفكريا وهما أحد المحطات التجارية من الشمال نحو بلاد السودان الغربي².

خ- حاضرة إقليم توات*:

يقع إقليم توات جنوب غرب الجزائر ويتميز بموقع استراتيجي ممتاز في وسط الصحراء، يربط بين الحواضر التي سبق ذكرها وكبريات العواصم الثقافية المغاربية الثلاث (تونس والجزائر والمغرب الأقصى) بممالك منطقة الساحل الإفريقي، كون أن الإقليم يقع في طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء، ومحطة استراحة ضرورية لأهل الصحراء الإفريقية للوصول إلى الشمال لأغراض متنوعة، هذا ما أعطى منطقة توات حركية تجارية وانتعاش علمي ثقافي كبير، ويظهر جليا في كتابات من زار المنطقة من رحالة وعلماء ومؤرخين ممن ذاع صيتهم، أمثال: ابن حوقل، والبكري، والادريسي، وابن بطوطة، والحسن الوزان، والعياشي

¹ كلتوم بن تيسة، الصلوات الثقافية بين بلدان المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سبق ذكره، ص145

² علال بن عمر، "حاضرة أسوف وأريغ ومكانتها في الفكر الإباضي من القرن 2هـ/8م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج03، ع17، جوان 2018، ص361

* اختلف الروايات التاريخية حول أصل تسمية "توات" حيث وردت عدة روايات في ذلك، جمعها الدكتور الصديق حاج احمد آل المغيلي في عشر روايات، ورجح ان مرد الكلمة بربري نقلا على ما جاء به أحد الغربيين ويدعى روكليس (Reclus) ويرى هذا الأخير ان توات اسم بربري ويعني الواحة. انظر: الصديق حاج احمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط2. الجزائر: منشورات الخبر، 2011، ص، ص27، 31

وغيرهم، فمن ناحية كبر الإقليم وتعدد قصوره وصف "ابن خلدون" في مقدمته فقال: "... وطن توات به قصور عديدة تتاهز المائتين، أخذة من الشرق إلى الغرب، من جانب الشرق يسمى تمنطيط، وهو بلد مستبحر العمران، وهو ركاب التجار المتردبين من الغرب إلى بلاد مالي في السودان"¹، ومن ناحية أخرى نرى كثيرا ما يستدل المؤرخون حول حملة المنصور السعدي سلطان المغرب الأقصى على إقليم توات كمرحلة ضرورية للسيطرة على منطقة الساحل الإفريقي، إدراكا منه لأهمية هذا الإقليم الشاسع الإستراتيجية. يرتكز ترابط إقليم توات كثيرا مع حواضر منطقة الساحل بفعل حركة القوافل التجارية وازدهار السوق، وهو ما أحدث نتائج وآثار واضحة اجتماعيا وثقافيا، فامتزجت القبائل العربية والأمازيغية والزنجية، وتوزعت بين ضفتي الصحراء الكبرى مثل قبيلة كنتة وقبيلة الفلان وقبائل الطوارق، كما برز علماء ربطوا بين توات وبلدان الساحل الإفريقي في الفترة الحديثة أمثال "محمد بن عبد الكريم المغيلي" و"عبد الرحمان التتلافي"، فانتشرت العلوم الإسلامية والتصوف واللغة العربية وتوطدت الثقافة الإسلامية وانتشرت في أرجاء الساحل الإفريقي².

ساهم التواتيون بشكل بارز في الإشعاع الثقافي الذي شهدته المراكز الثقافية الواقعة بمنطقة الساحل الإفريقي منذ القرن الخامس عشر الميلادي/9هـ، وقد سجل ذلك أغلب المؤرخين السودانيين، فمثلا ألف العالم "أحمد بابا التمبكتي" المالي (ت1036هـ/1627م) كتابه المشهور "نيل الابتهاج" وقد ذكر فيه ترجمة عدد كبير من الجزائريين التواتيين الذين انتقلوا إلى بلدان الساحل الإفريقي يدرسون ويفتون، وجاء بعده المؤرخ السوداني الكبير "عبد الرحمان السعدي" (ت1066هـ/1655م) فنقل لنا صورة لامعة عن مساهمة علماء توات في الثقافة العربية الإسلامية ونقلها إلى بلدان الساحل الإفريقي. ثم ألف القاضي محمود كعت

¹ زينب سالمي، "الحياة العلمية بمنطقة توات خلال القرنين 8 و9هـ"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع12، ديسمبر 2017، ص148

² إبراهيم حامد لمين، التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي (999-1317هـ/1591-1900م)،

مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، 2016، ص أ

في التاريخ "الفتاش" دور العلماء التواتيين في كل مساجد وجامعات الغرب الإفريقي في القرون (15 و16 و17م) ودرس هؤولاء وألفوا وأفادوا في كل من تمبكتو وكانو وجنى وولاته وفي بلاد الكانم على وجه الخصوص.¹

الفرع الثاني: أهم الحواضر العلمية بمنطقة الساحل الإفريقي

ما يميز منطقة الساحل الإفريقي أن مجتمعاته تباينت فيها الثقافات والعادات والتقاليد، والإسلام بثقافته استطاع إحداث ثورة اجتماعية كبيرة في كل أرجاء المنطقة، فتلاقت تلك الشعوب وتآلفت فيما بينها وشكلت تجمعاتهم حواضر صبغت بازدهار الثقافة الإسلامية فيها، وكانت شديدة الارتباط بحواضر الجزائر، لدرجة التشابه الكبير بين عناصر الثقافة المادية التي تجلت بين الحواضر العلمية لكلا القطرين، فقد اكتشف الدارسون عن أوجه من التماثل بين أنماط عمران قرى وقصور ومساجد ومدارس توات ووارجلان ووادي ميزاب، مع قصور ومساجد ومدارس وولاته وشنقيط وتيشيت بموريتانيا وغيرها من حواضر مالي ونيجر، ولذلك يمكن القول أن الفضل فيما اكتسبته الحواضر العلمية التاريخية في منطقة الساحل الإفريقي هو من مؤثرات حضارية يرجع إلى ما حملته تجارة القوافل الجزائرية خاصة. وسنحاول في الآتي عرض أبرز تلك الحواضر البارزة في منطقة الساحل الإفريقي:

1) حاضرة تمبكتو (Tombouctou):

تعد حاضرة تمبكتو من الحواضر العربية الإسلامية المترامية في منطقة الساحل الإفريقي، وبالضبط على حوض نهر النيجر. موقعها المتميز جعل منها حاضرة امتزجت فيها عناصر سكانية جديدة ساهم في تكوينها العامل الديني والتربوي مساهمة متميزة. إذ تقع المدينة على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بشمال دولة مالي الحديثة، يعود تأسيسها إلى قبائل الطوارق خلال سنة 948هـ/1087م، كما تحتل تمبكتو موقعا

¹ بوسليم صالح، " جهود أعلام توات في ترسيخ الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء "، مجلة الحقيقة، مج09، ع01، أفريل 2010، ص45

استراتيجيا من الناحية الجغرافية حيث تقع على عرق رملي وتطل على سهل زراعي يحيط بها من كل الجهات، وعند فيضان نهر النيجر تسقى سهولها من مياهه لأنه يبعد عنها مسافة اثني عشر ميلا فقط، كما حفرت قناة تصل بينهما أثناء حكم التكرور تسمح بدخول الزوارق الصغرى إليها¹.

عرفت مدينة تمبكتو نهضة علمية زاهرة، فبفضل الإسلام ولغته العربية التي تغلغت في مجتمعاتها أتاح لها مبادلات ثقافية مبنية على الثقة، وأصبحت مركزا لإشعاع علمي حيث راجت بها تجارة الكتب، فكانت تحمل إليها الكتب من مختلف جهات العالم الإسلامي لتتسخ وتباع في أسواقها، وتلقى إقبالا منقطع النظير لدى مختلف أصناف المجتمع التمبكتي، كما أن العلماء كانوا يقبلون على إنشاء المجالس العلمية والمكتبات الخاصة ويروى أن منهم من بلغت كتبه الآلاف كمكتبة أحمد بابا التمبكتي، ومكتبة آل اقيت². فمؤلفات علماء وفقهاء تمبكتو احتلت مركزا متقدما في المقررات الدراسية وكانت المدارس والجوامع في مختلف بلاد الهوسا وغيرها من بلاد الساحل الإفريقي في الغالب تعتمد على مؤلفات علماء تمبكتو، وقد بنى السلطان منسى موسى أثناء عودته من الحج "الجامع الكبير" وفيه كان يمارس التدريس من النوع العالي إلى جانب الفتوى، إضافة إلى هذا الجامع كان جامع سنكوري الذي يعد من أعظم المؤسسات التعليمية التي نهضت بالتعليم العربي الإسلامي في منطقة الساحل كله، حيث تمتع بشهرة كبيرة ضاهت شهرة بعض أبرز الجامعات الكبرى في العالم الإسلامي في تلك الحقبة (بين القرنين 14-16م)³.

(2) حاضرة جنى (Djene):

هي ثاني أهم حواضر الساحل الإفريقي بعد تمبكتو وتقع إلى الجنوب الغربي من تمبكتو على أحد روافد نهر النيجر في سهل فسيح من المستنقعات المائية، نشأت المدينة كما يذكر السعدي في أواسط القرن

¹ محمد الصالح حوتية، "حواضر نهر النيجر تمبكتو- جيني- قاو"، مجلة الحقيقة، مج9، ع02، جوان 2010، ص338

² سليمان يوسف، "منابر العلم والثقافة في إفريقيا وجنوب الصحراء (حاضرة تمبكتو)"، مجلة الثقافة الإسلامية، مج10، ع01، جانفي 2014، ص66

³ نفس المرجع، ص، ص70، 71.

الثاني للهجرة، وهي مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة¹، تعتبر جنى قاعدة مملكة مزدهرة بحياتها الاقتصادية والعلمية فقد وصفها الحين الوزان أنها تمتد على نهر النيجر على مسافة 250 ميلا تقريبا ولها قسم يطل على المحيط يصب عنده نهر النيجر في البحر²، ويعود الفضل في بناء جني إلى برابرة صنهاجة فقد اختطوها لتكون ملتقى لتجار الملح والذهب ولم يلبث تجار الونجار القادمون من الجنوب الغربي أن أقاموا بها وساكنوا صنهاجة³.

ورغم أنها أسست قبل تمبكتو بوقت بعيد إلا أنها لم تدخل في دائرة النفوذ الإسلامي إلا منذ القرن الخامس الهجري، حيث أسلم أميرها السلطان "كنبر" في عام 621هـ / 1050م وبنى مسجدها العتيق على نظام المسجد الحرام بمكة⁴.

شهدت حاضرة جنى في عهد مملكة صنغاي ازدهار في الحياة العلمية والثقافية خاصة في أيام حكم الأسقيا محمد وبنيه من بعده، وأصبحت مركزا إسلاميا وثقافيا مباركا، فأقبل عليها العلماء من شتى البلدان المجاورة ومختلف القبائل، وقد ذكر "السعدي" أنه كان بها نحو أربعة آلاف ومائتان من المشتغلين بالعلم⁵، من بينهم القضاء الذين لا يحدون عن الشريعة الإسلامية، وقد تقلده مجموعة من الفقهاء منهم الفقيه "العباس بن كب الونكري"، القاضي "محمود بن أبي بكر بغيغ" الذي كان لعائلته دور كبير في نشر العلوم الدينية والقضاء. فكثرت في عهدهم المدارس ومعاهد تدريس القرآن الكريم ومبادئ الدين⁶.

¹ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان. باريس، طبع هوداس، 1981، ص11

² عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان (كتاب في تاريخ الإسلام والثقافة والدول والشعوب). لبنان: دار الكتب العلمية، 2012، ص88.

³ محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1. الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007، ص41

⁴ شوقي عطا الله الجمل، تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006، ص162

⁵ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان. باريس، طبع هوداس، 1981، ص11

⁶ سالم بوتدارة، الحواضر العلمية ودورها في الحفاظ على المرجعية الدينية بمنطقة الساحل الافريقي، مرجع سبق ذكره، ص202

3) حاضرة غاو (Gao):

نجد في المصادر المحلية السودانية والعربية اسم "غاو" رُسم بثلاث طرق هي "كوكو"، "كاغ" و"كاغو"، وكثيرا ما يقع الخلط بينها وبين مدينة كوكيا عاصمة صنغاي القديمة، تقع غاو في الشمال الشرقي لدولة مالي حاليا عند منحى نهر النيجر بجوار حاضرة تمبكتو، يذكرها ابن بطوطة بأنها مدينة كبيرة على النيل (نهر النيجر) من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها¹.

تأسست في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على يد جماعة من بربر صنهاجة الذين سكنوها، دخلها الإسلام مبكرا عن طريق القوافل التجارية الرابطة بينها وبين شمال إفريقيا، وعرفت تطورا وازدهارا في عهد سلطان مالي "منسى موسى"، هذا الأخير الذي بنى فيها مسجدا جامعاً عام 725هـ/1325م بعد عودته من رحلته الحبية المشهورة².

ليستمر هذا المسجد في العطاء والازدهار إلى أن صار جامعة إسلامية يؤمها العلماء والطلاب من كل مكان ما أدى إلى تسارع عمرانها، حيث وصفها ابن بطوطة الذي زارها عام 754هـ/1353م بأنها من المدن الكبرى في بلاد السودان الغربي وذات مكانة علمية وثقافية كبيرة.

4) حاضرة ولاتة (ولاتا):

تقع "ولاتة" على الجهة الشرقية من موريتانيا*، تأسست بين ق 2-4 هـ على يد المسلمين السوننكة الذين فروا من "غانا" أمام زحف "سومانكورو كانتة" قائد "الصوصو"، واسمها في لغة الصنهاجيين معناه سفح الجبل، أي أنها أخذت التسمية من الموقع الجغرافي للمدينة، تعتبر أم حواضر الصحراء علما وتجارة

¹ التومي زينب، "مراكز الحضارة في السودان الغربي"، مجلة افاق فكرية، مج08، ع01، جوان 2020، ص5

² محمد مولاوي، الحواضر العلمية ببلاد السودان الغربي ما بين ق 10-12هـ/16-18م، مجلة عصور، مج16، ع02، ديسمبر 2017، ص205

* موريتانيا: فهي اصطلاح روماني معروف أصله امازيغي: "آتموتناغ" = "تمورتنا" = ارضنا. ولعله متأث من قبائل المور الشهيرة التي ناهدت الرومان والوندال وغيرهم من غزاة بلاد الامازيغ القديمة. انظر: حماد الله ولد السلام، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربيه الكبرى، مرجع سبق ذكره، ص18

وشهرة ومن كبريات حواضر الإسلام في غرب الصحراء، وهي دار علم ذائعة الصيت ومركز تجارة قديم واسمها بلغة الزنوج "بير"، أطلقه عليها البامبارا السودانيون وهو في لغتهم المدخل (مدخل المدينة)¹.

شهدت منطقة "ولاتة" أوج ازدهارها الاقتصادي والثقافي في عهد مملكة مالي كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فقد اشتهرت بحلقات العلم ومنطلق نقوافل الحجيج وأيضاً كميدان للحركة التجارية النشطة، إذ وفد إلى "ولاتة" الكثير من العلماء والأولياء وأصحاب الأموال من كل حواضر الضفة الشمالية للصحراء الجزائرية، وهذا ما يوضح العلاقة بين تطور التجارة وانتشار الثقافة الإسلامية في المنطقة، وقد عُرفت المنطقة ببساتينها وتنوع زرعها وخصوبة تربتها وغزارة مياهها مما جعلها ملتقى لطرق القوافل التي تربط بين حواضر الشمال والجنوب السوداني²، ومع الوقت تغيرت أحوالها وهجرها سكانها إلى مدينة تمبكتو، إذ قال عنها السعدي "فكانت عمارة تمبكتو من خراب بير"، وتحولت جميع الطرق التجارية ناحية "تيمبكتو" وأضحت حدودها تابعة إلى مملكة مالي الإسلامية³.

5) حاضرة كانو (Kanou):

من المدن المهمة التي برزت في الساحل الإفريقي وقد نشأت بالذات بعد أن رحل إليها بعض علماء تمبكتو بعد أن اضمحل شأن تمبكتو، أسست في كانو مدرسة للعلوم ومدرسة للقضاء الشرعي ذاعت شهرتها⁴، وهجرت إليها قبائل الوانغارا الماليين في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن هجري ودخل الإسلام

¹ محمد المصطفى الغلاوي، العمل المشكور في جمع نوازل علماء التكرور. ج1، لبنان: دار الكتب العلمية، 2015، ص3

² عثمان منادي، "حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج03، ع04، مارس 2017، ص99.97

³ التومي زينب، "مراكز الحضارة في السودان الغربي"، مرجع سبق ذكره، ص10

⁴ شوقي عطا الله الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006، ص163

إليها من خلالهم (الونغارا)، كما توافدت على "كانو" قبائل الفولان الذين عملوا كمرشدين ومعلمين، بالإضافة إلى نزوح مجموعات من البربر والعرب إليها¹.

اهتم سلاطين "كانو" بنشر الثقافة الإسلامية في مملكتهم، فشيّدوا المساجد والمدارس والمعاهد الإسلامية وقربوا العلماء الذين كان لتعاليمهم أثر كبير في نفوس الأمراء، فهناك من الأمراء من آثر حياة العلم والدراسة على تولي السلطة، وأكبر نموذج لهذه الروح العلمية عند الأمراء ما يروى عن السلطان الثالث والعشرون "ياكوفو بن كيسوكي" (973هـ/1565م) الذي تنحى عن السلطة وعاش بين العلماء للدراسة². وبما أن حياة العلم والعلماء قد جذبت إليها حتى السلاطين فهذا يعني بالتأكيد وجود الكثير من المعلمين والعلماء بـ"كانو" ومن كل الجنسيات، فقد حل بها عدد من العلماء البارزين أمثال محمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري، عبد الرحمان السيوطي المصري، عبد السلام التونسي وأبو بكر المغربي وغيرهم³.

¹ مهدي رزق الله احمد، حركة التجارة والاسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار واثارها الحضارية، ط1. الرياض: مركز الملك

فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998، ص396

² نفس المرجع، ص398

³ سالم بوتدارة، الحواضر العلمية ودورها في الحفاظ على المرجعية الدينية بمنطقة الساحل الافريقي، مرجع سبق ذكره، ص201

خلاصة الفصل الثالث

إن التعاون والعلاقات الجزائرية الإفريقية لم تكن وليدة الصدفة وإنما كانت امتدادا للتاريخ والجغرافيا، وأن الصحراء الكبرى رغم شساعتها ومخاطرها لم تكن عائقا يحول دون التواصل بين شعوب المنطقتين، بل كانت رافدا طبيعيا. سهّل من عملية التواصل عكس ما تروّج له كتابات بعض الغربيين، وخير دليل أن ممالك وحواضر منطقة الساحل الإفريقي لم تتوقف علاقتها مع الجزائر رغم فتورها في بعض الأحيان نتيجة التقلبات السياسية التي كانت تشهدها كلا الجهتين، وعليه يمكن الارتكاز على الإرث التاريخي والإمكانات الطبيعية والبشرية، وتوفير الإرادة والنية الصادقة في إعادة انتعاش وتنمية العلاقات الاستراتيجية بين الجزائر وبلدان منطقة الساحل الإفريقي.

فالجزائر بموقعها الاستراتيجي في شمال إفريقيا جعلها المركز الديني والثقافي والاقتصادي لأغلب التفاعلات القائمة في غرب إفريقيا عامة ومنطقة الساحل خاصة، إذ عبر الجزائر انتشر الدين الإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء، ومن خلالها كانت تمر الطرق التجارية التي تعد شريان الحياة لمنطقة الساحل الإفريقي، وأقيمت عليها مراكز التجارة والاقتصاد، كما أقيمت منارات الإشعاع العلمي والروحي، ومنها خرج أكثر العلماء الذين غيروا ثقافات شعوب الممالك الإفريقية وأصلحوا أنظمة حكمهم.

ترسخت الروابط بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي منذ بدايات القرون الوسطى، فتطورت العلاقات التجارية والاقتصادية، ونشأت السفارات الدبلوماسية وهنا يذكر التاريخ مدى تأثير السفارة الرستمية التي انبهر بها أحد ملوك السودان الغربي في عهد الدولة الرستمية، كما كانت العلاقات التجارية تزداد قوة نتيجة الروابط التي نُسجت بين المدن الجزائرية كتلمسان وملوك منطقة الساحل الإفريقي مثل علاقة الحاجب هلال القطلاني وملك مالي منسى موسى.

ساهم تزايد العلاقات التجارية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي إلى تغير معالم الحياة وازدادت معالم التحضر تتشكل بالمناطق الإفريقية، فنمت وتوسعت المراكز التجارية لتصبح مراكز حضارية لبروز النشاط الثقافي والديني بها، كما أضحى الطرق والقوافل التي نشأت تجارية في بدايتها لها تأثير ثقافي وبرزت قوافل الحج والهجرات أو الرحلات العلمية، وقد كان ضمن تلك القوافل الدعاة والمصلحين ومشايخ الطرق الصوفية ومريديهم.

فمنذ السنوات الأولى لانتشار الإسلام بمنطقة الساحل الإفريقي برز تأثير الطرق الصوفية الجزائرية فيها، إذ نشط مؤسسوها وعلماؤها وأتباعها في محاربة أنواع الشرك والوثنية المنتشرة في مجتمعات المنطقة وسعوا إلى نشر الدين الصحيح عبر التعليم والتوعية والإرشاد، فكان لهم التأثير الكبير في التغير الحاصل لمجتمعاتهم إلى اليوم، كما نشأت مدن وقرى إسلامية ساهمت في تكوينها هجرات قبلية جزائرية كقبائل الكنتيين وغيرهم.

شهدت المنطقتين تطورا حضاريا كبيرة تمثل في تشييد الحواضر التجارية والعلمية، وازدهرت الرحلات العلمية وركب الحجيج، ونسجت بين تلك الحواضر علاقات فكرية وثقافية متينة، وأضحى اللسان العربي هو المسيطر في تنشيط الحركة الثقافية الإفريقية، وتشهد المكتبات المخطوطة المنتشرة في منطقة الساحل الإفريقي إلى اليوم، معالم ذلك التأثير الثقافي للعلماء الجزائريين في تلك المناطق.

الفصل الرابع: المقاربات
الجزائرية وسبل تفعيل قوتها
الناعمة لتنمية شركات
استراتيجية مع دول الساحل
الإفريقي

تمتلك الدولة الجزائرية العديد من المقومات والإمكانات التي تجعلها ذات أهمية إقليمية ودولية، وتأهلها لبناء قوة ناعمة مؤثرة في منطقة الساحل الإفريقي، إضافة إلى كونها تحتل موقعا جيواستراتيجيا في القارة الإفريقية وهي أكبر دولة فيها، فإنها تزخر بماضي عريق من التأثير الروحي والثقافي الممتد منذ العصور الوسطى، كما عرفت بنضالها الدبلوماسي من أجل التحرر والبناء الإفريقي، والدفاع عن الآمال والتطلعات المشتركة للأفارقة.

وتعد منطقة الساحل الإفريقي بالنسبة للجزائر مجالها الخصب والحيوي الذي يستدعي حضورها الدائم فيه لارتباطه بأمنها القومي من جهة، ولوجود روابط اجتماعية، ثقافية ودينية راسخة بين المنطقتين من جهة أخرى، وعليه قامت الجزائر بتفعيل عدة مقاربات استراتيجية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي شملت عدة مجالات أمنية واقتصادية وتنموية، وسنعرض في المباحث القادمة كرونولوجيا بناء وتجسيد هاته المقاربات الجزائرية سواء في إطار الشراكات المتعددة أو في إطار الشراكات الثنائية، ثم نركز الحديث عن مدى اهتمام الدولة الجزائرية للأبعاد الثقافية والدينية ضمن سياستها ودبلوماسيتها الخارجية، كمصادر قوة ناعمة لتفعيل حضورها في منطقة الساحل الإفريقي بين الواقع والمأمّل.

المبحث الأول: كرونولوجيا المقاربات الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي (بؤادر بناء الشراكات الثنائية والمتعددة)

سنسلط الضوء في هذا المبحث على كرونولوجيا المقاربات الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي من خلال توجهات سياستها الخارجية ودبلوماسيتها في إطار الشراكات الاستراتيجية المتعددة الأبعاد السياسية والأمنية منها والاقتصادية والتنمية.

المطلب الأول: المقاربات السياسية والأمنية (مرحلة بناء شراكات استراتيجية أمنية)

عبر توجهاتها الخارجية عقب استقلالها ولأجل تأمين حدودها الخارجية خاصة الجنوبية منها لخصوصيتها الأمنية، سعت الدولة الجزائرية إلى تفعيل مقاربة سياسية وأمنية فردية ومشاركة تجاه التحديات الصعبة التي تعاشها منطقة الساحل الإفريقي، بغية الوصول إلى تأمين شراكات استراتيجية فعالة في بعدها الأمني مع دول المنطقة، للحد من التحديات والتهديدات الأمنية الجديدة المتصاعدة.

الفرع الأول: المقاربة الجزائرية الفردية تجاه الساحل الإفريقي وتحدياته

تدرك الجزائر الأهمية الكبيرة لمنطقة الساحل الإفريقي التي تمثل عمقا استراتيجيا وامتدادا جغرافيا للصحراء الجزائرية، فهي تتشارك حدودا مباشرة مع دول الساحل الإفريقي -النيجر، مالي وموريتانيا- بطول يقارب 6343 كلم. فمن الطبيعي أن تنظر الجزائر إلى هذه المنطقة الحيوية على أنها جزء لا يتجزأ من أمنها القومي، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمكون الاجتماعي الطوارقي الذي يقطن في صحراء الجزائر الشاسعة وبالذات المجاورة النيجر ومالي¹.

¹ بن خليف عبد الوهاب، "دور المقاربة الجزائرية في مواجهة التهديدات الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي"، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مج12، ع02، ديسمبر 2021، ص44

الجزائر في هذا الفضاء الجيوسياسي وبحكم موقعها الجيوستراتيجي تسعى للمساهمة في تحقيق السلم والاستقرار في عمقها الاستراتيجي، إذ نجد أن الدائرة الإفريقية تحتل مكانة جد هامة بالنسبة للدبلوماسية الجزائرية وتتفوق في أغلبها على الدائرة العربية، وفي بعض حالاتها على الدائرة المغاربية المباشرة. ولكن على الرغم من هاته المكانة والأهمية إلا أن تحرك الدبلوماسية الجزائرية في هذا الفضاء الشاسع يحاول مراعاة خصوصية دول الساحل الإفريقي التي تعرف العديد من المشكلات -عرجنا عليها سابقا- أهمها¹:

- صعوبة بناء الدولة في منطقة الساحل الإفريقي؛
- ضعف في الهوية وتنامي الصراعات الداخلية؛
- هشاشة البنى الاقتصادية وفشل السياسات الاقتصادية التي تبنتها هاته الدول منذ استقلالها؛
- عدم الاستقرار السياسي وما يترتب عليه من كثرة الانقلابات وتدخل الأجهزة العسكرية في الشؤون السياسية؛
- تفشي الجريمة بشتى أنواعها وما ينجر عنها من مشكلات خطيرة تهدد الأمن الداخلي والخارجي للدول المجاورة.

ومن جهة أخرى، كان اهتمام الجزائر بما يجري في منطقة الساحل الإفريقي راجع لكونها تشكل مجالا خصبا لاستقطاب قوى خارجية وإقليمية من ناحية، وما تتميز به من ثروات باطنية وسطحية من ناحية أخرى، لذلك كان لزاما على الدولة الجزائرية العمل على إيجاد حلول في المنطقة تقاديا لأي تهديد ينعكس على أمنها القومي².

¹ ويكن فائزة، "الدائرة الافريقية في التوجه الخارجي الجزائري بين تأكيد المكانة وتحقيق التنمية والاستقرار"، حوليات كلية الحقوق والعلوم السياسية، مج09، ع01، ديسمبر 2017، ص، ص53.54

² دخيل عبد السلام، "الابعاد السياسية للمقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الافريقي ازمة التوارق في شمال مالي نموذجا"، مجلة البحث القانوني والسياسي، مج01، ع01، ديسمبر 2016، ص27

ركزت الجزائر أول أمرها كدولة حديثة الاستقلال على المقاربة الأمنية في استراتيجيتها الشاملة، إذ ركزت على بناء عقيدة أمنية لها بحيث يستمد منها الأمن القومي الجزائري عناصر فلسفته وإجراءاته العملية عند التعاطي مع المخاطر والتهديدات الأمنية، وقد شكلت أسس السياسة الخارجية الجزائرية كقاعدة وركيزة في بناء مقاربتها الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي، ولأهمية بيان ذلك لا بد أن نعرض على تلك الأسس والمبادئ التي ارتكزت عليها الجزائر في توجيهها الخارجي، كالآتي:

أ- مبادئ السياسة الخارجية الجزائرية كقاعدة لبناء مقاربة أمنية تجاه منطقة الساحل الإفريقي:

تعبّر السياسة الخارجية للدول عموماً عن موقف الدولة وتوجهها في علاقاتها الخارجية، كما تحدد مستوى انغماسها في مختلف القضايا والمشكلات الدولية التي تعنيها وتؤثر بصورة أو أخرى على ما تحاول تحقيقه أو الحصول عليه من مصالح وأهداف.¹

تقوم السياسة الخارجية الجزائرية على عدة مبادئ نصت عليها الوثائق الرسمية (دستور الجزائر الصادر في 22 نوفمبر 1976)²، التي تبنت من خلالها المبادئ التي تضمنتها مواثيق الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية والجامعة العربية وحركة عدم الانحياز، وهي كما يلي³:

➤ تحديد الحدود مع الدول المجاورة وفق قاعدة الحدود الموروثة عن الاستعمار: إذا كانت الجزائر

تعتبر مبدأ التمسك بالحدود الموروثة عن الاستعمار هو استمرار لمبادئ ثورتها، فإنها تجد في ضبط هذه الحدود وترسيمها ضماناً كبيراً لتدعيم مبادئ حسن الجوار الإيجابي، على هذا الأساس قامت الجزائر بجهود حثيثة لضبط وتعيين حدودها مع الدول المجاورة لها، إذ سعت إلى ترسيم حدودها منذ مشكلة الحدود مع المغرب وفق اتفاقية إيفيان 15/01/1969م، واتفاقية تلمسان

¹ إسماعيل صبري مقلد، السياسة الخارجية الأصول النظرية والتطبيقات العملية. مصر: المكتبة الأكاديمية: 2013، ص 14

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، دستور سنة 1976، المواد من 86 إلى 93.

³ سليم العايب، الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الاتحاد الإفريقي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2011، ص. 27، 37.

1970/05/27م، ثم معاهدة الرباط في 15/06/1972م، بعدها اتجهت نحو تونس بالتوقيع على اتفاقية معها في 06/01/1970م واتفاقية أخرى بـ 19/05/1983م، كما تم التوقيع مع موريتانيا في 13/12/1983م ومع مالي بـ 08/05/1983م ومع النيجر في 05/01/1983م، أما الحدود الليبية الجزائرية كانت مضبوطة بموجب الاتفاق الليبي الفرنسي سنة 1956م. وبهذا الجهد في ترسيم الحدود الموروثة عن الاستعمار يتم القضاء على كل أسباب النزاع حوله، بحيث يتحول إلى عامل من عوامل السلم عن طريق إعطاء دفع قوي لاحترام وصيانة قداسة الحدود؛

➤ **مبدأ التعاون بين الدول المجاورة:** إن تعزيز التعاون الدولي وتنمية العلاقات الودية بين الدول على أساس المساواة والمصلحة المتبادلة يشكّل أحد المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الجزائرية، فمنذ حصولها على الاستقلال سعت إلى بناء علاقات جيدة مع جيرانها، وتعزيزاً لهذا المبدأ وقعت سلسلة من اتفاقيات التعاون مع كافة دول الجوار، جاءت تلك الاتفاقيات في شكل تعاون ثنائي وفي إطار التعاون الإقليمي مثل الاتحاد الإفريقي¹؛

➤ **عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول المجاورة:** نص ميثاق الأمم المتحدة في المادة الثانية الفقرة السابعة منه على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وهو الشأن بالنسبة لميثاق كل من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية، وانطلاقاً من أن الدول المجاورة يمكن أن تؤثر بما يجري حولها في ظل وجود أنظمة سياسية واجتماعية غير متجانسة فإن التقيد بهذا المبدأ يفرض الاحترام المتبادل للأنظمة السياسية في الأقاليم المتجاورة، وعدم التدخل فيما يجري فيها، وفي حالة العكس فإنه يؤدي إلى دوامة من النزاعات التي لا تنتهي²؛

¹ Muhammed Tandoğan, Omar Bouacha, " The Algerian Security Approach Towards The Sahel Region: Case Of Mali". *Journal of Turkology*. Vol27, N01, 2017, P312.

² دخيل عبد السلام، "الابعاد السياسية للمقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الافريقي ازمة التوارق في شمال مالي امودجا"، مجلة البحث القانوني والسياسي، ص 29

➤ **دعم حق الشعوب في تقرير مصيرها:** يعتبر الوقوف إلى جانب حركات التحرر قصد تحقيق تقرير المصير للشعوب عنصراً إضافياً وفق التصور الجزائري لعلاقات حسن الجوار بمضمونه الإيجابي، لأنه لا يوجد هذا العنصر في مبادئ علاقات حسن الجوار التي تضمنتها موثيق المنظمات الدولية والإقليمية، كما أنه مستمد من نضال الجزائر الطويل ضد الاستعمار في سبيل الحصول على حق تقرير المصير قبيل وأثناء الثورة التحريرية. وقد مارست الجزائر هذا المبدأ مع موريتانيا عندما أراد المغرب احتوائها، كما مارسته مع تونس ضد التحرشات الأجنبية وهو ما تمارسه اليوم مع الشعب الصحراوي في تقرير مصيره؛

➤ **مبدأ حل النزاعات بين الدول المجاورة بالطرق السلمية:** الجزائر كقوة إقليمية كانت دائماً تتبذ استخدام القوة العسكرية في العلاقات الدولية، حيث تدعو بدلاً من ذلك إلى التعاون وحل النزاعات بين الدول بالوسائل السلمية سواء في المفاوضات المباشرة أو في إطار المنظمات الإقليمية والدولية. فتاريخياً ساهمت الدبلوماسية الجزائرية في إيجاد حلول للعديد من الصراعات مثل الحرب الإيرانية العراقية عام 1970، ولا تزال تؤمن بقوة بهذا المبدأ الذي تعتبره أفضل وسيلة لإيجاد حلول للصراعات الإقليمية مثل الصحراء الغربية، حيث أكد على دور الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي في حل هذه المشكلة بالطرق السلمية¹.

ب- مرتكزات المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي:

من خلال ما سبق ارتكزت المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي على عدد من المبادئ المستمدة من مبادئ السياسة الخارجية الجزائرية، أهمها مبدأ احترام سيادة الدول، عدم التدخل في شؤونها الداخلية، أولوية التحرك الدبلوماسي ضمن الجماعات العربية والإفريقية في حل المشاكل الإقليمية

¹ Muhammed Tandoğan, Omar Bouacha, " The Algerian Security Approach Towards The Sahel Region: Case Of Mali" op cit, p 313

مع الأخذ بعين الاعتبار سياسة حسن الجوار، التي تعد مدخلا أساسية لفهم العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، حيث كانت الجزائر على مدار تاريخها السياسي تبرز سلوكها الخارجي انطلاقا من الثوابت الدستورية والقانونية¹.

انطلاقا من الأهمية الكبرى لموضوع الأمن في منطقة الساحل الإفريقي ومن خلال التطورات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بمقتضيات تحقيق الأمن الوطني في الجزائر، سعت هذه الأخيرة إلى طرح برامج وخطط تنموية وأمنية وآليات دبلوماسية لاستيعاب المخاطر الأمنية للمنطقة، على رأسها ظاهرتي الإرهاب والجريمة المنظمة موظفة بذلك تجربتها الطويلة في هذا المجال، بامتلاكها تصورا وخطوطا كبرى مكونة لمقاربتها الشاملة.

فالدبلوماسية الجزائرية القائمة في شقها الأمني أولت اهتماما كبيرا في أجندتها السياسية على قضايا القارة الإفريقية عموما، ومنطقة الساحل خصوصا، فكل التصورات التي تطرحها الجزائر في هذا الاتجاه قائمة على محور الأمن، من خلال تقوية نفسها عسكريا وتقادي العزلة الدبلوماسية ومحاولة المشاركة وإبداء رأيها في كل قضايا القارة الإفريقية، خاصة في المناطق التي تعتبر حساسة للأمن القومي الجزائري، وهي تهدف بذلك إلى²:

✓ حماية الحدود الوطنية والسلامة الترابية؛

✓ تعزيز القدرة الدفاعية وحماية الأمن الداخلي؛

✓ الحفاظ على المكانة الإقليمية والدولية؛

✓ مكافحة الإرهاب وكل أشكال التطرف.

¹ وهيبه دالع، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، دراسات استراتيجية، مج12، ع23، جوان 2016، ص94

² عربي بومدين، فوزية قاسي، "المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية"، مركز دراسات الوحدة العربية، مج39، ع456، فيفري 2017، ص 136

وفي هذا السياق شهدت السياسة الخارجية الجزائرية حركية دبلوماسية مكثفة باتجاه الدوائر الجغرافية المحيطة بها، نظراً إلى طبيعة وخطورة التحديات الأمنية المحدقة بجغرافيتها وكيانها، وعليه تتبنى الجزائر مقارنة أمنية قائمة على فكرة الأمن الموسع، حيث سيطر هذا المفهوم على كل العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للسياسة الخارجية الجزائرية وبدرجة كبيرة في مجال مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة وتجريم دفع الفدية.

تبنى الجزائر تصورها في تحقيق الأمن على مقارنة أمنية إقليمية في منطقة الساحل الإفريقي، تدعو من خلالها دول الساحل إلى ضرورة التعاون فيما بينها لمواجهة التهديدات الأمنية، لذلك ساهمت في تأسيس مركز قيادة إقليمي في الجنوب الجزائري بتمنراست، بهدف تنسيق تحركات جيشها مع تحركات جيوش كل من موريتانيا ومالي والنيجر، لذلك يعد إنشاء قيادة الأركان للعمليات العسكرية CEMOK في 21 افريل 2010 أهم مبادرة أمنية للجزائر في المنطقة، يضم هذا المركز وحدة الاندماج والاتصال UFL الخاصة بتجميع المعلومات المتواجدة بالعاصمة الجزائرية. ويعد اتفاق تمنراست مرجعية للعمل المشترك في منطقة الساحل الإفريقي، من خلال التنسيق الأمني الجماعي بين الدول الأربعة الأعضاء في مواجهة التهديدات الأمنية الإرهابية¹.

في نفس الإطار تم الاتفاق بين وزراء خارجية مالي، النيجر، موريتانيا والجزائر في 20 ماي 2011 على تشكيل قوة مشتركة، قوامها 75 ألف جندي من بينهم 5000 من قبائل الطوارق لمحاربة التنظيمات الإرهابية خاصة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وتأمين منطقة الساحل والصحراء، غير أن تجسيده على أرض الواقع لم يتحقق إلا ما ارتبط بالقيام ببعض التدريبات المشتركة، بنهاية شهر سبتمبر 2011م عُقدت عدة اجتماعات لمجلس رؤساء أركان الجزائر ومالي وموريتانيا والنيجر بهدف وضع استراتيجية

¹ وهيبه دالع، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، دراسات استراتيجية، ص100

موحدة لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، بعدها الاجتماع الوزاري لدول الميدان يوم 07 أوت 2012م في العاصمة النيجيرية نيامي الذي أكد على تفعيل "استراتيجية الأمن والتنمية ومكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة في منطقة الساحل الإفريقي"¹.

ترجع الجهود السياسية والدبلوماسية الجزائرية في معالجة مشكلة الطوارق بكل من النيجر ومالي* منذ تسعينيات القرن الماضي، من خلال الوساطة بين مختلف الحركات والفصائل الطوارقية والحكومة المركزية في مالي، ففي ظل أزمة 2012 ظلت الحكومة الجزائرية وفيه لالتزاماتها راعية بشكل حصري جميع إتفاقيات السلام السابقة الموقعة بين الطرفين، وهو ما ظهر جلياً من خلال تحرك الدبلوماسية الجزائرية منذ بداية الأزمة مطلع 2012 في حث جميع الأطراف على ضرورة وقف إطلاق النار والجلوس إلى طاولة المفاوضات بغية التوصل إلى حل سلمي وتوافقي يرضي جميع الأطراف². وفي 11 جويلية 2012م اجتمعت بنواكشوط في موريتانيا الدول الأعضاء بقيادة العمليات المشتركة CEMOK لدراسة أزمة شمال مالي ومناقشة الوسائل الممكنة لمساعدة الدولة المالية في استعادة سيادتها على كامل التراب المالي³.

¹ وهيبه دالع، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص، ص100، 101 * منذ حصولها على استقلالها، شهدت دولة مالي العديد من حركات التمرد التي قادها الطوارق ضد الحكومة المركزية (1963-1964، 1990-1996، و2006-2009) والتي تسببت في ظهور ثلاث إتفاقيات سلام رئيسية: إتفاق تمراست 1991م، الإتفاق الوطني 1992م، إتفاقيات الجزائر 2006م، تختلف ثورة عام 2012 عن الثورات السابقة في عدة جوانب. أولاً، جاء هذا التمرد نتيجة تحالف بين الحركات الوطنية الطوارقية وبعض الجماعات المتطرفة من جنسيات مختلفة (مالي ونيجيريا وموريتانيا وليبيا) التي تنشط في مناطق الطوارق منذ السنوات القليلة الماضية. وأصبحت تلك الجماعات المسلحة أقوى من ذي قبل، خاصة أنها استفادت من مخزون الأسلحة الكبير الذي أوصلته إلى مالي كتائب الطوارق الليبية بعد سقوط طرابلس. حدث هذا التمرد المسلح في وقت كانت فيه الحكومة المالية في وضع أضعف. في مارس 2012، كانت هناك مظاهرات ضد الحكومة المركزية بقيادة بعض ضباط الجيش المالي، وفي 22 مارس، أطاح انقلاب بالرئيس أمادو توماني توري بسبب عدم قدرته حكومته على محاربة الإرهابيين الذين سيطروا على البلاد. الجزء الشمالي من مالي. وفي نهاية المطاف، أصبح الوضع الأمني الهش وعدم الاستقرار السياسي السمة الرئيسية للعاصمة المالية، حيث كان هناك صراع سياسي في ظل توازن قوى هش بين النخب السياسية والجنود الذين تمسكوا بزمام الحكم. انظر:

Muhammed Tandoğan, Omar Bouacha, " The Algerian Security Approach Towards The Sahel Region: Case Of Mali" op cit, p315

² عربي بومدين، فوزية قاسي، "المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية"، مرجع سبق ذكره، ص138

³ وهيبه دالع، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص، ص100، 101

ويشمل التعاون الأمني الجزائري مع دول الساحل الإفريقي جوانب عديدة منها ما يتعلق بالشق اللوجستي والاستخباراتي، ففيما يتعلق بالجانب اللوجستي قامت الجزائر في العديد من المرات بتزويد قوات دول الساحل بالعتاد العسكري لمواجهة تهديدات الجماعات الإرهابية والجريمة المنظمة وغيرها من التحديات الأمنية، فعلى سبيل المثال قامت الجزائر بإرسال أول طائرة شحن محملة بكميات معتبرة من التجهيزات العسكرية إلى مالي في 04 ماي 2009م، كما تقوم القوات الجزائرية بتدريب عناصر من الجيش والشرطة المالية بصفة منتظمة في مختلف قواعدها العسكرية بمنطقة تمنراست¹.

الفرع الثاني: أهم الجهود الجزائرية المبذولة لتفعيل مقاربتها أمنية تجاه الساحل الإفريقي

قد كانت كل الجهود الجزائرية تهدف إلى وضع استراتيجية مشتركة لمكافحة التحديات الخارجية وتفعيل آليات التعاون الثنائي والإقليمي في مجال حفظ السلم والأمن في منطقة الساحل الإفريقي، حيث يشكل التعاون على المستويين الثنائي والإقليمي إطارا هاما لا يمكن تجاوزه من أجل مكافحة الإرهاب بشكل فعال دون تقديم التنازلات، وذلك لا يتم إلا في ظل مقاربة متكاملة بين دول المنطقة تتمحور حول عدة مستويات، فعلى:

✓ **المستوى الوطني:** تقوم المقاربة على مسؤولية الدول في القيام بمكافحة فعالة وشاملة ضد الإرهاب؛

✓ **المستوى الثنائي والإقليمي:** تتضمن ترقية تعاون ثنائي مع الدول المجاورة، تعاون إقليمي مهيكلا

شامل قائم على حسن النية²؛

✓ **المستوى الدولي:** لا بد من العمل مع المجتمع الدولي في إطار التنسيق والتعاون بغية إيجاد حلول

لمشاكل القارة الإفريقية ويعينها في ذلك على أفرقة الحلول وإيجاد أطر إقليمية ونبذ أي تدخل

¹ نفس المرجع، ص 101

² نفس المرجع، ص 101

خارجي، وإن كان التدخل الأجنبي في أصله بمثابة ضربة قاضية لفلسفة الأمن على المستوى الوطني أو الإفريقي¹.

إجمالاً يمكن رصد أهم الجهود الجزائرية فيما يتعلق بمقاربتها الأمنية تجاه منطقة الساحل الإفريقي في النقاط التالية:

✚ رفض التدخل الأجنبي انطلاقاً من مبدأ عدم التدخل في شؤون الآخرين، ظلت الجزائر ترفض أي تدخل أجنبي في الشؤون الداخلية للدول تحت أي شكل من الأشكال، بما فيها دول الساحل الإفريقي التي ترتبط بها تاريخياً وجغرافياً، لاقتناع الجزائر بأن التدخل الأجنبي يغذي الأزمات ولا يجد لها حلاً، بل هو نوع جديد من أنواع الاستعمار²؛

✚ تجريم دفع الفدية للجماعات الإرهابية نظير الإفراج عن الرهائن المختطفين: حيث نجحت الدبلوماسية الجزائرية في الحصول على تأييد دول الإتحاد الإفريقي في دورته العادية بمدينة «سرت» الليبية في جويلية 2009م، لتبني مقترح تجريم دفع الفدية للجماعات الإرهابية، وعلى المستوى العالمي من خلال الدور الرائد الذي لعبته في استصدار مجلس الأمن القرار رقم 1904 بتاريخ 17 ديسمبر 2009م القاضي بتجريم دفع الفدية للجماعات الإرهابية لقاء الإفراج عن الرهائن المختطفين، بعد أن أقرت الإتحاد الإفريقي وجامعة الدول العربية بضرورة تبنيه³؛

✚ رفض التفاوض مع الجماعات الإرهابية: وقد ظل هذا المبدأ ثابتاً بالرغم من الضغوطات التي تعرضت لها الدبلوماسية الجزائرية من قبل الجماعات الإرهابية خاصة فيما يتعلق بسلامة رعاياها المختطفين لدى تلك الجماعات كقضية الدبلوماسيين الجزائريين السبعة المختطفين في شمال مالي،

¹ عربي بومدين، فوزية قاسي، "المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية"، مرجع سبق ذكره، ص137

² دالغ وهيب، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص95

³ عربي بومدين، فوزية قاسي، "المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية"، مرجع سبق ذكره، ص138

وقد اكتسبت في وقت لاحق الدبلوماسية الجزائرية تأييد العديد من الأطراف الدوليين كجانب من أطروحتها الأمنية المتعلقة بعدم التفاوض مع الإرهابيين¹؛

✚ الاتفاقية الإفريقية لمكافحة الإرهاب ومنعه: تعد الوثيقة القانونية القارية الأبرز في مكافحة الإرهاب في ظل منظمة الوحدة الإفريقية، وقد تم تبنيها في الجزائر في 14 جويلية 1999م، دخلت حيز التنفيذ في 6 ديسمبر 2002م، حيث تحوي هذه الاتفاقية على 23 مادة قدمت المادة الأولى منها تعريف الإرهاب، بأنه: " كل عمل أو تهديد بعمل مخالف لقوانين العقوبات المعتمدة في الدول الأعضاء وكل عمل ينضوي على التخويف والتسبب في الرعب والإخلال بالسير العادي للخدمات العمومية وأحداث حركة تمرد في إحدى الدول الأعضاء إلى جانب أي تواطؤ أو تمويل أو تأمر بنية ارتكاب إحدى الأعمال المشار إليها". أما باقي المواد فجاء مضمونها حول ضرورة التزام الدول الأعضاء بضرورة مراجعة تشريعاتهم الوطنية حول الإرهاب والجرائم المختلفة، كما فرقت الاتفاقية بين كفاح الشعوب والحق في تقرير المصير وبين الأعمال الإرهابية، أيضا نصت على ضرورة تعاون الدول الأعضاء لمنع ومكافحة الإرهاب كما تطورت إلى تسوية النزاعات التي تتجم بين الدول²؛

✚ اجتماع الفريق الرفيع المستوى الأول لحكومات دول الإتحاد الإفريقي بشأن مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة في القارة الإفريقية الذي عقد في الجزائر في 11 سبتمبر 2002م؛

✚ إنشاء المركز الإفريقي لبحوث ودراسات الإرهاب ACSRT: الذي هو أحد الهياكل المعنية بمنع ومكافحة الإرهاب على المستوى الإفريقي القاري، أعلن عن تأسيسه بالفعل في إطار الاجتماع

¹ دالغ وهيبية، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص، ص98،99

² أسماء رسولي، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2018، ص178

الحكومي رفيع المستوى الثاني بشأن منع ومكافحة الإرهاب في إفريقيا، والمنعقد في الجزائر خلال الفترة (12- 14 أكتوبر 2004م)¹؛

✚ تبني الجزائر لمعاهدة الإتحاد الإفريقي حول عدم الاعتداء والدفاع المشترك التي أقرها المؤتمر الرابع لمجلس الإتحاد الإفريقي المنعقد بأبوجا بنيجيريا في جانفي 2005م²؛

✚ شاركت الجزائر في جوان 2009م في اجتماع لعسكريين وضباط من موريتانيا، مالي، النيجر وليبيا، عُقد بطرابلس الليبية وُخصص لمناقشة الأمن في منطقة الساحل الإفريقي³؛

✚ إتفاق تمناست ومؤسسة العمل الأمني الإقليمي: انعقد هذا الاتفاق في 12 - 13/8/2009 تطبيقاً

لنتائج المؤتمر الوزاري التحضيري المنعقد في باماكو في تشرين الثاني/نوفمبر 2008م، (ندوة حول الإرهاب والتفريب ضمت كل من الجزائر، ليبيا، تشاد، النيجر، مالي، بوركينا فاسو وموريتانيا).

ويعد اتفاق تمناست بمثابة التتويج للجهود الجزائرية التعاونية مع دول الساحل الإفريقي، وقد دخلت خطة تمناست حيز التنفيذ يوم 21/04/2010م، وتضمنت الخطة قرار مشتركاً بإنشاء مركز قيادة

مشترك للتنسيق الأمني والعسكري والتعاون في المجال اللوجستيكي؛

✚ ندوة الجزائر حول الأمن والاستقرار في الساحل الإفريقي 16 مارس 2010 حضره قادة جيوش

الجزائر، مالي، موريتانيا، النيجر، تشاد وبوركينا فاسو، وُخصص لمناقشة الإرهاب وتحالفاته مع الجريمة المنظمة في الساحل الإفريقي؛

¹ African union, **Declaration of the second high-level intergovernmental meeting on the prevention and combating of terrorism in Africa**, Algeria 12-14 Oct.2004 on cite: https://au.int/sites/default/files/treaties/37291-treaty-0030_-_protocol_to_the_oau_convention_on_the_prevention_and_combating_of_terrorism_e.pdf (date of visit: 11.04.2023)

² أسماء رسولي، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مرجع سبق ذكره، ص188

³ نفس المرجع، ص188

✚ إنشاء وحدة التنسيق والاتصال (Unité de coordination et de communication UCC) بالجزائر في 6 أفريل 2010م، وهي تضم كل من الجزائر، مالي، موريتانيا، النيجر، بوركينا فاسو، ليبيا، التشاد، تعمل على التعاون الاستخباراتي وتبادل المعلومات بين الدول الأعضاء بشأن تحرك ونشاط الجماعات الإرهابية في المنطقة، لوضع خطط مشتركة والتحرك جماعيا في مواجهة الإرهاب¹؛

✚ تأسيس لجنة الأركان العملياتية المشتركة (Comité d'état-major opérationnel CEMOC) بتلورت خلال الاجتماع المنعقد في أوت 2009 بين كل من الجزائر ومالي وموريتانيا والنيجر المعروفة بدول الميدان التي أصبحت مدينة تمارست مقر لها في أفريل 2010، تهدف إلى التنسيق في السياسة الأمنية للدول الأعضاء لوضع استراتيجية موحدة لمكافحة الإرهاب، حيث تتكون لجنة الأركان العملياتية المشتركة من أربعة خلايا (خلية العمليات، خلية الاتصالات، خلية اللوجستيك و خلية الاستعلامات)²؛

✚ ندوة الجزائر الدولية حول الشراكة والأمن والتنمية: احتضنتها الجزائر بتاريخ 7-8 سبتمبر 2011م تضم دول الميدان والشركاء من خارج الإقليم. في نهاية الندوة أوضح البيان الختامي أن الشركاء أكدوا الأهمية التي يولونها لتجفيف منابع تمويل الإرهاب وتقوية الآليات الدولية سعيا إلى تحقيق هذا الهدف". وقال البيان إن المشاركين "تدارسوا مختلف القضايا المرتبطة بموضوع الجريمة المنظمة واتفقوا على أن محاربة الظاهرة وارتباطها بالإرهاب يستدعي عملا عاجلا وحازما كما يتطلب تكثيف التعاون على المستويين الجهوي والدولي". كما أشار إلى أن المشاركين أكدوا على أهمية التنمية

¹ نداء كسبر، " دبلوماسية الجزائر الإنسانية في مواجهة تهديدات الساحل الأفريقي.. المؤشرات والنتائج " مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، 2022/03/03، متاح على الرابط: <https://pharostudies.com/?p=9496> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/16)

² نفس المرجع.

وتحسين أوضاع السكان خصوصا في المناطق المعزولة والهشة واتفقوا على ضرورة تخصيص

الوسائل التي لا غنى عنها لدعم الجهود المبذولة في هذا الصدد من قبل دول الميدان¹؛

➤ الجهود الجزائرية والوساطة في الأزمات المتكررة في كل من النيجر ومالي حول قضية الطوارق،

إذ تسارع الدولتان إلى الجزائر للتدخل باعتبارها تمتلك المؤهلات للتوسط في النزاع، حيث اهتمت

الجزائر باتفاقات السلام والمصالحة بين الأطراف المتنازعة في الدولتين، فقد عُقدت قمة رباعية في

سبتمبر 1990 في تمراست بحضور كل من الجزائر، مالي، النيجر، ليبيا، أكد من خلالها

الحاضرون على احترام مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، عدم استخدام القوة لحل مشكلة

الطوارق، تعزيز التعاون في الحدود المشتركة واحترام السيادة الترابية للدول، تم بعدها توقيع إتفاق

باماكو في أبريل 1990م²، مع تجدد الأزمات حرصت الدبلوماسية الجزائرية على التوسط لحلها

سلميا، وفي الآتي نورد بإيجاز أبرز تحركات الدبلوماسية الجزائرية في كل من مالي والنيجر:

➤ الوساطة الجزائرية في النزاع النيجري³: ففي عام 1992م وبناء على زيارة الوزير الأول

النيجيري للجزائر بتاريخ 1992/05/08م طلب منها التدخل لحل مشكلة الطوارق، خاصة

وأنها لعبت دورا هاما وأساسيا في حل مشكلة الطوارق بمالي، وتم التوقيع على بروتوكول

تعاون بين حكومة النيجر وحركات الطوارق المتمردة في 1997/11/18م بالجزائر، جاء هذا

الاتفاق نتيجة جهود سلسلة من اللقاءات بين الأطراف المتنازعة؛ اللقاء الأول امتد من 20-

1997/10/28م، والثاني من 18 إلى 1997/11/21م، والثالث من 21 إلى

¹ الوكالة الموريتانية للأبناء، " اختتام الندوة الدولية حول الشراكة والأمن والتنمية بين دول الساحل والشركاء الدوليين"، 2011/09/08، متاح على الرابط، <https://old.ami.mr/Depeche-20902.html> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/16)

² سمية غضبان، "مساهمة الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات الإفريقية - تحدي نحو تحقيق السلم والأمن في إفريقيا"، مجلة الاستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، مج03، ع11، سبتمبر 2018، ص56

³ مجاهدي إبراهيم، "دور الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات المسلحة الإقليمية (دراسة حالة النزاعات الإفريقية نموذجاً)"، مجلة صوت القانون، مج04، ع03، ديسمبر 2017، ص247

1997/11/28م، تم بموجبه الاتفاق على وقف إطلاق النار مع إقرار عفو شامل وإدماج

قوات التمرد في السلك العسكري والشبه العسكري، كما تم الاتفاق على إشراك الطوارق في

تسيير وإدارة شؤون الدولة بصفة عامة؛

➤ **الوساطة الجزائرية في النزاع المالي:** ¹ ساهمت الدبلوماسية الجزائرية بصورة فعالة في حل

النزاع الداخلي بين حركات الأزواد والإدارة المركزية بمالي، إذ عقدت عدة لقاءات بين الطرفين

المتقاتلين مثل اللقاء الذي عقد في جوان 1991م بتمنراست والتوقيع على الاتفاق الوطني

المالي في باماكو بتاريخ 1992/04/11م، ثم توقيع اتفاق السلام بالجزائر في

2006/07/04م، بعدها أعادت الجزائر جمع الطرفين عند اختراق المعاهدة في اجتماعات

تفاوضية بالجزائر من 2008/07/27-24م، انتهت بالتوقيع على اتفاق وقف الاقتتال بين

الطرفين مع التشديد على إطلاق سراح المساجين الموجودين عند كلا الطرفين، كما تم إنشاء

لجنة مختصة لمراقبة تنفيذ بنود هذا الاتفاق إلا أن أزمة 2012م التي عاشتها دولة مالي تعد

من انعكاسات التدخل العسكري الأجنبي في ليبيا، مما دفع الدبلوماسية الجزائرية للتحرك فكان

الاتفاق المبرم بين الحكومة المالية والتمرديين الطوارق في جوان 2014م، وآخرها تم التوقيع

على اتفاق السلام في 15 مايو 2015م، كما نجحت الجهود الدبلوماسية الجزائرية مرات

عديدة في إقناع قوى المعارضة بالموافقة على اتفاق السلام مع الحكومة المالية².

مما سبق نخلص إلى أن المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي تقوم بالأساس على

مكافحة كل مظاهر اللاستقرار من التهديدات اللاتماثلية كالنزاعات الإثنية عابرة للحدود والجريمة المنظمة

¹ نفس المرجع، ص.ص، 248، 250.

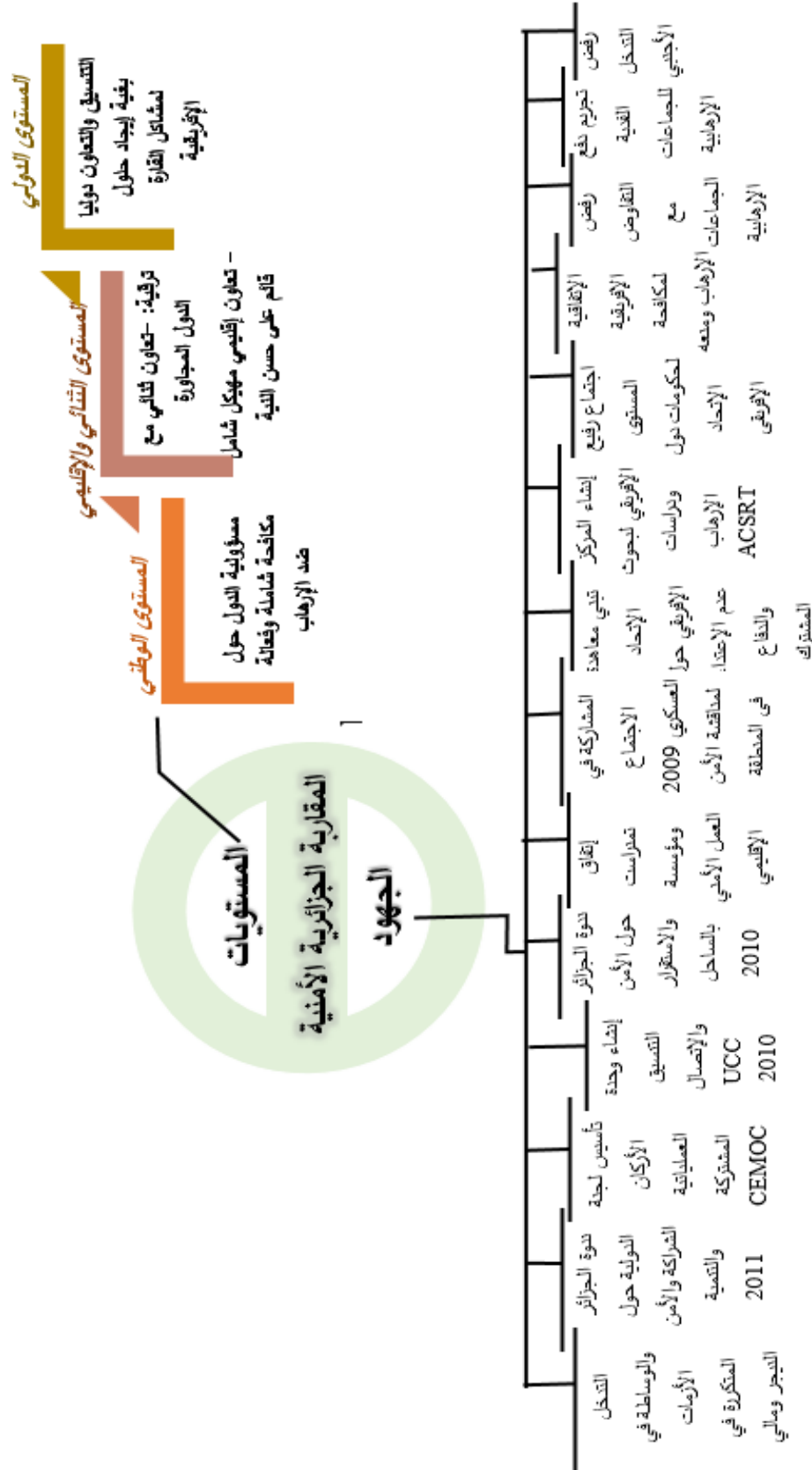
² lofti sour, " Algeria's Role in the African Sahel: Toward a New Security Paradigm", *International Journal of Euro-Mediterranean Studies*, vol 15, N02, 2022, p167

والإرهاب وتجفيف منابعه بكل الطرق والوسائل، كما تقوم ذات المقاربة بتفعيل الجهود الداخلية والإقليمية والدولية لتحقيق ذلك.

كل هذه العوامل جعلت الشركاء الأمنيين للجزائر سواء دول الميدان أو الأجانب خارج الإقليم يعجزون عن مجارة قوة الأطروحة الجزائرية وتصورها الشامل للأمن في منطقة الساحل الإفريقي هذا من الجانب النظري، أما عمليا فقد سخرت الجزائر ترسانتها الأمنية والعسكرية لإنجاح مقاربتها، فمثلا ميزانية وزارة الدفاع الجزائرية عام 2008م تعادل ستة مرات الميزانية الإجمالية لدولة مالي، كما أن الجزائر تستورد 03% من مبيعات الأسلحة بالعالم هذا ما يجعلها تحتل المرتبة الثامنة عالميا بنسبة قدرت نحو 48% من الأسلحة التي تباع بإفريقيا¹.

والشكل التالي يلخص ما تم التطرق إليه بخصوص المستويات التي بنيت على أساسها المقاربة الأمنية الجزائرية تجاه الساحل الإفريقي إضافة للجهود المبذولة من قبل الدولة لتفعيل هذه المقاربة:

¹ عبد الرحيم رحومني، الأمن الجزائري والفضاء الإقليمي. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2019، ص 41



المصدر: من إعداد الباحث

هذه المقاربة الأمنية الجزائرية على الرغم من أهميتها القصوى إلا أنها لا تكفي وحدها لإيجاد حلول جذرية لمشاكل منطقة الساحل الإفريقي، بل يتطلب جهودا على كافة المستويات الأخرى كبعث مشاريع التنمية للتخفيف من نسبة الفقر والبطالة وإطلاق الحريات وفتح المجال أمام المشاركة السياسية¹.

لذلك كان على صانعي القرار الدبلوماسي والأمني بالجزائر أن يعيد النظر في عناصر ومقومات العقيدة الأمنية والدبلوماسية الجزائرية في التعاطي مع الأزمات الدولية والإقليمية، خاصة تلك المتعلقة بمنطقة الساحل الإفريقي بالنظر لتنامي التهديدات التي تمس الأمن القومي الجزائري بشكل مباشر، ويمكن أن نلخص طبيعة التغيرات في العقيدة الأمنية التي تفرضها التهديدات الجديدة، فيما يلي²:

☒ تبني المفهوم الموسع للأمن الذي قامت عليه الدبلوماسية الجزائرية بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإتباع سياسات جديدة كوسائل لمكافحة الإرهاب من خلال الاهتمام بالجانب التنموي سواء على الصعيد المحلي أو الجهوي؛

☒ ضرورة بناء إستراتيجية استباقية ونظام لليقظة والحماية من الأزمات المحتملة ودمج البعد الأنثروبولوجي وليس السياسي فقط لفهم التناقضات، وبالتالي إمكانية التأثير المباشر في الأزمات المختلفة، بالإضافة إلى تطوير الجيش الوطني الشعبي ودعمه بالآليات والتكنولوجيات المتطورة تسهيلا لنمط المراقبة؛

☒ إعادة النظر في نجاعة الدبلوماسية الأمنية الجزائرية وقدرتها على الاستجابة لوزن الدولة الجزائرية وقدرتها الجيوسياسية وتاريخها الدبلوماسي النشط في سنوات الستينيات والسبعينيات؛

¹ دالغ وهيبية، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص 103

² بقشيش علي، حنان يعقوب، "متطلبات الإستراتيجية الأمنية الجزائرية في ظل التهديدات الأمنية في منطقة الساحل"، مجلة الفكر القانوني والسياسي، مج 06، ع 01، افريل 2022، ص، ص. 1341، 1342

☒ إعادة النظر في الضوابط الدستورية التي تحكم تحرك الجيش الوطني الشعبي، منح حق التدخل، تتبع بقايا الجماعات الإرهابية ومختلف التهديدات الصلبة المتأتية من دول الجوار لضمان عدم تكرار الاختراقات. وقد تحقق ذلك ضمن دستور 16 سبتمبر 2020 الذي أكد على اضطلاع رئيس الجمهورية باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة بإقرار إرسال وحدات من الجيش الوطني الشعبي إلى خارج الوطن، بعد مصادقة البرلمان بأغلبية ثلثي أعضاء كل غرفة من غرفتي البرلمان وذلك طبقاً للمادة 91 الفقرة 2.

المطلب الثاني: المقاربات الاقتصادية والتنموية (مراحل بناء الشراكات التنموية في الساحل الإفريقي)

مما لا شك فيه أن أغلب الأزمات والحروب التي تعاني منها منطقة الساحل الإفريقي هو نتاج غياب تنمية حقيقية في دول هذه المنطقة، التي تساهم في كبح الفقر والتخلف وتحقيق الرخاء كما تمنع إنزلاق الأفراد وراء الأعمال غير المشروعة والتنظيمات المسلحة، من هذا المنطلق أدركت الجزائر أهمية هذا البعد في صناعة الأمن والاستقرار في الساحل الإفريقي الذي طالما يعاني من أزمات ونزاعات أفرزت تحديات جديدة تهدد الأمن الداخلي للدول¹.

مع نهاية القرن العشرين سجلت الدبلوماسية الجزائرية عودتها بقوة إلى الساحة الإفريقية من خلال القمة الـ 35 لمنظمة الوحدة الإفريقية ورئاستها لها وبدأ تنامي اهتمامها بالقضايا الإفريقية خصوصا، ولما كانت بعض المشاكل التي تعاني منها الجزائر هي جزء من مشاكل إفريقيا كتندي مستوى التنمية ومشكلة الديون التي أثقلت ميزانيات معظم الدول الإفريقية²، اقتنعت الجزائر بأن استئصال ظاهرة الإرهاب لن يتم بواسطة الحل العسكري والأمني فقط وإنما تتم بالدرجة الأولى بالاعتناء بالإنسان، ثم تحقيق التنمية الشاملة التي تضع حدا للفقر والفساد والهجرة غير الشرعية وباقي الظواهر السلبية الأخرى، وعليه حاولت في هذا الإطار مشاركة مقاربتها الشاملة مع الدول الإفريقية التي تركز على فكرة أساسية مفادها أن الأمن لا يمكن أن يتحقق دون أن يكون هناك تنمية، والعكس صحيح أي أن التنمية تتحقق في ظل الأمن والاستقرار³.

¹ سائحي يوسف، خمقاني عبد الهادي، "سبل تنشيط التعاون التجاري والاقتصادي بين الجزائر والدول الإفريقية"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج09، ع05، ديسمبر 2020، ص128

² حاج محمد فضيلة، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي وتأثيرها على الامن الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2019، ص379

³ بن خليف عبد الوهاب، "دور المقاربة الجزائرية في مواجهة التهديدات الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي"، مرجع سبق ذكره، ص45

الفرع الأول: المقاربة الجزائرية التنموية لمنطقة الساحل الإفريقي من خلال الشراكة الجديدة لتنمية

إفريقيا

بما أن الجزائر آنذاك -جويلية 1999م- كانت تتأسس منظمة الوحدة الإفريقية فإنها كانت تدرك الدور الذي تتقمصه وقامت بمحاولة إعداد خطة تنموية في إفريقيا وفق المعطيات الجديدة، وفق هذا الاتجاه جاءت مبادرة الرئيس جنوب إفريقيا "تابو مبيكي" بمساعدة الرئيس الجزائري "عبد العزيز بوتفليقة" والرئيس النيجيري "أبو سانجو" لإعداد خطة تنموية في القارة عرفت باسم "برنامج الألفية الجديدة لإنعاش إفريقيا" The Millennium Partnership for Africa's Recovery (MAP). تلت بعدها مبادرة أخرى قدمت من طرف الرئيس السنغالي عبد الله واد عام 2001م "مخطط أوميغا OMEGA Plan" الذي ضمن رؤيته للنهضة الإفريقية، نظرا لتشابه المقاربتان تم إدماجهما ضمن مخطط جديد أطلق عليه (المبادرة الجديدة من أجل إفريقيا) التي أثمرت في النهاية إلى "الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا" New partnership for Africa Development (NEPAD)، تم تبنيها من قبل القمة الإفريقية في مارس 2001م¹.

إذن ساهمت الجزائر في تأسيس مبادرة "النيباد" رفقة دول إفريقية أخرى سنة 2001م وهي مقاربة للتنمية الشاملة ومتكاملة الأبعاد في إفريقيا عامة ودول الساحل خاصة مالي والنيجر وتشاد وبوركينا فاسو وموريتانيا، الذي يعتبر استقرارها مهما للأمن القومي الجزائري، كما سعت الجزائر من خلال إطلاق مشاريع كبرى واتفاقيات ثنائية لمساعدة دول الساحل الإفريقي محاولة منها لإخراج شعوبها من دائرة التخلف والفقر والتهميش².

¹ عز الدين عبد السلام، "مبادرة الشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا NEPAD"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 24، ع 01، أفريل 2009، ص 207

² بن ملوكة خيراني، طيبي عيسى، "المقاربة التنموية للجزائر في إفريقيا ودول الساحل"، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، مج 13، ع 02، ديسمبر 2022، ص 265

النيباد مبادرة تعاون وشراكة استراتيجية لإعادة هيكلة إفريقيا وتخليصها من التخلف وتعزيز التنمية المستقلة والنهوض بالاقتصاد والاستثمار في الشعوب الإفريقية ومواجهة التحديات الحالية، من هنا فوضت منظمة الوحدة الإفريقية O.A.U خلال الاجتماع الـ 37 لها بزامبيا في جويلية 2001م، رؤساء الدول الخمس المؤسسة: الجزائر، مصر، السنغال، نيجيريا وجنوب إفريقيا، بتصميم هيكل متكامل للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في القارة، تم اعتماده من قبل الحكومات الإفريقية بنفس العام وتم عرضه والموافقة عليه أمام منظمة الأمم المتحدة في 16 سبتمبر 2001م¹.

ولعل أهمية هاته الشراكة الجديدة تكمن في أنها تضمنت عدة قطاعات تعتبر من الأولويات الأساسية في التنمية، كقطاع الزراعة، التعليم، الصحة، التكنولوجيا، البنية التحتية، البيئة، الاتصالات، الأمن والاستثمارات، فقد ركزت المبادرة هدفها على القيام بما لم تستطع المبادرات السابقة عمله، بحيث تم تقسيم المهام بين الدول المؤسسة للنيباد وفقا لمبدأ التخصص لضمان السرعة التنفيذية لمختلف البرامج والسياسات، حيث تتولى دولة السنغال بملفات البنية التحتية والبيئة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، في حين تولت مصر ملفات الزراعة والتجارة والنقل، أما نيجيريا فتتولى ملف التكامل الاقتصادي، أما جنوب إفريقيا فتتولى ملف حل النزاعات، ومن جهة الجزائر فمهمتها في هذه الشراكة التركيز على ملف التنمية البشرية (التعليم والصحة) الذي يحتوي على برامج بناء القدرات لخلق كوادر وطنية قادرة على نهوض الدول الإفريقية بمسؤولياتها في تحقيق التنمية السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وقد أبدت العديد من الدول والمؤسسات المانحة اهتماما عاليا بدعم البرامج الخاصة بهذا القطاع خاصة في ظل الاتصالات المكثفة التي قامت بها الجزائر لجلب اهتمام الشركاء².

¹ حاج محمد فضيلة، التهديدات الأمنية في الساحل الافريقي وتأثيرها على الامن الوطني الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص 380

² دالع وهيبه، "المقاربة التنموية للجزائر في منطقة الساحل الافريقي -النيباد كآلية للتنمية الشاملة"، دراسات استراتيجية، مج 09، ع 18، جانفي 2013. ص 50.

ومن أجل بقاء وإنجاح الشراكة ساهمت الجزائر في إنشاء "الآلية الإفريقية لمراجعة النظراء" (African peer Review Forum) التي تم اعتمادها في قمة الجزائر المنعقدة في 23 نوفمبر 2004م، تعد هذه الآلية من أبرز الأجهزة الرئيسية للشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا ومهمتها مراجعة وتقييم مدى التزام الدول الأعضاء بالمعايير الخاصة بالحكم الجيد، الإدارة الاقتصادية وإدارة المشاريع، حيث بموجب هذه الآلية تسمح الدول المنظمة إليها بزيارتها، كتابة تقارير حول ما يجري فيها، أوضاع النظم البرلمانية والديمقراطية، حقوق الإنسان، الحكم الرشيد وحرية الصحافة، والغاية الأسمى للآلية هي مساعدة الدولة التي تخضع لعملية المراجعة على تحسين أدائها التنموي في عملية صنع القرارات واختيار أفضل الوسائل مع الالتزامات بالمعايير المتعارف عليها¹.

تهدف الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا إلى تحقيق التنمية المستدامة من خلال وضع مجموعة من الشروط تتمثل في خمس مبادرات هي: مبادرة السلام والأمن، مبادرة الديمقراطية والإدارة السياسية، مبادرة الإدارة الاقتصادية وإدارة المنشآت، مبادرة تثمين الموارد البشرية، مبادرة البيئة².

والجزائر من خلال تمسكها بمبادرة النيباد تهدف إلى بعث المشاريع التنموية في إفريقيا، بناء مقاربة تنموية للقضاء على الإرهاب والجريمة المنظمة وكل أشكال عدم الاستقرار، على هذا الأساس عملت على تأسيس علاقات تبادل اقتصادي مع دول الساحل الإفريقي بدءا بوضع إطار للتعاون الجهوي سمي بندوة التعاون الصحراوي بهدف ترقية التعاون متعدد الأطراف مع دول الساحل الإفريقي، بالإضافة إلى وضع استراتيجية للبحث عن حلول للمشاكل السياسية والاقتصادية³.

¹ زهاري زواويد، مينة مفاتيح، "المشاريع الاستثمارية الجزائرية الواعدة في ظل الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا "نيباد": تحديات الحاضر ورؤى المستقبل"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج09، ع05، اوت 2020، ص24

² دالغ وهيبية، "المقاربة التنموية للجزائر في منطقة الساحل الإفريقي - النيباد كآلية للتنمية الشاملة"، مرجع سبق ذكره، ص52

³ نفس المرجع، ص53

في هذا السياق عملت الجزائر في منطقة الساحل الإفريقي على تجسيد المشاريع الاقتصادية الكبرى دون إهمال السياسة منها في إطار هذا البرنامج الإفريقي الطموح، من أجل بلوغ الألفية للتنمية على المستوى الوطني والقاري والعالمي، وقد أهّل الموقع الجيو-استراتيجي الذي تحتله الجزائر للعب دور محوري في منطقة الساحل الإفريقي، وسعيا منها لخلق فرص للتنمية على مستوى الساحل والقارة الإفريقية جعلت الدبلوماسية الجزائرية من مشروع الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا شغلها الشاغل من أجل إشراك إفريقيا في المشاريع الدولية الكبرى¹.

الفرع الثاني: أهم المشاريع ضمن الشراكات الاستراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي

أدركت الجزائر مؤخرا أن الرهان الاقتصادي على إفريقيا رابح على المدى المتوسط والبعيد، فالقارة مرشحة لأن تتحول إلى إحدى أكبر الأسواق العالمية -أزيد من ملياري نسمة في أفق 2050م-، لهذا أضحت استراتيجية التعاون الاقتصادي (جنوب-جنوب) تحظى بالأولوية في الأجندة الاقتصادية الجزائرية. لأجل هذا التوجه كانت الجزائر قد وضعت اللبنة الأساسية لتعزيز موقعها الاستثماري والدبلوماسي في دائرتها الإفريقية، وهذا من خلال المشاريع التالية²:

1. **الطريق العابر للصحراء:** وهو مشروع يعود تاريخه إلى عام 1964م، يعد أحد المشاريع العملاقة التي سطعت خلال فترة اتسمت بنزعات التحرر الجماعي من بقايا الاستعمار والنفوذ الأوروبي في القارة، يوشك المشروع العملاق والممتد على أكثر من 9500 كلم على الانتهاء. حتى الآن استكمل المشروع مراحل في الجزائر وتونس والنيجر ونيجيريا، بينما تسير الأشغال بشكل متعثر في مالي وتشاد لأسباب مالية وأخرى أمنية؛

¹ حاج محمد فضيلة، التهديدات الأمنية في الساحل الافريقي وتأثيرها على الامن الوطني الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص382

² لزهاري زواويد، يمينة مفتاح، "المشاريع الاستثمارية الجزائرية الواعدة في ظل الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا "نيباد": تحديات الحاضر وروى المستقبل"، مرجع سبق ذكره، ص.ص، 32.29

الشكل رقم (25): خريطة الطريق العابر للصحراء



Source: UNCTAD, *The Trans-Saharan Road Corridor*. Switzerland: United Nations Conference on Trade and Development, 2020, p01

2. مشروع أنبوب الغاز العابر للصحراء "نيغال-NIGAL": يهدف إلى ضخ 30 مليار متر مكعب

من الغاز حين الانتهاء من إنجازه في 2027، وهو مشروع أنابيب غاز يربط القارتين الإفريقية والأوروبية منطلقا من جنوب نيجيريا مرورا بالنيجر ثم الجزائر¹. يعد المشروع النيجيري-الجزائري لأنبوب الغاز العابر للصحراء من أهم المشاريع المهيكلة في قطاع الطاقة بإفريقيا، شرع في تجسيده بعد التوقيع على مذكرة تفاهم بين سونطراك و"الشركة الوطنية النيجيرية للنفط" في جانفي 2002، ثم تطور المشروع مع التوقيع في 2005م مع مجموعة "بانسبان" للقيام بدراسة جدوى وافرة، ومن المقرر أن يعبر هذا المشروع على مسافة 4128 كلم: نيجيريا (1037 كلم) والنيجر (841 كلم) ثم الجزائر (2130 كلم)، حيث يسمح بنقل 20 إلى 30 مليون متر مكعب سنويا نحو أوروبا، تقدر

¹ ماجيد صراح، "هذه مشاريع الجزائر الكبرى الـ 5 في إفريقيا"، الشروق، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/TNYrq> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/16)

تكلفته بأكثر من 10 مليارات دولار، مع إضافة إليها 3 مليارات دولار لبناء البنية التحتية المخصصة لتمكين جمع الغاز في نيجيريا. وفي جوان 2009، وقعت حكومات الجزائر والنيجر ونيجيريا اتفاقية تهدف إلى بناء خط أنابيب الغاز بحلول عام 2015م¹. لكن ظل مشروع الغاز الجزائري النيجري رهين التمويل بالنظر لتكلفته العالية التي قاربت 20 مليار دولار حسب التقديرات لضخ 30 مليار متر مكعب من الغاز، وهي قيمة لا يمكن أن تضمنها الدولتان الرئيسيتان الجزائر ونيجيريا بمفردهما².

الشكل رقم (26): خريطة مشروع أنبوب الغاز العابر للصحراء "نيغال-NIGAL"



Source: ALGÉRIE PRESSE SERVICE, " Le Nigeria entame la construction d'un gazoduc pour transporter du gaz vers l'Algérie", 23 Septembre 2021, on cite: <https://www.aps.dz/economie/127818-le-nigeria-entame-la-construction-d-un-gazoduc-pour-transporter-du-gaz-vers-l-algerie>

¹ Henri Plagnol ; François Loncle, " La situation sécuritaire dans les pays de la zone sahélienne", Assemblée nationale France (CAE), N4431, 6 mars 2012, p19. on cite: <https://www.assemblee-nationale.fr/13/pdf/rap-info/i4431.pdf> (date of visit: 11.09.2023)

² لزهاري زواويد، يمينة مفاتيح، "المشاريع الاستثمارية الجزائرية الواعدة في ظل الشراكة الجديدة من أجل تنمية افريقيا "نيبال": تحديات الحاضر ورؤى المستقبل"، مرجع سبق ذكره، ص31

3. مشروع شبكة ألياف بصرية من الجزائر إلى دول الساحل الإفريقي: وقعت كل من الجزائر والنيجر ونيجيريا على "إعلان الجزائر" المتضمن إنجاز كابل للألياف البصرية يمتد على محور الجزائر - زيندر - أبوجا، حيث جاء هذا المشروع الذي يندرج ضمن الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا (النيباد) ليلتبي حاجة إفريقيا إلى تكثيف شبكاتها الاتصالية ذات النطاق الواسع، إذ يمتد خط الجزائر - أبوجا على طول إجمالي يقدر بـ 4500 كلم حيث تستحوذ الجزائر على 2200 كلم منها، بينما سيكون نصيب النيجر 900 كلم أما نيجيريا فسيمسها على طول 800 كلم¹.

الفرع الثالث: الشراكات الإستراتيجية الثنائية أبرز مخرجات المقاربة التنموية الجزائرية في الساحل الإفريقي

قامت الجزائر في إطار تفعيل الآليات التنموية بمنطقة الساحل الإفريقي إلى تبني استراتيجية التعاون الثنائي حيث عملت على بعث النشاط التنموي ورفع حجم التبادل التجاري وتشجيع الاستثمار في دول الساحل الإفريقي والدول المجاورة لها، نذكر منها²:

❖ دولة مالي: قدمت الجزائر في إطار معالجة مشكلة التنمية في شمال مالي بمنح هبة بقيمة 10 ملايين دولار إلى الحكومة المالية، موجهة لتمويل مشاريع تنموية لفائدة مناطق شمال مالي غاو كيدال وتمبكتو في سنة 2010. أتت هذه المساعدة تجسيدا للقرارات المتخذة خلال أشغال اللجنة الثنائية الحدودية الجزائرية المالية التي عقدت في جوان 2009م ببماكو التي توجت بالمصادقة على عدة مشاريع جوارية، حيث يتعلق الأمر ببناء وتجهيز ثلاثة مراكز للتكوين المهني، مراكز للمساعدة الاجتماعية، حفر آبار المياه في كل محافظة من شمال مالي وتشبيد مراكز للعلاج

¹ أسماء رسولي، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مرجع سبق ذكره، ص 204

² بن ملوكة خيراني، طيبي عيسى، " المقاربة التنموية للجزائر في إفريقيا ودول الساحل"، مرجع سبق ذكره، ص، 271

(عيادتان طبية)، وخلال زيارة الرئيس المالي السابق "أمدو توري" إلى الجزائر في 28 أكتوبر 2011م اعتبر أن علاقات بلاده بالجزائر جد هامة خاصة بعد مساهمة الجزائر في تنمية شمال مالي، خصوصا في قطاعي التربية والصحة وتربية المواشي وكذا مجالات الصناعة والميكانيك والبنائيات التحتية. وقد أبرمت الجزائر مع مالي خمس اتفاقيات بتاريخ 2011/09/11م تخص تطوير تكنولوجيا المعلومات، السياحة، الصناعة، الطاقة والمناجم، التضامن والأشغال العمومية؛

❖ **دولة تشاد:** تم إبرام مذكرتي تفاهم بين الجزائر وتشاد بتاريخ 2014/03/18م، تشمل المذكرة الأولى تفاهم بين الوكالة الوطنية لترقية التجارة الخارجية الجزائرية والوكالة الوطنية للاستثمار والتصدير التشادية، أما المذكرة الثانية فتتعلق بالتعاون الثنائي في قطاع الفلاحة والتنمية الريفية؛

❖ **دولة النيجر:** أبرمت الجزائر مذكرة تفاهم مع النيجر بتاريخ 2011/11/20م، تخص تطوير الصناعة التقليدية، السياحة، البريد، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال. كما قدمت الجزائر عام 2010م حوالي عشرة ملايين دولار في شكل مساعدات لكل من النيجر وتشاد، كما لا تزال تبذل جهودا معتبرة للتكفل باللاجئين بالتنسيق مع مختلف الهيئات الدولية؛¹

❖ **دولة موريتانيا:** يرجع التعاون بين الجزائر وموريتانيا إلى السنوات الأولى لاستقلال البلدين، فيلاحظ اهتمام الجزائر العميق بجارتها موريتانيا سياسيا واقتصاديا، إذ عمقت معها مشاريع التعاون والمساعدات في مختلف المجالات خاصة الحيوية منها، ففي عام 1966م تم التوقيع على مذكرة تفاهم على الرغم أنه كان مقتصرًا على عدد قليل من الأنشطة في مختلف القطاعات الثقافية والصحية والبريدية والجوية، ومنذ عام 1970 أصبح التعاون أكثر إتساعًا وانتظامًا مع إنشاء لجنة مشتركة دائمة وتوقيع اتفاقيات جديدة في المجالات الاقتصادية والعلمية والثقافية والتقنية. وفي عام 1973 لاحظنا وجود ما بين 150 إلى 200 طالب موريتاني في الجزائر ووجود العديد من

¹ نفس المرجع

المتعاونين الجزائريين في موريتانيا خاصة في مجال التعليم، الإدارة وخدمات. كما قامت الجزائر بتمويل بناء مستشفياتين مزودتين بالأطباء وأنشأت مركزا صحيا. وفي عام 1971 عرضت أيضا على الجيش الموريتاني 300 مليون فرنك إفريقي في شكل معدات عسكرية¹.
 أما على الصعيد التجاري فقد وقع البلدان اتفاقية تجارية وتعريفية عام 1972 التزما بموجبها بتطوير تجارتها، حيث تستورد الجزائر الحديد وموريتانيا الأقمشة والفواكه. وفي نفس السنة قدمت الجزائر دعما كبيرا وحاسما للاستقلال النقدي لموريتانيا من خلال مساعدتها في إنتاج عملتها الوطنية الجديدة "الأوقية-Ouguiya"، من خلال ضمان فتح حساب مصرفي وقرض بالعملة الأجنبية بقيمة 3 مليارات فرنك أفريقي مع تدريب مديري البنك الموريتاني². وفي عام 1987 تم إقرار إتفاقية تعاون في مجال الصيد البحري بين الحكومتين³.

ومع العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين تم توقيع على مجموعة من الاتفاقيات بين الجزائر وموريتانيا، إذ تم منح عقود التنقيب والاستكشاف النفطي في موريتانيا لشركة سونطراك الجزائرية، وتشهد العلاقات الجزائرية الموريتانية في السنوات الأخيرة تقدما ملحوظا في ظل بروز المخاطر الأمنية بمنطقة الساحل الإفريقي، وفي أعقاب فتح أول معبر حدودي بري بينهما صيف 2018 بهدف زيادة التبادل التجاري وتنقل الأشخاص وتعزيز التعاون على عدة مجالات سياسية واقتصادية وأمنية، قد يؤسس لشراكة جديدة للجزائر على حدودها الغربية ضمن استراتيجيتها الجديدة الهادفة لاستعادة ثقلها الإفريقي. بذلك وسّعت الجزائر مجالات تعاونها مع نواكشوط من خلال اللجنة الكبرى المشتركة الجزائرية-الموريتانية للتعاون⁴، وقعت هاته الأخيرة في أشغال دورتها التاسعة عشر خلال

¹ Jean-Claude Santucci, **La Mauritanie dans les relations inter-Maghrebines**. France : Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman, 1979, p. 367

² Op, cit, p368

³ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، العدد19، 26 ماي 1987م.

⁴ عبد الحفيظ سجال، " العلاقات الجزائرية الموريتانية: شراكة استراتيجية تتعدى التنافس مع المغرب"، نون بوست، 2022/09/15، متاح على الرابط: <https://www.noonpost.com/45201> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/16)

سبتمبر 2022م على 26 اتفاقية تشمل قطاعات عدة، حيث تبادل وزراء البلدين على توقيع هذه الاتفاقيات ومذكرات التفاهم والبرامج التنفيذية في قصر المؤتمرات القديم بنواكشوط تحت إشراف الوزيرين الأولين في البلدين¹، بعد عام تم بنواكشوط تدشين "بنك الإتحاد الجزائري" في 20 سبتمبر 2023م برأس مال قدره 50 مليون دولار، وهو أول بنك جزائري يفتتح بالخارج في خطوة تكتسي طابعا جيو-استراتيجيا بالنسبة للدولة الجزائرية على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، تجسد رؤية الدولة الرامية إلى تسهيل الاستثمار والمبادلات التجارية بين الجزائر ودول منطقة الساحل الإفريقي².

❖ كما تم **بدولة السنغال** افتتاح "البنك الجزائري السنغالي" يوم 21 سبتمبر 2023م الذي بدوره يكرس إرادة الجزائر في إعطاء "عمق أكبر" للعلاقات الاقتصادية بين الدولتين، وقد أكد الناطق الرسمي للحكومة السنغالية "عبدو كريم فوفانا" وزير التجارة والاستهلاك والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة الذي حضر حفل الافتتاح بإنشاء هذا البنك الجديد، معتبرا هذه المؤسسة المالية بـ"المبادرة القوية" من السلطات الجزائرية بهدف تثمين تجربتها الاقتصادية والبنكية في القارة الإفريقية.

كما نوه الوزير السنغالي أن "هذا المسعى يسهم في تقريب اقتصادينا وتعزيز العلاقات بين شعبينا"، مضيفا أن هذا البنك سيساعد على تدعيم التعاون جنوب-جنوب وسيبرسي دعائم شراكة ذات فائدة متبادلة بين البلدين.

وذكر السيد "فوفانا" أيضا "بالتزام الشعب الجزائري عبر التاريخ من أجل تعزيز السيادة الاقتصادية والتنمية الشاملة للقارة الإفريقية"، وتابع ذات المسؤول السنغالي أن "هذه المبادرة ستلبي طلبا كبيرا لقطاعينا الخاصين، بما أن البلدان الإفريقية يحدها أمل كبير في تطوير المبادلات البينية القارية

¹ وكالة الانباء الجزائرية، "الجزائر-موريتانيا: 26 اتفاقية تنوع الدورة الـ19 للجنة المشتركة"، 2022/09/14، المقال متاح على الرابط:

<https://www.aps.dz/ar/algerie/131487-26-19> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/16)

² وكالة الانباء الجزائرية، تدشين "بنك الإتحاد الجزائري" بموريتانيا، أول بنك جزائري بالخارج"، 20 سبتمبر 2023، مقال متاح على الرابط:

<https://www.aps.dz/ar/economie/148958-2023-09-20-10-44-43> تاريخ الاطلاع: 2023/09/25

عبر منطقة التجارة الحرة للقارة الإفريقية"، مضيفاً أن البنك الجزائري السنغالي (ABS) سيلعب دوراً هاماً في هذا الإطار، ويقدر رأس المال الاجتماعي للبنك الجزائري السنغالي بـ 100 مليون دولار¹.

وبشكل عام، من أهم المبادرات التي قامت بها الجزائر في إطار تحقيق التنمية في دول الساحل الإفريقي هو إلغاؤها لديون أبرز دول المنطقة، ففي عام 2013 قررت الحكومة الجزائرية إلغاء ديون بقيمة 902 مليون دولار لـ 14 دولة إفريقية من بينها بوركينا فاسو، النيجر، مالي، موريتانيا والسنغال، وتعتبر موريتانيا أكبر مستفيد من قرار الحكومة الجزائرية حيث استقادت لوحدها من إسقاط ديون بلغت 250 مليون دولار². هذا فضلاً عن المساعدات الإنسانية العديدة الموجهة إلى الدول المتضررة من النزاعات الداخلية والكوارث الطبيعية كليبيا والصحراء الغربية وغيرها.

■ مقاربة الجزائر عبر الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية في بُعدها الإفريقي:

في إطار سعيها المتواصل لإعادة بعث الدور الدبلوماسي التنموي والاقتصادي أنشأت الدولة خلال مشاركتها في قمة الإتحاد الإفريقي بأديس أبابا (إثيوبيا) في 09 فيفري 2020م وكالة متخصصة بالتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية، جاءت هذه المبادرة للتركيز على البعد الاقتصادي والتنمية تجاه إفريقيا ومنطقة الساحل الإفريقي، وأوضح المرسوم الرئاسي رقم 42-20 المؤرخ في 11 فيفري 2020م في مادته الثانية بأنها: "مؤسسة عمومية ذات طابع خاص، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، توضع

¹ وكالة الأنباء الجزائرية، "الجزائر-السنغال: البنك الجزائري السنغالي" يكرس الإرادة في تعزيز العلاقات الاقتصادية الثنائية"، 21 سبتمبر 2023م، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/economie/149038-2023-09-21-15-42-05> تاريخ الاطلاع، 2023/09/25

² أسماء رسولي، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مرجع سبق ذكره، ص 207

تحت تصرف رئاسة الجمهورية، وفي إطار ممارسة مهامها يمكن للوكالة أن تتوفر على من يمثلها في الخارج، مقاما طبقا للتشريع والتنظيم المعمول بهما، ويحدد مقر الوكالة بمدينة الجزائر¹

وحددت المادة 04 من المرسوم التنفيذي رقم 20-42 مهام وصلاحيات الوكالة، موضحة فيما يلي²:

- المشاركة في إعداد وتنفيذ السياسة الوطنية للتعاون الدولي في المجال الاقتصادي والاجتماعي والإنساني والثقافي والديني والتربوي والعلمي والتقني؛
- المساهمة في تحضير مشروع ميزانية التعاون الدولي وضمان تنفيذها؛
- تقديم المساعدة لعمل الجهاز الدبلوماسي والوزارات المعنية من أجل التعبئة المثلى للمساعدة التقنية والمالية الخارجية في خدمة التنمية الوطنية؛
- ضمان متابعة التسيير التقني والمالي لمشاريع المساعدة والتعاون الدولي لصالح بلدان أخرى؛
- تنسيق تنفيذ سياسة تكوين الأجانب في الجزائر وتكوين الجزائريين في الخارج، وذلك بالاتصال مع الدوائر الوزارية المعنية؛
- ترقية توظيف الكفاءات الوطنية في الخارج في إطار التعاون الدولي وضمان متابعة ذلك؛
- تنظيم دورات التكوين، لاسيما في مجال تسيير مشاريع التعاون الدولي؛
- المساهمة في ترقية العمل الإنساني والتضامن لفائدة بلدان أخرى؛
- إعداد وإقامة علاقات مع المجموعة العلمية ورجال الأعمال الجزائريين المقيمين بالخارج؛
- إعداد وتطوير علاقات التعاون مع الهيئات الأجنبية المماثلة؛

¹ مرسوم رئاسي رقم 20-42 يتضمن إنشاء الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن كالتنمية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد، 07، 12 فبراير، 2020 ص، ص. 6، 7

² نفس المرجع، ص 07

- إنجاز دراسات اليقظة الاستراتيجية والاستكشاف وكذا كل التحاليل التي تساعد على فعالية السياسة في مجال التعاون الدولي؛
- وضع بنك معطيات حول التعاون الدولي والعمل الإنساني.
- يمكن أن تساهم الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية من خلال تأطير وتنظيم المساعدات وحملات التضامن الإنسانية التي تقدمها الدولة الجزائرية لمختلف الدول الإفريقية في تعزيز قوة الجزائر الناعمة، الأمر الذي ينعكس إيجابا على الصورة الذهنية لدى الدول الإفريقية خاصة المنتمية لمنطقة الساحل الإفريقي، هذا ما يشكّل عامل جذب وقبول يمهد الطريق نحو مختلف الاستثمارات الجزائرية العمومية والخاصة في دول المنطقة¹.

■ المقاربة الاقتصادية الجزائرية ذات البعد التكاملي في إطار منطقة التجارة الحرة

تسعى المقاربة الاقتصادية للدبلوماسية الجزائرية من خلال منظمة التجارة الحرة للانخراط في المشاريع التكاملية الاقتصادية على المستوى القارة الإفريقية، إضافة إطار تكاملي للتجارة البينية بينها وبين دول الساحل الإفريقي من خلال الأهداف العامة لمنظمة التجارة الحرة القارية الإفريقية. وتعد هذه المنظمة مبادرة رائدة في أجندة الإتحاد الإفريقي لسنة 2063م، إذ تهدف إلى تسريع نمو التجارة بين البلدان الإفريقية على نطاق واسع واستخدامها بشكل أكثر فعالية كمحرك للنمو والتنمية المستدامة من خلال مضاعفة التجارة البينية الإفريقية.

وقد شرعت الجزائر بشكل رسمي في إجراءات التصديق على هاته الاتفاقية بتاريخ 28 فيفري 2020م، وأصدرت في نفس السياق بتاريخ 29 ديسمبر 2020 قانونا متعلقا بالتصديق على الاتفاقية

¹ عينوش أسامة، "الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية: قراءة في مقومات تفعيل دبلوماسية الجزائر الاقتصادية في افريقيا"، مجلة الباحث الأكاديمي في العلوم القانونية والسياسية، مج4، ع02، سبتمبر 2021، ص46

المنشئة لهذه المنطقة الحرة¹، وقد بدأ التداول رسميا بموجب الاتفاقية في 01 جانفي 2021م وكان من المقرر أن تبدأ قبل ذلك في 01 جويلية 2020م لكنها تأخرت بسبب جائحة كورونا COVID19، وإلى غاية 02 فيفري 2021م وقعت 54 دولة عضو على الاتفاقية، حيث أودعت 36 دولة وثائق تصديقها وقدمت 41 دولة عضوا وإتحاد جمركي عروضها التعريفية الخاصة بها بما في ذلك المجموعة الاقتصادية لغرب إفريقيا (ECOWAS)².

يبرز جليا من خلال هذا التوجه أن الجزائر تهدف لتعزيز نطاق التجارة الإفريقية البينية عبر خلق فضاءات حرة لتتنقل السلع والخدمات، هذا ما يجعل إنشاء سوق إفريقية موحدة أمرا بالغ الأهمية وخيارا إستراتيجيا يحقق قيمة مضافة للاقتصاد الجزائري على المدى المتوسط والبعيد، وهو ما تسعى إليه الجزائر في إطار الرؤية الاستراتيجية الجديدة في سبيل تحديث النشاط الدبلوماسي ذو الطابع البرغماتي الذي يتناسب ومبادئ السياسة الخارجية الجزائرية.

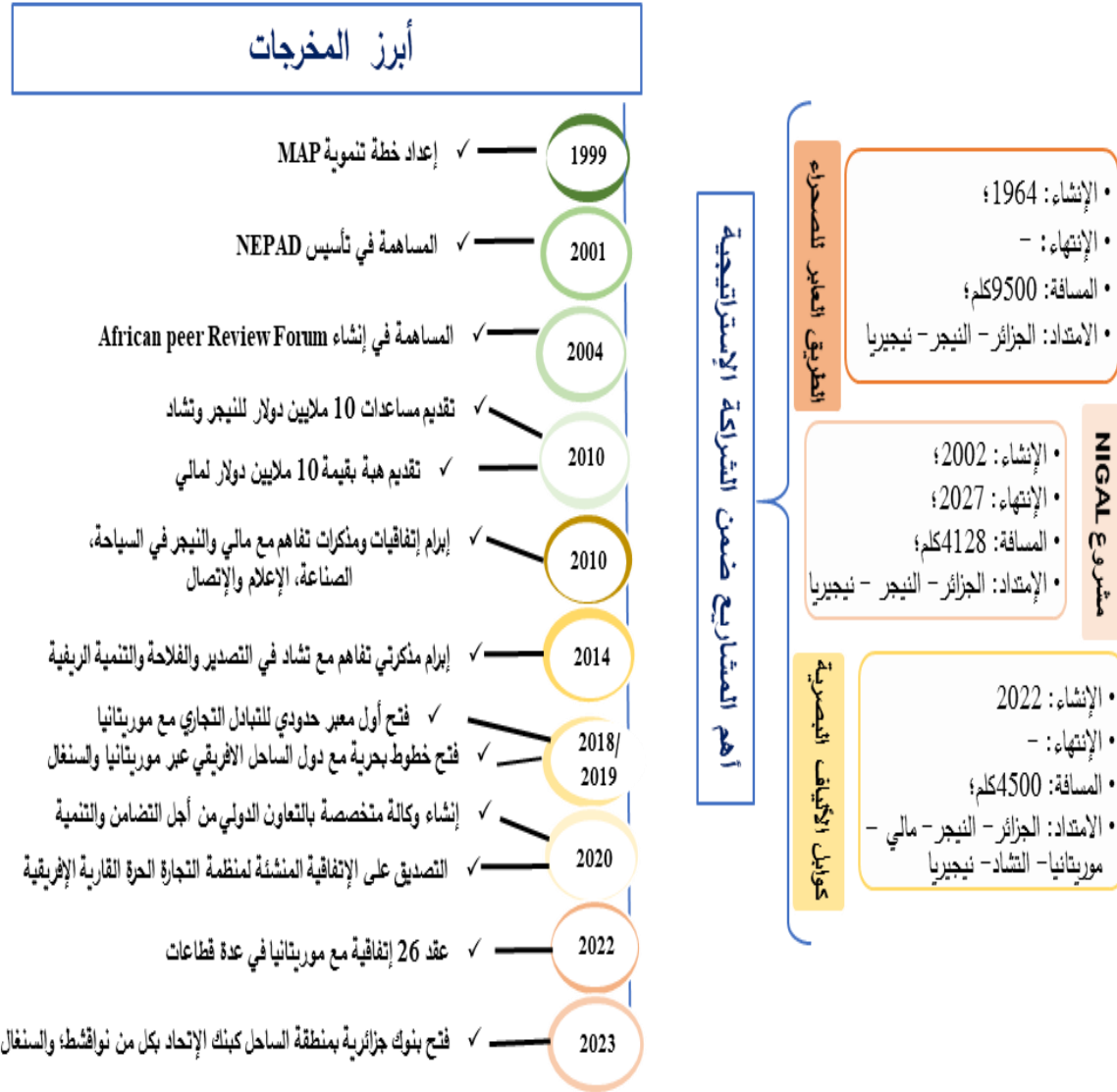
¹ لعراب جمال، بن الشيخ توفيق، " دور الدبلوماسية التجارية في تعزيز جاذبية الاقتصاد الجزائري في إطار منطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية"، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، مج 10، ع01، جانفي 2023، ص223

² قرّة فارس، لموشي طلال، " التوجه الجديد للدبلوماسية الاقتصادية الجزائرية نحو منطقة التجارة الحرة الإفريقية: الحوافز والرهانات"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج12، ع01، جانفي 2023، ص52

وخلال الشكل الموالي يبرز أهم مخرجات المقاربة التنموية الجزائرية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي

مع عرض أبرز المشاريع المنضوية تحت الشراكة الاستراتيجية بين المنطقتين:

مقاربة الجزائر التنموية الاقتصادية لدول الساحل الإفريقي



المصدر: من إعداد الباحث

إلى جانب ما تناولناه في إطار المقاربة التنموية الاقتصادية لدول الساحل الإفريقي التي انتهجتها

الدولة الجزائرية بغية إيجاد حلول للمشكلات الأمنية التي تعاني منها المنطقة، اعتمدت الجزائر مقاربة أخرى

تسعى إلى تحقيق نفس الهدف وخاصة مواجهة التطرف والفكر التكفيري بدول المنطقة، وذلك من خلال البعد الديني وتأثير المرجعيات الدينية الجزائرية على المنطقة، كما تسعى من خلال تنشيط دبلوماسيتها الثقافية والدينية إلى تنمية شراكاتها الاستراتيجية وبناء قواعد قوتها الناعمة، وهو الأمر الذي سنعالجه في المبحث الآتي.

المبحث الثاني: الدبلوماسية الدينية والثقافية الجزائرية كمصدر للقوة الناعمة الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي

يرتبط الحديث عن الدبلوماسية الدينية والثقافية اليوم بمقاربة القوة الناعمة في العلاقات الدولية، باعتبار البعد الديني والثقافي أبرز الركائز الأساسية ذات التأثير الفعال في التفاعلات الدولية، والجزائر من خلال تراثها الثقافي والديني تزخر بمقومات هائلة ضاربة في القدم، وللتعمق أكثر سنتناول في هذا المبحث مسار تطور الدبلوماسية الدينية والثقافية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي وأبرز إنجازاتها.

المطلب الأول: مسار الدبلوماسية الدينية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي

تعتبر الدبلوماسية الدينية "الروحية" أسلوب جديد للتأثير على صناع القرار وتشكيل السياسة الخارجية لتحقيق سلام ديني عالمي مشترك، يدعمه ويطرحة أنصار الأديان السماوية وملتزمي القرار عالميا لتحقيق التنمية المستدامة محليا ودوليا¹.

كما صُنفت بأنها "أحد المسارات الدبلوماسية لحل النزاعات ذات البعد الديني، فهي تبغى صنع السلام بواسطة الإيمان والعمل الديني المنبثق من القواعد الأخلاقية والروحية للديانات المختلفة"². وعُرفت أيضا على أنها "مسار من مسارات التفاوض تستهدف حل النزاع أو منع حدوثه من أجل بناء سلام ديني عالمي، يتم عبر الجمع بين القادة الروحيين والسياسيين داخل آلية مسار المفاوضات للتباحث حول القضايا الحساسة بهدف التوصل إلى حل سلمي متفق عليه عالميا من قبل أطراف الخارطة السياسية"³.

¹ هبة جمال الدين، "الدبلوماسية الروحية كمسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصنع القرار"، مجلة مستقبل التربية العربية، مج 26، ع 116، جانفي 2019، ص 16

² عبد العزيز الزربية، "الدبلوماسية الدينية كآلية لحل الصراعات السياسية بين الدول والجماعات"، مجلة اتجاهات سياسية، ع 16، سبتمبر 2021، ص 157

³ هبة جمال الدين، "الدبلوماسية الروحية كمسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصنع القرار"، مرجع سبق ذكره، ص 38

كما حُددت في كونها "تلك الاتصالات والتفاعلات بين الكيانات السياسية المعاصرة، أي الدول وغيرها من الفاعلين الدوليين على المسرح الدولي من خلال مشايخ الطرق الصوفية"¹.

ويجب الإشارة إلى أن الدبلوماسية الدينية غير مرتبطة بالدين الإسلامي لأن الدين هو لفظ عام غير مقتصر على الإسلام فقط، ففي ظل الانفتاح العالمي تحاول معظم الدول والمجتمعات حسب مرجعيتها الدينية والعقائدية فتح الآفاق أمام الدبلوماسية الدينية.

الفرع الأول: أهمية التكامل الديني - الدبلوماسي

يسعى رجال الدولة إلى تطبيق السياسة الخارجية لمعالجة القضايا ذات الارتباط مع الدول المجاورة بالطريقة التي ستعود بالمنفعة على الوطن، حيث يتم تحديد الفرص التي تخلقها السياسة التعاونية مع هذه الدول والمخاطر الناجمة عنها واستخدام قوة السلاح إن لزم الأمر، إلا أنه وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001م قررت معظم الحكومات إعادة النظر في سياساتها الخارجية والارتكاز على الهوية والقيم الدينية في سلوكها الدبلوماسي.

إن انخراط رجال الدين وتعاونهم مع الدبلوماسيين وإنشاء فريق عمل أثناء المداولات السياسية يفتح سبلا جديدة لتعزيز سياسات خارجية أكثر إنسانية واحترام مصالح الدولة الذاتية وحمايتها، وتكمن أهمية التكامل الديني الدبلوماسي بغض النظر عن الاختلافات في وجهات النظر بين كلا القطبين فيما يلي²:

✓ ضمان فرص التشاور والتعاون المتبادلين من أجل تعزيز القدرة الوطنية في توجيه القضايا، كما

أنه يمكن للقادة الروحانيين إرساء العلاقات المشتركة بين البلدين؛

¹ هاجر بن العربي، "توظيف الدبلوماسية الدينية في السياسة الخارجية الجزائرية تجاه دول افريقيا"، مجلة آفاق للأبحاث السياسية والقانونية، مج03، ع06، نوفمبر 2020، ص09

² آلن كيسويتز، جون شاين، الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة والانخراط في عالم من الاضطرابات والتغيرات الديناميكية. معهد بروكنجز: منتدى مشروع العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي، 2013، ص.ص، 8-5

- ✓ تمرير الأفكار والرسائل بطريقة غير رسمية إلى الطرف الآخر، مما يوفر للممارسين الدبلوماسيين مبادرات لدراستها وتطبيقها، خلق جسر للاتصالات المباشرة وغير المباشرة مع البلد المجاور أو الصديق وهذا ما تعجز عنه في بعض الأحيان الدبلوماسية التقليدية؛
- ✓ كما أنه يمكن للناشطين الدينيين المساهمة في بناء مجتمع أفضل وتنفيذ مشاريع تطويرية على أرض الواقع، لا تؤثر فقط في الدبلوماسية بل في التطور المجتمعي ككل حيث ترفع من اقتصاد البلد، تحويل طرق التعليم والالتزام أكثر بحقوق الإنسان،.... إلخ؛
- ✓ قدرة القادة الدينيين على عرض مبادرات تسعى إلى استخدام مفاهيم الإيمان كوسيلة لبناء حس انساني مشترك؛
- ✓ يضيف رجال الدين بخبراتهم وتدريباتهم الدينية مجموعة من المفاهيم والآراء على السياسات الدولية إلى المصالح المشتركة التي يركز عليها الدبلوماسيين، وهذا ما يساهم في تقليل العنف والاضطراب وإيجاد حلول للتحديات المعقدة التي تؤثر على الاستقرار والسلام، فالقيم الدينية تشجع على المصالحة والتعايش السلمي واحترام الاختلافات بين الثقافات والدول؛
- ✓ يعتبر رجال الدين جسر عبور في تنفيذ السياسة الخارجية، فتواصل الهيئات الدينية مع الزعماء وخبراء السياسات الدولية في الأزمات وحالات الطوارئ إلى جانب أوقات السلم يعد طرفا فعالا في العملية الدبلوماسية.

الفرع الثاني: مرتكزات الدبلوماسية الدينية الجزائرية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي

انتبهت الجزائر إلى أهمية الدبلوماسية الدينية بمنطقة الساحل الإفريقي في حل النزاعات انطلاقا من تجربتها الداخلية في إطفاء نار الفتنة التي عانتها في العقود الأولى من استقلالها، واستثمرت في التأثير الكبير للعامل الديني من أجل نقل تجربتها إلى الدول الإفريقية التي تعاني من نزاعات داخلية، فاستعانت

بانتشار الطرق الصوفية من أجل تعزيز الروابط القبلية والروحية بين قبائل الصحراء الجزائرية وقبائل دول الجوار لما كان لها من تأثير في لحمة الشعوب ضد المستعمر الفرنسي.

ترتكز الدبلوماسية الدينية الجزائرية على نقل تجربتها باعتبارها نموذجا يُحتذى به لفضّ النزاعات وإخماد الفتن الداخلية على شقين، أحدهما داخلي والآخر خارجي؛

فعلى الصعيد الداخلي: تمثل في تأطير الخطاب الديني في المساجد لتجريد المتطرفين من الغطاء الديني لتمرير أفكارهم الهدامة، واستعادة المرجع الديني الوطني وتدعيمه، من خلال اعتماد قانون يخص المساجد بهدف استعادة المسجد كونه مؤسسة دينية عمومية، ولها تأثير بالغ في المجتمع، لاستئصال الأفكار المتطرفة وردعها، وحماية الأسرة والشباب منها. ووضع دليل وطني لتكوين الأئمة يُحدّد صفات الإمام وواجباته والنشاطات اليومية الواجب عليه القيام بها في سبيل التكوين الجيد. وتكوين المرشحات الدّينيات على غرار تكوين الأئمة، مهمتهن العمل الجوّاري مع العائلات خاصة مع النساء تسهيلا للتواصل¹.

هذا، وفي سبيل تأطير واحتواء الزوايا والطرق الصوفية المنتشرة على أراضيها، سعت الدولة بداية من القرن العشرين إلى تنظيم عمل هاته الطرق والسماح لها بإنشاء جمعيات تمثلهم سنة 2003م وإكسابهم شرعية العمل في ظل الأطر القانونية، وإحاقها فعليا لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف². بالإضافة إلى تكفل الدولة تكاليف تنظيم الملتقيات الدولية الصوفية كملتقى الطريقة القادرية بالرويسات بولاية ورقلة، وملتقى التيجانيين الدولي بالأغواط بالجنوب الشرقي الجزائري، والملتقيات الدولية الدورية التي تقام على أقطاب الصوفية ومجاهديها كالإمام المغيلي رمز نشر الإسلام في إفريقيا، والتي تحظى بحضور جمع غفير من علماء بلدان الساحل الإفريقي وطلبة العلم. بالإضافة إلى فتح المجال لإمام مشايخ وفعاليات الصوفية في

¹ آسيا قبلي، "تعزيز امتداد الجزائر في عمقها الاستراتيجي"، مجلة الشعب، 2022/12/21، مقال متاح على الرابط:

<https://cutt.us/3VZJV> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/25)

² سليم حميداني، سميرة شرايطية، "توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية: العلاقات الجزائرية الأفريقية 1999-2019 نموذجا"، مجلة الراصد

العلمي، مج07، ع02، سبتمبر 2020، ص217

الإعلام الرسمي، كما استحدثت منصب مستشار للرئيس مكلف بالزوايا والجمعيات الدينية، وبعدها اعتمدت على رأس أكبر مرفق ديني بالبلاد "جامع الجزائر" شيخ الطريقة الرحمانية، عميدا برتبة وزير.

إلى جانب ذلك سعت الدولة إلى إنشاء مدرسة وطنية مخصصة للتكوين التحضيري وتأهيل إطارات إدارة الشؤون الدينية والأوقاف، وفتح تخصص جامعي جديد بعنوان "الإمامة والإرشاد الديني". كما فتحت معهدين اثنين في كل من ولاية تمنراست وولاية إيليزي لاستقبال الطلاب من دول الساحل، إضافة إلى إطلاق رابطة العلماء في دول الساحل من أجل إسلام معتدل وسلمي ومتسامح، والتحضير لإنشاء أكاديمية لعلوم الفقه تجمع المذاهب الإسلامية وتصدر الفتاوى، مكوّنة من مختصين في الفقه وأطباء وعلماء اجتماع وحقوقيين، ومشروع إنشاء جمعيات دينية تتكفل بالنشاط الديني داخل المساجد وأماكن العبادة وخارجها، إلى جانب مشروع قيد الدراسة لإنشاء مؤسسة مفتي الجمهورية¹.

أما على الصعيد الخارجي: عمدت الجزائر إلى تكوين واستقطاب الأئمة من مختلف جنسيات دول الساحل الإفريقي في المعاهد الجزائرية، كما اعتمدت مقاربة ترمي إلى مواجهة التطرف والفكر التكفيري بالمنطقة، وذلك من خلال التوعية الدينية حيث عقد اجتماع يوم 2013/01/29 في العاصمة الجزائرية جمع مشايخ وعلماء وأئمة خمس دول من الساحل الإفريقي هي: الجزائر، النيجر، مالي، موريتانيا وبوركينا فاسو، تم الإعلان فيه عن تأسيس "رابطة علماء ودعاة وأئمة الساحل" وظيفتها محاربة الغلو والتطرف الديني والإرهاب بكافة أشكاله ومصادره وإظهار سماحة الإسلام ورحمته ورفع الشبهات التي ألصقت به.²

¹ آسيا قبلي، "تعزيز امتداد الجزائر في عمقها الاستراتيجي"، مرجع سبق ذكره

² أسماء رسولي، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مرجع سبق ذكره، ص 209، 208

- ومنذ تأسيسها عام 2013 سطرت رابطة علماء ودعاة وأئمة الساحل أهدافا تتدرج في إطار المساهمة في مكافحة الإرهاب والتطرف والجريمة المنظمة في المنطقة بوضع تصورات عملية وشاملة ترجمتها التوصيات التي توجت الورشات الـ 14 المنظمة من قبلها إلى غاية الآن. فيما يلي أبرزها:¹
- الورشة الأولى: نظمت في 29 جانفي 2013م بالجزائر العاصمة، خصصت أساسا لإنشاء الرابطة (المصادقة على القوانين الأساسية والنظام الداخلي للرابطة) وشرح والدفاع عن المبادئ والقيم الحقيقية للإسلام، الذي يدين العنف واللا تسامح والتطرف والإرهاب.
- الورشة الثانية: (7 إلى 8 أبريل 2013 بالجزائر العاصمة) توجت بالمصادقة على البيان الختامي الذي حمل عنوان "نداء العلماء" دعا المشاركون من خلاله إلى إصدار فتوى تمنع دفع الغديات.
- الورشة الثالثة: (3 و4 نوفمبر 2015 بالجزائر العاصمة) تناولت موضوع "إفريقيا وتهديد التطرف العنيف"، تم التأكيد خلالها على ضرورة تفعيل دور المرأة في إفريقيا في مجال التوجيه الديني للتصدي للتطرف الديني.
- الورشة الرابعة: (30 و31 مايو 2016 بذاكار) تمحورت حول "قيم المشاركة والسلام في مكافحة التطرف العنيف ببلدان الساحل"، توجت بالتأكيد على أهمية ترسيخ القيم الإسلامية النبيلة الداعية للتسامح.
- الورشة الخامسة: (24 و25 يناير 2017 بنجامينا) حول "دور أئمة دول الساحل في حماية الشباب من الراديكالية والتطرف العنيف"، أوصت بإيلاء علماء الدين اهتماما خاصا بالشباب لتجنيبهم الوقوع في فخ الراديكالية والتطرف.

وقامت الرابطة بالتعاون مع المركز الإفريقي للدراسات والبحث حول الإرهاب، ومقرها في الجزائر، على تطوير برنامج تكويني خاص بأئمة ودعاة وعلماء إفريقيا، بهدف الحد من انتشار الإيديولوجيات

¹ يزير جلول، "الأمن الفكري ودوره في محاربة التطرف ونشر قيم السلم رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل - أمودجا -"، افاق للعلوم، مج07، ع03، جوان 2022، ص534

المتطرفة في منطقة الساحل الإفريقي، ويهدف هذا البرنامج إلى تعزيز الجهود الرامية إلى الحد من انتشار الإيديولوجيات المتطرفة في المنطقة، وكذا مشاركة التجربة الجزائرية في مجال الوقاية من التطرف العنيف والإرهاب مع الأشقاء الأفارقة.¹ وركز ممثل الجزائر في رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل "كمال شكاظ"، خلال الاجتماع، على أهمية أن "يشمل هذا البرنامج كل الفاعلين الدينيين في عموم إفريقيا، بمن فيهم ذوو الديانات والمعتقدات الأخرى من غير المسلمين"، مشيراً إلى أنه "من شأن هذا البرنامج أن يساهم بشكل كبير في مكافحة التهديدات المتطرفة وذلك من خلال الحد من وسائل انتشارها في الكثير من الدول الإفريقية".

كما تم خلال الاجتماع التطرق إلى الجهود التي تقوم بها الرابطة في مجال الوقاية من التطرف والتطرف العنيف، حيث نظمت بتاريخ 22 مارس 2017 دورة تكوينية خاصة بالأئمة والدعاة والعلماء من أعضاء الرابطة شملت عدة محاور، من بينها "تحسين استخدام وسائل الإعلام" من طرف الأئمة والدعاة، و"مفهوم الإصلاح في الإسلام" و"دور الزكاة والوقف في الحد من المشاكل الاجتماعية لدى الشباب".²

- الورشة السادسة: (6 و7 يوليو 2017 بنواكشوط) حول "طرق تدعيم مناهج تدريس التربية الدينية في مدارس دول الساحل"، شددت على أهمية تفضيل المضامين الساعية إلى ترقية قيم حسن السلوك في الدين الإسلامي.

- الورشة السابعة: (7 و8 مايو 2018 بكوناكري) حول "قيم ومبادئ الإسلام في مكافحة الراديكالية والتطرف العنيف"، دعت إلى وضع استراتيجية تعزز الحوار بين الثقافات والديانات.

¹ وكالة الأنباء الجزائرية، الاتفاق بين المركز الإفريقي للدراسات حول الإرهاب ورابطة أئمة الساحل على تطوير برنامج تكويني خاص بأئمة ودعاة إفريقيا، "2017/10/09"، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/algerie/48247-2017-10-08-14-57-52> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/26)

² نفس المرجع

- الورشة الثامنة: (12 إلى 14 سبتمبر 2018 بأغاديس) حول "قيم ومبادئ الإسلام في مكافحة الراديكالية والتطرف العنيف"، أكدت على أن الأطراف الفاعلة في المجال الديني مدعوة إلى المشاركة أكثر في تعزيز قيم السلم والمصالحة، سيما عبر الدعائم الجديدة للاتصال على غرار الشبكات الاجتماعية.
- الورشة التاسعة: (13 و14 مارس 2019 بأبيدجان) جرت تحت عنوان "دور القادة الدينيين والزعماء الروحيين في تعزيز التنمية المحلية لمكافحة التطرف والتطرف العنيف"، وضع برامج تطبيقية لتجفيف منابع الإرهاب.
- الورشة العاشرة: (11 و12 سبتمبر 2019 بنواكشوط) كان أهم ما دعت إليه استكمال "دليل الممارسات السليمة في مجال تدريس التربية الدينية لمواجهة التطرف العنيف".
- الورشة الحادية عشر: (4 و5 ديسمبر 2019 بباماكو) دعت إلى إصدار "دليل الممارسات السليمة في مجال تعليم التربية الدينية لمواجهة الراديكالية والتطرف العنيف".
- الورشة الثانية عشر: (5 و6 جويلية 2021 بواغادوغو) كان عنوانها "في سبيل معالجة التطرف: قبول الآخر، من النظرية إلى الممارسة"، أكد المشاركون فيها على ضرورة نشر ثقافة التعايش جو الابتعاد عن ظاهرة رفض الآخر التي انتشرت بشكل واسع في بعض المجتمعات.
- الورشة 13 المنظمة ما بين 25 و26 نوفمبر 2021 بنيامي والتي دارت أشغالها حول "ترقية دور المرأة في مكافحة مجال الكراهية والعنف" وقد تمخضت أشغالها عن جملة من التوصيات أهمها إشراك المرأة في توطيد السلم الاجتماعي كمصدر للاستقرار.
- المؤتمر الدولي 26 فيفري 2023م بوههران، شاركت الرابطة مع المجلس الإسلامي الأعلى من خلال هذا المؤتمر الموسوم بـ "السلوك الحضاري، وعي، فعل وتعايش" الذي ينظمه المجلس الإسلامي الأعلى، وتم من خلاله بيان أن "مقاربة رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل تعتمد، علاوة على الجانب الديني،

على التنمية في مختلف صورها للتكفل بانشغالات ساكنة القرى والمدن بدول الساحل لتحسين الإطار المعيشي لهم والشباب حتى لا ينجرون وراء الجماعات المتطرفة".¹

تجدد الإشارة إلى أن رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل تضم 11 عضواً، يتشكلون من الأعضاء الثمانية دائمي العضوية في وحدة الدمج والاتصال لدول الساحل الإفريقي وهم (الجزائر، بوركينا فاسو، ليبيا، موريتانيا، مالي، النيجر، نيجيريا وتشاد)، إضافة إلى الأعضاء المراقبين الثلاثة في الوحدة نفسها وهم: (غينيا والسينغال وكوت ديفوار).²

استطاعت الدولة الجزائرية في إطار دبلوماسيتها الدينية استقطاب عدّة طرق صوفية عبر العالم الإسلامي، لمحاربة التطرف الديني والفكر التكفيري، وذلك من خلال تأسيس الاتحاد العالمي للتصوف واختيار الجزائر رئيسة له من قبل المشاركين، حيث تمّ انتخاب المرحوم الدكتور "عمر محمود شعلال" الذي كان رئيس الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، رئيساً لهذه المنظمة الدينية العالمية. وقد حدث ذلك إثر تنظيم المؤتمر العالمي الأول للتصوف بمدينة مستغانم الجزائرية يوم 20 مايو 2016م، حيث حضرها ممثلي الطرق الصوفية بالجزائر ومن أربعين بلداً إسلامياً، إضافة إلى ممثلي الجالية الإسلامية من عشرة بلدان. ومن بين وصايا المؤتمر الذي دامت أشغاله ثلاثة أيام، نذكر الآتي:³

- تأسيس أكاديمية التربية الصوفية؛
- تأسيس وإدارة موقع على شبكة الإنترنت ينشر الفكر الإسلامي الصحيح والتربية الروحية السليمة؛

¹ وكالة الأنباء الجزائرية، " أهمية تبني مقاربة شاملة تعتمد على التنمية تحقيقاً لفكر الوسطية والاعتدال"، 2023/02/26، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/monde/140115-2023-02-26-15-23-24> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/26)

² يزير جلول، "الأمن الفكري ودوره في محاربة التطرف ونشر قيم السلم رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل أمودجا"، مرجع سبق ذكره، ص536.

³ محمد سعيد بوسعدية، "من تسيير مسجد باريس إلى المؤتمر الدولي حول العالم المغيلي"، مجلة الشعب، 2022/12/23، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/jFZLf> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/26)

- تكليف لجنة من الفقهاء المتخصصين بمراجعة الموروث في كل مجالات التصوف، وعرضه على ميزان الكتاب والسنة وتنقيته من شوائب ما يخالفها؛
- العمل على تصحيح المفاهيم والمحافظة على نقاء الفقه الصحيح وأصالته وتوجيه السلوك حتى يكون سلوكا يجسد القرآن قولاً وفعلاً وعلى هدي السنة النبوية.

الفرع الثالث: الطرق الصوفية الجزائرية كركيزة لدبلوماسية دينية في الساحل الإفريقي

إلى يومنا هذا تلعب الجماعات الدينية ومنها الزوايا والطرق الصوفية دوراً أساسياً في نشر الثقافة الإسلامية في إفريقيا، وتبرز على خرائط هذه الطرق الصوفية الأكثر تأثيراً كل من الطريقتين "التيجانية" و"القادرية" التي لديها مراكز في جميع أنحاء إفريقيا، وتؤكد بعض الممارسات التعبدية الخاصة بهم عن حيوية التبعية الروحية للمصدر، أكثر من حيوية تبعيتهم للأنظمة السياسية لدول منشئهم¹، وقد زادت شدة الروابط الدينية والحضارية بين شعوب منطقة الساحل الإفريقي الذي أصبح يدين أغلب سكانه بدين الإسلام وشعوب المغرب العربي وخاصة الجزائر، إذ تظهر تلك الروابط جلية بين شعوب المنطقتين من خلال انتشار الطريقتين التيجانية والقادرية في منطقة الساحل الإفريقي التي تجد أصولها في الجزائر، حيث يقصد هاته الزوايا كل عام عدد ضخم من طلاب العلم الشرعي ومريدين من منطقة الساحل الإفريقي².

تنتشر الطريقة القادرية من "منطقة توات" الواقعة بالجنوب الغربي للجزائر، وإن كان صاحبها من بغداد الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ/1166م) إلا أن ناشر الطريقة في المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء هو عبر تلميذه " الشيخ أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي (ت1197م) الذي سكن الجزائر في منطقة بجاية ودرس بها وتوفي في تلمسان، وعبر الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت1503م) وتلميذه الشيخ سيد أحمد البكاي الكنتي (ت1552م) اللذان كانت لهما جهود كبيرة في نشر

¹ Wai, D. M, *Les relations afro-arabes : un optimisme déplacé*, in: *Les relations historiques et socioculturelles entre l'Afrique et le monde arabe de 1935 à nos jours*. Paris: Unesco, 1984, p119

² ممد صليحة، محددات وتوجهات السياسة الخارجية الجزائرية تجاه دوائر محيطها الإفريقي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، 2019، ص114

الطريقة وتعاليمها في دول منطقة الساحل وامتدت إلى أجزاء القارة الإفريقية، إذ ساهمت في تخلص مجتمعاتها من البدع والجهل وحظيت بولاء كبير لأقطابها بالجزائر منذ ذلك الوقت إلى يومنا¹.

أما الطريقة التيجانية فمنبعها من "منطقة عين ماضي" بالأغواط وتنسب إلى مؤسسها أحمد التيجاني (1735-1815م) المولود بالأغواط والمتوفى بفاس، تتمتع هذه الطريقة بحضور قوي في العمق الإفريقي، فقد استطاعت أن تلعب دورا مهما في المجالين الروحي والسياسي بمنطقة الساحل الإفريقي واكتسبت تاريخيا مكانة قوية في نفوس الناس شعبا وحكومة، فقد كان لها دور اقتصادي بارز في انتعاش المبادلات التجارية ووفرت لها أسباب الأمن والازدهار، هذا بالإضافة إلى أن الطريقة استغادت من علاقة جيدة ومميزة مع المؤسسات الرسمية السابقة المتمثلة في سلاطين الممالك الإسلامية التي سادت منطقة الساحل الإفريقي، هذا ما مكنها من الانتشار والتوغل في مجتمعات تلك المناطق وكان الناس كما يقال "على دين ملوكهم"².

ذكرنا سابقا أن نشوء الطرق الصوفية في منطقة الساحل الإفريقي كان لها أدوار تاريخية في المجتمعات الإفريقية سواء ما تعلق بنشر الإسلام وثقافته، أو الجهاد لطرد المحتل، أو الإصلاح الديني وحماية الأقليات المسلمة في المناطق التي شهدت جور الإمارات الوثنية كما كان الحال في منطقة الساحل، إذ أسس الشيخ "عثمان دان فودي" (ت1817م) القادري الطريقة بإمارة سوكتو الإسلامية بشمال نيجيريا ومساحات من جنوب النيجر وغرب التشاد، وفي عام 1818م أسس الشيخ "أحمد" دولة ماسينا الإسلامية (مالي حاليا) التي قامت بالنفوذ الروحي للشيخ "سيد المختار الكنتي" المؤسس الثاني للطريقة القادرية في منطقة الساحل الإفريقي. وقد جسدت هذه الطرق في منطقة الساحل الإفريقي خلال حقبة الاستعمار طليعة المقاومة الثقافية للغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية، وقاد بعض زعمائها جبهات عسكرية مسلحة ضد المستعمر، مثل المجاهد "الحاج عمر تال الفوتي" (ت1864م) مؤسس إمبراطورية التكرور أو "دولة

¹ بلعور حمزة، بابا عربي مسلم، "القوة الناعمة الجزائرية تجاه إفريقيا ومنطقة الساحل... البحث في القدرات وحدود التأثير"، مجلة الحقوق والعلوم

السياسية، مج10، ع02، 2023، ص1033

² نفس المرجع، ص1034

التيجانيين" التي دامت قرابة 50 عاما في السنغال، وفي موريتانيا الشيخ المصطفى (الملقب بماء العينين) بن الشيخ محمد فاضل القلقي (ت1910م)، بالإضافة إلى الأمير "عبد القادر" في الجزائر¹.

عرفت مجتمعات منطقة الساحل تمسكها الشديد بمرجعياتها الصوفية وحظيت بعضها بدعم المسؤولين الرسميين في مختلف بلدان إفريقيا، نظرا لانتشارها الشعبي الواسع في مجتمعاتها، وانتماء المسؤولين أنفسهم إليها، وقد ظهر تأثير الطريقة التيجانية بشكل واضح عام 1983م حين حضر إلى الدولة الجزائرية الآلاف من الوفود من وجهاء منطقة الساحل وإفريقيا مراسيم نقل جثمان حفيد مؤسس الطريقة الشيخ محمد الحبيب، الذي كان مدفونا بالسنغال، وأعيد دفنه في مسقط رأسه بعين ماضي بولاية الأغواط.²

ودأبت الزوايا الجزائرية على تنظيم الندوات العلمية واستثمارها في ترسيخ مبادئ الوسطية والدعوة لترسيخ القيم الروحية للإسلام، ففي الفترة من 23 إلى 26 نوفمبر 2006 عُقدت ندوة دولية حول التيجانية بالعاصمة الروحية والثقافية بعين ماضي، ولاية الأغواط الجزائرية بحضور مائة 100 مثقف وشخصية من 29 دولة، وأكد حضور مشاركين من السنغال ومالي والسودان ونيجيريا البعد الإفريقي لهذا الاجتماع الذي يوضع في خدمة السياسة القارية للدولة الجزائرية³.

كما تسهل الدولة الجزائرية لأقطاب الطريقة آليات عملهم خاصة تنقلاتهم وزياراتهم المتكررة إلى دول الساحل الإفريقي أين يتم استقبالهم بحفاوة وبرعاية رسمية، ففي سنة 2020 قضى الخليفة العام للطريقة "سيدي علي بلعربي" أسبوعين متجولا في أقاليم تشاد حيث حظي بلقاء المسؤول الأول للدولة التشادية آنذاك "إدريس ديبي" بالقصر الرئاسي وبمنزله الخاص، وقبل تشاد كان الخليفة قد أستقبل بحفاوة في النيجر من قبل المؤسسة الرسمية، كما زار بداية عام 2022 نيجيريا -بعد أن تم تخصيص طائرة تابعة لرئاسة

¹ هاجر بن العربي، "توظيف الدبلوماسية الروحية والدينية في السياسة الخارجية الجزائرية اتجاه دول إفريقيا"، مجلة آفاق للأبحاث السياسية والقانونية، مج03، ع02، نوفمبر 2020، ص13

² محمد عجمي، "الطريقة التيجانية ودورها الحضاري في إفريقيا"، مرجع سبق ذكره.

³ بلعور حمزة، بابا عربي مسلم، "القوة الناعمة الجزائرية اتجاه إفريقيا ومنطقة الساحل... البحث في القدرات وحدود التأثير"، مرجع سبق ذكره، ص1034

الجمهورية لهاته الزيارات- وأستقبل من قبل أمير ولاية "كانو" أمينو أدوباير وحاكمها عبدالله عمر قندوجي، فقد صرحت الخلافة في بيان لها أن زيارة الخليفة العام إلى دولة نيجيريا تستهدف نشر الفكر الإسلامي الوسطي ومحاربة الأفكار المتطرفة التي تحاول التيارات المتشددة نشرها في أغلب الولايات النيجيرية، كما أوضح البيان أنه سيتم تنظيم عدد من اللقاءات والملتقيات الصوفية التيجانية بهدف نشر الفكر الإسلامي الصحيح والتصدي للأفكار المنحرفة وذلك من خلال مشاركة عدد هام من شيوخ الزوايا والطرق الصوفية المختلفة¹.

في نفس الإطار، قام شيخ الزاوية الطاهرية للتعليم الشرعي بأدرار/ بلدية سالي الشيخ "عبد الله طاهري السباعي" التواتي بزيارة الجمهورية الإسلامية الموريتانية يوم 21 فيفري 2023م، وتعد هاته الزيارة الأولى من نوعها، وقد شملت تنقل الشيخ والوفد المرافق له وتفقد عدة نقاط أهمها زيارة للسفارة الجزائرية بالعاصمة نواكشوط أين وقف على جهود البعثة الجزائرية، وتركز الحديث على مدى الاهتمام بالبعد الثقافي بين البلدين، خاصة بين علماء الجزائر وتوات خاصة من جهة وبين علماء موريتانيا من جهة أخرى، إذ هذا ما تؤكد المراجع التاريخية التي تحدثت عن الروابط بين القطرين، ومدى أهمية التمثيل الديني والروحي للجزائر، لكونه الجناح الآخر المهم للتمثيل الدبلوماسي، وأن كلاهما مكمل للآخر وداعم له.

ومن جهة أخرى، كانت الزيارة ذات بعد علمي ومعرفي لمحاضر وشيوخ ومدارس لها شأنها الفكري والدعوي والعلمي مغاربيا وعربيا وإفريقيا فضلا عن امتدادها الاستراتيجي عربيا وعالميا، فضلا عن زيارته العائلية والاجتماعية، باعتبار التداخل الاجتماعي الذي يربط توات ببلاد شنقيط، فكان الشيخ مولاي عبد الله طاهري يحث على صلة الرحم المتواجدة بين البلدين، هذا مما يعزز مدى متانة روابط المحبة والعلاقة

¹ نفس المرجع، ص 1034

والصداقة بين الشعبين الجزائري والموريتاني، ناهيك عن علاقة الشيخ والده "مولاي أحمد طاهري السباعي" التواتي بموريتانيا قاطبة وبأبناء أبي السباع الذين لهم ظهور قوي وحُضور مميز في ربوع موريتانيا¹.
عموما، فإن زيارة أقطاب الزوايا والطرق الصوفية الجزائرية لبلدان منطقة الساحل الإفريقي تعد ترجمة فعلية وواقعية للدبلوماسية الجزائرية في بعدها الروحي الوجداني، فالدبلوماسية تولى اهتمامها في العقود الأخيرة على البعد الإفريقي، ضمن توجه جديد يواكب المتغيرات الإقليمية والدولية في المنطقة وفق تصوّرات جديدة تعزّز دور الجزائر الإقليمي.

الفرع الرابع: السياحة الدينية رافد مهم للدبلوماسية الدينية الجزائرية

تعد السياحة الدينية من أكثر أنواع السياحة أهمية خاصة بالنسبة للبلدان الإسلامية لأسباب كثيرة، منها أن هذه الأخيرة يمكن أن تفتح آفاقا عديدة في المجالات الثقافية والاقتصادية وغيره، والجزائر تتوفر على العديد من المقومات والمعالم السياحية الدينية المتشعبة بالحضارة والموزعة على مختلف ربوع الوطن².
تترجع الجزائر على الكثير من المقاصد السياحية الدينية كأضرحة الأولياء، الزوايا، المساجد الأثرية والمزارات الدينية التي تستقطب آلاف الزوار من مختلف الدول خاصة من إفريقيا ودول الساحل، مثلما هو الحال في منطقة عين ماضي بالأغواط مسقط رأس شيخ الطريقة التيجانية ومؤسسها، كما يوجد بها أضرحة أبناء وأحفاد الشيخ التيجاني تحيط بها زوايا ثانوية مثل: زاوية كوردان وجديدة وعين ورام، التي لاتزال تشهد إقبالا كبيرا في صائفة كل سنة والتي يبلغ تعداد مريديها في إفريقيا وحدها ما يقارب 250 مليون شخص³.

¹ أحمد بالحاج، زيارة الزاوية الطاهرية بالجزائر لموريتانيا فرصة لتفعيل الدبلوماسية الدينية: يومية الوسط، 2023/02/21، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/xm32i> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/25)

² سميرة عبد الصمد، فوزية برسول، " تفعيل السياحة بالجزائر بالتركيز على السياحة الدينية ومقوماتها"، مجلة الاقتصاد الصناعي، مج09، ع02، ديسمبر 2019، ص83

³ أبو القاسم حمدي، السياحة الدينية إلى الزاوية التيجانية بين مهدها بعين ماضي وضريح شيخها بفاس: قراءة في مجالات التنمية المستدامة بين المنطقتين، مداخلة في المؤتمر الدولي حول: السياحة الدينية في الجزائر وطرق تفعيلها، 13-14 أكتوبر 2019، جامعة الاغواط، ص11

وفي دراسة تناولت وضعية الأضرحة والأولياء أنجزها الباحث في المعتقد الشعبي والتراث المقدس الأستاذ عمر بن عيشة كشفت أن الجزائر تتوفر على ستة آلاف ضريح تدرّ ما لا يقل عن 80 مليار سنتيم، وأضافت الدراسة التي شملت 75 ألف ضريح عبر الوطن أن رقم ستة آلاف تخص فقط الأضرحة الكبيرة والمعروفة عبر الوطن، لأن بعض الولايات نجد بها ما لا يقل عن 350 ضريح تدرّ ما بين 300 و800 مليون سنويا¹.

ويعد ضريح سيدي بومدين بولاية تلمسان قبلة لآلاف الزوار من إفريقيا، فهو يتميز بصيت تاريخي منذ أن شيد بأمر من الأمير الناصر بن المنصور الموحد بعد وفاة العالم الفقيه الإشبيلي أبي مدين شعيب في سنة 1198م بالقرب من قرية العباد.

كما ذكرنا فإن من أبرز الزوايا في الجزائر هي الزاوية التيجانية بعين ماضي بالأغواط التي يقصدها الآلاف من الحجاج الأفارقة، وزوايا الطريقة القادرية في الوادي وورقلة، وفي توات ضريح الشيخ الرقاني الذي يزوره أكثر من 70 ألف زائر كل عام، هذه المناطق يمكنها أن تتحول إلى قبلة سياحية دينية في الجزائر تستقطب المسلمين الأفارقة من كل حذب وصب².

الجزائر من أهم الدول التي تزخر بالزوايا الدينية ومصنفة عالميا كوجهة صوفية لارتباطها بتاريخ عريق لرجال التصوف، فهي تحصي أزيد من 35 طريقة صوفية وأكثر من 900 زاوية لها أتباعها ومريدوها في الداخل والخارج، إضافة لمزارات الأولياء ف"الطرق الصوفية" من شأنها أن تستقطب المريدين والأتباع من جميع بقاع العالم خاصة إفريقيا ودول جنوب شرق آسيا، حسب ما تشير إليه الإحصائيات الرسمية

¹ عتوسي حفاوي، فرج عبد الحميد، "السياحة الدينية في الجزائر وانعكاساتها على التنمية"، مجلة الإعلام والمجتمع، مج 07، ع 01، جوان 2023، ص 237

² سمية جبدل، "الإستثمار في السياحة الدينية كمورد لدفع العجلة الاقتصادية"، المستثمر، 2022/08/28، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/MkDrA> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/28)

لوزارة السياحة فالزيارات والمناسبات التي تنظمها الزوايا تجمع سنويا ما يفوق 12 مليون زائر حيث يتم فيها قراءة القران والذكر، وهؤلاء الأتباع والمريدون هم مفاتيح "القوة الاقتصادية الناعمة للجزائر" للتمكن من تعزيز عمقها الإستراتيجي بإفريقيا¹.

يمكن أن تكون السياحة الدينية بالجزائر رافدا اقتصاديا مهماً إن توافرت الإمكانيات والميكانيزمات اللازمة إلى جانب الإرادة السياسية، فبحسب الباحث عمر بن عيشة المختص في المعتقد الشعبي والتراث أن عائدات السياحة الدينية لمزارات الزوايا والكنايس وعائدات الأضرحة التي تعج بها أرض الجزائر أزيد من 6 مليار دولار سنويا، ويذكر أن عائدات ضريح الولي الصالح سيدي لخضر بن خلوف الذي ينظم موسمه مرتين في السنة تقدر بـ 80 مليار سنويا، فيما بلغت عائدات الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالقصبة الجزائر السفلى ما يزيد عن 4 مليار سنويا، زيادة على 4 قناطر من مادة الشمع و4 قناطر سنويا من الحنّة، فيما يحقق سيدي عبد الله الرقاني ما قيمته 4 مليار سنويا وسيدي بومدين الغوث 3 مليار سنويا².

غير أنه لا يوجد قانونٌ يحدد الجهة المسؤولة أو المخولة بإدارة عائدات هذه المعالم، كما لم تصدر الدولة قانونا يحدد عمل ومهام والنشاطات التي تنظم في رحاب تلك الأضرحة عبر مواسمها، حيث من المفروض أن تتقاسم كل من وزارة السياحة والثقافة والشؤون الدينية مسؤولية إدارتها، هذا ما يطرح الكثير من علامات الاستفهام حول مصير المبالغ الضخمة من عائدات المزارات والأضرحة دون أن يستفيد منها أي قطاع في تطوير ما يُعرف بالسياحة الدينية أو الروحية، ولم يدرج هذا النوع من السياحة في الفروع

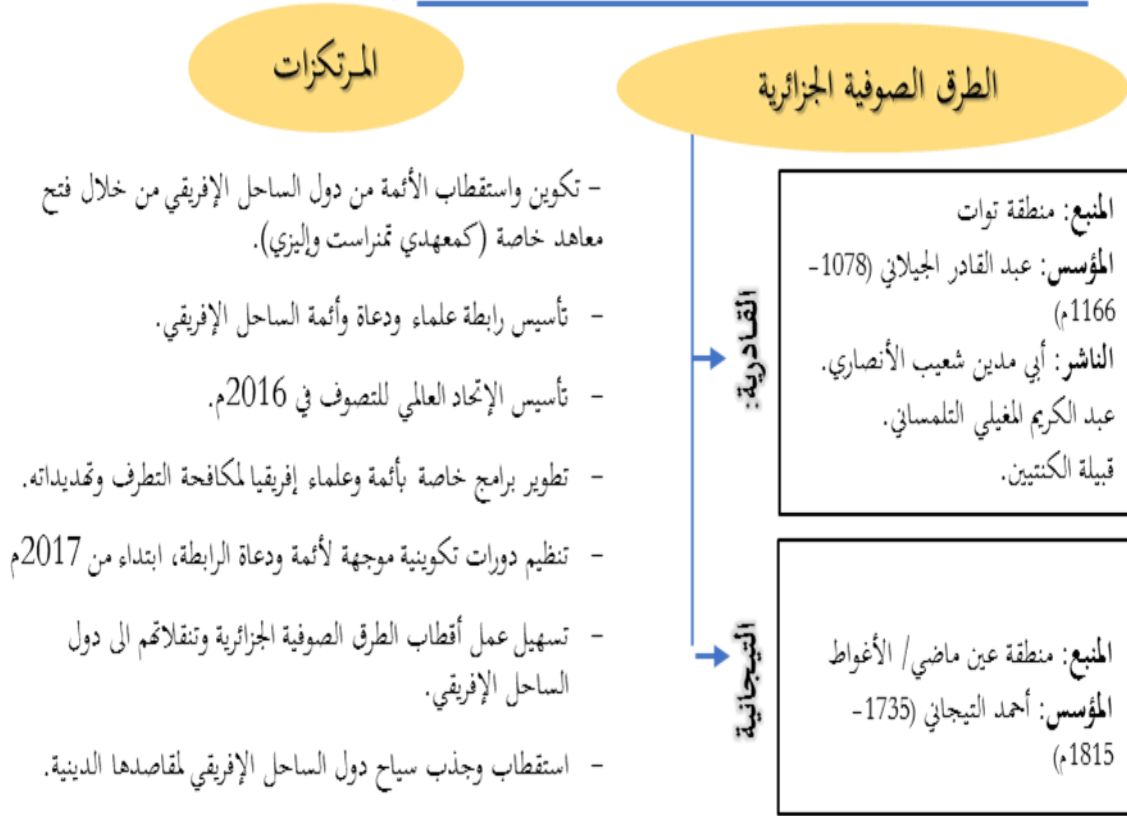
¹ مولود صباد، "السياحة الروحية القوة الاقتصادية الناعمة للجزائر"، الحوار، 2019/02/17، مقال متاح على الرابط:

<https://elhiwar.dz/event/142914> ، (تاريخ الاطلاع: 2023/09/28)

² عتوسي حفاوي، فرج عبد الحميد، "السياحة الدينية في الجزائر وانعكاساتها على التنمية"، مرجع سبق ذكره، ص 237

المطلوب تطويرها ضمن خطة الاستراتيجية الوطنية لتنمية قطاع الصحة التي وضعت من طرف وزارة السياحة في آفاق 2030¹.

الدبلوماسية الدينية الجزائرية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي



المصدر: من إعداد الباحث

¹ نفس المرجع، ص 237

المطلب الثاني: دور الدبلوماسية الثقافية الجزائرية في تنمية العلاقات مع دول الساحل الإفريقي

لقد أصبحت "الثقافة" أداة دبلوماسية*، وجسرًا ضروريًا لتعزيز التفاهم المتبادل بين الأمم، وهي إحدى أهم أدوات القوة الناعمة والتواصل الاستراتيجي، وتدرجيًا أعطت الدول المزيد من الأولوية للثقافة في السياسة الخارجية والعلاقات الدبلوماسية.

إن الأهداف والتطلعات الناشئة عن تطوير الدبلوماسية الثقافية هي في المقام الأول إنشاء "قاعدة ثقة" مع الشعوب الأخرى، حيث سيتمكن صناع السياسات بعد ذلك من التوصل إلى اتفاقيات سياسية واقتصادية وعسكرية، وضمن إطار الثقة الناشئ هذا، فإن الهدف النهائي هو أيضًا خلق علاقات بين الشعوب تتسم بالاستقرار بما يتجاوز تغيرات القيادة السياسية.¹

ترتكز الدبلوماسية الثقافية على التبادل في مختلف مكونات الثقافة وهو ما يعزز التقارب أكثر بين الشعوب وخلق مساحات أكبر للتواصل وتبادل الأفكار. وفي هذا الصدد يجب التنويه بأن الدبلوماسية الثقافية تعتبر من المفاهيم الحديثة، لكن كممارسة كانت موجودة منذ القدم، حين مارسها التجار والرحالة والمدرسون

* تذكر بعض الدراسات ان اول ظهور لمؤسسات الدبلوماسية الثقافية كان في منتصف القرن التاسع عشر ضمن الهياكل الحكومية في فرنسا، ثم تبعتها في هذا التقليد، ألمانيا ثم بريطانيا التي أسست المجلس الثقافي البريطاني عام 1934م، ثم الولايات المتحدة الأمريكية التي أسست برنامجها الثقافي بعد عام 1938م، ثم تبعهم بعد ذلك العديد من دول العالم ليصبح عقب ذلك اختيار أعلام الفكر ونجوم الفن سفراء لبلدانهم أمرا تقليديا ومتعارف عليه رسميا، ونتيجة لذلك أصبحت عملية استحداث دوائر للعلاقات الثقافية في اطار هيكلية وزارات الخارجية امرا شائعا في اغلب دول العالم، وقد برز مفهوم الدبلوماسية الثقافية الدولية منذ أنشئت عصبة الأمم مركز التعاون الفكري في باريس، كما أنشئت الأمم المتحدة عام 1945م منظمة اليونسكو التي لا تزال تقوم بعمليات تنسيق النشاطات الثقافية إلى يومنا. انظر: كشان رضا، "دور الدبلوماسية الثقافية في تعزيز الهيمنة الأمريكية"، مجلة الأبحاث القانونية والسياسية، مج3، ع02، سبتمبر 2021، ص28

¹ Katerina PAPAIOANNOU, " CULTURAL DIPLOMACY IN INTERNATIONAL RELATIONS", IJASOS- International E-journal of Advances in Social Sciences, vol.3, N.9, December 2017, P 943

والفنانون في رحلاتهم وتنقلاتهم بين مختلف الأمصار، فقد كانوا سفراء غير رسميين، إذ استطاعوا أن يتعرفوا ويتبادلوا ويمارسوا التفاعل الحي مع ثقافات الشعوب الأخرى.

ولقد رأينا سابقا، أن الجزائر من خلال موقعها الاستراتيجي في القارة الإفريقية وعبر تاريخها العريق شهدت العديد من التفاعلات الثقافية والحضارية، فقد شهدت في العصور الوسطى ازدهارا ثقافيا واجتماعي مكنها من التأثير على ثقافات شعوب ممالك وإمارات منطقة الساحل الإفريقي، فكانت لتنتقلات التجار والعلماء بالغ الأثر في نقل مؤثرات الثقافة الإسلامية بمختلف أشكالها، وأولها تأثير اللغة العربية في شعوب ممالك الساحل الإفريقي، إذ أضحت اللغة العربية هي لغة العلم والتفوق المعرفي، كما كان التأثير واضحا أيضا في المظاهر الاجتماعية من عادات وتقاليد كالملبس والمأكل وإحياء الاحتفالات الدينية.

وقد دام هذا التأثير والتأثر بين الضفتين قرون عديدة إلى أن وقعت المنطقتين ضحية أطماع الاحتلال الغربي الغاشم (خاصة الفرنسي) مع بدايات القرن التاسع عشر، والذي سعى بكل قوته إلى تدمير كل أشكال التقارب الثقافي التي رسخت لقرون عديدة، فدمر كل معالم التراث الثقافي المشترك من لغة وعادات وتقاليد، وقد اعتمدت سياسة الاحتلال إلى تفتيت المنطقة، عبر تشجيع الروح القبلية، وإثارة الفرقة الدينية والطائفية، وفرض لغتها الاستعمارية بدلا من اللغات المحلية، وتهميش الثقافة المحلية ومحاربة الثقافة الإسلامية خاصة.

وما أن استعادت دول المنطقة استقلالها وأمام الوضع الكارثي الذي خلفه الاحتلال من تشرذم على كافة الأصعدة، برزت الدولة الجزائر بماضيها العريق في النضال من أجل التحرر والبناء الإفريقي، تدافع عن الآمال والتطلعات المشتركة للأفارقة.

فركزت الجزائر في العقود الأخيرة على تعزيز مكانتها في إفريقيا، باعتبارها تحوز على رصيد دبلوماسي مهم جعلها تتمتع بمصداقية في القارة الإفريقية بشكل عام ومنطقة الساحل على وجه الخصوص،

إذ عرفت دبلوماسية نجاتها نجاحات عدة في حل العديد من الأزمات بين الدول الإفريقية، الأمر الذي سهل من تعزيز دبلوماسيتها الثقافية في إفريقيا ومنطقة الساحل.

وقد عملت الجزائر منذ الاستقلال عن طريق الثقافة على توطيد العلاقة مع الدول والشعوب الإفريقية عبر جملة من الآليات والوسائل التي سخرتها من أجل تعزيز جاذبية الحضور الجزائري في القارة الإفريقية، ومن خلال الفروع التالية نتناول أبرز أدوات وأساليب الدبلوماسية الثقافية الجزائرية اتجاه إفريقيا ومنطقة الساحل بشكل خاص:

الفرع الأول: الفنون وتنظيم المهرجانات الثقافية

لعل الوسيلة الرئيسية للدبلوماسية الثقافية والتي تصل إلى جمهور كبير هي تبادل المنتجات الإبداعية والفنية، فتقديم الثقافة من خلال الفنون ربما يعتبر المصدر الوحيد والأعظم للانطباعات التي تُكوّنها الشعوب بالخارج عن تلك الدول، إذ يسهل التفريق بين الدول من خلال المظاهر الثقافية الخاصة بكل منها مثل الموسيقى والزي الرسمي أو الملابس، والمباني الشهيرة والبنائيات الموجودة في أماكن معينة، كما تنقل الفنون الصورة أو الانطباعات بشكل غير ملموس وهو بذلك يتسم بالأصالة والتميز والجودة،¹ وفي هذا الإطار حاولت الجزائر استقطاب الشعوب الإفريقية عبر المجالات الفنية والثقافية، فسارعت عشية استقلالها إلى احتضان أول اجتماع تأسيسي لمنظمة الشباب الإفريقي 1962م، والمنظمة تضم ممثلي منظمات الشباب بالدول الإفريقية وحركات التحرر، كما اهتمت بتنظيم المهرجانات الثقافية وإبراز جمال الثقافة الإفريقية على أرضها، فشهدت نجاح المهرجانات التالية:

¹ جيفري إين بيجمان، الدبلوماسية المعاصرة: التمثيل والاتصال في دنيا العولمة، تر، محمد صفوت حسن. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2014، ص 255

1. المهرجان الثقافي الإفريقي الأول:

كانت البدايات الأولى المستنيرة للمجهودات الجزائرية في التعريف بالثقافة والتراث الإفريقي بعد استقلالها، هو عبر إقامتها للمهرجان الثقافي الإفريقي الذي نبعت فكرته من رحم منظمة الوحدة الإفريقية التي تأسست في 25 ماي 1963م باديس أبابا عاصمة إثيوبيا، وقد ساهمت الجزائر وقتها في تأسيس لجنة التربية والثقافة وعيا منها أن الثقافة والتعليم هما السبيل الوحيد للشمول واسترجاع مقوماتها الأصلية.

وفي الاجتماع الذي عقدته لجنة التربية والثقافة بمدينة لاقوص بنيجيريا من 25 إلى 31 جانفي 1966م، تبلورت الفكرة، حيث قررت اللجنة على تنظيم مهرجانات للفنون الدرامية والتقليدية الإفريقية وإقامة معارض فنية، وفي عام 1969م تم الافتتاح الرسمي للمهرجان، وبالضبط يوم الاثنين 21 جويلية 1969م، بساحة البريد المركزي بالعاصمة الجزائرية، تحت إشراف الرئيس "هوارى بومدين" شخصيا الذي كان حينها رئيسا لندوة الدول الإفريقية، ونسق أعماله وزير الأخبار آنذاك "محمد الصديق بن يحي"، والأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية "بوكر جالو تيلي".¹

كانت إفريقيا الثقافية في موعد مع هذا المهرجان الأول الذي دخل سجلات تاريخ تحرير الفكر ومختلف أشكال التعبير في قارة ثرية من حيث التقاليد الشعبية ودمج الحضارات القديمة المتنوعة، ولقد كان هذا المهرجان الثقافي الإفريقي حدثا تاريخيا يليق بمكانة ووزن الجزائر التاريخي، إذ أجزم كل الحاضرين أنه لا يمكن لأي دولة في العالم في تلك الفترة وتلك الظروف الدولية أن تتوب عن الجزائر في تنظيم هذه

¹ عبد العالي إبراهيم، "الدعم الثقافي والإعلامي الجزائري لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي مهرجان الجزائر الثقافي الإفريقي الأول 1969 أمودجا"، مجلة الباحث، مج13، ع02، مارس 2022، ص425.

التظاهرة،¹ لمكانتها التي كادت أن تكون مقدسة، فقد كانت قبلة الأحرار ومكة الثوار، كما عبر عن ذلك أبرز قادة إفريقيا الذين حاربوا ضد الاستعمار "أميلكار كابرال".

وقد تميز هذا المهرجان بحضور أكثر من 1400 شخص وبمشاركة واسعة للأدباء والشعراء ومخرجين سنمائيين وكذلك ممثلين عن السلك الدبلوماسي وعدد من رؤساء الوفود، بالإضافة إلى شخصيات أوروبية مختلفة من عالم الفنون والآداب الذين تميزوا بأعمالهم ودراساتهم حول إفريقيا، ومن خلال المهرجان تم تنظيم العديد من الأنشطة الثقافية والفكرية، ومن خصوصية هذا المهرجان هو حضوره مجموعة من نجوم الغناء في إفريقيا وعلى رأسهم المغنية الجنوب أفريقية "مريم ماكبيا" Miriam Makeba، وانطلقت شهرتها من الجزائر، وهي صاحبة الصيحة المشهورة التي أطلقتها عام 1972م: "أنا حرة بالجزائر"² وقد كان الرئيس بومدين قد منحها الجنسية الجزائرية سنة 1969م، تكريماً لها على تغانيها في تأييد القضايا الإنسانية العادلة، كما كشف عن ذلك الفنان الجزائري "محمد العماري"، وهو الذي أدى معها أغنية تحت عنوان "أفريكا".³

وفي اختتام فعاليات المهرجان ونظراً لأهمية القارية حرصت الوفود المشاركة على الخروج لتوصيات تليق بقامة الحدث والتطلعات الإفريقية المستقبلية، فمن بين التوصيات التي تم إدراجها في ختام المهرجان نذكر:⁴

¹ أعمار بوريشة، العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر 3، 2016، ص 324

² جمال أوكيلي، "ميريام ماكبيا... صوت إفريقيا"، جريدة الشعب، 08/04/2013، مقال متاح على الرابط: <https://www.djazair.com/echchaab/25219> (تاريخ الاطلاع: 08/09/2023)

³ الشروق أونلاين، "بومدين منح الجنسية الجزائرية لمريم مكيبا بحضور"، 12/11/2008، مقال متاح على الرابط، <https://cutt.us/GqimB> (تاريخ الاطلاع: 28/09/2023)

⁴ محمد السعيد بن غنيم، "الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في القارة الإفريقية"، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية، مج 18، ع 01، 2023، ص 357

- تقوية وتكثيف النشاطات الثقافية الإفريقية، وجعلها أكثر حيوية وانتظاما على مستوى لجنة التعليم والثقافة والعلوم والصحة التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية؛
- إنشاء مجلات ثقافية منشورة باللغات المعتمدة في منظمة الوحدة الإفريقية وهي العربية والإنجليزية والفرنسية والبرتغالية؛
- إنشاء موسوعة خاصة بالقارة الإفريقية والترويج لها من طرف الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية، بالإضافة إلى تأسيس جمعيات للفنون الجميلة ونشر موسوعة خاصة بالفنون والآداب الإفريقية وفتح تخصصات على مستوى الجامعات لتدريس قيم وحقائق الثقافة الإفريقية؛
- إنشاء دور النشر والتوزيع للمطبوعات الإفريقية والكتب المدرسية والسجلات والصحافة في إفريقيا، لمحاربة المضاربين في الأسواق وتحويل كل هذه الوسائل إلى أدوات تعليمية في متناول الجميع؛
- تكثيف التبادل من خلال المعارض والمؤتمرات والندوات وعقد لقاءات خاصة بالشباب والنساء والمتقنين والقادة لمزيد من التفاهم المتبادل.
- ضرورة إنشاء وكالة أنباء إفريقية لتكثيف تبادل المعلومات بين دول القارة؛
- اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لاستعادة الأعمال الفنية والمحفوظات التي نهبها الاستعمار، واتخاذ التدابير اللازمة لوقف نزيف الممتلكات الثقافية وتهريبها خارج القارة الإفريقية.¹
- 2. **المهرجان العالمي للشباب والطلبة:** في أوت 2001م احتضنت الجزائر المهرجان العالمي للشباب والطلبة ذي البعد الثقافي، وفيه شاركت أعداد كبيرة من الوفود الإفريقية، وتجاوز الإنفاق فيه 40 مليار دينار جزائري.²

¹ عبد العالي إبراهيم، "الدعم الثقافي والإعلامي الجزائري لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي مهرجان الجزائر الثقافي الإفريقي الأول 1969 أمودجا"، مرجع سبق ذكره، ص 428

² بلعور حمزة، بابا عربي مسلم، "القوة الناعمة الجزائرية اتجاه إفريقيا ومنطقة الساحل... البحث في القدرات وحدود التأثير"، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، مج 10، ع 02، 2023، ص 1031

3. **المهرجان الثقافي الإفريقي الثاني:** يعد مهرجان الجزائر الإفريقي الثاني الحدث الأهم الثاني الذي عرفته القارة الإفريقية بعد أربعين عاما، من المهرجان الأول في عام 1969، وبينما كان نصف البلدان الإفريقية لا يزال مستعمرا يكافه من أجل التحرير الوطني، وتعاني مسألة الفصل العنصري والعنصرية على أساس لون البشرة والتحيز الاجتماعي والثقافي، برزت الجزائر لتنتصر للإنسانية وتبرز للعالم أجمع أن الثقافة هي الثروة العالمية وتراث للبشرية جمعاء، وقد عبر عن هذا الحدث في تلك الفترة الكاتب والناقد السنمائي الفرنسي "جان لويس بوري Jean-Louis Bory"، بقوله: "بينما كان العالم يكتشف أرضا ميتة، اكتشفنا نحن أرضا حية في الجزائر العاصمة"، وهو يعني التسابق الذي كان يحدث آنذاك حول الصعود إلى القمر وتابع قوله أن إفريقيا هناك، في الجزائر العاصمة؛ أكثر حيوية من أي وقت مضى، إنها أجمل من أي وقت مضى، بألوانها وتنوع ثقافتها، ومساهمتها في الثروة الثقافية العالمية¹.

أقيم المهرجان الثقافي الإفريقي الثاني بالجزائر العاصمة، في الفترة من 4 إلى 20 جويلية 2009م، في ظل تحديات إقليمية ودولية ورؤية جديدة للجزائر، وقد شهد مشاركة جل بلدان القارة الإفريقية، وتوافد ما يفوق 8500 فنان ومفكر أفريقي، وتم تسطير برنامج ثري ومتنوع يشمل الأدب، الفنون المرئية، الموسيقى، الرقص، السينما، المسرح والتراث مما يدل مرة أخرى على وفاء الجزائر لنضالاتها ومبادئها وهويتها الإفريقية، وتأكيد حضورها الجاد والفعال في فضاءها الإفريقي وتعزيز انتمائها القاري².

وضمن هذا المهرجان نظم المركز الوطني لأبحاث ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ في الفترة من 01 إلى 04 يوليو 2009م، في إطار من المهرجان الإفريقي الثاني بالجزائر العاصمة، ندوة حول "الأنثروبولوجيا الإفريقية" تكريما لأربع شخصيات من "الأنثروبولوجيين الأفارقة":

¹ M.NIAR, "2éme Festival culturel panafricain (du 5 au 20 juillet 2009 à Alger)", on cite : <http://niarunblogfr.unblog.fr/festivals-et-fetes/2eme-festival-culturel-panafricain-du-5-au-20-juillet-2009-a-alger/> (date of visit : 29/09/2023)

² محمد السعيد بن غنيم، "الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في القارة الإفريقية"، مرجع سبق ذكره، ص358

- **جومو كينياتا Jomo Kenyatta** (ت 1978م): قائد الحركة التحررية في كينيا وأحد أبرز الزعامات النضالية في إفريقيا.

- **الشيخ أنتا ديوب Cheikh Anta Diop** (ت 1986م): هو كاتب ومؤرخ وسياسي سنغالي له إسهامات موسوعية في الفلسفة، والرياضيات، والأنثروبولوجيا، ألهمت آراؤه مفكرين وناشطين في مسألة الوحدة الإفريقية.

- **مولود معمري Mouloud Mammeri** (ت 1989م): روائي وباحث جزائري أرسى قواعد اللغة الأمازيغية، وكرس حياته للبحث والتنقيب في ثقافة الأمازيغ.

- **أحمدو هامباتي با Ahmadou Hampaté Ba** (ت 1991م): مالي الجنسية كان كاتباً ومؤرخاً وعالمًا في علم الأعراق البشرية، كما كان شخصية مؤثرة في الأدب الإفريقي والتراث الثقافي في القرن العشرين.

وضمن هذا المهرجان أيضا التقى ما يقرب من 100 عالم أنثروبولوجيا وأكاديمي وباحث من مختلف الجامعات ومراكز البحث في 24 دولة أفريقية لمدة أربعة أيام في الجزائر العاصمة حول المواضيع التالية: "الثقافة غير الملموسة في إفريقيا؛ المنهجية ونظرية المعرفة والهوية والتنمية"¹

ولفهم هذا "التوغل" الجزائري في الأنثروبولوجيا الإفريقية، من الضروري العودة إلى التاريخ الاجتماعي والسياسي والعلمي للمركز الوطني للبحوث ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ (CNRPAH) ، الذي

¹ بلعور حمزة، بابا عربي مسلم، "القوة الناعمة الجزائرية تجاه إفريقيا ومنطقة الساحل... البحث في القدرات وحدود التأثير"، مرجع سبق ذكره، ص1032.

نظم الندوة، وقد تم إنشاؤه عام 1953 ويعد هذا المركز من أوائل مراكز الأنثروبولوجيا التي تم افتتاحها في الجزائر بعد افتتاح المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء (IFAN) في دكار عاصمة السنغال.¹

عموما، شهد هذا المهرجان الثقافي الثاني العديد من البرامج الثرية نجلها في:²

- حفلات وتكريم لنجوم الطبعة الأولى وورشات للإبداع الموسيقي الإفريقي؛
 - جلسات حول السينما الإفريقية في أفق 2010، وتشجيع الإنتاج المشترك؛
 - ملتقيات وندوات لرصد تاريخ وثقافة القارة الإفريقية؛
 - إصدار 200 عنوان جديد؛
 - المسرح الإفريقي تحت المجهر؛
 - مشروع إنجاز أول مركز إقليمي لحماية التراث الثقافي اللامادي في إفريقيا في الجزائر العاصمة بموجب اتفاق وقع في باريس، بين منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) والجزائر.
- يعتبر المركز الإقليمي لحماية التراث الثقافي غير المادي في إفريقيا-كريسبياف (Crespiaf) الذي فتحت أبوابه سنة 2018م، مركز التقاء لجميع علماء الأنثروبولوجيا الأفارقة إذ يعد فضاء لتبادل المعارف بين المختصين في التراث الثقافي غير المادي لإفريقيا.

كما يهدف هذا المركز الإفريقي الأول من نوعه إلى تحفيز التعاون وتبادل الخبرات وتسهيل التبادلات بين المتاحف ومراكز الأرشيف في القارة وإنشاء قاعدة بيانات وكذا التعرف بشكل أفضل على التراث غير

¹ Kamel Chachoua, " 2^e Festival culturel panafricain d'Alger (1- 4 juillet 2009) Colloque international sur l'anthropologie africaine Pour une Anthropologie Sud/Sud ? ", *Journal des anthropologues*, 118-119 | 2009, p 375

² أعمار بوريشة، العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والافاق، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 324، 325.

المادي في إفريقيا، وقدم المركز دورات تكوينية تتعلق بحماية التراث الثقافي غير المادي وإعداد استراتيجيات الحماية وملفات التصنيف لفائدة العديد من الباحثين داخل القارة الإفريقية¹.

4. **المهرجان الثقافي الدولي الثالث للأدب وكتاب الشباب بالجزائر:** وقد تم تنظيمه في الفترة الممتدة من 27 ماي إلى 05 جوان 2010م، بمشاركة نخبة من الأدباء من مختلف البلدان الإفريقية، ولقد كانت هذه الفعالية بمثابة أحد ضروب الدبلوماسية الثقافية التي خصصت لها الجزائر مقدرات كبرى حيث أنه وفي فترة ما بين 2001 و2015م، أنفقت الجزائر في إطار الاحتفالات والمهرجانات الدولية الذي كان جزء منها موجه للقارة الإفريقية ما يقرب من 06 مليارات دولار، فالجزائر بذلت جهدا كبيرا من أجل تعزيز التواصل الثقافي مع البلدان الإفريقية من خلال المهرجانات الكبرى التي دأبت على تنظيمها منذ الاستقلال إلى غاية اليوم، والهدف الأساسي منها توطيد العلاقة بين الجزائر والشعوب الإفريقية من خلال النخبة الثقافية الفاعلة في هذه الدول.²

الفرع الثاني: الإعلام وشبكات الاتصال

كان التيار الإفريقي قويا في الجزائر أثناء الثورة التحريرية وبعدها، كما كان الشعور بالانتماء الحضاري والارتباط الإفريقي لا يخفى على من يتابع الأحداث الجزائرية والإفريقية في الإعلام الجزائري، فالناظر إلى الصحف الجزائرية مثل جريدة **المجاهد** لسان حال جبهة التحرير كانت تفيض أعمدتها بالحديث عن العلاقات الوطيدة بين الجزائر والبلدان الإفريقية، حيث قدمت عدة دراسات عن شخصيات إفريقية وعرضت قضايا إفريقية بتفاصيل وحماس، كما حرصت بعض الصحف على طباعة العديد من الكتب والمنشورات التي تعبر نشر الفكر التحرري ونشر ثقافة السلام والوحدة.

¹ وكالة الأنباء الجزائرية، "المركز الإقليمي لحماية التراث الثقافي غير المادي في إفريقيا، مركز النقاء لعلماء الأنثروبولوجيا في القارة"،

2022/05/16، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/culture/125910-2022-05-16-12-55-52> (تاريخ الاطلاع:

(2023/09/28)

² محمد السعيد بن غنيم، "الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في القارة الإفريقية"، مرجع سبق ذكره، ص 359

كانت جريدة "أفريكا نيوز" أول جريدة في الجزائر تُعنى بالشؤون الإفريقية ومنذ تأسيسها في 2019 كانت تفرد حيناً هاماً لقضايا القارة الإفريقية، لتكون ثالث مطبوعة جزائرية تهتم بالقارة الإفريقية بعد مجلة **المجاهد** والمجلة الشهيرة "الثورة الإفريقية" -الناطقة باللغة الفرنسية- التي توقفت عن الصدور والتوزيع، إذ تعد فعلاً صوت إفريقيا في الجزائر وصوت الجزائر في إفريقيا، حيث كانت توزع في معظم الدول الإفريقية من خلال إرسال نسخ كثيرة إلى السفارات والقنصليات التي كانت تتكفل بتوزيعها على المستوى القاري آنذاك¹.

ورغم أن مجلة "الثورة الإفريقية" كان مؤسسها فرنسي المحامي جاك فيرجاس Jacques Vergès زوج المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد، إلا أنها كانت تحظى بمقروئية كبيرة لدى مناضلي حزب جبهة التحرير الوطني باعتبارها لسان حال الحزب آنذاك والمتقنين، بفضل تطرقها إلى قضايا ساخنة وحساسة جداً وتميزها بإعطائها أهمية لكثير من الملفات التي كانت تحمل طابعاً دولياً لاسيما قضية الساحل والصحراء الغربية².

ظلت مجلة الثورة الإفريقية التي اشتغلت عليها المجاهدة جميلة بوحيرد مع زوجها جاك فيرجاس صوتاً إفريقياً مناصراً لقضايا التحرر الوطني و ضد التمييز العنصري، فقد كانت المجلة نصيرة الشعوب المقهورة التي تعيش تحت وطأة الاستعمار وتناضل من أجل التحرر³.

ومن جانب آخر، تعتبر **الإذاعة** وسيلة إعلامية فعالة جدا حيث تتمتع بالقدرة على تجاوز الحواجز التي تحول دون الوصول إليها، تسهيل النقاش السياسي وتشكيل الهويات، فلها دور فعال في الترويج لصورة

¹ عقار قردود، " أفريكا نيوز"..."صوت إفريقيا في الجزائر"، يومية أفريكا الإخبارية، 2023/05/07، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/nnK8o> تاريخ الاطلاع: 2023/09/25

² علجية عيش، " مجلة "الثورة الإفريقية" كانت "صوتا إفريقيا"، موقع أمد للاعلام، 2018/10/16، مقال متاح على الرابط: <https://www.amad.ps/ar/post/261953> تاريخ الاطلاع: 2023/09/25.

³ عقار قردود، " أفريكا نيوز"..."صوت إفريقيا في الجزائر"، مرجع سبق ذكره

الجزائر في إفريقيا ومنطقة الساحل الإفريقي بشكل خاص، ومن هنا جاء هذا التوجّه الإعلامي من أجل مواكبة كل تحركات مؤسسات الدولة الجزائرية، مرافقتها إعلامياً، إبراز عمق البلاد الإفريقي والدفاع عن مصالح المنطقة والقارة الإفريقية بشكل عام.

تزامنا مع اليوم العالمي لحرية الصحافة تم افتتاح الإذاعة الإفريقية بالجزائر "إف إف إم" يوم 03 ماي 2023م شعارها "الصوت الإفريقي"، وهي في الواقع استراتيجية تقارب مع إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى مدعومة بإعادة إطلاق خطوط جوية وبحرية جديدة بين الجزائر والسنغال، الذي تم تجديد العلاقات الدبلوماسية معه.

تبت محطة الإذاعة الإفريقية على مدار 24 ساعة، باللغات الفرنسية والعربية والتارقية والهاوسا والبابامبارا ولديها طاقم من الصحفيين الشباب من الجزائر وبوروندي وتشاد وليسوتو ومالي والكاميرون والنيجر بالإضافة إلى شبكة من المراسلين في تسعة بلدان إفريقية، وتعمل على نطاق ترددي يغطي المساحة التي تضمها دول الساحل الإفريقي¹.

وفي هذا الصدد، قال وزير الاتصال "محمد بوسليمان" إن هذا الصوت الإذاعي "سيشارك الأفارقة اهتماماتهم في جميع المجالات بما فيها السياسة والرياضة والثقافة"، كما أشاد وزير الشؤون الدينية والأوقاف "يوسف بلمهدي" بإطلاق هذه القناة الإذاعية ذات البعد الإفريقي، مؤكداً أن "الدبلوماسية الدينية الجزائرية موجودة في العمق الإفريقي من خلال الطريقتين "التيجانية" و"القادرية" وكذا من خلال انتشار علماء الجزائر في إفريقيا" ومن خلال هاته القناة الإذاعية سيزداد تفعيل التواصل الدائم بين مجتمعات الساحل الإفريقي².

¹ Fabrizio Carnevalini, "The multi-ethnic editorial staff and correspondents in nine countries", Radio reporter, 12/05/2023, on cite: <https://blog.radioreporter.org/algeria-a-new-shortwave-radio-for-africa> (date of visit : 29/09/2023)

² وكالة الأنباء الجزائرية، "المشهد الإعلامي الجزائري يتعزز بقناة إذاعية جديدة "إف إف إم"، 2023/05/04، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/algerie/143256-2023-05-04-07-55-25> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/25)

من جهة أخرى، اهتمت الدولة الجزائرية في سبيل تعزيز البعد الثقافي لقوتها الناعمة، ببرامج استثمارية ضمن تكنولوجيا الاتصالات الحديثة وتوصيلها إلى البيوت الإفريقية، تتيح عبر هذه البرامج للجزائر الهيمنة على شبكة اتصالات تحوي عدد من الدول الإفريقية، مما يمكنها من خلاله تسويق جملة من القيم والثقافات الجزائرية.

فقد تم إنشاء مشروع القمر الاصطناعي "الكوم سات 1 Alcomsat 1" الذي حقز العديد من الدول الإفريقية إلى الاشتراك فيه لاستغلال خدمات التدفق في الاتصالات وبت القنوات الفضائية، أما في مجال الأنترنت وضمن مبادرة 2003 ضمن الشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا "النيباد" الذي يهدف إلى إنشاء شبكة واسعة النطاق للاتصالات لتلبية حاجيات البنى التحتية للدول الإفريقية للاتصالات، ويعتبر مشروع "Algeria 2.0" الذي بدأ في 2012 فرصة للتواصل بين محترفي تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وشبكة الأنترنت في القارة الإفريقية، ومن جهة أخرى سعت الجزائر إلى فتح مكاتب بريدية عبر عدد من دول الساحل الإفريقي تكون تابعة لمؤسسة بريد الجزائر بالتنسيق مع مؤسسات البريد الإفريقية، كل هاته الجهود ميّزت مكانة الجزائر وحسّنت من صورتها الإقليمية والقارية¹.

الفرع الثالث: برامج التبادل العلمي والطلابي وترقية المرأة في منطقة الساحل الإفريقي

تعمل برامج التبادل التعليمي كإحدى آليات الظاهرة الأوسع للدبلوماسية الثقافية وتفعيل القوة الناعمة للدول، حيث يعتبر التبادل التعليمي الدولي من أكثر الآليات فعالية لنشر الأفكار الديمقراطية وتسويق المنتجات الفكرية لدى الدول الأخرى، وينظر إلى برامج التبادل الطلابي على أنها قنوات عابرة للحدود الوطنية للمعايير والأفكار.

¹ بلعور حمزة، بابا عربي مسلم، "القوة الناعمة الجزائرية اتجاه إفريقيا ومنطقة الساحل... البحث في القدرات وحدود التأثير"، مرجع سبق ذكره، ص1032.

مثل تبادل الفنون، فإن التبادل الطلابي في جميع مستويات التعليم من أجل تعلم ثقافات الدول المضيفة هو عامل رئيسي في الدبلوماسية الثقافية، حيث أن الإلمام بمعلومات عن بلد آخر بشكل مباشر من خلال المعلمين الذين يسكنون هذا البلد يسمح بتدوين الفروق والقضاء على التباعد بشكل كبير، فالدراسة مع طلاب في أراضي البلد الآخر يخلق شيئاً يسميه فيلسوف التواصل Jurgen Habermas "عالم الحياة بين الطلاب"، الذي هو عبارة عن شبكة من المعاني المشتركة والتفاهم اللذان ينشآن بسبب العمل مع بعضهم البعض بشكل متقارب لإنجاز مهمة مشتركة لها هدف مشترك¹، كما أن العديد من الطلاب الذين يدرسون بالخارج يكونون صداقات وطيدة تستمر مدى الحياة، علاوة على ذلك فإن الطلبة العائدين إلى دولهم بخلفية ثقافية يكونون أرضية خصبة للتفاعلات المستقبلية بين تلك الدول.

على هذا النحو قدمت الجزائر آلاف المنح الدراسية لطلابها للدراسة في العالم المتقدم؛ وبالمثل استضافت برامج التبادل التعليمي وقدمت منحاً للطلاب من البلدان الإفريقية والعالم العربي بهدف توفير المشاركة الاستراتيجية للجزائر في معركة الأفكار والقيم لمحاربة الإمبريالية والامية والتخلف.

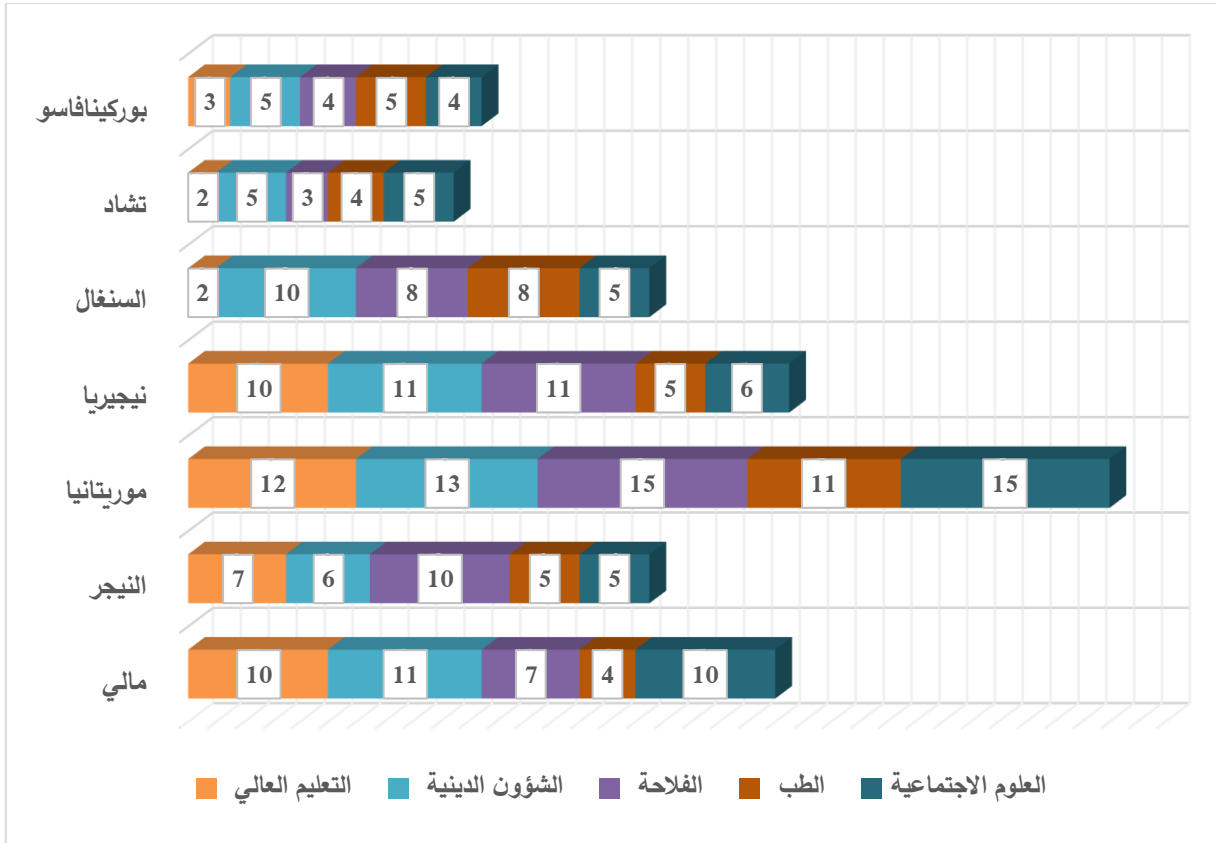
هناك قرابة عشرة قطاعات معنية ببرامج المنح المخصصة من طرف الدولة الجزائرية، نذكر من بينها: التعليم العالي، التكوين المهني، السياحة، اللاسلكية، الحماية المدنية، الشؤون الدينية، النقل، الشبيبة والرياضة والفلاحة، وبشأن ضبط الإحصائيات حول تعداد تلك المنح يعتبر صعباً لعدم وجود فهرسة شاملة لهم، غير أننا وقفنا على إحصائية تبين التوزيع السنوي للمنح على دول الساحل الإفريقي من بين 35 دولة إفريقية لخمس سنوات خلال الفترة الزمنية 2009-2014، وقد كوّنت الجزائر خلال هذه الفترة 40 ألف إطار إفريقي بمعدل ما يقارب 1200 منحة².

¹ جيفري إين بيجمان، الدبلوماسية المعاصرة: التمثيل والاتصال في دينا العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 259

² أعمار بوريشة، العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق، مرجع سبق ذكره، ص 326

والجدول التالي يبين توزيع هذه المنح على دول الساحل الإفريقي:

الجدول رقم (14): متوسط التوزيع السنوي للمنح على دول الساحل الإفريقي من بين 35 دولة



المصدر: من إعداد الباحث بناء على: أمر بوريشة، العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق،

مرجع سبق ذكره، ص 326

في قطاع الشؤون الدينية والأوقاف الجزائري عام 2013 أكد الوزير بوعبد الله غلام الله أن ما يزيد عن 300 إمام من دول الساحل تخرجوا من المعاهد الجزائرية المتخصصة في تخريج الأئمة، كما أعلن إمكانية استقبال الجزائر عدداً أكبر من الطلبة الأفارقة المتخصصين في الإمامة عند فتح معهد لتكوين الأئمة في مدينة تمنراست جنوبي الجزائر خلال نفس السنة¹.

¹ عثمان لحياي، "الجزائر تخرج 300 إمام إفريقي لمواجهة التطرف بدول الساحل"، موقع العربية، 2013/08/08، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/nSeuq> تاريخ الاطلاع: 2023/09/28

وتجدر الإشارة أن الدولة الجزائرية من خلال وزارة التعليم الأصلي فترة السبعينيات كانت معاهدها الدينية تستقطب الكثير من الطلبة الأجانب من منطقة الساحل الإفريقي وعموم إفريقيا، وقد كانت شروط الالتحاق بهاته المعاهد ميسرة، فمثلا لم تكن تركز على سن الطالب الملتحق للتعليم بها من دول الساحل الإفريقي، في محاولة للدولة لاستقطاب أكبر عدد ممكن من طلبة العلم الشرعي الأفارقة، تماشيا مع توجهها الإفريقي الذي انتهجته الدولة منذ استقلالها.

وقد توزعت أبرز هاته المعاهد على عدة مناطق جزائرية كأدرار، بوسعادة، باتنة وتمنراست، ففي أدرار لوحدها كانت تحوي على ما يقارب ثلاثة آلاف طالب علم من الأفارقة والجزائريين، وجميع الأطر الذين أطروا هذه المعاهد هم أزهيون (سواء أساتذة جزائريين متخرجين من الأزهر الشريف وغيرهم)، وقد كانت برامج التدريس مستقاة من برامج جامع الأزهر، وحتى البرنامج المقرر في اللغات الحية كان تعليم اللغة الإنجليزية، وليس الفرنسية في فترة السبعينيات.¹

وخلال نفس الفترة كانت الجزائر تسعى إلى تشييد صرح ديني (جامعة إسلامية) على مقاس ومعايير عالمية تنافس جامعة الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب والأزهر بمصر، إلا أن التجربة ككل لم يكتب لها الاستمرار ولم يعطى لها الوقت الكافي لتحقيق الأهداف المنشودة، وفي عام 1977 تم إلغاء التعليم الأصلي بالجزائر وتحويل قاعدته لوزارة التربية الوطنية.²

وفي قطاع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ضمن مخطط تبادل الطلاب التربويين والاهتمام بفئة الشباب تستقبل الجزائر سنويا عددا كبيرا من الطلبة الأفارقة، ففي الموسم الدراسي 2019/2018 تم استقبال حسب تقدير وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 12000 طالب إفريقي³، كثير من هؤلاء المسجلين في

¹ مقابلة مع السيد واني محمد، مدير الشؤون الدينية والوقفات بتمنراست، 2023/10/27، 18:30. انظر: الملحق رقم (05)

² نفس المرجع

³ سليم حمداني، سميرة شرايطية، "توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية الجزائرية 1999-2019"، مرجع سبق ذكره، ص212

جامعاتها يعودون إلى أوطانهم يشغلون مناصب عليا وسامية كرؤساء ووزراء وسفراء وأساتذة وأطباء، مما لا شك فيه أن هذا الانفتاح التعليمي مع إفريقيا سيشكل دعامة مهمة مستقبلا في التأثير الإيجابي للعلاقات البينية الجزائرية الإفريقية.

وفي سبيل استقبال أكبر عدد من طلبة دول الساحل تبذل الجزائر جهودا كبيرة فضلا عن توافد الكثير من طلبة العلم الشرعي على الزوايا والمدارس القرآنية بمختلف الأعمار، فقد عبر شيخ الطريقة التيجانية بنيجيريا الشيخ عثمان باوشي طاهر أثناء زيارته للجزائر يومي 26 و 27 فيفري 2023 بأن "الجزائر دولة لها فضل على القارة، خاصة في مجال تكوين وتعليم الطلبة الأفارقة"¹.

مع بداية الموسم 2023/2022 كشف وزير التعليم العالي والبحث العلمي "كمال بداري" تبني قطاعه استراتيجية جديدة فيما يتعلق بتكوين واستقبال الطلبة الأجانب، لضمان مرئية أكثر لنظام التعليم العالي الجزائري دوليا، ففي كلمة له بمناسبة إشرافه على مراسيم يوم ترحيبي لفائدة الطلبة الأجانب الذين يزاولون دراستهم بالمؤسسات الجامعية الجزائرية تحت شعار "ستيوذانت مرحبا داي"، قال الوزير إن هذه الاستراتيجية العملية التي تهدف إلى رفع عدد الطلبة يمكن تلخيصها في "تحسين استقبال وتمدرس الطلبة الضيوف ومرافقتهم من طرف أساتذة وإطارات إلى غاية نهاية تكوينهم بالجزائر، مع تمكينهم من بعض الاختصاصات باللغة الإنجليزية، إلى جانب استحداث وسم تقدمه وزارة التعليم العالي لكل مؤسسة جامعية حققت إقامة جيدة وتمدرس ممتاز للضيوف الأجانب"².

¹ المساء الإخبارية، "للجزائر فضل في تكوين وتعليم الطلبة الأفارقة"، 2023/03/02، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/Z6kuP>

تاريخ الاطلاع: 2023/09/27

² إيمان بلعمري، "63 ألف طالب أجنبي تكوّنوا بالجزائر"، 2022/11/15، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/3xbd0> تاريخ

الاطلاع: 2023/09/27

وفي جانب ترقية مكانية المرأة الإفريقية، اهتمت الجزائر وتبنت الطرح القائم على أن تمكين المرأة يعد عاملا رئيسيا في عملية مكافحة الفقر وأمراض نقص المناعة، الحد من المستويات العالية لوفيات الأطفال والأمهات وكذا مكافحة العنف ضد المرأة، والجزائر تعتبر من الدول الرائدة في مجال ترقية حقوق المرأة وحمايتها على المستوى الإفريقي عبر تشريعاتها الداخلية التي جعلتها تصل إلى مناصب عليا، وفي كل فرصة سانحة تقوم الجزائر بالدعوة عبر الهيئات الإقليمية إلى إعلاء شأن المرأة الإفريقية هذا ما أكسبها سمعة كبيرة في البلدان الإفريقية، فقد تم تكريم الجزائر من قبل رؤساء دول وحكومات الإتحاد الإفريقي للمرة الثانية على التوالي في إطار قمتي جويلية 2016 برواندا والقمة 29 بأديس أبابا 2017 وهي جائزة التنمية الاجتماعية¹.

والشكل الموالي يبين ما تم الحديث عنه بالتفصيل أعلاه:

دور الدبلوماسية الثقافية الجزائرية في تنمية العلاقات مع دول الساحل

الفنون وتنظيم المهرجانات الثقافية		الإعلام وشبكات الإتصال		التبادل العلمي والطلابي وترقية المرأة
المهرجان الثقافي الإفريقي الأول جويلية 1969	المهرجان العالمي للشباب والطلبة أوت 2001	جريدة المجاهد: عرض قضايا إفريقية 1956- 1962	جريدة أفريكا نيوز 2019 مشروع Alegria 2012 2.0	استضافة برامج التبادل الطلابي
المهرجان الثقافي الإفريقي الثاني جويلية 2009		مجلة الثورة الإفريقية 1962: التحرر الوطني / ضد التمييز العنصري	مشروع 2017 Alcomsat	فتح العديد من المعاهد الدينية
المهرجان الثقافي الدولي الثالث للأدب وكتاب الشباب 27 ماي - 05 جوان 2010		إذاعة إفريقية إف إم ماي 2023	فتح مكاتب بريدية في عدة دول الساحل	تمكين المرأة ومكافحة العنف ضدها: تكريم الجزائر بجائزة التنمية الاجتماعية بقمتي جويلية 2016 برواندا والقمة 29 بأديس أبابا 2017

المصدر: من إعداد الباحث

¹ بلعور حمزة، بابا عربي مسلم، "القوة الناعمة الجزائرية تجاه إفريقيا ومنطقة الساحل... البحث في القدرات وحدود التأثير"، مرجع سبق ذكره، ص1033

المبحث الثالث: تأثير القوة الناعمة الجزائرية وأهميتها في تنمية الشركات

الاستراتيجية مع منطقة الساحل الإفريقي

عرفت الجزائر في علاقتها تجاه إفريقيا عبر مختلف المراحل التاريخية، تفعيل عدة مقاربات سعت من خلالها إلى الحفاظ على مكانتها وحضورها الإقليمي، وهاته المقاربات تشكل مصادر قوتها الناعمة في محيطها الإفريقي، ويرتبط قوة تأثير هاته القوة بمدى تفعيل مصادر تلك القوة، وعليه ضمن هذا المبحث سنسلط الضوء على مدى فاعلية وتأثير القوة الناعمة الجزائرية في بناء وتنمية الشركات الاستراتيجية مع محيطها الإفريقي جنوبا.

المطلب الأول: مسار الشراكة الاستراتيجية الجزائرية الإفريقية في ضوء تنامي قوتها الناعمة

تعززت مكانة الجزائر وثقلها التاريخي في حضورها القوي بإفريقيا وكان لمصادرها الناعمة الأثر الأكبر في تمرير أهم البنود من أجندتها الخارجية، ودفعت عدة عوامل الجزائر إلى تعزيز استراتيجيتها الاقتصادية نحو منطقة الساحل الإفريقي، أهمها:

- الشعور بوجود علاقة غير متوازنة في بعض الأحيان بين الجزائر وبلدان الشمال، كان وراء فكرة التعاون والشراكة بين بلدان الجنوب الأكثر شراكة في أذهان القادة؛
- كما كانت هناك عناصر ظرفية حاسمة مثل ارتفاع أسعار المواد الأكثر استهلاكاً في السوق الدولي؛
- الحاجة الملحة لتنويع مواردها، فالجزائر ترغب في تطوير السبل والوسائل لتحقيق النمو المستدام؛
- كما يجب عليها البحث عن فرص جديدة لتصدير سلعها وخدماتها ورأس مالها البشري.

هذا الواقع فرض على الجزائر انتهاج سياسات استباقية من أجل تطوير العلاقات الاقتصادية مع الدول الإفريقية بشكل عام ومنطقة الساحل وما جاورها بشكل خاص.

الفرع الأول: أهمية إتفاقيات الشراكة في تعزيز العلاقات الجزائرية - الإفريقية

الجزائر منذ نهاية الألفية الثانية وعلى الرغم من عدم استقرار البيئتين الداخلية والخارجية، إلا أنها سارعت في إعادة ترتيب سياستها الخارجية من خلال تنشيط العلاقات الجزائرية الإفريقية بوضع استراتيجية أطلق عليها "استراتيجية التوسع الإفريقي"، فشهدت المرحلة مرافقة الدولة لبعض الشركات الجزائرية التي تريد تطوير أعمالها بمنطقة الساحل الإفريقي مثل: شركة سونطراك، خليفة للطيران سابقا، الخطوط الجوية الجزائرية، شركة طاسيلي للخطوط الجوية وشركة سيفيتال وغيرها، عبر تنظيم جولات مع رجال الأعمال في إفريقيا، وبذلك قامت الدبلوماسية الجزائرية بدعم وعلى نطاق واسع الأهداف الاقتصادية، فقد وسعت من تواجدها من خلال ما يقارب أربعون سفارة في إفريقيا¹.

تواصل الجزائر بشكل دؤوب في إطار دبلوماسيتها الاقتصادية توسيع نفوذها الاقتصادي في منطقة الساحل الإفريقي، من خلال تكوين اتفاقيات الشراكة الثنائية وفي الإطار الاستراتيجي للاتحاد الإفريقي للتنمية الاجتماعية والاقتصادية (النيباد)، وعلى الرغم من حضورها الاقتصادي المحتشم نوعا ما إلا أن الجزائر لها حضور كبير على المستويين السياسي والأمني خاصة داخل هيئات الإتحاد الإفريقي، ولعل ضعف حضورها الاقتصادي المحتشم يعزو إلى ارتباطها بالشمال خاصة الدول الأوروبية والآسيوية في حجم المبادلات التجارية من جهة، وسوء الأوضاع الأمنية المتدهورة وحالة اللااستقرار لنظمها الاقتصادية والسياسية من جهة أخرى، فوفقا لتقارير البنك الدولي في إفريقيا يعاني أغلب بلدانها إفريقيا جنوب الصحراء من أوضاع الهشاشة أو الصراع. كما تضم أيضا 13 دولة صغيرة تتسم بقلّة عدد السكان ومحدودية رأس

¹ أعمر بوريشة، العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق، مرجع سبق ذكره، ص 302

المال البشري وعدم إطلالتها على البحار، هذا ما جعلها تسجل انخفاضا في النمو الاقتصادي إلى 3.1% في عام 2023م، هذا التراجع ساهم فيه تباطؤ الاقتصاد العالمي، استمرار التضخم وصعوبة الأوضاع المالية المصحوبة بارتفاع الديون¹.

وأشار نفس التقرير في سياق آخر أن إفريقيا جنوب الصحراء التي هي موطناً لأكثر من مليار شخص تقل أعمار نصفهم عن 25 عاماً، ومنطقة متنوعة توفر موارد بشرية وطبيعية، لديها القدرة على تحقيق النمو الشامل للجميع والقضاء على الفقر في المنطقة. وتمتلك أكبر منطقة تجارة حرة في العالم وسوقاً تضم 1.2 مليار شخص²، فهي تضم أعظم الإمكانيات العالمية للمواد الخام و60% من الأراضي الصالحة للزراعة غير المستغلة على هذا الكوكب، كما أنه خلال العقد الأخير تضاعف استهلاك الأسر في منطقة الساحل بالخصوص. ومع ذلك فإن مستوى التجارة مع شمال إفريقيا لا يزال منخفضاً³.

سعت الجزائر من خلال إبرامها لاتفاقيات الشراكة المتعددة والثنائية مع دول القارة الإفريقية بشكل عام ودول الساحل الإفريقي بشكل خاص، إلى تنويع اقتصادها الوطني من خلال المزايا التي تتيحها هذه الشراكات، ومن خلالها تهدف إلى تأهيل اقتصادها لغرض الاندماج في الاقتصاد العالمي والوصول إلى المستوى العالمي⁴، و تدرك الجزائر أنه لن تكون لها المكانة التي تستحقها كأكبر وأهم دولة إفريقية في شمال إفريقيا ووسطها دون تفعيل فعلي لإمكانياتها نظراً لتشابك المصالح الاستراتيجية مع محيطها المحاذي

¹ البنك الدولي، "تقرير البنك الدولي في أفريقيا"، 2023/04/05، تقرير متاح على الرابط: <https://cutt.us/spf8d> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/29)

² نفس المرجع

³ أعمار بوريشة، العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق، مرجع سبق ذكره، ص 302

⁴ غربي حمزة، خالد عاصم، "الاستثمار والشراكة الجزائرية الإفريقية"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج09، ع05، ديسمبر 2020، ص230

والمجاور، لأن قوة أي دولة تتجسد في نفوذها الاستراتيجي مع دول الطوق التي تتمتع معها بعلاقات حسن الجوار وبشكل خاص اتجاه مجالها الحيوي ذو الأهمية الجيوبوليتيكية.

تدرجيا شهدت السياسات الاستباقية التي نفذتها الدولة الجزائرية في الآونة الأخيرة نجاحا ملحوظا في إطار استغلال نفوذها الإقليمي تجاه دول الساحل الإفريقي، فقد وضعت أسس إستراتيجيتها من خلال مؤسساتها المالية، فقد ساهمت شبكة البنوك الجزائرية (بنك الجزائر الخارجي، البنك الوطني الجزائري، بنك التنمية الفلاحي) إلى حد كبير في التعاون المالي والشراكة الاستراتيجية مع الدائرة الإفريقية.

ومع هذا الدعم البنكي الذي جاء بعد إقرار ترسانة من القوانين تم إعدادها خصيصاً لدعم مناخ الاستثمار وسبل الشراكة بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي، لتعزيز فرص حضور المنتجات الجزائرية في إفريقيا وترقية حجم الصادرات خارج المحروقات.

في ذات السياق تعمل الجزائر في ظل توجهاتها الجديدة على تعميق علاقاتها الاستراتيجية على امتداد محيطها الإقليمي عبر إفريقيا، من خلال توزيع التوازن في المصالح وتضخيمها على امتداد مجالها الإقليمي في الساحل وما وراء الصحراء، فتم إنشاء وكالة جزائرية للتعاون الدولي لأجل التضامن والتنمية "ALDEC"، ذات البعد الإفريقي لإعادة الوهج من جديد لعلاقات الجزائر ودول إفريقيا، خاصة تلك التي كانت تمثل لها الجزائر في سبعينات وثمانينيات القرن الماضي الحاضنة الأساسية للتحرر والتنمية والتعليم¹.

ومن أجل تركيز التواجد الاقتصادي على الساحة الإفريقية عملت الجزائر على إطلاق عدة إجراءات، كالتوقيع سنة 2018 على اتفاق الانضمام إلى منطقة التجارة الحرة الإفريقية الذي سيسمح لها بتعزيز التبادلات التجارية مع 54 دولة، وتأهبت للدخول إلى أسواق منطقة التجارة الحرة الإفريقية بداية عام 2022،

¹ سيف الدين قداش، "تسعى الجزائر لتقوية علاقاتها الاقتصادية مع النيجر؟"، مرجع سبق ذكره

في ظل توجه قائم على تشجيع الاستثمارات وتصدير المنتجات المحلية وفي إطار خطة لتنويع الاقتصاد، ووفقا لمعطيات الجمارك الجزائرية بلغ حجم المبادلات التجارية مع الدول الإفريقية 3.51 مليارات دولار قبل جائحة كورونا. تحسنت هذه المعطيات خلال 2022 بإرتفاع صادرات البلاد للخارج من المحروقات إلى عتبة 7 مليارات دولار لأول مرة¹.

ولعل من الضروري على الجزائر في إطار انضمامها لمنطقة التبادل الحر الإفريقي أن تدعم سفاراتها في بلدان الساحل الإفريقي بملحقين اقتصاديين وآخرين تجاريين ذوي كفاءات علمية وعملية عالية المستوى في ميدان التجارة والاقتصاد، وذلك لغرض دراسة السوق الإفريقية دراسة علمية اقتصادية لتسهيل تنقل رجال الأعمال عن طريق تفعيل دور مجالس المستثمرين ورجال الأعمال كمحرك في تطوير وتنمية التبادلات التجارية والشراكة.²

تمثلت خطواتها أيضا مع دول الساحل الإفريقي في فتح معابر برية حدودية لتسهيل تجارة "المقايضة" وتشغيل خط بحري تجاري مع موريتانيا لتعزيز تواجد المنتوجات الجزائرية في غرب إفريقيا، إضافة إلى فتح خطوط جوية جديدة نحو عواصم إفريقية، التوجه نحو إنشاء فروع للبنوك في بعض دول القارة التي تستقبل السلع الجزائرية من أجل مرافقة المصدرين الجزائريين،³ وفي هذا الإطار تم افتتاح -كما أشرنا سابقا- بنكين جزائريين ومعرضين تجاريين بموريتانيا والسنغال وهي خطوة هامة لدعم حضور المنتج الوطني الذي يحظى بمزايا تنافسية، ما يزيد من سبل تعزيز الاستثمارات الجزائرية بمنطقة الساحل الإفريقي.

¹ عبد الحكيم حذافة، "خصّصت مليار دولار لتنمية إفريقيا.. ماذا تستفيد الجزائر وما أولوياتها؟"، الجزيرة نت، 2023/02/24، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/n3uIQ> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/29)

² أحمد الحيدوسي، "دراسة استشرافية لمستقبل الجزائر في منطقة التبادل الحر الإفريقي"، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، مج10، ع01، جوان 2021، ص197

³ إسلام كعبش، "بوصلة الجزائر تتجه نحو إفريقيا لكسب رهان الصادرات"، سكاى نيوز عربية، 2022/06/11، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/qyYZV> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/29)

الفرع الثاني: دور نظام المقايضة الحدودية في تعزيز الشركات الاستراتيجية اتجاه دول الساحل

الإفريقي

تكتسي تجارة المقايضة الحدودية أهمية كبيرة في مجال تعزيز سبل التعاون وتطوير الشركات الاستراتيجية بين الدول إذا ما تم وضعها في إطارها الصحيح، ومرافقتها الجادة من قبل الدولة عبر مجموعة من الآليات التي من شأنها ضبط حركة التجارة البينية والسعي إلى توسيعها.

ومن المتفق عليه أن نظام المقايضة الحدودية هو نظام استثنائي في مجال المبادلات التجارية الدولية، تعود جذوره إلى الحضارات القديمة حيث اعتمدت عليه الشعوب والقبائل في تعاملاتها التجارية، وقد عرفت الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي هذا النظام منذ زمن طويل وازدهر التعامل به أثناء تجارة القوافل في العصور الوسطى.

وقد أجازت الدولة الجزائرية استخدام هذا النظام التجاري وذلك نظرا لخصوصية المنطقة من الناحية التاريخية ولترابطها الثقافية والاجتماعي، وبما أن الأعراف التجارية السائدة في تلك المناطق التي تتخذ من تجارة المقايضة كنمط حياة ورافد من روافد التنمية فيها تبنت الدولة هذا الأسلوب، فقامت بتقنينه وتنظيمه وإضفاء الصبغة الشرعية عليه من أجل ترقيته والمحافظة عليه وتطويره.¹

فمنذ السنوات الأولى للاستقلال اندفعت الدولة الجزائرية نحو الاهتمام بالمقايضة، وتجسد بصفة واضحة لأول مرة ذلك الاهتمام بموجب القرار الوزاري المشترك المحدد لشروط وكيفيات ممارسة تجارة

¹ بن حدة يعقوب، "تنظيم تجارة المقايضة في القانون الجزائري"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج14، ع05، جوان 2022،

المقايضة الحدودية مع دولة النيجر لعام 1988¹، قبل أن يتم استبداله بالقرار الوزاري المشترك لعام 1994² الذي ضم دولتي مالي والنيجر معا في تجارتهما بنظام المقايضة مع الجزائر.

والشكل أدناه عبارة قراءة تفصيلية لأهم النصوص القانونية التي وضعتها الجزائر لضبط وتقنين تجارة المقايضة مع الدول المجاورة لها والتي تعمل بنفس النظام:

الشكل رقم (27): أهم النصوص القانونية المتعلقة بتقنين تجارة المقايضة بين الجزائر ودول الجوار



المصدر: من إعداد الباحث بناء على: *يوسفي محمد، تجارة المقايضة كأداة لتنمية المناطق الحدودية بالجزائر، مجلة شعاع للدراسات الاقتصادية، العدد الرابع، سبتمبر 2018، ص 25-26؛

تمثلت تجارة المقايضة الحدودية في عمليات التبادل الممكنة للسلع والبضائع بسلع وبضائع أخرى بين الأقاليم المتجاورة لدولتين حدوديتين، وقد سمحت الجزائر بتجارة المقايضة الحدودية على مستوى الولايات الجنوبية الكبرى: تندوف، أدرار، تمنراست وإليزي مع دول الساحل الإفريقي: النيجر ومالي وموريتانيا³.

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 فبراير سنة 1988، يحدد شروط استيراد البضائع وتصديرها في إطار التجارة الحدودية بالمقايضة مع النيجر وكيفيات ذلك، الجريدة الرسمية، المؤرخ في 27 رجب 1408، ص 481 (ملغى)

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 ديسمبر سنة 1994، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 ديسمبر سنة 1994، يحدد كيفيات ممارسة تجارة المقايضة الحدودية مع النيجر والمالي. الجريدة الرسمية، ع 07، المؤرخ في 15 رمضان 1415، ص 39 (ملغى)

³ بن حدة يعقوب، "تنظيم تجارة المقايضة في القانون الجزائري"، مرجع سبق ذكره، ص 261

ففي البداية اقتصر على متابعة عمليات المقايضة مع النيجر فقط وكانت الولايات الجزائرية المعنية هي أدرار، إليزي وتمنراست، إلى غاية صدور قرار وزاري بسنة 1999 أين تقرر إدراج ولاية تندوف ضمن الولايات السابقة، ووفقا للنصوص القانونية التي سنها المشرع الجزائري المحددة لشروط وكيفيات استيراد البضائع وتصديرها في إطار تجارة المقايضة الحدودية، تم وضع قائمة بالمنتجات/ البضائع المسموح بتبادلها بين الجزائر من جهة والنيجر ومالي جهة أخرى، والشكل التالي يبين مضمون تلك القائمة تبعا لكل قرار وزاري صادر:

الشكل رقم (28): قائمة المنتجات المتبادلة في إطار تجارة المقايضة (القرار الوزاري 1988 و 1994)



المصدر: من إعداد الباحث بناء على: * الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 فبراير سنة 1988، يحدد شروط استيراد البضائع وتصديرها في إطار التجارة الحدودية بالمقايضة مع النيجر وكيفيات ذلك، الجريدة الرسمية، المؤرخ في 27 رجب 1408، ص 481 (ملغى)

* الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 ديسمبر سنة 1994، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 ديسمبر سنة 1994، يحدد كيفية ممارسة تجارة المقايضة الحدودية مع النيجر والمالي. الجريدة الرسمية، ع07، المؤرخ في 15 رمضان 1415، ص 39 (ملغى)

وبحلول سنة 2019 اتجهت الدولة إلى البحث عن التدابير اللازمة لترقية النشاط الاقتصادي وتنويع الصادرات خارج قطاع المحروقات، من بينها زيادة تطوير التبادلات التجارية الخارجية مع دول الساحل الإفريقي، وقد تعاضم هذا الاهتمام ابتداء من سنة 2020م في ظل سعي الدولة نحو تطويرها من أجل

التعريف بالمنتجات الجزائرية في السوق الإفريقية، وإيجاد أرضية ملائمة التي من شأنها أن تسهل الولوج إلى كافة الأسواق الخارجية الإفريقية انطلاقاً من دول الساحل الإفريقي¹.

مع التطور الحاصل في بيئة الأعمال وتزامناً مع إجبارية التوسع نحو الانفتاح على الأسواق الخارجية الإفريقية، إضافة للمعارض التي أقيمت لفتح المجال أمام المتعاملين الاقتصاديين الجزائريين وكذا متعاملي الدول الإفريقية، ألغت الجزائر القانونين الوزاريين الصادرين خلال سنتي 1988 و1994 وجاءت بقانون وزاري جديد سنة 2020، أحدثت فيه توسعاً كبيراً فيما يخص المنتجات المتبادلة من أجل إتاحة فرصة أكبر للقيام بالتبادل بين الأطراف المعنية بتجارة المقايضة الحدودية على طول الشريط الحدودي.

والشكل التالي يلخص جزئية مضمون القانون الوزاري المؤرخ في 2020/07/02 المتعلقة بالمنتجات

التي تتبادلها الجزائر مع مالي والنيجر:

الشكل رقم (29): قائمة المنتجات المتبادلة في إطار تجارة المقايضة (القرار الوزاري 2020)

¹ خلاف فاتح، "المستحدث في تجارة المقايضة الحدودية على ضوء احكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 02 يوليو 2020"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، مج06، ع01، مارس 2022، ص841



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، " قرار وزاري مشترك مؤرخ في 6 جمادي الأولى عام 1441 الموافق 2 يوليو سنة 2020، يحدد شروط و كفاءات ممارسة تجارة المقايضة الحدودية و قائمة البضائع موضوع التبادل مع جمهورية مالي و جمهورية النيجر" الجريدة الرسمية، ع44، المؤرخ في 30 يوليو سنة 2020

تجسيدا للقرار الوزاري أعلاه والمشارك بين وزارتي التجارة والمالية أعادت الحكومة الجزائرية بعث الحياة في تجارة المقايضة مع وضع شروط جديدة¹، إذ تعد هذه خطوة في ظل بحث الجزائر عن عودة طبيعية إلى عمقها الإفريقي وإيجاد حلول للأزمة الاقتصادية، وقد كشفت مديرية التجارة عن تصدير بضائع محلية نحو السوق الإفريقية بقيمة تفوق 170 مليون دينار جزائري أي أكثر من مليون و270 ألف دولار في إطار تجارة المقايضة الحدودية، مقابل ما قيمته 100 مليون دينار جزائري أي 750 ألف دولار من

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، " قرار وزاري مشترك مؤرخ في 6 جمادي الأولى عام 1441 الموافق 2 يوليو سنة 2020، يحدد شروط و كفاءات ممارسة تجارة المقايضة الحدودية و قائمة البضائع موضوع التبادل مع جمهورية مالي و جمهورية النيجر" الجريدة الرسمية، ع44، المؤرخ في 30 يوليو سنة 2020 .

الواردات خلال سنة 2020م، مشيرة إلى أن الصادرات شملت بنسبة كبيرة مالي والنيجر بالإضافة إلى بلدان أفريقية أخرى¹، وقدرت بعض التقارير حدوث زيادة في حجم التجارة بين الجزائر والدول الإفريقية بنسبة تتراوح بين 20% إلى 30% بحلول سنة 2024م².

ووفقا للبيانات العالمية حول الاقتصاد والمالية المنشورة من طرف البنك الدولي فإن مؤشر صافي شروط التجارة للمقايضة الذي حققته الجزائر سنة 2020 قد بلغ 131.751، ويعتبر هذا انخفاضا مسجلا مقارنة بسنة 2019 الذي بلغ فيها المؤشر نسبة 191.652³، إن هذا المؤشر يحسب على أنه النسبة المئوية لمؤشر أسعار الصادرات إلى مؤشر أسعار الواردات، مُقاسة مقارنة بسنة الأساس 2000 (2000=100)⁴.

وفي آخر تحديث لقاعدة بيانات COMTRADE المتعلقة بالتجارة الدولية والتابعة للأمم المتحدة فإنه في سنة 2016 بلغت إجمالي صادرات الجزائر إلى مالي 998.89 ألف دولار أمريكي، حيث كانت الآلات والمفاعلات النووية والمنتجات الصيدلانية والكهربائية على رأس قائمة المنتجات المصدرة⁵، ومع حلول سنة 2019 ارتفعت قيمة هذه الصادرات بشكل كبير لتصل إلى حوالي 14.7 مليون دولار أمريكي، في المقابل كانت وتيرة صادرات مالي إلى الجزائر تتخف تدريجيا حيث قدرت بـ 9.56 ألف دولار أمريكي فقط خلال 2019⁶، وفي إطار تجارة المقايضة الحدودية تم الإعلان في سنة 2021 عن تصدير 20 طن

¹ علي يحيى، "هل تعيد "تجارة المقايضة" الجزائر إلى أحضان أفريقيا؟"، اندبندنت عربية، 2021/03/12، مقال متاح على الرابط:

<https://cutt.us/Bx3JV> تاريخ الاطلاع: 2023/09/29

² خلاف فاتح، "المستحدث في تجارة المقايضة الحدودية على ضوء احكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 02 يوليو 2020"، مرجع سبق ذكره، ص 847

³ CEIC's economic databases, "Algeria Trade Index", Available online at: <https://www.ceicdata.com/en/algeria/trade-index/dz-net-barter-terms-of-trade-index>, (date of visit: 04/10/2023).

⁴ Nation Master, "Algeria Algerian Economy Stats" on cite: <https://www.nationmaster.com/country-info/stats/Economy/Net-barter-terms-of-trade>, (date of visit: 04/10/2023).

⁵ Trading Economics, "Algeria Exports to Mali", on cite: <https://tradingeconomics.com/algeria/exports/mali>, (date of visit: 04/10/2023).

⁶ The Observatory of Economic Complexity, "bilateral-country Algeria partner Mali", on cite: <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/dza/partner/mli>, (date of visit: 04/10/2023).

من التمور الجزائرية من ولاية إليزي نحو مالي¹، ولم يتم العثور على إحصائيات أخرى حديثة حول صادرات الجزائر إلى مالي إلا ما تم ذكره سنة 2016 فقط، والجدول التالي يوضح بعضها:

الجدول رقم (15): بعض صادرات الجزائر إلى مالي الداخلة ضمن تجارة المقايضة سنة 2016

القيمة (دولار أمريكي)	المنتجات
38.33 ألف	منتجات الألبان، البيض، العسل، المنتجات الصالحة للأكل
30.84 ألف	المطاط
24.36 ألف	الفواكه الصالحة للأكل، المكسرات، قشر الحمضيات البطيخ
13.31 ألف	الزيوت العطرية والعطور ومستحضرات التجميل وأدوات الزينة
8.73 ألف	الدهون والزيوت الحيوانية والنباتية ومنتجات التقسيم
5.86 ألف	البلاستيك
2.44 ألف	السكريات والحلويات السكرية
999	البذور الزيتية، الفواكه الزيتية، الحبوب، البذور، الفواكه
502	الصابون ومواد التشحيم والشموع
269	الملح، والكبريت، التراب والحجر والجير

Source: <https://tradingeconomics.com/algeria/exports/mali>

وفيما يخص التبادل التجاري بين الجزائر والنيجر فوفقا لمنصة مرصد التعقيد الاقتصادي OEC (The Observatory of Economic Complexity) المنشأة من طرف معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا -الولايات المتحدة- فإن الجزائر قد صدرت إلى النيجر خلال سنة 2021 بقيمة 24 مليون دولار أمريكي، أما بالنسبة للنيجر فقد صدرت للجزائر في نفس السنة بقيمة 478 ألف دولار أمريكي إذ كان الشاي ثاني

¹ وكالة الانباء الجزائرية، "في إطار تجارة المقايضة الحدودية: الجزائر تصدر 20 طنا من التمور نحو مالي"، وكالة الانباء الجزائرية، 2021/02/25، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/regions/102413-20> (تاريخ الاطلاع: 2023/10/04)

منتج رئيسي مصدر (91.9 ألف دولار أمريكي)¹، وقبل انتهاء سنة 2021 كانت النيجر قد أرسلت عبر المعبر الحدودي لولاية إليزي شحنة من المواشي تضم 143 رأس من الأغنام و68 من الأبقار، مقابل تصدير شحنة من التمور الجافة البيضاء الجزائرية في إطار تجارة المقايضة².

أما خلال سنة 2022 ووفقا قاعدة البيانات COMTRADE فقد انخفضت صادرات النيجر للجزائر إلى 342.47 ألف دولار أمريكي³، والجدول أسفله يضم بعض المنتجات التي صدرتها النيجر إلى الجزائر سنة 2022:

الجدول رقم (16): بعض المنتجات المصدرة من النيجر إلى الجزائر خلال سنة 2022

المنتجات	القيمة (دولار أمريكي)
القهوة والشاي والتمه والتوابل	119.81 ألف
البذور الزيتية، الفواكه الزيتية، الحبوب، البذور، الفواكه	44.70 ألف
الفواكه الصالحة للأكل، المكسرات، قشر الحمضيات البطيخ	28.13 ألف
المصنوعات النسيجية وأطقم وملابس مستعملة	3.61 ألف
لاك، الصمغ	3.21 ألف
السكريات	10.68 ألف / 2018
الزيوت العطرية والعطور ومستحضرات التجميل وأدوات الزينة	26.66 ألف / 2017
أغطية الرأس	9.13 ألف / 2017
الدباغة، مستخلصات الصباغة ومشتقاتها	3.25 ألف / 2017

¹ The Observatory of Economic Complexity, “**bilateral-country Niger partner Algeria**”, on cite: <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/ner/partner/dza>, Consulted on 04/10/2023.

² سيد علي، "استلام 211 رأسا من المواشي من النيجر في إطار تجارة المقايضة"، سهم ميديا، 2021/11/15، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/lXkvB> (تاريخ الاطلاع: 2023/10/04)

³ Trading Economics, “**Niger Exports to Algeria**”, on cite: <https://tradingeconomics.com/niger/exports/algeria>, (date of visit: 04/10/2023).

السجاد وأغطية الأرضيات النسيجية الأخرى	8.70 ألف / 2010
--	-----------------

Source: <https://tradingeconomics.com/niger/exports/algeria>

أما فيما يتعلق بجسر التجارة الثنائية بين الجزائر وموريتانيا فقد نشرت COMTRADE قائمة بها أهم ما صدرته الجزائر لموريتانيا خلال سنة 2016، وصرحت أن هذه الصادرات قد بلغت 38.52 مليون دولار أمريكي، والجدول التالي يحوي قيم بعض المنتجات المصدرة¹:

الجدول رقم (17): بعض صادرات الجزائر إلى موريتانيا سنة 2016

المنتجات	القيمة (دولار أمريكي)
السكريات والحلويات السكرية	35.12 مليون
الحبوب، الطحين والنشاء ومنتجات الحليب	1.36 مليون
الفواكه، المكسرات، قشر الحمضيات، البطيخ	1.14 مليون
منتجات الألبان، البيض، العسل	55.16 ألف
الصابون ومواد التشحيم والشموع	32 ألف
البلاستيك	22.38 ألف
الألمنيوم	16.76 ألف
مصنوعات من الحديد أو الصلب	5.16 ألف

Source: <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/mrt/partner/dza>

¹ Trading Economics, "Algeria Exports to Mauritania", on cite: <https://tradingeconomics.com/algeria/exports/mauritania>, (date of visit: 04/10/2023).

كما نشرت منصة OEC أيضا قيمة صادرات كل من الدولتين والمنتجات الرئيسية التي تم تصديرها

لبعضهما البعض خلال سنة 2021، ويمكن توضيح تلك البيانات في الجدول أدناه:

الجدول رقم (18): قيمة التبادل التجاري بين الجزائر وموريتانيا خلال سنة 2021 (دولار أمريكي)

موريتانيا -الجزائر	الجزائر - موريتانيا	
140 ألف	70.2 مليون	قيمة الصادرات
الأسماك المجمدة (55 ألف)	السكر الخام (35.1 مليون)	المنتجات الرئيسية
الأسماك الطازجة (24.5 ألف)	زيت فول الصويا (5.16 مليون)	المصدرة

Source: <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/mrt/partner/dza>

بالنظر إلى هذه الإحصائيات والتمعن فيها يتبين أن صادرات الجزائر لهذه الدول الثلاث تزداد بوتيرة متسارعة أما وارداتها منها فهي في انخفاض، ذلك راجع إلى الاستقرار والأمن الذي يسود الفضاء الداخلي للجزائر، الجهود والإنجازات الاقتصادية التي تحققتها وتبذلها لتعزيز مكانتها في القارة الإفريقية، موقعها الجغرافي المتميز الذي أكسبها هذه المكانة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن القول أن النزاعات السياسية واللامن الحاصل بالدول المجاورة وقلة إمكانياتها المسخرة لاستغلال ثرواتها زاد من نسبة تقليص الجزائر من وارداتها منها، دون نسيان أن أي تذبذب في حركة التبادلات التجارية بين الطرفين بعد سنة 2019 كان المتسبب الرئيسي فيها هو جائحة COVID-19.

وضمن هذا السياق أكد أستاذ الاقتصاد "أحمد الحيدوسي" أنه يمكن اعتبار تجارة المقايضة كأرضية تعتمد عليها الجزائر اليوم لولوج شراكات استراتيجية إفريقية، لأن الأرقام المسجلة لا تزال مشجعة لعدة أسباب؛

أولها، أن السوق المحلية بجنوب البلاد يتم تمويلها بسلع من دول أجنبية دون الحاجة إلى عملة صعبة وهذا أمر مهم؛

ثانياً أن السلع التي يتم تصديرها في إطار المقايضة هي منتجة محلياً وهذا مسعى مهم أيضاً، مضيفاً أن إفريقيا اليوم تشهد تطوراً كبيراً ومتسارعاً بسوق تعد من أكبر الأسواق في العالم بـ1.3 مليار نسمة وبحجم تبادل يصل إلى 300 مليار دولار -يتوقع البنك الدولي أن يصل إلى 1000 مليار دولار خلال 2030-، ويضم العديد من التكتلات منها 8 اقتصادية حسب الإتحاد الإفريقي، كما أن إفريقيا دشنت سنة 2021 بدخول اتفاقية منطقة التبادل الحر الإفريقي حيز التنفيذ بـ52 دولة من بين 55 دولة، هذا ما يسمح للمنتجات الجزائرية بالاستفادة من إعفاءات جمركية تصل إلى 90% وهي فرصة كبيرة جداً للجزائر إذا تم استغلالها جيداً¹.

وتجدر الإشارة نهاية هذا المطب، أن هناك العديد من الرهانات الهيكلية الداخلية والتحديات الأمنية الخارجية التي تهدد مسار الشراكة الجزائرية الإفريقية، وتؤثر سلبا على نمو التجارة البينية بين المنطقتين، فعلى الصعيد الداخلي:

- أزمة بناء الدولة القومية.
- أزمة الاندماج الاجتماعي الوطني، والصراعات الإثنية داخل الدولة الواحدة في المنطقة.
- ضعف التنمية الاقتصادية بل انعدامها في أغلب مناطق الدولة الواحدة.

أما على الصعيد الخارجي:

- عدم الاستقرار الأمني لدول الجوار مما يؤثر على مسار تطور الشراكات الإقليمية؛
- المنافسة الإقليمية للدور الجزائري خاصة من طرف المغرب الأقصى الذي ينشط على أساس أنه

الشريك الاقتصادي الأنسب للمنطقة؛

- التدخلات الخارجية والنفوذ الفرنسي في منطقة الساحل الإفريقي.

¹ نفس المرجع

المطلب الثاني: تحليل الإستراتيجية الجزائرية الشاملة تجاه منطقة الساحل الإفريقي وفق

نموذج القوة الناعمة

حاول جوزيف ناي من خلال تقديمه لمقاربة القوة الناعمة* توجيه سياسة دولته -الولايات المتحدة الأمريكية- إلى سبل تحقيق النجاح والنفوذ في السياسة الدولية، ومن خلال تلك المقاربة ركز على توظيف الدولة لمقومات التأثير التي صاغها في شكل مصادر لتلك القوة الناعمة، بعيدة عن منطقتي الصراع والتسلح ووسائل القوة الصلبة الأخرى التي كانت أدوات توجه سلوكيات الدول الخارجية وتفاعلاتها فيما مضى، وأشار إلى أن هناك آليات وقدرات أخرى تسمح بالحصول على ما تريده الدولة عبر جاذبيتها بدلا من الإرغام أو إنفاق الكثير من الأموال، وتتسأ مصادر هاته القوة الناعمة بالأساس من خلال الجاذبية الثقافية للدولة وسياساتها التعاونية ودبلوماسيتها الفعالة، وتعتمد مواردها على الثقافة والدين والقيم والإعلام التي تعد في حد ذاتها قوة حقيقية مؤثرة من أجل الوصول إلى النتائج المرغوبة، وجعل الآخرين يفعلون أو يريدون ما تريد بدل إرغامهم وتهديدهم.

وقد أدركت العديد من القوى الإقليمية مدى نجاعة تفعيل هاته المقاربة كوسيلة لخدمة مصالحها وتحقيق أهدافها ضمن استراتيجياتها العليا، وعبر هاته المقاربة سنحاول إسقاط مقومات الدولة الجزائرية وتحليل مقارباتها تجاه منطقة الساحل الإفريقي التي تبنتها خلال الثلاث عقود من استقلالها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلك المقاربات التي اعتمدها الجزائر (المقاربة السياسية والأمنية، المقاربة الاقتصادية التنموية، المقاربة الدينية والثقافية) تتوافق مع ما صاغه جوزيف ناي في نموذج لتفعيل القوة الناعمة (الثقافة، القيم

* برز مفهوم القوة الناعمة Soft Power في مقال عام 1990 لأستاذ العلوم السياسية الأمريكي جوزيف ناي "Joseph Nye, Jr"، والذي نشره في مجلة السياسة الخارجية تحت عنوان القوة الناعمة، واخرجه في كتاب ((ملزومون بالقيادة))، الذي طور فيه المفهوم، وأشار إلى أن أمريكا هي اقوى امة ليس بقوتها المادية فحسب بل كذلك في بعد ثالث اسماء القوة الناعمة. أنظر: جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. تر محمد توفيق البجيرمي، المملكة السعودية: مكتبة العبيكان، 2007 ص14

السياسية، السياسة الخارجية)¹، إلا أن ناي ركز على مسألة التأثير وتوليد القوة الناعمة عبر استخدام تلك المصادر التي قد تختلف بين دولة وأخرى، وهنا نشير أيضا إلى أن متغيرات التأثير التي يعتمد عليها ناي تظل موضع اجتهاد ورؤى تضيق تارة لتشمل الأبعاد الثقافية والدينية دونما التركيز على المصادر الأخرى، وقد تتوسع تارة أخرى لتشمل الأدوات والتفاعلات التعاونية بما فيها الاقتصادية والأمنية في شكلها غير الصراعي كالمعونات العسكرية والاقتصادية والمناورات الأمنية المشتركة.

الجزائر كما ذكرنا لديها كل تلك الإمكانيات التي تؤهلها إلى تفعيل قوتها الناعمة والنجاح في تطبيق سياستها الدولية، غير أنها تحتاج إلى وضع استراتيجية شاملة ومراجعة سياستها الخارجية خاصة ما تعلق منها بالاستفادة من التغذية العكسية التي ترتبط بتعظيم الفائدة وتحقيق النفوذ والهيمنة.

وبناء على ما سبق سنحاول تحليل وتقييم استراتيجية الجزائر تجاه منطقة الساحل الإفريقي في ضوء مقارنة القوة الناعمة.

الفرع الأول: تحليل وتقييم استراتيجية الجزائر تجاه منطقة الساحل الإفريقي في ضوء مقارنة القوة الناعمة

يظهر بشكل جلي أن الجزائر تدرك مدى أهمية عمقها الإفريقي، حيث سعت منذ استقلالها إلى وضع استراتيجية شاملة لتحركاتها الإقليمية والقارية واستمدت مقوماتها من عقيدتها التاريخية ومبادئها الراسخة النابعة من ثورتها المجيدة، وقد حملت هذه الاستراتيجية عدة مقاربات تطورت على مدى 61 عاما وشملت الأبعاد السياسية والأمنية بدرجة أولى، واهتمت بعدها بالأبعاد الاقتصادية والتنموية ثم حاولت التركيز على قوتها الناعمة بتفعيل الأبعاد الدينية والثقافية ضمن توجهاتها الاستراتيجية، وضمن هاته المقاربات تشكلت العديد من الشراكات الاستراتيجية سواء منها الثنائية أو المشتركة. يلخص الشكل رقم (31) المقاربات الثلاث ركيزة الاستراتيجية الجزائرية الشاملة اتجاه منطقة الساحل الإفريقي.

¹ Joseph S.Nay, **Soft power: the means to success in the world politics**. New york: public affairs, 2004, p9

الشكل رقم (31): المقاربات الجزائرية ضمن استراتيجيتها الشاملة تجاه منطقة الساحل الإفريقي



المصدر: من إعداد الباحث

بادرت الدولة الجزائرية عقب استقلالها إلى تفعيل مقاربة سياسية أمنية، ركزت من خلالها على تأمين حدودها السياسية وبناء عقيدة أمنية لها بحيث يستمد منها الأمن القومي مقوماته وإجراءاته العملية عند تعامله مع التهديدات الأمنية، كما شكّلت أسس سياستها الخارجية كقاعدة وركيزة في مقاربتها الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي، وضمن هاته المقاربة شهدت سياستها الخارجية نجاحا مديا كفاعل دبلوماسي حيادي ذو نزعة تحريرية، جعل منها أيقونة التحرر وتأثرت بتجربتها العديد من دول إفريقيا خاصة، مكنتها من بناء شراكات استراتيجية أمنية ثنائية ومتعددة الأطراف، كان هدفها الأساسي مكافحة التحديات الأمنية المشتركة خاصة ظاهرتي الإرهاب والجريمة المنظمة، فكان من نتائج هذه المقاربة الجزائرية العديد من الاتفاقيات والاجتماعات الدورية والندوات. كالاتفاقية الإفريقية لمكافحة الإرهاب ومنعه عام 1999م، اتفاق

تمنراست ومؤسسة العمل الأمني الإقليمي 2009م، تأسيس لجنة الأركان العملياتية المشتركة ومقرها تمنراست 2010م إلى جانب جهودها الدبلوماسية النشطة في إطار أزمة الطوارق.

وبالرجوع إلى نموذج "ناي" الذي أخذ بالقول أن السياسة الخارجية مصدر هام لتوليد القوة الناعمة وتطويرها، وخاصة إذا كانت تأخذ في الحسبان مصالح الآخرين، وبالنظر إلى كل إنجازاتها ضمن مقاربتها الأمنية خلال العقود الأولى لاستقلالها يجعلها تتميز عن نظرائها بقوة أدائها الخارجي وتصورها الشامل للأمن في منطقة الساحل الإفريقي والقارة كلها، وهو ما جعلها تصدر صورتها الحسنة دوليا كبلد محب للسلام في إفريقيا مما أكسبها ثقة دولية وإفريقية، نالت بذلك احترام وتقدير دول الساحل الإفريقي التي طالما زكت وتفاعلت مع المبادرات الجزائرية الإقليمية، ومن أمثلة التأثير البارز للجزائر هو ارتباط مقعد مفوض دائرة السلم والأمن في الاتحاد الإفريقي بها، وإطلاق اسم "السيد إفريقية" على وزير خارجيتها "رضان لعامرة" الذي شغل منصب المفوض من 2008 إلى 2013م.

أما عن مقاربتها الاقتصادية والتنموية والذي شكل مصدر ثاني لقوتها الناعمة، فقد أدركت الجزائر من خلال نشاطها الخارجي ورؤيتها الداخلية أن أغلب التحديات والتهديدات يرجع سببها الأول لضعف بعدها التنموي والاقتصادي اللذان يعتبران ركيزتا صناعة الأمن والاستقرار، خاصة وأن بعض المشاكل كانت مشتركة وموروثة من الاحتلال كضعف التنمية ومشكلة الديون التي أثقلت عاتق الدول وغيرها، حيث كانت السياسة الشاملة المرتكزة على التنمية هي الوجهة التي إنتهجتها الجزائر نهاية القرن العشرين، فسجلت عودتها بقوة من خلال عرض رؤيتها الاستراتيجية في القمة الـ35 لمنظمة الوحدة الإفريقية التي كانت ترأسها، إذ كان مبدأ مقاربتها أن الأمن لا يمكن أن يتحقق دون أن يكون هناك تنمية، فساهمت بعدها في تأسيس مبادرة الشراكة الاستراتيجية التنموية "النيباد" عام 2001م، وهي مقاربة للتنمية الشاملة في إفريقيا عامة ودول الساحل خاصة، تهدف من خلالها إلى بعث المشاريع التنموية مثل الطريق العابر للصحراء،

مشروع أنبوب الغاز العابر للصحراء، مشروع شبكة ألياف بصرية من الجزائر إلى دول الساحل الإفريقي، غايتها الأساسية من هذه المقاربة تجفيف منابع الإرهاب والجريمة المنظمة والقضاء على كل أشكال عدم الاستقرار.

وضمن نفس المقاربة قامت الجزائر بتقديم العديد من المساعدات الخارجية كالمعونات الإنسانية أوقات الأزمات، الدعم الاقتصادي على شكل هبات مالية أو استثمارات مباشرة، كما أعلنت عن مسح دون بقيمة 902 مليون دولار لدول الساحل الإفريقي رفقة 11 دولة إفريقية سنة 2013، إضافة لتوجهها إلى زيادة تأثيرها الدبلوماسي عبر مساهمتها في ميزانيات ونفقات المؤسسات الدولية العضوة فيها وذلك بغية توسيع نفوذها وتلميع صورتها خارج حدودها الإقليمية.

وفي نفس السياق عملت الجزائر على تعزيز التعاون الاقتصادي الثنائي أو متعدد الأطراف مع دول الساحل الإفريقي، من خلال وضع استراتيجية للبحث عن حلول للمشاكل السياسية والاقتصادية بدءا بتحديد إطار للتعاون الجهوي والإقليمي إلى تأسيس الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية (ALDEC) ذات البعد الإفريقي 2020م، بالإضافة إلى مساعيها الحديثة ضمن منظمة التجارة الحرة، كما قامت الجزائر بتبني استراتيجية التعاون الثنائي عبر رفع حجم التبادل التجاري عبر آليات المقايضة بينها وبين دول الساحل الإفريقي.

كل هاته الآليات والأدوات تساهم في تلميع الصورة الخارجية للدولة وإعطائها نفوذا قويا في محيطها الإفريقي، وتستطيع من خلالها غزو السوق الإفريقية، خاصة عبر زيادة تفعيل نمط المقايضة ويعد هذا النمط أبرز آلية اعتمدها الجزائر لتفعيل شراكة استراتيجية اقتصادية بينها وبين دول منطقة الساحل الإفريقي (مالي والنيجر وموريتانيا)، إلا أنها عرفت الكثير من المراجعات بالرغم من أهميتها.

هناك اختلاف واضح في مسار اهتمام الدولة الجزائرية في تفعيل نمط المقايضة، إذ كانت ذروة الاهتمام بهذا النوع من التجارة الخارجية مع دول الساحل الإفريقي فترة السبعينات فبرز نشاط السوق الإفريقية بالمنطقة الحدودية تمارست تحت مسمى "سوق الأسيهار"¹، وأوكل تنظيم هذا السوق إلى غرفة التجارة والصناعة الهقار بالتنسيق مع الغرف التجارية الموازية بالدول المجاورة خاصة الغرفة التجارية بالنيجر، وقد ارتفعت نسبة المبادلات التجارية بين أقاليم الدول المجاورة، بل وصلت السلع الجزائرية إلى بلدان إفريقيا الوسطى،² ونجحت الجزائر في الترويج لمنتجات الجزائرية بإفريقيا جنوب الصحراء.

أما منذ نهاية الثمانينات وبداية التسعينات صدرت المراسيم المشتركة التي تحدد قائمة المنتجات المسموح بتداولها بين المنطقتين ومنه شهدت السوق الإفريقية بتمنراست نسبة إقبال أقل، وربما قد تأثرت تلك القرارات بالأوضاع الداخلية والإقليمية غير المستقرة، فشهد السوق ركودا لفترة من الزمن، ثم انتعش من جديد من خلال تكييف الإجراءات المعمول بها مع معطيات الوضع الأمني للمنطقة، في الفترة التي أعادت الجزائر توجيه دفتها إلى منطقة الساحل الإفريقي مع بداية القرن الحادي والعشرين، لكن لم تكن الإجراءات الجديدة في مستوى آفاق ترقية التعاون الجوي فأصبح السوق الإفريقية بتمنراست "الأسيهار" تفقد كل معالم التأثير الخارجي والبريق الاقتصادي الذي كانت تشغله سابقا في منطقة الساحل الإفريقي.

وفي المقابل برز توجه الجزائر إلى دعم الاستثمارات الخارجية في منطقة الساحل الإفريقي من خلال إنشاء البنوك الجزائرية والتسهيل للمستثمرين في التنقل عبر الصالونات الإفريقية ومن ثم الترويج للمنتجات الجزائرية والدخول في اتفاقيات إقليمية ذات علاقة بالسوق الإفريقية الحرة، وقد تم فتح بنوك جزائرية ومعارض دائمة في كل من موريتانيا والنيجر والسنغال.

¹ انظر الملحق رقم: (06) بطاقة تقنية عن الأسيهار

² انظر الملحق رقم (08)، قائمة المنتجات الجزائرية الموجهة للمقايضة لعام 2023.

وهذا التوجه بالرغم من أهميته إلا أنه يشكل تحدي كبير نظرا للصعوبات التي تتخلل تفعيله من ناحية عدم استقرار الوضع الاقتصادي والتنموي لدول الساحل الإفريقي، الأمر الذي يطيل من أمد الاستفادة من الدخول المباشر للسوق الإفريقية، في حين أن للدولة الجزائرية عبر تطوير نمط تجارة المقايضة، الأفضلية في غزو السوق الإفريقية بدون أي منافس، حيث لها فيه عدة نقاط قوة ومعطيات طبيعية وتجارب ميدانية والكثير من الإيجابيات الأخرى،¹ فالمبادلات والعمليات السابقة في حد ذاتها كانت محتشمة مقارنة بالإمكانات الكبيرة والمتعددة التي تزخر بها البلاد والتي من خلالها يبرز تأثيرها الاقتصادي في المناطق الإفريقية.

وتجدر الإشارة أن البعد الاجتماعي له حضور كبير في العلاقات البنينة بين الأقاليم الحدودية لدول الساحل الإفريقي، فترصد المعاينة الواقعية للمنطقة أن الروابط الوشائية بين المتعاملين الاقتصاديين له دور كبير في إنعاش الاقتصاد التنموي للمناطق الحدودية، خاصة لما يتعلق الأمر بتواجد هؤلاء المتعاملين في مراكز القرار بدول الساحل الإفريقي، ودعوتهم إلى تجديد نشاط التوأمة بين الغرف التجارية والصناعة المتناظرة على الحدود المشتركة في الساحل الإفريقي.²

الفرع الثاني: نحو تعظيم دور الروابط الدينية والثقافية كمصدر مهم للقوة الناعمة الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي

من خلال المقاربتين السالفتي الذكر تكون الدولة الجزائرية قد قطعت شوطا كبيرا نحو تعزيز مكانتها الإقليمية والقارية عن طريق تفعيل قوتها الناعمة حسب نموذج "جوزيف ناي"، إذ أن الجزائر بامتلاكها الموقع الجيوستراتيجي وماضي عريق من النضال من أجل التحرر في إفريقيا أكسبها ثقل كبير في سياستها

¹ مقابلة مع السيد بن عبد الكريم عبد الكريم، مدير غرفة التجارة والصناعة الهقار، تمناست، 2023/10/09، على الساعة: 12:00/ انظر الملحق رقم (04)

² انظر الملحق رقم (10)، الملتقى التشاوري لغرفة التجارة والصناعة بتمناست مع نظيرتها بالنيجر.

الخارجية ونجاحات دبلوماسية مؤثرة إقليميا وقاريا وحتى عالميا، هذا بالإضافة إلى امتلاكها تراثا دينيا وثقافيا كبيرا ذو امتداد إفريقي عميق، الأمر الذي يجعلها تفعل مقاربتها الثالثة ضمن دبلوماسية ذات الأبعاد الدينية والثقافية التي تعد المورد أو المصدر المهم ضمن نموذج القوة الناعمة، وفيما يلي تبيان مواضع اهتمام الدولة الجزائرية بهذين البعدين في مسار استراتيجيتها بغية التأثير على مجالها الإفريقي خاصة دول الساحل الإفريقي.

على اعتبار أن السياسة الخارجية للدولة هي انعكاس للتفاعلات الاجتماعية داخل الدولة وما تحمله من خصائص ثقافية ودينية وارتباطات روحية، فإنه يمكن القول أن الجزائر بموروثها الثقافي والديني الكبير يجعلها تمتلك القدرة الكبيرة على توليد القوة الناعمة من هذا المصدر.

فقد انتبعت الدولة الجزائرية إلى أهمية الدبلوماسية الدينية تجاه حل النزاعات في منطقة الساحل الإفريقي انطلاقا من تجربتها الداخلية في إطفاء نار الفتنة، فحاولت أن تستثمر في هذا العامل الديني من خلال تعزيز الروابط القبلية والروحية بين قبائل الصحراء الجزائرية وقبائل دول الجوار، كما انتبعت إلى تأثير الزوايا والطرق الصوفية الجزائرية خاصة "التيجانية" و"القادرية" على مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي لتمسكهم الشديد بمرجعيتهم الصوفية، فضلا عن اهتمام بعض المسؤولين الرسميين الأفارقة وتأثرهم الروحي بمرجعياتهم، وهو ما يؤكد استقبال الجزائر كل عام لأعداد ضخمة من الزائرين الأفارقة لأقطاب الطرق الصوفية بالجزائر وحضور الملتقيات والندوات الموسمية المؤرخة لذكراهم، وتشهد مقرات الطريقتين القادرية بالرويسات/ ورقلة، والتيجانية بعين ماضي/ الأغواط توافد أعداد كبيرة من المريدين الأفارقة من مختلف الثقافات والطبقات، وحتى الأمراء والرؤساء، كزيارة رئيس دولة تشاد السابق "إدريس ديبيو انتو" للأغواط كمريد للطريقة التيجانية، إلا أن الاهتمام الرسمي للدولة بهذا البعد الروحي وتأثيره البالغ في إفريقيا لم يكن مستغلا ولم تهتم الدولة به، ما جعل الفراغ الاستراتيجي الروحي تستغله الدولة الجارة "المغرب" التي بدأت

تتوسع في إفريقيا جنوب الصحراء عبر عدة آليات منذ الثمانينيات من القرن العشرين، مستغلة عدم تفعيل الجزائر لهذا البعد الروحي في توجهها الخارجي.

تدرجياً بدأ يتنامى اهتمام الدولة لهذا البعد الديني في دبلوماسيتها الخارجية من خلال تجنيد الطرق الصوفية لمحاربة التطرف الديني والفكر التكفيري، عبر تأسيس الإتحاد العالمي للتصوف سنة 2016 وانتخاب رئيس الإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية رئيساً لها، كما سهلت الجزائر لأقطاب طرقها الصوفية التي لها انتشار في منطقة الساحل الإفريقي آليات تحركهم ابتداء من تمويلهم إلى إسباغ الرعاية الرسمية لنشاطاتهم، ففي عام 2020م تم تسخير طائرة رئاسية للخليفة العام للطريقة التيجانية خلال تنقله لأسبوعين متجولاً في أقاليم تشاد والنيجر، حيث أُستقبل بحفاوة ورعاية رسمية من قبل السلطات الرسمية التشادية والنيجيرية، وهو ما يترجم مدى تغلغل هاته الطريقة في دوائر القرار في أغلب دول الساحل وما جاورها.

وجدير بالذكر أن الجزائر في إطار مؤسساتها الرسمية سعت إلى استقطاب طلاب من دول الساحل الإفريقي عبر إنشاء معاهد وطنية متخصصة لتكوين الأئمة الأفارقة في كل من ولاية تمنراست واليزي الحدوديتين، إضافة إلى إطلاع رابطة علماء ودعاة وأئمة الساحل 2013م تستقطب من خلالها مرجعيات الدين الإسلامي المعتدل لدى دول منطقة الساحل الإفريقي، هدفها محاربة الغلو والتطرف الديني والإرهاب وإظهار سماحة الإسلام ورحمته، وبالرجوع إلى تصريح وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائري تلك الفترة أبو عبد الله غلام الله الذي أعلن عن ما يزيد عن 300 إمام تخرجوا من المعاهد الجزائرية، هذا الرقم يدل على شغف طلبه دول الساحل على طلب العلم الشرعي بالجزائر.

على الرغم من أهمية البعد الروحي للدبلوماسية الجزائرية إلا أنه لم يحظ باهتمام كبير ومتابعة جادة، رغم تسخيرها الأدوات المناسبة لها واقتصارها على الحدود الجزائرية، وعليه يمكن الإشارة إلى مكامن الضعف في الآليات التي حاولت الدولة الجزائرية تفعيلها للتأثير في منطقة الساحل الإفريقي:

1. ضعف تفعيل المعاهد التكوينية المتخصصة لتكوين الأئمة الأفارقة:

إن المعاهد الوطنية المتخصصة في تكوين الأئمة الأفارقة، لها الفاعلية القوية في التأثير ونقل الثقافة الدينية وترسيخ المرجعية الفكرية والمذهبية في الدول المستهدفة وخاصة منطقة الساحل الإفريقي، والتي تشترك تاريخيا المرجعية المذهبية المالكية.

شهدت فترة السبعينات إنشاء معهد تمناست تم فيه تكوين عدد كبير من طلبة العلم الشرعي من الأئمة الأفارقة، وكان له تأثير كبير في منطقة الساحل الإفريقي نظرا لوصول هؤلاء الطلبة إلى مراكز القرار فيما بعد، وما كان يميز المعهد لوقوعه في منطقة حدودية يسهل الوصول إليها من دول الساحل الإفريقي، ولتوافق البيئة والطابع الاجتماعي. غير أن هذا المعهد اغلق عام 1978م، وتجددت التجربة في نفس الولاية منذ عام 2014 إلى 2017، ثم حاليا تحول استقطاب الطلبة الأفارقة إلى معهد البويرة.¹

يعتبر نقص الاستفادة من المعاهد الوطنية المتخصصة بتكوين الأئمة في الولايات الجنوبية الحدودية مع دول منطقة الساحل الإفريقي يفقد الكثير من التأثير باعتبار هاته المناطق الحدودية بوابة لإفريقيا جنوب الصحراء، والاقرب في التفاعلات الثقافية والاجتماعية، فضلا عن إمكانية استثمار تواجد اللغة واللهجات الإفريقية بالمنطقة، والاستفادة أيضا من أساتذة اللغة التارقية باعتبار أن اللغة تدرس كتخصص في جامعة تمنراست.

2. التفكير في إنشاء معاهد إسلامية جزائرية بدول الساحل الإفريقي:

على الرغم من أن الدولة الجزائرية عام 2021 أبدت رغبتها في إنشاء معهد إسلامي لتكوين الأئمة في إحدى دول الساحل الإفريقي إلا أن مسارها مازال ضعيفا، بالرغم من أهمية هذه الخطوة في دبلوماسيتها الدينية، ونجاحها يعني مضاعفة التأثير وزيادة الروابط بينها وبين دول الساحل الإفريقي.

¹ مقابلة مع السيد بلبني احمد، مدير سابق للمعهد الوطني للتكوين المتخصص، تمنراست، 2023/10/12، على الساعة: 11:00 /انظر: الملحق رقم (01)

وقد أبدت دولة النيجر موافقتها على مبادرة الجزائر في تشييد هذا المعهد بمنطقة أغاديس الواقعة شمال البلاد والقريبة من الحدود الجزائرية، ومن أهم أهداف هذا المعهد تدريس المرجعية الدينية القائمة على تكريس الاعتدال والوسطية ونقل تجربتها في مواجهة الفكر المتطرف والمغالاة، وسيقوم المعهد باستقبال العديد من الطلبة من مختلف الدول الإفريقية جنوب الصحراء.

3. تفعيل الزوايا كمراكز للتعليم الديني للنشأ الإفريقي:

تشتهر المناطق الحدودية بانتشار زوايا تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية للنشأ وتكتسب أغلبها طابع التصوف سواء القادري أو التيجاني أو غيرهم من الفروع، ولهذه الزوايا تأثير كبير إذ تم توظيفها إقليمياً، فبالرجوع إلى التاريخ القريب فقد كانت هاته الزوايا تضم عدد كبير من النشأ من الدول الإفريقية وخاصة من دول الساحل الإفريقي، وبعضها لازال ينشط إلى الآن، وتذكر العديد من الروايات المحلية بالمناطق الحدودية ارتباط العديد من العائلات الإفريقية بمدارس قرآنية معينة كزاوية الشيخ بلكبير بأدرار وزوايا أخرى تمتد من تندوف إلى اليزي على طول الشريط الحدودي فضلا عن مراكز الطرق الصوفية بتوات والأغواط وورقلة.

تراجع الاهتمام بتفعيل الزوايا والطرق الصوفية وتأثيرها الخارجي واقتصر على تبادل الزيارات، في المقابل عززت دولة المغرب على تفعيل هاته الزوايا، عبر إسناد الدولة لها مهام هي تقريبا نفس مهام المعهد المتخصص، والذي من خلاله يتم استقطاب طلبة العلم الشرعي على مختلف الأعمار وتكوينهم على عدة أطوار، وبذلك تضمن الدولة تأثيرها المستدام على الدول الإفريقية المستقطبة.

3. إنشاء زوايا ومدارس قرآنية في منطقة الساحل الإفريقي وتفعيل أكبر لرابطة علماء الساحل

الإفريقي:

يمكن من خلال مساهمة الجزائر في إطار التعاون الثنائي مع الدول المجاورة من إنشاء زوايا ومدارس قرآنية في المناطق النائية الحدودية والتي تشهد تنامي الأمية والجهل فيها، ويمكن وضعها تحت تصرف رابطة علماء ودعاة وأئمة الساحل الإفريقي، وهاته الأخيرة على الرغم من أهميتها إلا أن مساهمتها لا زالت محدودة الأثر ولم ترقى إلى تجسيد برامج واقعية كإنشاء معاهد دينية في دول الساحل بالشراكة مع الوزارات المعنية بالدولة المستضيفة، كما يمكنها لعب دور في عقد اتفاقيات شراكة مع منظومات التربية لدول الساحل الإفريقي بهدف متابعة الشباب الإفريقي وتجنبيه مخاطر الراديكالية والحرص على تلقينه المبادئ الإسلامية الصحيحة.

4. تفعيل السياحة الدينية والاستثمار في مداخل الزوايا الدينية:

تمتلك الجزائر معالم سياحية دينية متعددة، وعندما يتعلق الأمر بدول الساحل الإفريقي فارتباط المنطقة يشهد بمراكز التصوف الإسلامي بالجزائر، إذ تشهد هاته المراكز إقبالا كبيرا من طرف المريدين الأفارقة، ونظرا لأن المزارات لها طابع عالي الخصوصية بالنسبة للزائرين، فهي تمثل سياحة دينية يمكن للدولة الجزائرية أن تستثمر فيها، فتخلق للوافدين كل معالم التأثير الممكنة، لضمان زيادة الاعتراف بالمرجعية الإقليمية والعالمية، خاصة وإن أكثر من 350 مليون مريد للطريقة التيجانية يقدمون الولاء للخليفة العام للطريقة بعين ماضي/ الأغواط.

ومن جهة أخرى يمكن للدولة الجزائرية أن تستثمر في المداخل التي تأتي للزوايا الدينية، بصرفها على ما يرجع لها بالفائدة كبناء قرى باسم الزاوية التيجانية في إحدى المناطق النائية في منطقة الساحل

الإفريقي، وتجهيز المدارس القرآنية للناشئ وغيرها، وهي منافذ تعطي للجزائر تأثير طويل الأمد على شعوب تلك المناطق.

عموما، يبرز جليا أن الإمكانيات التي تم تخصيصها كأدوات للتأثير الديني الجزائري متوفرة إلا أن تفعيلها بالدرجة التي ترقى إلى مستوى التأثير الإقليمي يبقى ضعيفا، خاصة إذا ما تم مقارنتها بجارتها المغرب، التي راحت تنجز المعاهد المتخصصة في دول الساحل وتستثمر في الزوايا الصوفية، وتبني علاقات دبلوماسية قائمة على البعد الروحي بينها وبين دول إفريقيا جنوب الصحراء، مستغلة بذلك شعار الطريقة التيجانية، كما عبرت عن حضورها بالاستثمار في حظوة علماء تلك الدول وجذبيهم إليها بكل الطرق المتاحة.

أما فيما يخص بتفعيل الدبلوماسية الثقافية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي، فيلاحظ حسب ما تم عرضه سابقا -خلال المطلب الثاني- أنها أخذت بعمومية القارة، إذ اهتمت الدولة في بداية أمرها بالثقافة الإفريقية بشكل عام، دون تخصيص لمنطقة معينة من خلال المهرجانات التي اشتهرت بها (المهرجان الإفريقي الأول 1962، المهرجان الإفريقي الثاني 2009)، ويبرز فارق الزمن بين الحدثين (40 سنة) عن ضعف حضور البعد الثقافي في استراتيجية الدولة الجزائرية، ولعل ذلك راجع للظروف السياسية والأمنية القاسية التي عايشتها، إذ ارتكزت على البعد الأمني طيلة تلك الفترة، كما أن الصحف الجزائرية أيضا وعلى الرغم من قلتها في تلك الفترة غير أنها اهتمت بالبعد الإفريقي القاري، عبر المجلتين المشهورتين آنذاك، مجلة المجاهد لسان حال السلطة وقتها ومجلة الثورة الإفريقية.

وبعد الخروج من أزمة التسعينات ودخول فترة الألفية استغلت الجزائر في إطار مقاربتها التنموية من زيادة تفعيل دبلوماسيتها الثقافية، عبر برامج استثمارية ضمن تكنولوجيا الاتصالات الحديثة وفق مبادرة النيباد سنة 2003، فكان مشروع إنشاء شبكة واسعة النطاق للاتصالات لتلبية حاجيات البنى التحتية

للاتصالات لدول الساحل الإفريقي، والاستفادة من برامجها الخاصة كمشروع القمر الاصطناعي الكوم سات 1 عبر قبول اشتراكات دول الساحل الإفريقي فيه، هذا ما أتاح لها إمكانية التأثير الكبير وتسويق قيمها وثقافتها الجزائرية المتنوعة.

مؤخرا عززت الجزائر في إطار دبلوماسيتها الثقافية بإنشاء الإذاعة الإفريقية بالجزائر "إفريقية إف إم" يوم 03 ماي 2023م شعارها "الصوت الإفريقي"، موجهة إلى دول الساحل وجنوب الصحراء الإفريقية، وإن كان الطاقم المسير لهذه الإذاعة محدود لكنه يعتبر نقلة نوعية، وخاصة إذا كانت البرامج التي تقدمها القناة تبت باللغات الإفريقية، مثل الهاوسا والبامبارا والطوارق بالإضافة إلى الفرنسية والإنجليزية، ويعتقد أن هاته الإذاعة الإفريقية سوف تحدث تأثيرا كبير من خلال برامجها الهادفة التي تعالج مواضيع مهمة ومشتركة خاصة في البعدين الديني والاجتماعي.

وزيادة على إنشاء الإذاعة الإفريقية، تحتاج الجزائر من أجل زيادة تأثيرها في المنطقة، إلى الوقوف على عدة نقاط من أجل تفعيلها نذكر منها:¹

- تفعيل مراسلين للإذاعة الإفريقية من دول الساحل الإفريقي، على اعتبار أن المراسل الصحفي يذلل الكثير من الصعاب التي ترتبط بمسألة الثقة وإيصال المعنى الهادف؛
- إنشاء مركز تكوين للإعلاميين والصحفيين من داخل التراب الجزائري ومن دول الساحل الإفريقي؛ ومن خلاله يمكن ربط جسور التواصل الوظيفي بين الصحفيين والمراسلين والإعلاميين؛
- استقطاب أبرز أعلام الصحافة في دول الساحل والاهتمام بهم، فتكون الجزائر بذلك حققت التأثير الإعلامي المبتغى؛

¹ مقابلة مع السيد كرزبكة صالح، مدير إذاعة تمنراست، تمنراست، 2023/10/11، على الساعة: 11:00 /انظر: الملحق رقم (04)

- تفعيل مراكز ثقافية جزائرية تسعى من خلالها إلى بث ثقافتها والتأثير في مجتمعاتها، خاصة مع توفر ميزة التقارب الثقافي التاريخي بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي؛
- إنشاء دور النشر والتوزيع خاصة بالإنتاج الفني والثقافي الإفريقي بالجزائر؛
- إنشاء مراكز للترجمة التي من شأنها تقليص الهوة الثقافية بين شعوب المنطقة المتباعدة اللهجات واللغات المحلية.

ومن ناحية أخرى تعتبر برامج التبادل العلمي والطلابي كأهم ملامح الدبلوماسية الثقافية وأهم مورد يمكن استغلاله لاحقاً، فقد سطرت الجزائر منذ استقلالها برامج متعددة لاستقطاب طلاب منطقة الساحل الإفريقي، ورغم البحث المعمق في مختلف المراجع ورقية/ إلكترونية، إلا أنه تعذر علينا إيجاد إحصائيات رسمية دقيقة عن عدد الطلبة الوافدين من دول الساحل الإفريقي، والمتوفر هو فقط بعض الإشارات من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ومن الطبيعي أن يكون لهؤلاء المتخرجين من الجامعات الجزائرية حين عودتهم إلى أوطانهم، تأثير في نقل الثقافة الجزائرية إلى مجتمعاتهم، كما أن نسبة منهم تتدرج في المناصب العليا لدولهم، فضلاً عن الوظائف الأخرى لأطباء وأساتذة وعلماء وأئمة، الأمر الذي يجعلهم يشكّلون همزة وصل بين الثقافتين الجزائرية وبلدانهم. ولقد وقفنا على شهادات حية لعدد من الإطارات الجزائرية الذين لا يزالون في تواصل مستمر مع أقرانهم ممن درسوا سوياً سنوات السبعينات في معاهد التعليم الأصلي بالجزائر، وأغلبهم يشغلون مناصب هامة في دولهم، وقد كانت الدولة الجزائرية في تلك الفترة تستقطب عدد ضخماً من الأفارقة الذين انخرطوا جنباً إلى جنب مع الطلبة الجزائريين ضمن وزارة التعليم الأصلي وقتها.¹

والواقع اليوم وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها الجزائر كل سنة في استقبال أكبر عدد ممكن من الأجانب من منطقة الساحل وإفريقيا، إلا أن استفادتها من هذا المورد الهام قليل جداً، ولعل أبرز أسباب

¹ مقابلة مع السيد وابني محمد، مدير سابق للشؤون الدينية بتمنراست، تمنراست، 2023/10/27، على الساعة: 18:00 /انظر: الملحق رقم (05)

ذلك ترجع إلى انقطاع هؤلاء المتخرجين صلتهم بجامعاتهم عقب تخرجهم، وضعف استقطابهم ببرامج تكوينية لمجمهم ثقافيا، كما أن غالبية الطلبة الأفارقة الذين يستفيدون من المنح تم تكوينهم باللغة الفرنسية وهو ما ساهم في توسيع نفوذ الفرنكوفونية في منطقة الساحل الإفريقي على حساب اللغة العربية.

وتحاول الجزائر في السنوات الأخيرة تدارك الوضع بإيلاء برامج التبادل الطلابي خاصة اتجاه منطقة الساحل الإفريقي أهمية، وذلك عبر المبادرة التي أطلقتها وزارة التعليم العالي مؤخرا تحت إسم "أدرس في الجزائر" "Study in Algeria" قصد تفعيل صلة الطلبة الأجانب بالجزائر، وهو ملمح مهم في عملية تفعيل القوة الناعمة الجزائرية.

خلاصة الفصل الرابع

تنامت اهتمامات الدولة الجزائرية تجاه دول الساحل الإفريقي بشكل تدريجي بدءاً من الفترة التي تلت الاستقلال إلى يومنا هذا، وتشكلت من خلالها عدة مقاربات تتدرج ضمن استراتيجية الدولة الشاملة، فُبُعِد الاستقلال ركزت الدولة الجزائرية جهودها في تأمين حدودها الوطنية مع دول الساحل الإفريقي وهي تلك التي تتشارك معها حدودها (موريتانيا- مالي- النيجر)، فإلى جانب الامتداد الحدودي البالغ 6343 كلم وتاريخ الروابط الاجتماعية التي تجمع أجزاء كبيرة من شعوبها، فمن الطبيعي أن تشكل هاته المنطقة بعدها الجيوسياسي وجزء لا يتجزأ من أمنها القومي.

ونظراً لتزايد القلاقل وعدم الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة وتنامي الصراعات الداخلية، جعل الجزائر توسع دائرة الأمن تجاه المنطقة وذلك عن طريق تبني مقاربة سياسية أمنية، وباشرت وفقاً لهذه المقاربة على بناء سلسلة من الشراكات ذات البعد الأمني وأصررت على ضرورة التعاون المشترك فيما بينها من أجل الحد من انتشار التهديدات الأمنية، فضلاً عن الإمكانات الهائلة كالثروات الباطنية التي تتمتع بها المنطقة والتي تشكل مجالاً خصباً لاستقطاب قوى خارجية، الأمر الذي استدعى من الجزائر إيجاد حلول سريعة في المنطقة تقادياً لأي تهديد ينعكس على أمنها القومي.

ونتيجة للفراغ التنموي السائد بمنطقة الساحل الإفريقي والذي يعد السبب الأول في تنامي المشاكل الأمنية فيها، سرعان ما أُلحِقَت المقاربة الأمنية بمقاربة تنموية لسد الفراغ، فساهمت الجزائر في تنمية الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا (NEPAD)، التي انبثقت منها العديد من الشراكات الاستراتيجية والمشاريع الموجهة لتنمية دول الساحل الإفريقي، وتجفيف منابع الإرهاب والجريمة المنظمة المنتشرة في المنطقة، شكلت تلك المساهمات المالية التي منحتها الجزائر لدول المنطقة نقطة تأثير دبلوماسي عليها وطمحت من خلال مبادراتها إلى لعب دور نشيط وقوي في دائرتها الإفريقية.

استفادت الجزائر من موروثها الديني والثقافي الذي يحظى بتأثير كبير منذ العصور الوسطى، عبر مكانة الطرق الصوفية الجزائرية وتأثير العلماء الجزائريين وآثارهم في منطقة الساحل الإفريقي وما دونها، والجزائر أدركت ثقل هذا الموروث الديني والثقافي المتاح لها، باعتباره مصدرا مهم من مصادر القوة الناعمة اليوم، فبدأت من جهة بالاستثمار في دبلوماسيتها الدينية بهدف مواجهة التطرف والفكر التكفيري بمنطقة الساحل، فكانت وسيلتها إلى ذلك عبر تنشيط طرقها الصوفية (التيجانية والقادرية) وإنشاء مؤسسات إقليمية كرابطة علماء ودعاة وأئمة الساحل الإفريقي، ومن جهة أخرى عملت الجزائر على تطوير دبلوماسيتها الثقافية عبر عدة آليات سخرتها من أجل تعزيز جاذبية الحضور الجزائري في إفريقيا ككل ومنطقة الساحل بوجه خاص.

تدخل كل تلك المقاربات التي انتهجتها الجزائر تجاه دول الساحل الإفريقي في إطار استراتيجيتها الكبرى، وتسعى من خلال تلك المقاربات إلى تفعيل مكانتها وهيمنتها الإقليمية، من خلال إبراز قوتها الناعمة المؤثرة، وقد نجحت الجزائر في بناء عدة شراكات استراتيجية بشتى المجالات خاصة الأمنية منها والاقتصادية التنموية، غير أن مسارها هذا في إطار شراكاتها الاستراتيجية يعد ضعيفا مقارنة مع إمكانياتها الكبيرة الكامنة، ولم يرقى إلى مستوى التأثير الجاد على أجنادات دول منطقة الساحل الإفريقي، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في طرق تفعيل مصادر قوتها الناعمة خاصة ما يتعلق ببعديها الديني والثقافي.

الخاتمة

تطرقت الدراسة إلى معالجة تأثير الأبعاد الثقافية والدينية في مجال العلاقات الدولية، من الناحيتين النظرية والعملية، وكذا إبراز تطور الاهتمام بهاته المتغيرات في رسم السياسات الخارجية للدول خاصة الكبرى منها، لما لها من تأثير كبير في تمرير أجندتها الخارجية، فحاولت الدراسة إسقاط تلك الأهمية والاستفادة من البعدين الثقافي والديني في تنمية العلاقات والشراكات الإستراتيجية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي، بحكم القرب الجغرافي من جهة وعمق الجذور التاريخية للروابط المنسوجة بين المنطقتين من جهة أخرى.

من الناحية النظرية، تتفق أغلب الدراسات الأكاديمية الحديثة على أهمية وأثر الأبعاد القومية والحضارية الثقافية والدينية على مسار العلاقات الدولية قديما وحديثا، ومن خلال هاته الأبعاد شهد التنظير والممارسة الفعلية في السياسة الدولية تنامي التركيز على توظيف الثقافة والدين في بناء الاستراتيجيات الوطنية للدول في بيئتها الإقليمية والدولية، وهو أمر نشهده في كثير من العلاقات سواء الصراعية أو التعاونية بين الدول، ومن خلال هاته الأبعاد تُرسم الشراكات الإستراتيجية بين الفواعل الدولية، وتنشأ التكتلات الاقتصادية والتحالفات الإستراتيجية، كما أن هاته الأبعاد القومية تدخل اليوم في معادلة الاستراتيجية الشاملة للدول، بحيث يتم الاهتمام بها في زيادة النفوذ والتأثير الخارجي للبلد اتجاه محيطه الدولي، وبذلك تكتسب قوة إضافية تسمى بالقوة الناعمة، التي توفر للدولة المكانة والتوسع والنجاح في الساحة الإقليمية والدولية.

ومن خلال هذا الإطار، جاءت الدراسة لتبحث في الإمكانيات والمقومات الجزائرية الكامنة، المرتبطة بالموروث الثقافي والديني التي تزخر به الدولة، مع تاريخها الحافل بالتفاعلات الحضارية، خاصة اتجاه منطقة الساحل الإفريقي، كما ناقشت الدراسة مدى إدراك الدولة الجزائرية لأهمية مساهمة هاته الإمكانيات في الرفع من أدائها الخارجي وتحقيق نفوذها الإستراتيجي في مجالها الحيوي، فضلا على

ما تمليه البيئة الإقليمية غير المستقرة أمنيا، على إلزامية تفعيل كل الموارد المتاحة ضمن إستراتيجيتها الوطنية لتحقيق الأمن القومي الجزائري.

يتجلى تأثير الأبعاد الثقافية والدينية في السياسة الخارجية الجزائرية من خلال تفعيل قوتها الناعمة اتجاه منطقة الساحل الإفريقي بحكم الروابط القوية والمتينة التي نسجت منذ القرون الوسطى بين شعوب المنطقتين، وعليه فاهتمام الجزائر لصقل قوتها الناعمة ودمجها ضمن إستراتيجيتها الشاملة يجعلها تحقق الريادة والنفوذ الإقليمي، فضلا عن إمكانية تحكمها في شتى المبادرات السياسية والاقتصادية ضمن مجالها الإفريقي الحيوي.

الاستنتاجات:

من خلال الدراسة وبناء على ما تقدم، خلص الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن تلخيصها كالتالي:

- شكل تنامي الاهتمام بالأبعاد الثقافية والدينية في السياسات الخارجية للدول مرتكز أساسيا لبناء قوتها الناعمة وبسط الهيمنة والنفوذ وترسيخ المكانة الدولية، مع عدم إهمال الأبعاد المادية الأخرى والتي تزيد من فاعلية الأداء بالنسبة للقوة الصلبة للدول، والدول التي لها القدرة على تفعيل التناغم بين القوتين الناعمة والصلبة تصل إلى تحقيق معادلة القوة الذكية في الساحة الدولية؛

- تصل الدولة التي لها القدرة الجيدة على حسن استغلال إمكانياتها ومقوماتها المؤثرة اتجاه بيئتها الإقليمية إلى نسج علاقات استراتيجية بينها وبين الدول المؤثرة، ويمكنها أدائها الفعال لتنشيط

الروابط المشتركة والتحكم من خلاله على تنمية الشراكات الاستراتيجية، باعتبار أن هاته الأخيرة تعد الآلية الحديثة الأكثر فاعلية في حقل العلاقات الدولية؛

- إن الموقع الجغرافي للدولة الجزائرية كان له الحظوة الكبرى تاريخيا في التأثير ونشر الإشعاع الثقافي والديني في منطقة الساحل الإفريقي وما دونها، وازدهار العلاقات التجارية والاقتصادية بين المنطقتين، وتنتشر في الجزائر العديد من الزوايا الصوفية، التي لعبت أدوارًا ثقافية وتربوية، بل وسياسية مهمة عبر تاريخ الجزائر، وأسهمت في ترسيخ الثقافة الإسلامية ونقلها عبر المتصوفة الجزائريين إلى بلاد الساحل الإفريقي، على طريق القوافل التجارية العابرة لتلك المنطقة خلال تلك الحقبة. ويضم إقليم الساحل -حسب الدراسة- الدول الإفريقية التالية: موريتانيا ومالي

والنيجر؛

- إن الأطماع الخارجية والتدخلات الاستعمارية حالت دون تطور المنطقة وسعت إلى نفس كل معالم التأثير والتأثر بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي، إذ حاول الاستعمار الأوروبي منذ القرن الثامن عشر تغيير معالم التأثير السائد في المنطقة وطمس الهويات، فضلا عن إستنزافه لخيرات المنطقة لعقود من الزمن، وعلى الرغم من تحرر هاته الدول إلا أن الأطماع الأجنبية لا زالت تتنامى من خلال مساهمتها في خلق ذرائع التدخل وبالتالي مواصلة استنزاف خيراتها وعرقلت الجهود الإقليمية في تحقيق الأمن والتنمية للمنطقة؛

- ساهمت الروابط الدينية القائمة بين شعوب ضفتي الصحراء الكبرى في توحيد الجهود ومواجهة المستعمر الأوروبي، فزاد نشاط الحركات صوفية الجزائرية المنشأ (التيجانية والقادرية) التي قادت المقاومات الشعبية في منطقة الساحل، ولعبت الزوايا الصوفية دورا كبيرا في بث الوعي التحرري بين مجتمعاتها، بل كانت معقلاً "للجهاد ضد المستعمر"؛

- تعد المقومات الثقافية والدينية أبرز مصادر قوة الجزائر الناعمة اتجاه منطقة الساحل الإفريقي لما لها تأثير كبير على مجتمعاتها، وروابط لا تزال مستمرا منذ العصور الوسطى، غير أن تفعيل هاته الإمكانيات وسط العديد من التحديات المشتركة التي فرضتها الأوضاع السياسية الناتجة عن خروج المستعمر الأوروبي من المنطقة جعل الدولة الجزائرية تضع اهتمامها الكبير على تأمين حدودها الوطنية والتفرغ لمشكلاتها الداخلية، وفي المقابل لم تكن منطقة الساحل في حالة أحسن، فقد شهدت المنطقة حالة من الفوضى واللامن نظرا لغياب دور الدول فيها، ما جعل الساحل الإفريقي يصنف من المناطق الرمادية ذات الأزمات الحادة.

- إن ضعف الإرادة السياسية لدى صانع القرار الجزائري اتجاه تفعيل مصادر قوة الدولة الناعمة نحو منطقة الساحل الإفريقي يجعلها بلدا معطلا جيوبوليتيكيا، محدود التأثير ويصعب على الدولة التعاطي مع المتغيرات الإقليمية إلا في حدود معطيات قوتها الصلبة، الأمر الذي يجعلها تستنزف الكثير من إمكانياتها المادية والجهد الضائع في مقابل عوائد محدودة وغير دائمة، في حين لو انتبعت القيادة السياسية الجزائرية إلى مصادر قوتها الناعمة وفعلتها على النحو الذي يحقق لها الريادة والنفوذ في منطقة الساحل الإفريقي، سيوفر لها ذلك النجاح في إدارة المنطقة والاستفادة من شراكاتها الاستراتيجية.

مراجعة فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى: والتي نصها " كان للرقعة التي تشغلها الجزائر اليوم الفضل الكبير في انتشار الإسلام وثقافته في مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي منذ القرون الوسطى".

- أثبتت الدراسة صدقها باعتبار أن جغرافيا الجزائر اليوم (المغرب الأوسط في العصور الوسطى) كانت منطقة ارتكاز وعبور للفتوحات الإسلامية الآتية من المشرق، كما أنها كانت معبر لأغلب الطرق التجارية المتجهة نحو ممالك الساحل الإفريقي (السودان الغربي).

الفرضية الثانية: ركزت الدولة الجزائرية جهودها الخارجية بعد استقلالها على بناء شراكات استراتيجية بهدف تأمين فضائها الجيوسياسي في منطقة الساحل الإفريقي.

- أثبتت الدراسة صحة هذه الفرضية، فقد أولت الجزائر ضمن توجهاتها الخارجية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي أهمية كبرى للبعد السياسي والأمني لضمان حماية أمنها الوطني، وذلك من خلال إبرام عدة اتفاقيات شراكة ثنائية ومتعددة الأطراف والتي مجالها مكافحة التهديدات اللاتماثلية المنتشرة في المنطقة.

الفرضية الثالثة: يعتبر الاهتمام بالروابط الثقافية والدينية المشتركة بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي نقطة ارتكاز لمد نفوذها وتوظيف قوتها الناعمة.

- أظهرت الدراسة ضعفا كبيرا في اهتمام الدولة الجزائرية بالأبعاد الثقافية والدينية في سياستها الخارجية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي، إذ لا تزال تركز على الآليات الكلاسيكية المعتمدة على الوسائل المادية في تحقيق أمنها القومي، في صيغ شراكات تستهلكها وتستنزفها سياسيا واقتصاديا، في حين الأولى والأجدر التوجه نحو الاستثمار في مقوماتها الثقافية والدينية كمصادر لتفعيل قوتها الناعمة اتجاه منطقة الساحل الإفريقي لتحقيق الريادة الإقليمية، والتي لن تكلفها الكثير من الخسائر وتدر عليها بفوائد عظيمة في شتى المجالات خاصة الاقتصادية منها، على اعتبار أن منطقة الساحل الإفريقي تعد سوقا واعدة وسهلة للمنتجات الجزائرية، وتتعدم فيها المنافسة كما هو الحال بالنسبة للتجارة مع الشمال الأوروبي.

التوصيات:

- ضرورة إنشاء مراكز للفكر الإستراتيجي تهتم بتطوير الفكر الإستراتيجي الاستشراقي الجزائري، الأمر الذي يوفر لصانع القرار الجزائري المعطيات والاستشارات ذات الأولوية، وخاصة وأن الجزائر تمتلك نخبة من الأكاديميين المتخصصين في العلوم الاستراتيجية والسياسية؛
- كما لابد من الاستعانة بأبرز الفاعلين ذوي النفوذ الصوفي في مراكز اتخاذ القرار في السياسة الخارجية الجزائرية، خاصة ضمن الطريقتين القادرية والتيجانية ذات التأثير العابر للحدود؛
- تنشيط الدبلوماسية الثقافية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي، وزيادة الاهتمام بالجانب الإعلامي الذي يساعد بشكل كبير في الوصول إلى تحقيق التأثير في مجتمعات دول الساحل الإفريقي، ويمكن في هذا الإطار، تفعيل التبادل الإعلامي، وإنشاء مراكز إعلامية بدول الساحل، والتسهيل لرجال الأعمال الجزائريين من الاستثمار في الجانب الإعلام والاتصال في دول الساحل الإفريقي؛
- التفكير الجاد في إنشاء جامعة إفريقية بالجزائر ذات فروع عابرة للحدود تكون على الأراضي الإفريقية، وذلك لاستقطاب الطلبة الأجانب وإدراج تخصصات تهتم بالبعد الثقافي الإفريقي، والاستعانة من الأساتذة الأفارقة في التدريس والتكوين الجامعي، كما لابد من تفعيل برامج التبادل الطلابي ذو التأثير الفعال في الجذب الثقافي؛
- ضرورة تفعيل جامعة إسلامية وطنية بمواصفات قارية تستقطب طلبة العلم الشرعي الأفارقة، وتكون على مقاس جامعة الأزهر الشريف وجامعة الزيتونة من ناحية البرنامج والهيكلية؛

- إعادة الاعتبار للمعاهد التكوينية للأئمة التي تم إنشائها لغرض استقطاب الطلبة الأفارقة في فترة السبعينات ونالت شهرة واسعة في عموم إفريقيا؛
- تفعيل السياحة الدينية والاهتمام بمظاهر الجذب السياحي بها، خاصة فيما يتعلق بالمعالم الأثرية للزوايا النشطة وأضرحة الأولياء والعلماء التي تخطى تأثيرهم إلى إفريقيا جنوب الصحراء؛
- تفعيل دور الزوايا الصوفية المنتشرة في إفريقيا، من خلال إنشاء مدارس تعليم النشأ في دول الساحل الإفريقي، بالإضافة إلى إنشاء مراكز ثقافية متكاملة تابعة لها؛
- إعادة الاعتبار لسوق الأسيهار بالمنطقة الحدودية تمناست، لأهميته التاريخية والمرتبطة بالأبعاد الثقافية والاقتصادية، هذا السوق كان واجهة اقتصادية إفريقية بامتياز؛
- الاهتمام بالعلاقات التجارية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي وتشجيع المستثمرين الجزائريين على التوجه للاستثمار فيها، كما على صانع القرار التركيز على السوق الإفريقية في تصدير المنتجات الجزائرية، فمن المعلوم أن السوق الإفريقية واسعة الاستهلاك والأقرب من الناحية الجغرافية للجزائر.

قائمة المراجع

أولاً: الوثائق الرسمية

1. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، دستور سنة 1976.
2. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، العدد19، 26 ماي 1987م.
3. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، مرسوم رئاسي رقم 42-20 يتضمن إنشاء الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن كالتنمية، الجريدة الرسمية، (العدد، 07، 12 فبراير، 2020
4. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 فبراير سنة 1988، يحدد شروط استيراد البضائع وتصديرها في إطار التجارة الحدودية بالمقايضة مع النيجر وكيفيات ذلك، الجريدة الرسمية، (المؤرخ في 27 رجب 1408، ص481 "ملغى")
5. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 ديسمبر سنة 1994، قرار وزاري مشترك مؤرخ في 14 ديسمبر سنة 1994، يحدد كيفية ممارسة تجارة المقايضة الحدودية مع النيجر والمالي. الجريدة الرسمية، (ع07، المؤرخ في 15 رمضان 1415، "ملغى")
6. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، " قرار وزاري مشترك مؤرخ في 6 جمادي الأولى عام 1441 الموافق 2 يوليو سنة 2020، يحدد شروط وكيفيات ممارسة تجارة المقايضة الحدودية وقائمة البضائع موضوع التبادل مع جمهورية مالي وجمهورية النيجر " الجريدة الرسمية، (ع44، المؤرخ في 30 يوليو سنة 2020).

ثانياً: الكتب

أ- باللغة العربية:

7. ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله. بيروت: دار الكتب العلمية، 2010.
8. ابن منظور محمد، لسان العرب. القاهرة: دار المعارف، ب س ط.
9. ابن منظور، لسان العرب المحيط، مج05. بيروت: دار الكتاب العلمية، 2005.
10. أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، المجلد 13. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990.
11. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2. لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2005.

12. أبو زيد المقرئ الإدريسي، الشراكة والمشاركة السياسية في الوطن العربي. الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2016.
13. أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج2. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
14. أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم). بيروت: الكتاب العالمي للنشر، 2008.
15. إحسان الحيدري، فلسفة الدين في الفكر الغربي. بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر، 2013.
16. احمد أبا الصافي جعفري، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في الخزائن والمكتبات الإفريقية. الجزائر: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2015.
17. أحمد إبراهيم دياب، الاستعمار الأوروبي ونتائجه على العلاقات العربية الإفريقية. مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991
18. احمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1978
19. أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج لتطريز الديباج. طرابلس: دار الكاتب، 1999.
20. احمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج7. بيروت: دار صادر، 1968.
21. أحمد سلمان المحمدي، دراسات في قضايا فكرية معاصرة. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2017.
22. إسماعيل دبش، سياسة الجزائر الخارجية بين المنطلقات المبدئية والواقع الدولي. الجزائر: دار هومة، 2017.
23. إسماعيل صبري مقلد، السياسة الخارجية الأصول النظرية والتطبيقات العملية. مصر: المكتبة الأكاديمية، 2013.
24. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط2، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983.
25. الحسين الشيخ العلوي، منطقة الساحل الإفريقي ومعبر الموت الدولي، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 31 أوت 2015.
26. الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية. الجزائر: دار الكتاب، 1957.

27. الصديق حاج احمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط2. الجزائر: منشورات الحبر، 2011.
28. الطالب أحمد المصطفى، رحلة المنى والمنة. لبنان: دار الكتب العلمية، 2013.
29. العربي العربي، أهمية النفط والغاز في العلاقات الجزائرية - الأوروبية (1956-2013). قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.
30. العلالى الصادق، العلاقات الثقافية الدولية دراسة سياسية-قانونية. الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2007.
31. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر. مصر: جامعة الدول العربية، 1984،
32. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999
33. الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15 م. لبنان: دار الملتقى للطباعة والنشر، 2001
34. أماني صالح، عبد الخبير عظامحروس، العلاقات الدولية. البعد الديني والحضاري. دمشق: دار الفكر، 2008.
35. اندري بوفر، مدخل إلى الاستراتيجية، ترجمة، أكرم ديري. القاهرة: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1970.
36. باسم رزيق عدلى، إفريقيا والغرب دراسة لأراء المفكر الإفريقي اللاتيني وولتر رودني. القاهرة: مركز البحوث العربية والإفريقية، 2010،
37. بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
38. بول Martي، كنتة الشرقيون، تر، محمد محمود ولد ودادي. دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، 1985.
39. تيري ايجلتون، فكرة الثقافة، تر، شوقي جلال، ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، 2012.

40. جلال علي، مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية. مصر: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2019.
41. جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9 إلى 11م. الجزائر: منشورات بلوتر، 2001.
42. جوزفين كام، المستكشفون في إفريقيا، تر يوسف ناصر. القاهرة: دار المعارف، 1983.
43. جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. تر محمد توفيق البجيرمي، المملكة السعودية: مكتبة العبيكان، 2007.
44. جيفري إلين بيجمان، الدبلوماسية المعاصرة: التمثيل والاتصال في دنيا العولمة، تر، محمد صفوت حسن. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2014.
45. حسن لداوة وآخرون، الدين الدولة والمجتمع الدولي. فلسطين: معهد ابراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، 2006.
46. خوان جوزيف، الإسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا السوداء، تر، مختار السويفي. القاهرة: دار الكتاب المصري، 1984.
47. دراز محمد عبد الله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. مصر: مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، 2014.
48. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر، منير السعيد، ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007.
49. ديفيد إنغليز وجون هيوسون، سوسيولوجيا الثقافة، تر، لما نصير، ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسية، 2013.
50. رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر. ليبيا: مركز جهاد للدراسات التاريخية، 1998.
51. رضوان بوهيدل، جيوسياسية التنافس الدولي على منطقة الساحل الإفريقي. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2020.
52. زكي الميلاد، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005.

53. سعاد إبراهيم السلموني، السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2020.
54. سعد شاكر شبلي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة الرئيس باراك أوباما. الأردن: دار المنهل، 2013.
55. سليم الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام. مصر: دار الزهراء للإعلام العربي، 1986.
56. شمس الدين الكيلاني، الآخر في الثقافة العربية: صورة الشعوب السوداء عبد العرب في العصر الوسيط. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009.
57. شوقي عطا الله الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006.
58. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان، ط1. القاهرة: دار المعارف، 1995.
59. صامويل هنتنغتون، صدام الحضارت إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط2. بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع، 1999.
60. صلاح نيوف، مدخل إلى الفكر الاستراتيجي. الدنمارك" الأكاديمية العربية المفتوحة، 2008.
61. طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر، 2004.
62. طويل نسيمة، المثلثاتية في منطقة شمال شرق اسيا، ط1. برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2017.
63. عامر مصباح، قاموس مصطلحات العلوم السياسية والعلاقات الدولية-إنجليزي-عربي، ط3. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.
64. عبد ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، بيروت: دار الفكر، 2001.
65. عبد الباقي الهرماس وآخرون، الدين في المجتمع العربي، ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.

66. عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان (كتاب في تاريخ الإسلام والثقافة والدول والشعوب). لبنان: دار الكتب العلمية، 2012.
67. عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان. باريس، طبع هوداس، 1981.
68. عبد الرحيم رحموني وآخرون، الأمن الجزائري والفضاء الإقليمي: التعامل والتداعيات. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2019.
69. عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر. القاهرة: مكتبة المدارس، 1998.
70. عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
71. عبد السلام البغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا. ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.
72. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، ط3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016.
73. عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.
74. عبد القادر محمد فهمي، المدخل في دراسة الاستراتيجية. بغداد: منشورات جامعة بغداد، 2009.
75. عبد الله سالم بازينة، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ط1. ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2010.
76. عبد الله عبد الرزاق، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا. القاهرة: دار الفكر العربي، 2006.
77. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسية، ج1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.
78. عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري. بيروت: دار الشروق، 1983.

79. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي. ج1، بيروت: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 2013.
80. عساف الرمحي، أزمة الحداثة الغربية. بيروت: مركز الإنماء القومي، 2004.
81. عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية الماهية والتأثير. مصر: مكتبة الإسكندرية، 2014.
82. على ناصر كنانة، الثقافة وتجلياتها السطح والأعماق، ط1. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، 2017.
83. علي جواد، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط2، ج7، بغداد: جامعة بغداد، 1993.
84. علي زياد العلي، المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، ط1. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
85. علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا. ط3، لبنان: دار المعرفة، 2009.
86. عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، ج2. الجزائر: دار الأمل، 2008.
87. فاطمة الزهراء رقايقية، الشراكة الأورومتوسطية، رهانات، حصيلة وآفاق: التجربة الجزائرية والعقبات المحيطة. عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2014.
88. فاطمة محمد عبد المطب، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017.
89. كريم مصلوح، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014.
90. لسان الدين ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
91. لمياء حروش، الشراكة الأورومتوسطية — السياقات والمسارات. تركيا: المعهد المصري للدراسات، 2019.
92. مادي إبراهيم كانتني، التحول الديمقراطي في جمهورية مالي منذ 1991. القاهرة: المركز العربي للمعارف، 2016.

93. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر، عبد الصبور شاهين، ط4. دمشق: دار الفكر، 1984.
94. مايكل دينينغ، الثقافة في عصر العوالم الثلاثة، تر، اسامة الغزولي. الكويت: عالم المعرفة، 2013.
95. مجد الدين ابن تيمية، المنتقى في أحاديث الأحكام عن خير الأنام. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
96. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز. مصر: وزارة التربية والتعليم، 1994.
97. مجموعة مؤلفين، نظرية الثقافة، تر، علي سيد الصاوي. الكويت: عالم المعرفة، 1997.
98. مجموعة مؤلفين، كتاب الملتقى الوطني الخامس أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار. الجزائر: دار الكلمة، 2019.
99. مجهول، كتاب الاستبصار في غرائب الأمصار. المغرب: دار النشر المغربية، 1985.
100. محمد ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت: دار القلم، 2020.
101. محمد ابن مالك الأندلسي، ألفية ابن مالك في النحو والصرف. بيروت: دار الكتب العلمية، 2016.
102. محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. لبنان: دار الكتب العلمية، 2016.
103. محمد البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981.
104. محمد الجابري، موسوعة دول العالم " حقائق وأرقام ". مصر: مجموعة النيل العربية، 2003.
105. محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية. الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1996.
106. محمد الشريف، الغرب الإسلامي نصوص دفيئة ودراسات. تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999.
107. محمد الصالح حوتية، نوات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1. الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.

108. محمد الطاهر عديلة، التنافس الدولي في السياسة العالمية دراسة في منطقة الساحل الإفريقي. برلين: المركز الديمقراطي العربي.
109. محمد المصطفى الغلاوي، العمل المشكور في جمع نوازل علماء التكرور. ج1، لبنان: دار الكتب العلمية، 2015.
110. محمد المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط3. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991.
111. محمد الهادي لعروق، أطلس العالم والجزائر. الجزائر: دار الهدى، 2002.
112. محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2012.
113. محمد عابد الجابري، العرب والعلومة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
114. محمد عبد العليم مرسى، الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية: نظرة اسلامية. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.
115. محمد عبد الكريم احمد، بوكو حرام: من الجماعة إلى الولاية، ط1. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017.
116. محمد فاضل باري، سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا. لبنان: دار الكتب العلمية، 2007.
117. مهدي رزق الله احمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار واثارها الحضارية، ط1. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998.
118. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، 1981.
119. مولاي عبد الله سماعيل، تحقيق مخطوط كاشم الغمم والغمامة عن حياة الشيخ أبي نعامة لصاحبه محمد بون الكنتي التواتي السينغالي. الجزائر: دار الكلمة، 2017.
120. موسى أحمد كامره، زهور البساتين في تاريخ السوادين. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، 2010.

121. نادية سعد الدين، **الحركات الدينية السياسية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي**. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012.
122. ناصر الدين سعيدون، المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
123. نصر محمد عارف، **الحضارة الثقافية المدنية: دراية لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم**، ط2. عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994.
124. هاري ار. يارغر، **الاستراتيجية ومحترفو الأمن القومي**، تر، علي راجح محرز. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2011.
125. يحي ولد سيد أحمد، **ديوان الصحراء الكبرى**، ج01. الجزائر: دار المعرفة، 2009
ب- باللغة الأجنبية:
126. Alain Antil, **Le boom minier au Sahel Un développement durable ?**. Bruxelles; Ifri, 2014, p.4.
127. Basil Henry Liddell Hart, **strategy the indirect approach**. London : Faber & Faber,1967
128. Dango Abdou Mahaman , "**A Guide to Sustainable Energy in West Africa**", UK: Cambridge Scholars Publishing, 2020.
129. Department of Economic and Social Affairs Population Division, **World Population Prospects 2022: Summary of Results**. New York: United nation, 2022.
130. Edward Burnett Tylor, **Primitive Culture: Researches into the development of Mythology**, vol,1. London,1920.
131. Geertz Clifford ،**The Interpretation of Cultures**. New York: Library of Congress ,1973.
132. Gérard-François Dumont., **La Géopolitique Des Populations Du Sahel [Sahel : the populations geopolitics]**. Paris: Cahier du CEREM, 2009.
133. Greene, Joshua E. "**External Debt Problem of Sub-Saharan Africa**". **Analytical Issues in Debt**. USA: International Monetary Fund, 1989.
134. Hacquard Augustin, **Monographie de Tombouctou**, Paris: Société des études coloniales et maritimes 1900.
135. Institute for Economics and Peace, **Global Terrorism Index 2020 Measuring The Impact Of Terrorism**. New York: Institute for Economics and Peace,2020.

136. International Energy Agency, **Clean Energy Transitions in the Sahel**. France: IEA Publications, 2021
137. Jean-Denis Crola, **Sahel: fighting inequality to respond to development and security challenges**. UK: Oxfam International, 2019.
138. Jonatan backelie, **religion and politics –a valid Divide: confessionality in politics and higher education**. Goteborgs Universitet Literatur: Idehistoria Och Religion, 2011.
139. Mathieu Pellerin, **Les violences armées au Sahara**. paris: Études de l’Ifri, 2019.
140. Philippe Moreau Defarges, **Problèmes stratégiques contemporaines**. Paris : Editons Hachette,1994
141. Serigne Bamba Gaye, "**Connexions entre groupes djihadistes et réseaux de contrebande et de trafics illicites au Sahel**". Sénégal: Friedrich-Ebert-Stiftung, 2017.
142. United Nations, **The 2020 Human Development Report**. New york: United Nations Development Programme, 2020.
143. Vionot louis, **le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire, les mœurs du pays**. Paris: edition Jacques Gandini, 1908.
144. Wai, D. M, **Les relations afro-arabes : un optimisme déplacé**, in: Les relations historiques et socioculturelles entre l'Afrique et le monde arabe de 1935 à nos jours. Paris : Unesco, 1984, p119
145. World Meteorological Organization **‘State of the climate in africa2019**. Switzerland: Publications Board, 2019.
146. Xinyuan Dai, **International cooperation theory and international institution**. Oxford research encyclopedia of international studies, 2010

ثالثا: المجالات

أ- باللغة العربية:

147. إبراهيم محمد احمد بلولة، "الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وآثارها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية"، مجلة دراسات دعوية، ع09، فيفري 2005.
148. احمد أبا الصافي جعفري، "الامام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مصلحا/اديبا"، مجلة الفضاء المغاربي، مج5، ع2، أكتوبر 2007.
149. أحمد الحيدوسي، "دراسة استشرافية لمستقبل الجزائر في منطقة التبادل الحر الإفريقي"، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، مج10، ع01، جوان 2021.

150. أحمد خميس، "استخدام الدين في الحياة السياسية". مجلة كلية السياسة والاقتصاد، ع10، افريل 2021.
151. احمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئاً من الماضي؟". المجلة العربية للعلوم السياسية، ع20، أكتوبر، 2008.
152. إدريس عطية، "الارهاب كمصدر جديد لتهديد الأمن في الساحل الإفريقي أولوية بناء الأمن بدل استيراده"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد06، ع01، (جوان 2019).
153. التومي زينب، "مراكز الحضارة في السودان الغربي"، مجلة أفاق فكرية، مج08، ع01، جوان 2020، ص5
154. الحسن الشيخ العلوي، "سياسات الطاقة في إفريقيا على ضوء التغيرات المتلاحقة. قطر: تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 2022/07/06.
155. الهادي هارون، بوسليم صالح، "التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصور الحديث"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع2، 2017، ص67.
156. امحمد جعفري، "طرق القوافل التجارية العابرة إن صالح خلال القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الجغرافيين"، مجلة عصور جديدة، مج10، ع01، مارس 2020، ص316
157. أمنية رباحي، "عودة المسلمة الدينية في العلاقات الدولية"، المستقبل العربي. مج41، ع476، أكتوبر 2018.
158. أوريدة عبود، "الدولة الحمادية وبنيتها الثقافية"، مجلة علوم الانسان والمجتمع، ع24، سبتمبر 2017، ص336
159. بسمة مطالبي، "طبيعة التهديدات اللاتماثلية في المناطق الحدودية". مجلة السياسة العالمية، مجلد05/ ع01، (2021).
160. بقشيش علي، حنان يعقوب، "متطلبات الإستراتيجية الأمنية الجزائرية في ظل التهديدات الأمنية في منطقة الساحل"، مجلة الفكر القانوني والسياسي، مج06، ع01، افريل 2022.
161. بلعالية ميلود، "الشيخ محمد بن علي السنوسي (1757-1859)"، مجلة عصور، المجلد 5، العدد 2، 2006.

162. بلعور حمزة، بابا عربي مسلم، "القوة الناعمة الجزائرية اتجاه إفريقيا ومنطقة الساحل... البحث في القدرات وحدود التأثير"، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، مج10، ع02، 2023.
163. بن حدة يعقوب، "تنظيم تجارة المقايضة في القانون الجزائري"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج14، ع05، جوان 2022.
164. بن خليف عبد الوهاب، "دور المقاربة الجزائرية في مواجهة التهديدات الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي"، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مج12، ع02، ديسمبر 2021.
165. بن ملوكة خيراني، طيبي عيسى، "المقاربة التنموية للجزائر في إفريقيا ودول الساحل"، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، مج13، ع02، ديسمبر 2022.
166. بوسالم أحلام، عابد يوسف، "دور اباضية المغرب الأوسط في تنشيط التجارة الصحراوية"، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، ع01، مارس 2010.
167. بوسليم صالح، "جهود أعلام توات في ترسيخ الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء"، مجلة الحقيقة، مج09، ع01، أفريل 2010.
168. جداي سليم، زيطاري إسماعيل، التنافس الدولي في السياسة العالمية: دراسة في منطقة الساحل الإفريقي. برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2020.
169. جميلة بن موسى، "ذهب السودان الغربي ودوره في تجارة المغرب الإسلامي"، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج09، ع02، ديسمبر 2020.
170. جميلة عملاق، "استراتيجية التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج11، ع12، 2014.
171. جيهان عبد السلام عباس، "الديون الخارجية وتأثيرها على النمو الاقتصادي في إفريقيا جنوب الصحراء: دراسة قياسية منذ 2006"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، ع16، أكتوبر 2022.
172. حبيب بريك الله، "صدقة من أحط الدين بماله" من نوازل الرحلة الحجازية للفقيه الولائي الشنقيطي بتندوف (1912 م / 1330 هـ) تحقيق ودراسة، مجلة مدارات تاريخية، مج2، ع1، مارس 2020.

173. تحتوت نور الدين، "خصائص العلاقات الدولية فيما بعد الحرب الباردة وأطروحات العولمة". مجلة العلوم الإنسانية، ع، 22، جوان 2011.
174. حمدي عبد الرحمان حسن، "الجهادية المسلحة في الساحل"، رؤية تركية، مج 1، ع 6، ربيع 2017.
175. حمدي عبد الرحمان، "النيجر وملاحم المشهد الاستراتيجي في غرب إفريقيا"، الأهرام الاستراتيجي، ع 184، افريل 2010.
176. حناي محمد، مياطة التجاني، "حواضر وأعلام البناء الحضاري بالمغرب الأوسط تيهرت والحسن بن علي التيهرتي" أمونجاً، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 08، ع 02، فيفري 2023.
177. حورية بكوش، "تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي دراسة في المفهوم الثقافة وعناصرها"، مجلة رفوف، ع 10، ديسمبر 2016.
178. خالد عبد الاله عبد الستار، "إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر السياسي الغربي". قضايا سياسية، ع 42، 2015.
179. خديجة بوريب، "الدبلوماسية الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: الواقع والرهانات"، المجلة العربية للعلوم السياسية، مج 41، ع 42، (2014).
180. خديجة عنيشل، "التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط"، مجلة الذاكرة، مج 03، ع 05، ماي 2015.
181. خلاصي علي، "القيروان ومدن المغرب الأوسط بين 50-170هـ/671-800م"، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ع 1، افريل 2009.
182. خلاف فاتح، "المستحدث في تجارة المقايضة الحدودية على ضوء احكام القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 02 يوليو 2020"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، مج 06، ع 01، مارس 2022.
183. دالع وهيبة، "المقاربة التنموية للجزائر في منطقة الساحل الإفريقي -النيباد كآلية للتنمية الشاملة"، دراسات استراتيجية، مج 09، ع 18، جانفي 2013.

184. دخيل عبد السلام، "الأبعاد السياسية للمقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي
أزمة التوارق في شمال مالي أنموذجا"، مجلة البحث القانوني والسياسي، مج01، ع01، ديسمبر
2016
185. دهقاني أيوب، "البعد الثقافي والهوياتي في السياسة الخارجية الفرنسية: دراسة وفق
المنظور البنائي للعلاقات الدولية"، المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، مج3، عدد6،
ديسمبر 2018.
186. رابح دفرور، عبد الله مقلاتي، " الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي مصلحا دينيا وسياسيا
في توات والسودان الغربي"، مجلة الحقيقة، مج09، ع01، افريل 2010.
187. رضا شوادرة، "التبعات الاستراتيجية للهجرة غير الشرعية الآتية من الساحل والصحراء
الإفريقية على الأمن المجتمعي الجزائري". المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد05 / ع02،
2018
188. روان عزالدين، " جهود الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) في علم التوحيد"،
مجلة الصراط، مج24، ع02، ديسمبر 2022.
189. روبرت ميلتون أندروود الابن، "تعريف الدين ثلاثة علماء اجتماع يقاربون المفهوم". تر،
منار درويش، مجلة الاستغراب، ع3، ربيع 2016.
190. زعيم خنشلاوي، "دور الاشراف المرابطين"، مجلة رسالة المسجد، ع08، اوت 2008.
191. زمام نور الدين، "عولمة الثقافة". مجلة العلوم الإنسانية، ع01، 2001
192. زينب سالم، " الحياة العلمية بمنطقة توات خلال القرنين 8 و9هـ"، مجلة الحكمة
للدراستات التاريخية، مج05، ع12، ديسمبر 2017
193. سارة بوحادة، "السياسة الخارجية الجزائرية اتجاه الأزمة في شمال مالي"، مجلة دراسات
حول الجزائر والعالم، مج2، ع5، مارس 2017.
194. سالم بوتدارة، "الرحلات والمناظرات العلمية بالجزائر الحديثة (منطقة توات نموذجا)"، الحوار
المتوسطي، مج12، ع13، ديسمبر 2017
195. سالم بوتدارة، "الرحلات العلمية التواتية نحو بلاد الساحل الإفريقي وإسهاماتها العلمية"،
افاق فكرية، مج04، ع خاص، 2018.

196. سائحي يوسف، خمقاني عبد الهادي، " سبل تنشيط التعاون التجاري والاقتصادي بين الجزائر والدول الإفريقية"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج09، ع05، ديسمبر 2020.
197. سعاد بوجلابة قوزية، " تاريخ مدينة تيهرت الأثرية"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج04، ع08، سبتمبر 2016.
198. سفيان عمراني، " الملامح الأساسية للزراعة بالجزائر وإشكالية نقص المياه"، مجلة البدر، مج05، ع06، جوان 2013.
199. سليم حميداني، سميرة شرايطية، "توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية: العلاقات الجزائرية الإفريقية 1999-2019 نموذجا"، مجلة الرائد العلمي، مج07، ع02، سبتمبر 2020.
200. سليمان يوسف، "منابر العلم والثقافة في إفريقيا وجنوب الصحراء (حاضرة تمبكتو)"، مجلة الثقافة الإسلامية، مج10، ع01، جانفي 2014.
201. سمية غضبان، "مساهمة الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات الإفريقية - تحدي نحو تحقيق السلم والأمن في إفريقيا"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، مج03، ع11، سبتمبر 2018.
202. سميرة دعاشي، "واقع تجارة القوافل بين ضفتي الصحراء الجزائرية في ظل التغيرات التي أحدثتها فرنسا بالمنطقة بدايات القرن العشرين"، مجلة عصور جديدة، مج13، ع01، ماي 2023.
203. سميرة عبد الصمد، فوزية برسول، " تفعيل السياحة بالجزائر بالتركيز على السياحة الدينية ومقوماتها"، مجلة الاقتصاد الصناعي، مج09، ع02، ديسمبر 2019.
204. سيد امر شيخنا، تحولات الطاقة. مستقبل إفريقيا. قطر: تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 2016/07/13.
205. شاكر ظريف، "أزمة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى: دراسة في الأسباب والانعكاسات"، المجلة العربية للعلوم السياسية، ع42، افريل 2014.

206. شريف أسماء، شعباني نورالدين، "التفاعل الثقافي والفكري بين الجزائر والسودان الغربي خلال القرنين (9-12هـ / 15-18م)"، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع01. افريل 2022.
207. شيخ لعرج وفغور دحو، "انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن 19م ونشاطاتها المختلفة"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، جوان 2016.
208. صالح بوسليم، " جهود الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي في نشر الطريقة القادرية بالساحل والغرب الإفريقي خلال القرنين 18-19م"، الحوار المتوسطي، مج05، ع02، ديسمبر 2014
209. صبار محمد رضى، "الاستراتيجية والمفاهيم المرتبطة بها". مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية، مج02، ع09، ديسمبر 2020.
210. صيد عاشور، "مدينة وارجلان التنظيم الاجتماعي والدور التجاري خلال العصر الإسلامي"، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع03، أكتوبر 2022
211. طالبى عمار، "عبد الرحمان الأخضرى -حياته وأعماله"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج02، ع01، ماي 1987.
212. ظريف شاكر، "معضلة الهجرة السرية في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى وارتداداتها الإقليمية". مجلة العلوم القانونية والسياسية، ع13، (جوان 2016)،
213. عادل بن محمد جاهل، "حاضرة تنبكت في نهاية القرن التاسع عشر من خلال الكتابات الفرنسية"، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج03، ع02، ديسمبر 2019.
214. عادل زقاغ، سفيان منصوري، "امن منطقة الساحل الإفريقي: بين المنظور الأمني الفرنسي والاستراتيجية الأمنية الجزائرية". المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج04، ع01، جانفي 2014.
215. عباس عبد الله، "التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة الحقيقة، مج14، ع3، سبتمبر 2015،
216. عبد الحليم مهورياشة، "الحدائث الغربية وأنماط الوعي بها في الفكر العربي المعاصر"، مجلة تبين. مج06، ع23، فيفري 2018.

217. عبد الحميد هيمة، "حاضرة بجاية ودورها في تطور الحركة الصوفية بالمغرب العربي"، مجلة الفضاء المغربي، مج5، ع02، أكتوبر 2007،
218. عبد العالي إبراهيم، "الدعم الثقافي والإعلامي الجزائري لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي مهرجان الجزائر الثقافي الإفريقي الأول 1969 أنموذجاً"، مجلة الباحث، مج13، ع02، مارس 2022.
219. عبد العزيز زربية، "الدبلوماسية الدينية كآلية لحل الصراعات السياسية بين الدول والجماعات"، مجلة اتجاهات سياسية. ع16، سبتمبر 2021.
220. عبد القادر سليمان، "مظاهر التواصل العلمي بين بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي"، مجلة المعيار، مج26، ع3، 2022.
221. عبد الكريم عباس، "الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي"، مجلة التربية الأساسية، ع4، سبتمبر 2010.
222. عبد الله عباس، "دور إقليم توات في المبادرات التجارية بين بلدان المغرب الإسلامي والسودان الغربي"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج05، ع12، ديسمبر 2017.
223. عتوسي حفناوي، فرج عبد الحميد، "السياسة الدينية في الجزائر وانعكاساتها على التنمية"، مجلة الإعلام والمجتمع، مج07، ع01، جوان 2023.
224. عثمان منادي، "حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج03، ع04، مارس 2017.
225. عربي بومدين، فوزية قاسي، "المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية"، مركز دراسات الوحدة العربية، مج39، ع456، فيفري 2017.
226. عز الدين عبد السلام، "مبادرة الشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا NEPAD"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج24، ع01، أفريل 2009.
227. عقاب محمد الطيب، "مدينة تيهرت في بعض المصادر التاريخية المبكرة"، مجلة بحوث، مج2، ع01، جوان 1994.
228. علال بن عمر، "حاضرة أسوف وأريغ ومكانتها في الفكر الإباضي من القرن 2هـ/8م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج03، ع17، جوان 2018.

229. علاوة عمارة، زينب موساوي، "مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، مج44، ع45، افريل 2009
230. علي الصناعي ناجي، "الثقافة الوطنية بين إشكالية المفهوم والتحديات الراهنة"، مجلة القلم، ع3، 2015.
231. علي عواد الشرعة، "الآسيان وتجربة التعاون الإقليمي، دراسة في مقومات التجربة وتحديات وإمكانيات الاستفادة منها". مجلة إنسانيات، ع08، اوت 1999.
232. علي كسار غدير سلطان الغزالي، "الصلاة الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الإفريقية قبل ظهور الإسلام"، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج05، ع01، آذار 2008.
233. عمارة علاوة، "الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة تأسيس وتطور مدينة وسيطة"، مجلة معابر، مج03، ع01، ديسمبر 2016.
234. عمر بسعود، "الفلاحة في الجزائر: من الثورات الزراعية إلى الإصلاحات الليبرالية (1963-2002)"، مجلة إنسانيات، ع22، 2012.
235. عينوش أسامة، "الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية: قراءة في مقومات تفعيل دبلوماسية الجزائر الاقتصادية في إفريقيا"، مجلة الباحث الأكاديمي في العلوم القانونية والسياسية، مج04، ع02، سبتمبر 2021.
236. غربي بغداد، "أضواء على العلاقات بين السودان وبلاد المغرب الإسلامي حتى فترة الموحدين العلاقات التجارية نموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج05، ع03، جوان 2022.
237. غربي حمزة، خالدي عصام، "الاستثمار والشراكة الجزائرية الإفريقية"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج09، ع05، ديسمبر 2020.
238. فاطمة بلهوارى، "التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ/10م"، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع42، 2008.
239. قاسم الحادك، البعد الروحي في العلاقات المغربية الإفريقية: السياق والرهانات"، مجلة مدارات سياسية، مج01، ع04، مارس 2018.

240. قرة فارس، لموشي طلال، " التوجه الجديد للدبلوماسية الاقتصادية الجزائرية نحو منطقة التجارة الحرة الإفريقية: الحوافز والرهانات"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، مج12، ع01، جانفي 2023.
241. قلاع الضروس سمير، "منطقة الساحل الإفريقي وأهميتها الاستراتيجية في إفريقيا: دراسة جيوسياسية"، مجلة أكاديميا للعلوم السياسية، مجلد06، ع02.
242. قويدر ابن احمد، "المثاقفة: دراسة في المفهوم والتداعيات"، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، ع14، ربيع 2007.
243. كشان رضا، "دور الدبلوماسية الثقافية في تعزيز الهيمنة الأمريكية"، مجلة الأبحاث القانونية والسياسية، مج03، ع02، سبتمبر 2021.
244. لزهاري زواويد، يمينة مفاتيح، "المشاريع الاستثمارية الجزائرية الواعدة في ظل الشراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا "تبادل": تحديات الحاضر ورؤى المستقبل"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج09، ع05، أوت 2020.
245. لزهر بواردي، "جدلية الدين والسياسة وثنائية التداخل والتصادم"، المجلة العلمية لجامعة الجزائر3، ع09، ديسمبر 2017.
246. لعراب جمال، بن الشيخ توفيق، " دور الدبلوماسية التجارية في تعزيز جاذبية الاقتصاد الجزائري في إطار منطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية"، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، مج10، ع01، جانفي 2023.
247. مامادو كان، "الأسواق ووسائل المعاملات التجارية ما بين ضفتنا الصحراء 5-10هـ/11-16م"، مجلة كان التاريخية، ع43، مارس 2019.
248. مبخوت بودواية، "الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني"، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، ع01، ديسمبر 2008.
249. مجاهدي إبراهيم، "دور الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات المسلحة الإقليمية (دراسة حالة النزاعات الإفريقية نموذجا)"، مجلة صوت القانون، مج04، ع03، ديسمبر 2017.
250. محمد الزين، "إسهامات أعلام إقليم توات في ترسيخ الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرن 16-19م"، مجلة عصور، مج17، ع02، ديسمبر 2018.

251. محمد السعيد بن غنيمة، "الدبلوماسية الثقافية كآلية لتعزيز القوة الناعمة الجزائرية في القارة الإفريقية"، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية، مج18، ع01، 2023.
252. محمد الصالح حوتية، " حواضر نهر النيجر تمبكتو - جيني - قاو، مجلة الحقيقة، مج09، ع02، جوان 2010.
253. محمد الكبير فقيحي، "الدور الاجتماعي والاقتصادي للقوافل التجارية والحجبة بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة"، مجلة دراسات، مج04، ع02، ديسمبر 2015.
254. محمد أمين شرويك ومحمد مكحلي، " نشاط الطريقة التيجانية في المجتمعات الإفريقية الإسلامية النشاط السياسي والاقتصادي أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثنية في شمال إفريقيا، ع1، جانفي 2018.
255. محمد بن المحبوب، " الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط، مجلة الحضارة الإسلامية، مج04، ع05، نوفمبر 1998.
256. محمد بن عربة، أحلام بوسالم، " دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثنية في شمال إفريقيا، مج04، ع01، جانفي 2021.
257. محمد رزيق، " التقلبات الجيوسياسية في المنطقة العربية ومنطقة الساحل وتداعياتها على الأمن القومي الجزائري، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج17، ع02، (2020).
258. محمد مولاي، الحواضر العلمية ببلاد السودان الغربي ما بين ق 10-12هـ/16-18م، مجلة عصور، مج16، ع02، ديسمبر 2017.
259. مختاري نصر الدين، " الاقتصاد الجزائري: بين إشكالية بناء الدولة وغياب مشروع مجتمع، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع35، سبتمبر 2018.
260. مسعود لبيوض، " العولمة وسؤال الثقافة". مجلة آفاق علمية، مج11، عدد02، 2019.
261. مشاور صيفي، " دور الجغرافيا السياسية في تكوين الدولة في منطقة الساحل الإفريقي، الحوار الفكري، مج12، ع30، 2016.
262. مصطفى بخوش، " تطور الفكر الاستراتيجي في حقل العلاقات الدولية". مجلة دراسات شرق اوسطية، مج16، ع59، جوان 2012.

263. مصطفى كامل محمد الشباني، "النشاط التجاري في المغرب الأوسط وأثره في تطور الحركة التجارية"، مجلة مداد الآداب، ع24، 2021.
264. مصطفى موسى محمد علي، "أثر بناء الدولة على التهديدات الأمنية اللاتماثلية في منطقة الساحل والصحراء". دفاتر السياسة والقانون، مجلد12/ ع01، 2020.
265. مصطفى ونوعي، "جدلية الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي"، مجلة الدراسات الإفريقية، ع38، جوان 2015.
266. موسى عبد السلام أبيكن، "الطريقة التيجانية ودورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا"، مجلة حوليات التراث، ع14، سبتمبر 2014.
267. مولاي الطاهر سعيد، "تجارة القوافل عبر الصحراء بين المغرب والسودان الغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة متون، مج11، ع01، افريل 2019.
268. مولاي أحمد. "التجارة والرحلة ودورها في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي ما بين القرنين 11 و 12 هـ - 17 و 18 م". مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية ع05، 2015.
269. نعيمة طيب بوجمعة، "من حواضر المغرب الأوسط: مدينة تلمسان"، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج05، ع01، جانفي 2018.
270. هاجر بن العربي، "توظيف الدبلوماسية الدينية في السياسة الخارجية الجزائرية تجاه دول إفريقيا"، مجلة آفاق للأبحاث السياسية والقانونية، مج03، ع06، نوفمبر 2020.
271. هبة جمال الدين، "الدبلوماسية الروحية كمسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصنع القرار"، مجلة مستقبل التربية العربية، مج26، ع116، جانفي 2019.
272. وهيبة دالع، "السياسة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي"، دراسات استراتيجية، مج12، ع23، جوان 2016.
273. ويكن فايزة، "الدائرة الإفريقية في التوجه الخارجي الجزائري بين تأكيد المكانة وتحقيق التنمية والاستقرار"، حوليات كلية الحقوق والعلوم السياسية، مج09، ع01، ديسمبر 2017.
274. بيزير جلول، "الأمن الفكري ودوره في محاربة التطرف ونشر قيم السلم رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل - أنموذجاً -"، افاق للعلوم، مج07، ع03، جوان 2022.

275. Abdoul Hameth. **“Le Sahel, bande de transition et couloir de circulation”**. Acteurs et territoires du Sahel: Rôle des mises en relation dans la recomposition des territoires. Lyon: ENS Éditions, 2007.
276. Ahmet Berat ÇONKAR, **“Développement Et Sécurité Dans La Région Du Sahel”**, Rapport assemblée parlementaire de l’otan, Décembre 2020
277. AmineBoudghene Stambouli, **“Algerian renewable energy assessment: The challenge of sustainability”**, Energy Policy, V39, Issue 8, August 2011.
278. André Bourgeot, **“Sahara De Tous Les Enjeux”**, Hérodote, vol 142, no 3, 2011.
279. Andre Bourgeot, **“Sahara : espace géostratégique et enjeux politique(niger)”**, Chaiier des recherches
280. Andriy Tyushka, lucyna Czechowska, **Strategic partnerships in international politics and IR theory**. In book: States ,international organization and strategic partnerships, London: Edward Elgar Publishing, 2019.
281. Bourgeot, André. **“ Sahara de tous les enjeux ”**, Hérodote, vol. 142, no. 3, 2011.
282. Catherine Raef and others, **“The concept of culture introduction to spotlight series on conceptualizing culture”**, Applied Developmental Scince, vol4, N24, 2020.
283. CNRS labouratoire d’anthropologie sociale, Autrepart(16) , 2000 , p43.
284. Cooper Rachel. **“Natural Resources Management Strategies in the Sahel”**. Helpdesk Report. Brighton, UK: Institute of Development Studies, 2018.
285. Dieng, Adama. **“The Sahel: Challenges and opportunities”**, International Review of the Red Cross, , 103 (918), 2021.
286. Djallil Lounnas, **“Jihadist Groups In North Africa And The Sahel: Between Disintegration, Reconfiguration And Resilience”**, MENARA Working Papers, No. 16, October 2018.
287. Fenouche Messaoud, Touatit Lotfi, **“Le terrorisme et ses liens avec le trafic de drogue en Afrique subsaharienne,”** (Terrorisme et trafic de drogues en l’Afrique subsaharienne), Institut Espagnol d’Études Stratégiques, 2013.
288. Gado, Boureima Alpha. **“Concepts et Approches Pour Une Définition de l’espace Sahélien.”** Africa Development / Afrique et Développement, vol. 18, no. 4, 1993, p. 79,

289. Giancarlo Schirru, "**L'hégémonie de Gramsci entre la sphère politique et la sphère symbolique**". International Journal of Politics, Culture and Society, Vol. 16, No. 2, Winter 2002 (°C 2002).
290. Jabir Touré, "**Les opérations francophones de lutte contre le terrorisme : l'exemple du G5 Sahel**", Revue internationale des francophonies, vol, 9 , 2021.
291. Jan van der Marwe, "**Ludwig Feuerbach die antropoloog**". Tydskrif vir geesteswetenskappe, Vol.51, n.3, september 2011.
292. Jean-Claude Santucci, **La Mauritanie dans les relations inter-Maghrebines**. France : Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman, 1979.
293. John Fahy, Jeffrey Haynes, "**Introduction: Interfaith on the World Stage**", The Review of Faith & International Affairs, vol 16, n 3 ,2018.
294. Joshua David Wright, yuelee khoo, "**Empirical perspectives on religion and violence**", Journal of international relations. 2019.
295. Kamel Chachoua, "**2^e Festival culturel panafricain d'Alger (1- 4 juillet 2009) Colloque international sur l'anthropologie africaine Pour une Anthropologie Sud/Sud ?** ", Journal des anthropologues, 118-119 | 2009, p 375
296. Kateb, Kamel. "**Population et organisation de l'espace en Algérie** ", L'Espace géographique, vol. 32, no. 4, 2003, p. 316.
297. Katerina Papaioannou, "**Cultural Diplomacy In International Relations**", IJASOS- International E-journal of Advances in Social Sciences, vol.3, N.9, December 2017, P 943
298. Kaufmann, Timo, "**L'engagement de l'UE au Sahel : stratégie cohérente ou rafistolage politique?**", Revue Défense Nationale, vol. 780, no. 5, 2015.
299. Laura Gil, "**Au Sahel, des scientifiques étudient les eaux souterraines à l'aide de la technologie nucléaire**", AIEA Bulletin, Vol 58-2, juin 2017, p8
300. Lesley Johnson, **Matthew Arnold's Concept of Culture and its Significance for R.S. Peter's Analysis of Education**, The Australian Journal Education, vol.16, No. 2, June 1972.
301. Lieber-Weisberg, **Globalization Culture And Identit** . International Journal of Politics, Culture and Society ,Vol. 16 ,No. 2, Winter 2002 (°C 2002)
302. lofti sour, "**Algeria's Role in the African Sahel: Toward a New Security Paradigm**", International Journal of Euro-Mediterranean Studies, vol 15, N02, 2022, p167

303. Mohd Faizal, A.K, "**Scientific Study of Religions: Critical Analysis on Western Scholarship**," International Journal of Business and Social Science, Vol. 6, No. 8, August 2015.
304. Moussa Dembélé, Demba, "**Ressources de l’afrique et stratégies d’exploitation** ", La Pensée, vol. 381, no. 1, 2015, p32.
305. Muhammed Tandoğan, Omar Bouacha, "**THE ALGERIAN SECURITY APPROACH TOWARDS THE SAHEL REGION: CASE OF MALI**". Journal of Turkology. Vol27, N01, 2017, P312.
306. Nikola Lj, "**The concept of political inegration; the perspectives of neofunctionalist theory**". Journal of liberty and international affairs, Vol.1, No.1, 2015, p2
307. Omar Bessaoud, "**L ‘Algérie agricole : de la construction du territoire à l’impossible émergence de la paysannerie** ", Insaniyat , n 7 , 1999, p06.
308. Pahlavi, Pierre, et Jérôme Lacroix Leclair. "**L’institutionnalisation d’AQMI dans la nébuleuse Al-Qaida**," Les Champs de Mars, vol. 24, no. 2, 2012, pp. 12,13
309. U.S. Energy Information, **Report of Country Analysis Brief: Algeria**, 02/03/2023
310. International Energy Agency, "**World Energy Outlook 2022** ", Report October 2022.
311. Reinhilde Bouckaert and Claire Dupont, "**Turning to Algeria to replace Russian gas: A false solution**", Policy Brief, Issue 2, May 2022.
312. Taje, Mehdi, "**Caractéristiques Du Champ Geopolitique.**" Sécurité et Stabilité Dans Le Sahel Africain, edited by Jean Dufourcq and Laure Borgomano-Loup, NATO Defense College, 2006.
313. Voguet, Élise, "**Le Maghreb central au ix/xve siècle. Résistances à l'idéal Islamique D'unité** ", Hypothèses, vol. 7, no. 1, 2004
314. Waheeda Rana, "**Theory of complex interdependence: A Comparative analysis of Realist and Neoliberal thoughts**". International Journal of business and social science. Vol.6, No.2, February.2015.

رابعاً: الأطروحات والرسائل الجامعية

315. إبراهيم حامد لمين، التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي (999-1317هـ/1591-1900م)، مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، 2016، ص أ

316. احمد مكين بشير الشريف، البعد الديني في العلاقات الدولية: دراسة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، مذكرة ماجستير، جامعة الخرطوم، 2010.
317. أسماء رسولي، التحديات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2018، ص 178
318. أمير بوريشة، العلاقات الجزائرية الإفريقية جنوب الصحراء 1999-2014 الواقع والآفاق، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر 3، 2016، ص 324
319. اكرام بركان، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010.
320. أمل الشمراني، رحلات الحج وأثارها على بلاد السودان الغربي في عصر دولتي مالي وسنغاي، أطروحة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، 2012.
321. بالحاج بن عمر أوزايد، العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، 2016.
322. بروال طيب، الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2019.
323. بن تيسة كلتوم، الصلات الثقافية بين بلدان المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 10هـ/16م، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، 2016.
324. بوترة علي، القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء، رسالة ماجستير، جامعة احمد دراية ادرا، 2010.
325. بوغدة نور الهدى، دور الكفاءة الاستخدامية للموارد المائية في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة والأمن الغذائي - حالة الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة سطيف 1، 2015.
326. حاج محمد فضيلة، التحديات الأمنية في الساحل الإفريقي وتأثيرها على الأمن الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، 2019.
327. حسيبة بلاطش، السياسة الطاقوية في الجزائر وانعكاساتها على الأمن والتنمية والاستقرار، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2021.

328. حنان لبدي، التحولات الدولية الراهنة وتأثيرها على الاستراتيجية الأمنية الأوروبية في منطقة الساحل الإفريقي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015.
329. خالد عوض عقلة الدهام، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط في عهد أوباما 2009-2017، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2018.
330. خميلة فيصل، تحديات الأمن الثقافي في عصر العولمة-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2020.
331. دالغ وهيبة، السياسة الخارجية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي 1999-2014، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2014.
332. زهرة مسعودي، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م الى القرن 20م، مذكرة ماجستير، جامعة أدرار، 2010.
333. سارة بوزورزور الترجمة وفعل الثقافة، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2010.
334. سليم العايب، الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الاتحاد الإفريقي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2011.
335. شاهين حاتم احمد موسى، النظرية البنائية في العلاقات الدولية ما بعد الحرب الباردة (1991-2015)، مذكرة ماجستير، جامعة الأزهر غزة، 2017.
336. طيب بوروال، الأمن والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2019.
337. عبد الجليل هجيرة، العوامل المؤثرة في تنافسية الاقتصاد الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017.
338. عبد الرؤوف بن الشهاب، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الجزائرية في ظل التهديدات الأمنية لدول الجوار 1999-2018، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة3، 2019.
339. عز الدين موسى صالح عقيلة، النزاع الحدودي الليبي-التشادي 1973-1995، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2017.
340. علالي حكيم، البعد الأمني في السياسة الخارجية- نموذج الجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011.

341. عمر سـعداوي، البعد الإقليمي للأمن الوطني الجزائري في ظل الحراك العربي الراهن دراسة في المضامين والأبعاد، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2020.
342. عمر صالح سالم الفانوس، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2002.
343. فاطمة علي أحويلات، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2016.
344. فيروز مزياني، "تحولات البيئة الإقليمية وأثرها على الإستراتيجية الأمنية الجزائرية"، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2021.
345. لطيفة تليلي، الحماية الجمركية للمنتوج المحلي في مرحلة الانتقال إلى اقتصاد السوق، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012.
346. لمياء مرتاض نفوسي، دور الشعر الملحون في التنمية الثقافية المحلية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013.
347. ممد صالحية، محددات وتوجهات السياسة الخارجية الجزائرية اتجاه دوائر محيطها الإفريقي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2019.
348. مها سليمان محمد شحادة، السياسة الخارجية الصينية تجاه النظام الدولي "البعد الثقافي نموذجا" 1991-2015، مذكرة ماجستير، جامعة الأزهر غزة، 2017.
349. نبيل بوببية، الجزائر والمشاريع الإقليمية والدولية لبناء السلم في منطقة الساحل الإفريقي: التحديات والرهانات، أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، (2018).
350. نور الدين شعباني بوكنة، دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2013.
351. يوسف الطيب، "الحضور الاجتماعي والسياسي للطرق الصوفية في الجزائر العثمانية"، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2015.
352. Rebecca Anne Glazier, **Bringing Religion into International Relations: The Effects of Providential Beliefs on U.S. Foreign Policy, Doctorate of Philosophy in Political Science, University of California, Santa Barbara, June 2009.**

خامسا: المداخلات

353. أبو القاسم حمدي، "السياحة الدينية إلى الزاوية التيجانية بين مهدها بعين ماضي وضريح شيخها بفاس: قراءة في مجالات التنمية المستدامة بين المنطقتين"، مداخلة في المؤتمر الدولي حول: السياحة الدينية في الجزائر وطرق تفعيلها، (المنعقد بجامعة الأغواط يومي 13-14 أكتوبر 2019)

354. حسن مكي محمد أحمد، "رواد الفكر والتجديد بالسودان وإفريقيا جنوب الصحراء في مئتي السنة الأخيرة" مداخلة في مؤتمر: اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث، (المنعقد بالإسكندرية يومي 19-21/01/2009)

355. حناي محمد، مياطه التجاني، "التجربة الصوفية الجزائرية حضور حضاري وتأثير عالمي"، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين 16 و20م، (المنعقد بجامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي- يومي 15-16 أكتوبر 2017)

356. مبارك جعفري، عبو طاهر، "منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من القرن 9 إلى 13هـ/15 إلى 19م"، مداخلة بالملتقى الدولي: (التجارة والتجار عبر التاريخ)، (الجمعية التونسية المتوسطة للدراسات، تونس، 11.12.13 ديسمبر 2014)

357. محمد أبو محمد امام، "سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية" مداخلة في مؤتمر دولي: الإسلام في إفريقيا، (المنعقد بجامعة إفريقيا العالمية يومي 26-27 نوفمبر 2006).

358. محمد جمال الدين مظلوم، "نحو استراتيجية مستقبلية عربية في إطار الشراكات الدولية: دول الجوار"، مداخلة قدمت للملتقى العلمي: الرؤى المستقبلية والشركات الدولية (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الخرطوم، 03/05/2013).

359. مقالاتي عبد الله، "علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي: العلاقات الثقافية وابعادها الحضارية نموذجا"، مداخلة بالملتقى الوطني: العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، (المنعقد بجامعة احمد دراية أدرار، يوم 14 افريل 2009)

سادسا: المواقع الإلكترونية

أ- باللغة العربية:

360. أحمد بالحاج، "زيارة شيخ الزاوية الطاهرية بالجزائر لموريتانيا فرصة لتفعيل الدبلوماسية

الدينية"، يومية الوسط، 2023/02/21، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/xm32i>

361. إسلام كعبش، "بوصلة الجزائر" تتجه نحو إفريقيا لكسب رهان الصادرات"، سكاي نيوز عربية،

2022/06/11، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/qyYZV>

362. آسيا قبلي، "تعزيز امتداد الجزائر في عمقها الاستراتيجي"، مجلة الشعب، 2022/12/21،

مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/3VZJV>

363. البنك الدولي، "تقرير البنك الدولي في إفريقيا"، موقع البنك الدولي، 2023/04/05، تقرير

متاح على الرابط: <https://cutt.us/spf8d>

364. السيد علي ابوفرحة، "الشراكة في العلاقات الدولية: نشأة المفهوم ومستجدات الممارسة".

مجلة السياسة الدولية، 18-2-2021، متاح على الرابط:

<https://www.siyassa.org.eg/News/18023.aspx>

365. الشروق أونلاين، "بومدين منح الجنسية الجزائرية لمريم مكيبا بحضوري"، موقع الشروق، مقال

متاح على الرابط، <https://cutt.us/GqimB>

366. المساء الإخبارية، "للجزائر فضل في تكوين وتعليم الطلبة الأفارقة"، 2023/03/02، مقال

متاح على الرابط: <https://cutt.us/Z6kuP>

367. الوكالة الموريتانية للأنباء، "اختتام الندوة الدولية حول الشراكة والأمن والتنمية بين دول

الساحل والشركاء الدوليين"، 2011/09/08، متاح على الرابط، [https://old.ami.mr/Depeche-](https://old.ami.mr/Depeche-20902.html)

[20902.html](https://old.ami.mr/Depeche-20902.html)

368. إيمان بلعمري، "63 ألف طالب أجنبي تكوّنوا بالجزائر"، مقال متاح على الرابط:

<https://cutt.us/3xbd0>

369. جمال أوكيلي، "ميريام ماكيبا... صوت إفريقيا"، جريدة الشعب، 2013 / 04 / 08، مقال متاح

على الرابط: <https://www.djazairress.com/echchaab/25219>

370. سالي محمد فريد، "الساحل والصحراء ما بين الإمكانات الاقتصادية وفرص الاستثمار الجاذبة وبين انتشار ظاهرة الإرهاب"، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، 2021/09/18 متاح

على الرابط: <https://pharostudies.com/?p=7818>

371. سمية جيدل، "الاستثمار في السياحة الدينية كمورد لدفع العجلة الاقتصادية"، المستثمر،

2022/08/28، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/MkDrA>

372. سيد علي، "استلام 211 رأسا من المواشي من النيجر في إطار تجارة المقايضة"، سهم ميديا،

2021/11/15، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/IXkvB>

373. عبد الحفيظ سجال، "العلاقات الجزائرية الموريتانية: شراكة استراتيجية تتعدى التنافس مع

المغرب"، نون بوست، 2022/09/15، متاح على الرابط:

[/https://www.noonpost.com/45201](https://www.noonpost.com/45201)

374. عبد الحكيم حذاقة، "خصّصت مليار دولار لتنمية إفريقيا.. ماذا تستفيد الجزائر وما

أولوياتها؟"، الجزيرة نت، 2023/02/24، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/n3uIQ>

375. عبد الرحمن الشعيري منظور، "ما هو الدين؟ وما هي النخبة الدينية؟"، مركز ضياء للمؤتمرات

والأبحاث، 2020/05/02، مقال متاح على الرابط: <https://www.diae.events/postid=83405>

376. عثمان لحياني، "الجزائر تخرج 300 إمام إفريقي لمواجهة التطرف بدول الساحل"، موقع

العربية، 2013/08/08، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/nSeuq>

377. عقار قردود، "أفريكا نيوز...صوت إفريقيا في الجزائر"، يومية أفريقيا الإخبارية،

2023/05/07، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/nnK8o>

378. علجية عيش، "مجلة الثورة الإفريقية" كانت "صوتا إفريقيا"، موقع أمد للاعلام،

2018/10/16، مقال متاح على الرابط: <https://www.amad.ps/ar/post/261953>

379. علي يحيى، "هل تعيد تجارة المقايضة الجزائر إلى أحضان إفريقيا؟"، اندبندنت عربية،

2021/03/12، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/Bx3JV>

380. فريدوم أونوها، جيرالد إزيريم، "غرب إفريقيا: الإرهاب والجرائم المنظمة العابرة للحدود"، الجزيرة

للدراستات، 2013/07/24، متاح على الرابط: shorturl.at/alQZ5

381. ماجيد صراح، "هذه مشاريع الجزائر الكبرى الـ 5 في إفريقيا، الشروق"، مقال متاح على

الرابط: <https://cutt.us/TNyrq>

382. محمد عجمي، "الطريقة التيجانية ودورها الحضاري في أفريقيا"، الميادين، 2023/07/29، مقال متاح على الرابط:
<https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7> (تاريخ الاطلاع: 2023/09/26)
383. محمد سالم ولد محمد، "الأبعاد الاجتماعية للتصوف في غرب إفريقيا: البنى والوظائف والعلاقات"، مركز الجزيرة للدراسات، 26.09.2018 مقال على رابط:
https://studies.aljazeera.net/sites/default/files/articles/reports-ar/documents/8cab6446df394b19a15b2a75f1d5f353_100.pdf
384. محمد سعيد بوسعدية، "من تسيير مسجد باريس إلى المؤتمر الدولي حول العالم المغيلي"، مجلة الشعب، 2022/12/23، مقال متاح على الرابط: <https://cutt.us/jFZLf>
385. مصطفى بخوش، "إفريقيا تمتلك مؤهلات الاقلاع لكن لم تستغل"، موقع الشعب، 2014/02/11، على الرابط: <https://cutt.us/hm4Mg>
386. مولود صياد، "السياحة الروحية القوة الاقتصادية الناعمة للجزائر"، موقع الحوار الجزائري، 2019/02/17، مقال متاح على الرابط: <https://elhiwar.dz/event/142914>
387. نادية محمود مصطفى، جدالات صراع /حوار الحضارات: إشكالية العلاقة بين السياسية الثقافي في خطابات إسلامية عربية. مركز الحضارة للدراسات السياسية، ص، 2. متاح على الرابط: <http://cutt.us/UUo2F>
388. نارة عبد العزيز، "تجارة القوافل بين الجزائر وطرابلس الغرب والسودان الغربي في العهد العثماني"، منصة أريد، 2019/10/19 مقال متاح على الرابط:
<https://portal.arid.my/Publications/de1d6ff2-2faa-4582-9efb-6cc1d013ed50.docx>
389. نداء كسبر، "دبلوماسية الجزائر الإنسانية في مواجهة تهديدات الساحل الإفريقي.. المؤشرات والنتائج" مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، 2022/03/03، مقال متاح على الرابط:
<https://pharostudies.com/?p=9496>
390. وزارة التجارة وترقية الصادرات، "إحصائيات الصادرات خارج المحروقات لسنة 2021"، 2021/09/13، مقال متاح على الرابط: <https://www.commerce.gov.dz/statistiques/les-statistiques-de-l-exportation-hors-hydrocarbures-1>

391. وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الموريتانية، " التعريف بالجمهورية الإسلامية الموريتانية "، مقال متاح على الرابط: <https://www.diplomatie.gov.mr/ar/mauritanie>
392. وكالة الأنباء الجزائرية، " الجزائر-السنغال: "البنك الجزائري السنغالي" يكرس الإرادة في تعزيز العلاقات الاقتصادية الثنائية"، 21 سبتمبر 2023م، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/economie/149038-2023-09-21-15-42-05>
393. وكالة الأنباء الجزائرية، " المركز الإقليمي لحماية التراث الثقافي غير المادي في إفريقيا، مركز النقاء لعلماء الأنثروبولوجيا في القارة"، 16/05/2022، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/culture/125910-2022-05-16-12-55-52>
394. وكالة الأنباء الجزائرية، " المشهد الإعلامي الجزائري يتعزز بقناة إذاعية جديدة "إفريقيا أف أم"، 04/05/2023، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/algerie/143256-2023-05-04-07-55-25>
395. وكالة الأنباء الجزائرية، " أهمية تبني مقاربة شاملة تعتمد على التنمية تحقيقا لفكر الوسطية والاعتدال"، 26/02/2023، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/monde/140115-2023-02-26-15-23-24>
396. وكالة الأنباء الجزائرية، "الجزائر-موريتانيا: 26 اتفاقية تتوج الدورة ال19. للجنة المشتركة"، 14/09/2022، المقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/algerie/131487-26-19>
397. وكالة الأنباء الجزائرية، "تدشين بنك الاتحاد الجزائري" بموريتانيا، أول بنك جزائري بالخارج"، 20 سبتمبر 2023، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/economie/148958-2023-09-20-10-44-43>
398. وكالة الأنباء الجزائرية، "في إطار تجارة المقايضة الحدودية: الجزائر تصدر 20 طنا من التمور نحو مالي"، وكالة الأنباء الجزائرية، 25/02/2021، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/regions/102413-20>
399. وكالة الأنباء الجزائرية، الاتفاق بين المركز الإفريقي للدراسات حول الإرهاب ورابطة أئمة الساحل على تطوير برنامج تكويني خاص بأئمة ودعاة إفريقيا"، 09/10/2017، مقال متاح على الرابط: <https://www.aps.dz/ar/algerie/48247-2017-10-08-14-57-52>
- ب- باللغة الأجنبية:

400. Aaron O'Neill, "Mauritania: National debt from 2017 to 2027" Statista, Dec 2, 2022, on cite: <https://www.statista.com/statistics/531766/national-debt-of-mauritania/#:~:text=The%20national%20debt%20of%20Mauritania,billion%20U.S.%20dollars%20in%202027>
401. African union, **Declaration of the second high-level intergovernmental meeting on the prevention and combating of terrorism in Africa**, Algeria 12-14 Oct.2004 on cite: https://au.int/sites/default/files/treaties/37291-treaty-0030_-_protocol_to_the_oau_convention_on_the_prevention_and_combating_of_terrorism_e.pdf
402. Algeria Trade Index", Available online at: <https://www.ceicdata.com/en/algeria/trade-index/dz-net-barter-terms-of-trade-index>
403. ALGÉRIE PRESSE SERVICE, " **Démographie: 44,6 millions d'habitants en Algérie en janvier 2021**", Publié Le : 22 Janvier 2022 on cite: <https://www.aps.dz/societe/134560-demographie-44-6-millions-d-habitants-en-algerie-en-janvier-2021>
404. Andrew Lebovich, "AQIM and Its Allies in Mali", The Washington Institute: Policy Analysis, Feb 5, 2013 on cite; <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/aqim-and-its-allies-mali>
405. Andrew Lebovich, "**MAPPING ARMED GROUPS IN MALI AND THE SAHEL**", European Council on Foreign Relations, 14 May 2019.on cite: https://ecfr.eu/special/sahel_mapping/mujao
406. Annie Risemberg, Solar Energy Brings Promise, Challenges to Sahel Region, Voice of America news, 11/12/2020, on cite: https://www.voanews.com/a/africa_solar-energy-brings-promise-challenges-sahel-region/6199470.html
407. Apoli bertrand Kameni, "**Les ressources minérales de l'Afrique, atout ou malediction**", conflits revue de geopolitique, 13 OCTOBRE 2020, on cite: <https://www.revueconflits.com/ressources-minerales-afrique-analyse-apoli-bertrand-kameni/>
408. CEIC's economic databases, "**Algeria Trade Index**", Available online at: <https://www.ceicdata.com/en/algeria/trade-index/dz-net-barter-terms-of-trade-index>
409. Center for International Security and Cooperation, "**Ansar Dine is an Islamic Tuareg militant organization operating in Mali**", Stanford University, July 2018. <https://cisac.fsi.stanford.edu/mappingmilitants/profiles/ansar-dine>
410. Centre d'études stratégiques de l'Afrique, "**Cinq zones de violence des groupes islamistes militants au Sahel**", Infographie, 30 septembre 2022, in site: <https://africacenter.org/wp-content/uploads/2023/02/Five-Zones-fr.pdf>
411. Centre d'études stratégiques de l'Afrique, "**La hausse de la violence des militants islamistes au Sahel, une dynamique qui domine le combat de l'Afrique contre les**

extrémistes", Infographie, 26 janvier 2022, in site:

<https://africacenter.org/fr/spotlight/mig2022-01-hausse-violence-militants-islamistes-sahel-dynamique-domine-combat-afrique-extremistes/#>

412. Fabien Offner, "**Changing Relationships and Growing Threats: Evidence for Insurgent Groups in the Sahel**", The New Humanitarian, 26 February 2018, on cite;

<https://www.thenewhumanitarian.org/ar/2018/02/19/llqt-lmtgyr-wlthdydt-lmtzyd-dlyl-ljmt-lmtmrd-fy-mntq-lshl>

413. Fabrizio Carnevalini, "**The multi-ethnic editorial staff and correspondents in nine countries**", Radio reporter, 12/05/2023, on cite: <https://blog.radioreporter.org/algeria-a-new-shortwave-radio-for-africa>

414. Francis M. Deng, "**Ethnicity: An African Predicament**", The Brookings Institution, June 1, 1997, on cite: <https://www.brookings.edu/articles/ethnicity-an-african-predicament/>

415. Henri Plagnol ; François Loncle, "**La situation sécuritaire dans les pays de la zone sahéenne**", Assemblée nationale France (CAE), N4431, 6 mars 2012, p19. on cite: <https://www.assemblee-nationale.fr/13/pdf/rap-info/i4431.pdf>

416. Intissar Fakir, "**Given Capacity Constraints, Algeria is no Quick Fix for Europe's Russian Gas Concerns**", 8 March 2022, Available at: <https://www.mei.edu/publications/given-capacity-constraints-algeria-no-quick-fix-europes-russian-gas-concerns>

417. Kingsley Ighobor, "**Ressources minières : la fin d'une malédiction?**", Afrique Renouveau, Avril 2014, on cite: <https://www.un.org/africarenewal/fr/magazine/avril-2014/ressources-mini%C3%A8res-la-fin-d%E2%80%99une-mal%C3%A9diction>

418. L'Union internationale pour la conservation de la nature, "**Le bassin du Tchad, une source de vie pour l'homme, la nature et la paix**". 04 Oct, 2019 on cite <https://www.iucn.org/fr/news/eau/201910/le-bassin-du-tchad-une-source-de-vie-pour-lhomme-la-nature-et-la-paix>

419. M.NIAR, "**2ème Festival culturel panafricain (du 5 au 20 juillet 2009 à Alger)**", <http://niarunblogfr.unblog.fr/festivals-et-fetes/2eme-festival-culturel-panafricain-du-5-au-20-juillet-2009-a-alger/>

420. Mark Cartwright, "**The Salt Trade of Ancient West Africa**", World History Encyclopedia. Last modified March 06, 2019. <https://www.worldhistory.org/article/1342/the-salt-trade-of-ancient-west-africa/>

421. Morten Bøås, "**The Sahel – Fragile States and Weak Political Orders**", Australian Institute of International Affairs, 01 APR 2021, on cite: <https://www.internationalaffairs.org.au/australianoutlook/the-sahel-fragile-states-and-weak-political-orders/>

422. Nation Master, "**Algeria Algerian Economy Stats**" on cite: <https://www.nationmaster.com/country-info/stats/Economy/Net-barter-terms-of-trade>

423. Taliaferro, Charles, "**Philosophy of Religion**", The Stanford Encyclopedia of Philosophy, (Winter 2021 Edition) on cite: <https://plato.stanford.edu/archives/win2021/entries/philosophy-religion/>
424. The Observatory of Economic Complexity, "bilateral-country Algeria partner Mali", on cite: <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/dza/partner/mli>
425. Trading Economics, "**Algeria Exports to Mali**", on cite: <https://tradingeconomics.com/algeria/exports/mali>
426. Trading Economics, "**Algeria Exports to Mauritania**", on cite: <https://tradingeconomics.com/algeria/exports/mauritania>
427. Trading Economics, "**Niger Exports to Algeria**", on cite: <https://tradingeconomics.com/niger/exports/algeria>
428. United Nations Africa Renewal, "**THE SAHEL: LAND OF OPPORTUNITIES**". Available at <https://www.un.org/africarenewal/sahel>
429. William T. Cavanaugh, "**Does Religion Cause Violence?**", Harvard Divinity School, Summer 2007, <https://bulletin.hds.harvard.edu/does-religion-cause-violence/>
430. Wolfram Lacher, "**conflict in the sahel-sahara region**". Carnegie middle east center, 13 september 2012, p8 .on site: shorturl.at/gst15
431. Yasmine Osman, "**The Sahel beyond the conflict: real economic and social development**", Equal Times, 4 November 2021, on cite: <https://www.equaltimes.org/the-sahel-beyond-the-conflict-real?lang=en#.Y9N7enbMLIU>

قائمة الجداول

قائمة الجداول

- الجدول رقم (01): المؤشرات الديموغرافية الرئيسية لدول منطقة الساحل 125
- الجدول رقم (02): الطاقة المتجددة المنتجة في منطقة الساحل الإفريقي خلال الفترة 2011-2020
(جيجاواط ساعة) 127
- الجدول رقم (03): الاحصائيات العامة خاصة بالنفط الجزائري 139
- الجدول رقم (04): المصافي النفطية القائمة في الجزائر 140
- الجدول رقم (05): المصافي النفطية الجديدة والتحسينات للمصافي القائمة في الجزائر 141
- الجدول رقم (06): مشاريع الغاز الطبيعي في الجزائر القائمة والمخطط لها 144
- الجدول رقم (07): إمكانيات الجزائر المتوفرة من مصادر الطاقة المتجددة 148
- الجدول رقم (08): الإنتاج المحقق لبعض مصادر الطاقة المتجددة خلال الفترة 2012-2020
(جيجاواط/ ساعة) 150
- الجدول رقم (09): الطاقة المنتجة والقدرة المركبة للمحطات التشغيلية المنجزة في الصحراء 152
- الجدول رقم (10): إنتاج الجزائر من بعض الموارد المعدنية وغير المعدنية خلال الفترة 2013-2018
..... 156
- الجدول رقم (11): المؤشرات الديموغرافية الرئيسية لدول منطقة الساحل 171
- الجدول رقم (12): قيمة الديون الخارجية لدول منطقة الساحل للسنوات من 2012-2021 (بالمليار
دولار أمريكي) 173
- الجدول رقم (13): الدين الخارجي لحكومات منطقة الساحل الإفريقي سنة 2021 (% من الناتج المحلي
الإجمالي) 174
- الجدول رقم (14): متوسط التوزيع السنوي للمنح على دول الساحل الإفريقي من بين 35 دولة 365
- الجدول رقم (15): بعض صادرات الجزائر إلى مالي الداخلة ضمن تجارة المقايضة سنة 2016 380
- الجدول رقم (16): بعض المنتجات المصدرة من النيجر إلى الجزائر خلال سنة 2022 381
- الجدول رقم (17): بعض صادرات الجزائر إلى موريتانيا سنة 2016 382
- الجدول رقم (18): قيمة التبادل التجاري بين الجزائر وموريتانيا خلال سنة 2021 (دولار أمريكي) 383

قائمة الأشكال

قائمة الأشكال

- الشكل رقم (01): خريطة الموقع الجغرافي لمنطقة الساحل الإفريقي 101
- الشكل رقم (02): خارطة حدود دول الساحل المعتمد خلال البحث..... 108
- الشكل رقم (03): صادرات الدولة الموريتانية للتعددين خلال 2019-2020 118
- الشكل رقم (04): خريطة طبقات المياه الجوفية العابرة للحدود في منطقة الساحل 121
- الشكل رقم (05): نسبة الانتاج الزراعي في بعض دول منطقة الساحل..... 123
- الشكل رقم (06): إمكانيات الطاقة الشمسية المحتملة على المدى الطويل حسب منطقة العالم (الكيلو واط ساعة/ يوم)..... 126
- الشكل رقم (07): الطاقة المتجددة المنتجة في منطقة الساحل الإفريقي خلال الفترة 2011-2020 (جيغاواط ساعة) 127
- الشكل رقم (08): خريطة الموقع الجغرافي للدولة الجزائرية..... 131
- الشكل رقم (09): المزيج الطاقوي للجزائر خلال سنتي 2017 و 2019 137
- الشكل رقم (10): الصادرات الرئيسية غير الهيدروكربونية سنة 2020..... 138
- الشكل رقم (11): إنتاج الجزائر من الغاز الطبيعي خلال الفترة 2011-2021 (مليار متر مكعب) 142
- الشكل رقم (12): خريطة مبسطة للاكتشافات الجديدة المحققة من طرف سوناطراك خلال سنة 2020 143
- الشكل رقم (13): القوانين والأوامر المتعلقة بتشجيع وإنتاج الطاقة المتجددة خلال الفترة 1999-2017 147
- الشكل رقم (14): حجم الإنتاج من الطاقة المتجددة في الجزائر خلال الفترة 2011-2021..... 149
- الشكل رقم (15): الإنتاج المحقق لبعض مصادر الطاقة المتجددة خلال الفترة 2012-2020 (جيغاواط ساعة)..... 151
- الشكل رقم (16): برنامج الطاقة المتجددة 2015-2030 في الجزائر (ميغاواط)..... 153
- الشكل رقم (17): خارطة الموارد المعدنية الرئيسية في الجزائر سنة 2015..... 154
- الشكل رقم (18): عدد المناجم النشطة ومشاريع التعددين بالجزائر لسنة 2022 حسب المعادن 156
- الشكل رقم (19): دول الساحل من حيث التنوع الاثني/العريقي والكثافة السكانية 168
- الشكل رقم (20): خريطة لأبرز الجماعات الإرهابية الناشطة في منطقة الساحل الإفريقي 187
- الشكل رقم (21): أكثر المقاطعات انتشارا للعنف في الساحل الإفريقي..... 191

قائمة الأشكال

- الشكل رقم (22): خريطة خطوط سير المهاجرين غير الشرعيين نحو أوروبا.....202
- الشكل رقم (23): خارطة للطرق والمسالك التجارية العابرة للجزائر تجاه منطقة الساحل الإفريقي227
- الشكل رقم (24): أهم السلع والطرق المطبقة في التبادلات التجارية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي
.....238
- الشكل رقم (25): خريطة الطريق العابر للصحراء322
- الشكل رقم (26): خارطة مشروع أنبوب الغاز العابر للصحراء "نيغال-NIGAL"323
- الشكل رقم (27): أهم النصوص القانونية المتعلقة بتقنين تجارة المقايضة بين الجزائر ودول الجوار .375
- الشكل رقم (28): قائمة المنتجات المتبادلة في إطار تجارة المقايضة (القرار الوزاري 1988 و1994)
.....376
- الشكل رقم (29): قائمة المنتجات المتبادلة في إطار تجارة المقايضة (القرار الوزاري 2020).....377
- الشكل رقم (31): المقاربات الجزائرية ضمن استراتيجيتها الشاملة تجاه منطقة الساحل الإفريقي387

فهرس المحتويات

20	الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة
22	المبحث الأول: مقارنة مفاهيمية للبعد الثقافي في العلاقات الدولية.....
22	المطلب الأول: ماهية الثقافة في الفكر الغربي والعربي.....
22	الفرع الأول: إيتيمولوجيا الثقافة في الفكر الغربي
25	الفرع الثاني: أهم التصورات والمفاهيم الغربية للثقافة.....
30	الفرع الثالث: تعريف الثقافة عند بعض المنظمات الدولية المتخصصة.....
34	الفرع الرابع: الثقافة وبناء المفهوم في الفكر العربي.....
38	المطلب الثاني: أثر وأهمية البعد الثقافي في العلاقات الدولية.....
40	الفرع الأول: الأدوار الأساسية للثقافة في العلاقات الدولية.....
42	الفرع الثاني: العوامل المساعدة على الاهتمام بالثقافة في العلاقات الدولية.....
47	المبحث الثاني: الظاهرة الدينية وأثرها في العلاقات الدولية.....
47	المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي للظاهرة الدينية وعلاقتها بالسياسة.....
48	الفرع الأول: الدين في الاشتقاق والمفهوم العربي
50	الفرع الثاني: الدين في الإصطلاح الغربي
52	الفرع الثالث: تعريف الدين
55	الفرع الرابع: الظاهرة الدينية وارتباطها بالسياسة.....
59	المطلب الثاني: تأثير البعد الديني في العلاقات الدولية.....
60	الفرع الأول: البعد الديني في العلاقات الدولية (من التهميش إلى الصعود والتأثير)
	الفرع الثاني: تأثير ودور الظاهرة الدينية في حقل العلاقات الدولية (من الصراع إلى دبلوماسية الدين)
66
71	المبحث الثالث: مدخل نظري لمفاهيم الاستراتيجية والشراكة في حقل العلاقات الدولية.....

71	المطلب الأول: مفهوم الشراكة والشراكة الاستراتيجية في العلاقات الدولية
72	الفرع الأول: مفهوم الشراكة والشراكة الاستراتيجية
76	الفرع الثاني: أهم المفاهيم المرتبطة بالشراكة في مجال العلاقات الدولية
79	الفرع الثالث: الشراكة كمقاربة جديدة في العلاقات الدولية
81	المطلب الثاني: ماهية الاستراتيجية في العلاقات الدولية
82	الفرع الأول: تعريف الاستراتيجية
85	الفرع الثاني: تطور الاستراتيجية كفكر في حقل العلاقات الدولية
88	الفرع الثالث: صياغة الاستراتيجية في مجال العلاقات الدولية
94	خلاصة الفصل الأول
96	الفصل الثاني: الجزائر ودول الساحل: دراسة جيو- سياسية واستراتيجية للإقليم
98	المبحث الأول: العمق الجيو استراتيجي لمنطقة الساحل الإفريقي
98	المطلب الأول: تعريف منطقة الساحل الإفريقي وتحديد الجغرافي
98	الفرع الأول: ايتيمولوجيا مفهوم منطقة الساحل الإفريقي
100	الفرع الثاني: تعدد مقاربات التعريف بالساحل الإفريقي
107	الفرع الثالث: التعريف الإجمالي للدراسة من خلال المقاربة الجزائرية لمنطقة الساحل الإفريقي
109	المطلب الثاني: الأهمية الاستراتيجية والجيو-بوليتيكية لمنطقة الساحل الإفريقي
111	الفرع الأول: خصائص الجغرافيا السياسية لمنطقة الساحل الإفريقي
125	الفرع الثاني: الطاقات المتجددة بمنطقة الساحل الإفريقي
129	المبحث الثاني: الدراسة الجيو استراتيجية للجزائر
129	المطلب الأول: الموقع الجغرافي للجزائر
130	الفرع الأول: المعطيات الجغرافية والسكانية للجزائر
132	الفرع الثاني: المناخ والتقسيم الجغرافي للجزائر

المطلب الثاني: المدارك الجيو اقتصادية والاستراتيجية للجزائر	134
الفرع الأول: موارد الطاقة الأحفورية	138
الفرع الثاني: موارد الطاقة المتجددة	146
الفرع الثالث: الموارد المعدنية وغير المعدنية	154
المبحث الثالث: واقع البيئة الأمنية لمنطقة الساحل بين التحديات الداخلية والتداعيات الإقليمية ..	159
المطلب الأول: تحديات البيئة الداخلية ومشاكل بناء الدولة في منطقة الساحل	159
الفرع الأول: تحديات العوامل الطبيعية والمناخ على المنطقة	160
الفرع الثاني: التحديات التاريخية والسياسية	163
الفرع الثالث: التحديات الديمغرافية والإثنية	167
الفرع الرابع: التحديات الاقتصادية، الإنمائية والإنسانية	171
المطلب الثاني: مظاهر التهديدات الأمنية العابرة للحدود وتداعياتها على استقرار دول منطقة الساحل الإفريقي	178
الفرع الأول: معضلة الإرهاب في منطقة الساحل الإفريقي	178
الفرع الثاني: ظاهرة الخطف للحصول على فدية	192
الفرع الثالث: التأثير المتنامي للجريمة المنظمة في المنطقة	194
الفرع الرابع: معضلة الهجرة غير الشرعية في المنطقة	199
خلاصة الفصل الثاني	204
الفصل الثالث: الخلفيات الثقافية والدينية للعلاقات التاريخية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي	206
المبحث الأول: تاريخ التواصل الحضاري بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي	205
المطلب الأول: الأهمية التاريخية لموقع الجزائر اتجاه منطقة الساحل الإفريقي	205
الفرع الأول: أهم الممالك السائدة في منطقة الساحل الإفريقي وعلاقتها بشمال الصحراء	206
الفرع الثاني: المحطات التاريخية لعلاقة الجزائر بمنطقة الساحل الإفريقي	210

المطلب الثاني: الطرق والقوافل التجارية الجزائرية ودورها الحضاري في ربط شعوب منطقة الساحل الإفريقي.....	219
الفرع الأول: أبرز الطرق التجارية العابرة للجزائر اتجاه منطقة الساحل الإفريقي.....	223
الفرع الثاني: أهم السلع في المبادلات التجارية بين الجزائر ومنطقة الساحل الإفريقي.....	230
الفرع الثالث: الأسواق التجارية الرئيسية جنوب الصحراء الكبرى.....	239
المبحث الثاني: الدور التاريخي للزوايا الصوفية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي.....	241
المطلب الأول: إنتشار الزوايا والطرق الصوفية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي.....	241
الفرع الأول: مراحل التصوف في المناطق الجنوبية للصحراء.....	243
الفرع الثاني: أهم الطرق الصوفية المنتشرة في مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي.....	243
المطلب الثاني: دور العلماء والفقهاء الجزائريين في نشر الثقافة الإسلامية داخل مجتمعات دول الساحل الإفريقي.....	255
الفرع الأول: علماء حاضرة تلمسان.....	257
الفرع الثاني: علماء باقي الحواضر.....	260
المبحث الثالث: الحركات الثقافية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي (علاقات التأثير والتأثر).....	268
المطلب الأول: الرحلات العلمية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي (التلاقح الثقافي).....	268
الفرع الأول: مفهوم الرحلة العلمية.....	268
الفرع الثاني: رحلات بعض علماء الساحل الإفريقي باتجاه الجزائر.....	272
الفرع الثالث: أبرز الإجازات والمؤلفات العلمية الناتجة عن الرحلات.....	274
المطلب الثاني: الحواضر العلمية وتأثيرها في تثبيت العلاقات بين المنطقتين.....	278
الفرع الأول: المراكز والحواضر الثقافية الجزائرية وثقلها الحضاري.....	278
الفرع الثاني: أهم الحواضر العلمية بمنطقة الساحل الإفريقي.....	288
خلاصة الفصل الثالث.....	294

الفصل الرابع: المقاربات الجزائرية وسبل تفعيل قوتها الناعمة لتنمية شركات استراتيجية مع دول الساحل الإفريقي.....	296
المبحث الأول: كرونولوجيا المقاربات الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي (بوادر بناء الشركات الثنائية والمتعددة).....	298
المطلب الأول: المقاربات السياسية والأمنية (مرحلة بناء شركات استراتيجية أمنية).....	298
الفرع الأول: المقاربة الجزائرية الفردية تجاه الساحل الإفريقي وتحدياته.....	298
الفرع الثاني: أهم الجهود الجزائرية المبذولة لتفعيل مقاربتها أمنية تجاه الساحل الإفريقي.....	306
المطلب الثاني: المقاربات الاقتصادية والتنموية (مراحل بناء الشركات التنموية في الساحل) ...	317
الفرع الأول: المقاربة الجزائرية التنموية لمنطقة الساحل من خلال الشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا	318
الفرع الثاني: أهم المشاريع ضمن الشركات الاستراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي ...	321
الفرع الثالث: الشركات الإستراتيجية الثنائية أبرز مخرجات المقاربة التنموية الجزائرية في الساحل	324
المبحث الثاني: الدبلوماسية الدينية والثقافية الجزائرية كمصدر للقوة الناعمة الجزائرية تجاه منطقة الساحل.....	334
المطلب الأول: مسار الدبلوماسية الدينية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي.....	334
الفرع الأول: أهمية التكامل الديني - الدبلوماسي.....	335
الفرع الثاني: مرتكزات الدبلوماسية الدينية الجزائرية اتجاه منطقة الساحل الإفريقي.....	336
الفرع الثالث: الطرق الصوفية الجزائرية كركيزة لدبلوماسيتها الدينية في الساحل الإفريقي.....	343
الفرع الرابع: السياحة الدينية رافد مهم للدبلوماسية الدينية الجزائرية.....	347
المطلب الثاني: دور الدبلوماسية الثقافية الجزائرية في تنمية العلاقات مع دول الساحل.....	351
الفرع الأول: الفنون وتنظيم المهرجانات الثقافية.....	353
الفرع الثاني: الإعلام وشبكات الاتصال.....	360

363.....	الفرع الثالث: برامج التبادل العلمي والطلابي وترقية المرأة.....
	المبحث الثالث: تأثير القوة الناعمة الجزائرية وأهميتها في تنمية الشراكات الاستراتيجية مع منطقة
369	الساحل الإفريقي
369 ..	المطلب الأول: مسار الشراكة الاستراتيجية الجزائرية الإفريقية في ضوء تنامي قوتها الناعمة ..
370.....	الفرع الأول: أهمية إتفاقيات الشراكة في تعزيز العلاقات الجزائرية - الإفريقية.....
374	الفرع الثاني: دور نظام المقايضة الحدودية في تعزيز الشراكات الاستراتيجية اتجاه دول الساحل
	المطلب الثاني: تحليل الإستراتيجية الجزائرية الشاملة تجاه منطقة الساحل الإفريقي وفق نموذج القوة
385	الناعمة.....
386	الفرع الأول: تحليل وتقييم استراتيجية الجزائر تجاه منطقة الساحل في ضوء مقارنة القوة الناعمة
	الفرع الثاني: نحو تعظيم دور الروابط الدينية والثقافية كمصدر مهم للقوة الناعمة الجزائرية تجاه
391.....	منطقة الساحل.....
401	خلاصة الفصل الرابع.....
403	الخاتمة.....
411	قائمة المراجع.....
448	قائمة الجداول.....
450	قائمة الأشكال.....
453	فهرس المحتويات
460	الملاحق
459	الملخص.....

الملاحق

الملحق رقم (01)

جامعة غرداية

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الموضوع / مقابلة مع السيد: "بلبني أحمد"، مدير المعهد الوطني للتكوين المتخصص السابق -

تمنراست

مقر المعهد: وسط المدينة ولاية عين صالح، يوم 12 أكتوبر 2023م، من الساعة 11:00 إلى 12:00

في إطار إثراء الدراسة الموسومة ب: أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي"، كمتطلب أساسي للحصول على شهادة الدكتوراه، تأتي هذه المقابلة الرسمية بين الطالب الباحث: بلعور حمزة، مع السيد: بلبني أحمد، مدير المعهد الوطني للتكوين المتخصص للفترة 2013م-2016م.

نتائج المقابلة:

س1: خلال الفترة التي ترأستم المعهد الوطني للتكوين المتخصص 2013م-2016م، كيف تقيمون تلك الفترة؟

ج1: كانت مرحلة مميزة، إذ كان التوجه للدولة الجزائرية بشكل رسمي يأخذ البعد الإفريقي من خلال إيفاد دفعة من الطلبة الأفارقة من الوزارة، وكان الهدف منصبا حول إنجاز هاته الدفعة والتكفل بهم رغم نقص الإمكانيات أحيانا.

س2: كم كان عدد هاته الدفعة من الطلبة الأفارقة الذين أوفدتهم الوزارة إليكم؟ وما هو التكوين الذي تلقونه؟

ج2: على ما أعتقد كان عدد هاته الدفعة في حدود 52 طالب إفريقي من 14 جنسية، وقد كان تكوينهم لمدة ثلاث سنوات ليتخرجوا برتبة إمام مدرس، وإن كنت أرى أن هاته المدة طويلة وقد اقترحت تقليصها إلى أقل من سنة.

س3: كيف كانت الدولة تحرص على إنجاح هاته الدفعة؟ وما تفسيركم لذلك؟

ج3: سجلنا حضور قوي لعدة وزارات تتوافد إلى المعهد، وتخصيص عدد من أساتذة من جامعات مختلفة ومن الوزارة المركزية كانوا يتوافدون بشكل أسبوعي من أجل تأطير هؤلاء الطلبة الأفارقة. ما كان يدل على توجه عام للدولة نحو ما يسمى تفعيل الدبلوماسية الدينية اتجاه إفريقيا، وفي إطار ذلك كان البند المعروف بالمحافظة على المرجعية الدينية هو أساس التكوين الخاص للأئمة الأفارقة.

س4: هل تم توظيف هؤلاء المتخرجين كأئمة في بلدانهم؟ وما مدى استفادتهم من الشهادة؟

ج4: هنا نشير إلى نقطة أساسية وهي أن أغلب دول هؤلاء الطلبة الأفارقة لا يتواجد بها منصب الإمام، بمعنى أن هذا الذي يتخرج من المعهد تُكفِّف شهادته حسب بلده والأغلب يتم توظيفهم في مجال التربية مثل أستاذ التعليم المتوسط. أي أن الشهادة التي يتحصلون عليها من المعهد تعادل ثلاث سنوات بعد البكالوريا.

س5: هل لازال لكم تواصل مع بعض الطلبة الأفارقة المتخرجين من المعهد؟

ج5: نعم، حاليا لي تواصل مع بعض هؤلاء الطلبة المتخرجين، فأحد الطلبة من دولة غامبيا هو حاليا أستاذ اللغة العربية في التعليم المتوسط، وأيضا محكم لجان التصحيح لدول غرب إفريقيا في مجال اللغة العربية، كما لي تواصل مع طلاب من النيجر هم حاليا أساتذة التعليم الثانوي، ومنهم من هم دكاترة كأحد الطلبة من دولة بوركينا فاسو. وطالب آخر من جزر القمر هو حاليا مقرئ الدولة في القرآن الكريم ينتقل بين الدول الإفريقية.

وأعتقد أن الوزارة أيضا لديها اهتمام بهؤلاء الطلبة، وما يدل على ذلك هو اتصالهم مؤخرا لإعادة إحصاء جميع الطلبة الأفرقة الذين تكونوا بالمعهد.

س6: من أين كان يتم تمويل المعهد والتكفل المادي بهؤلاء الطلبة الأجانب؟

ج6: كان هناك دعم من الوزارة عبر مؤسسة المسجد يتم صب الإعانة المالية من خلالها وتتكفل بتوزيعها، أما المنحة المقننة فقد كان لنا سعي أن رفعنا المنحة بالتنسيق مع وزارة المالية من 700 دج إلى حوالي 3000 دج على ما أعتقد، بالإضافة إلى أن الطالب الأجنبي كان يتقاضى منحة من دولتهم الأصلية خارج المنحة التي تخصصها الدولة الجزائرية لهم.

س7: كيف ترون التأثيرات التي يمكن أن ينقلها المتخرجون عن الجزائر؟

ج7: تستفيد الدولة الجزائرية كثيرا من تكوين هكذا طلبة أفارقة في مجال العلوم الدينية، خاصة مما لمسناه من تلك التجربة القيمة والفريدة من نوعها رغم نقص الإمكانيات، وفي حديثي مؤخرا مع أحد الطلبة المتخرجين وهو من غامبيا اسمه عبد الله يقول: "جزاكم الله كل خير تمكنا من إدخال سنة جزائرية حميدة لغامبيا ألا وهي الدروس المسجدية، إذ لم نكن نعرف من قبل دروس الجمعة"، وحتى المحاور التي تم تدريسهم بيها هي المعتمدة في دروسه كإمام متطوع في كثير من المساجد. هذا فضلا على الإجازات التي حازوها هنا في الجزائر من بعض الأئمة المختصين كالتجويد والميراث والفقهاء المالكي واللغة العربية وغيرها.

كما لي اقتراح لو أمكن للدولة أن تستقطب طلبة أفارقة صغار من الذين يتوافدون على الزوايا بحكم أن هاته الأخيرة تضيء الصلة الروحية أكثر من المعاهد والجامعات، فيتم تحفيظهم القرآن الكريم ويتأدبون عند الشيخ وبعدها يتم تأهيلهم وتكوينهم في المعهد في ستة أشهر على أيدي مشايخ وأستاذة مؤهلين، فيكون التأثير في النهاية كبيرا ومبني على الصلوات الروحية الوطيدة.

س8: بعد الدفعة التي أشرفتم عليها، لم تعد تمارست وجهة للطلبة الأفارقة وأصبح معهد ولاية البويرة حاليا هو المستقطب، ما تعليقكم؟

ج8: أتذكر أنني اقترحت هذا الأمر عندما كنت مديرا للمعهد، فقد تدخلت في إحدى اللقاءات الوزارية وقلت أن ولاية تمنراست بالنسبة للطلبة الأفارقة الأجانب هي في الواقع بعيدة جدا عن أوطانهم وذلك لأنهم عندما يأتون إنما ينزلون بمطار هواري بومدين بالعاصمة ويتحتم عليهم النزول بها ثم بعدها التوجه إلى تمنراست جنوبا، هذا من جهة ومن جهة أخرى فتمنراست بعيدة عن سفرائهم وقنصلياتهم وحتى من ناحية الملتقيات والمؤتمرات يصعب نقلهم خاصة وأن الإمكانيات تحتاج إلى إعادة النظر، وأذكر أنني اقترحت أن يتم توجيه الدفعات اللاحقة إلى ولاية تكون أقرب من العاصمة، وهو ما أخذ بعين الاعتبار فتم ذلك وأصبح المعهد الوطني للتكوين المتخصص بولاية البويرة حاليا هو المكان الذي يتكون فيه هؤلاء الطلبة الأفارقة. أما عن معهد ولاية تمنراست فلو كانت الحدود مفتوحة لكان أحسن وأكثر تأثيرا.

الملحق رقم (02)

جامعة غرداية

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الموضوع / مقابلة مع السيد: "أولاد ايشير يوسف"، رئيس الزاوية القادرية - تمارست

مقر المعهد: حي 05 جويلية، ولاية تمارست، يوم 04 أكتوبر 2023م، من الساعة 14:00 إلى 17:00

في إطار إثراء الدراسة الموسومة ب: أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي"، كمتطلب أساسي للحصول على شهادة الدكتوراه، تأتي هذه المقابلة الرسمية بين الطالب الباحث: بلعور حمزة، مع الشيخ: أولاد ايشير يوسف، رئيس الزاوية القادرية بتمارست

نتائج المقابلة:

س1: متى تم تأسيس الزاوية القادرية بإقليم تمارست؟ وما خلفية إنشائها؟

ج1: كان بداية التفكير في إنشاء زاوية للطريقة القادرية منذ عام 2020م، حين كانت تصلنا دعاوي اغلب المريدين في إنشاء مركز للطريقة بإقليم تمارست، وهي منطقة كان لها حضور تاريخي باعتبارها بوابة انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، فباشرنا التواصل مع شيخي الأستاذ: الحسن حساني بن محمد بن إبراهيم الشريف، شيخ الطريقة القادرية بالجزائر وعموم إفريقيا. والذي أجازنا وتم تنصيبنا على رأس الزاوية القادرية بإقليم تمارست بتاريخ: 26 مارس 2022م.

س2: نظرا لكون ولاية تمارست منطقة حدودية، فهل للزاوية تأثير على المريدين بدولتي مالي والنيجر؟

ج2: من المعلوم أن الطريقة القادرية عموما لها الملايين من المريدين بإفريقيا ودول الساحل خصوصا، بحكم التاريخ وتأثير علماء وأقطاب الطريقة القادرية في نشر الإسلام في تلك المناطق وعلى رأسهم الشيخ العالم المجاهد عبد الكريم المغيلي.

والزاوية التي أقوم على أمرها بهذا الإقليم إنما هي جزائرية، تهتم بالإقليم والحيز الجغرافي القائمة عليه وتحكمها ضوابط الدولة الجزائرية، وعليه فتحركات الزاوية ومنهجيتها ترجع إلى تلك الضوابط، فضلا على أنها تابعة وفرع من الزاوية القادرية بالرويسات/ ولاية ورقلة، والقائم عليها الشيخ الحسن حساني بن محمد بن ابراهيم الشريف، وإليه منتهى الرأي والمشورة، حفظه الله وسدد خطاه.

س3: عرفت الزاوية القادرية بالرويسات تأثيرا كبيرا في إفريقيا من خلال تلك الملتقيات الدولية ونشاطات المريدين ومراسلاتهم خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فهل يكون لكم الدور نفسه خاصة وأن إقليم تمنراست يحتل موقع استراتيجي؟

ج3: أجل، فبرامجنا تستقى من الأصل وإنما نحن فرع منه، ولنا طموح كبير في إبراز الزاوية كمنبر إسلامي صوفي معتدل، وقد اقترحنا عدة نشاطات لها تأثير كبير تستفيد من خلاله دولتنا الحبيبة، فيزيد من مؤهلات دبلوماسيتها الدينية نذكر بعضها:

1- من ناحية التدريس القرآني: نعتمد على تصنيف الطلبة وفق الأطوار من الصبية إلى مرحلة حفظهم كتاب الله ومتابعتهم تحت مظلة الطريقة القادرية ليكون الهدف إنشاء نخبة من الأئمة ذوي مؤهلات عالية بمرجعية دينية معتدلة؛

2- الاستثمار في الصبية الذين لهم القدرة على التكلم باللهجات واللغات الإفريقية بحكم تنقل عائلاتهم الجزائرية إلى دول الساحل بدافع التجارة وغيرها؛

3- احتضان ملتقيات دولية ووطنية بشكل دوري، نستقطب من خلالها علماء منطقة الساحل وإفريقيا فيتم عبر ذلك ترسيخ المرجعية الطرقية والتبعية المباشرة لأقطاب الطريقة بالجزائر. وفي هذا الباب ينبغي تفعيل مبدأ التعاون بين الزاوية والجامعات الجزائرية لتزكية البحوث العلمية التي تخدم التأثيرات المرتقبة للدبلوماسية الدينية الجزائرية اتجاه إفريقيا ودول الساحل.

س4: ذكرتم في معرض كلامكم "الاستثمار في الصببية" ممن لهم القدرة على التحدث بلهجات الإفريقية،

كيف ذلك؟

ج4: أجل فالواقع أن الناظر لأغلب المناطق الحدودية يجد أن عائلاتهم لهم طابع خاص يمتاز بالتنقل والمتاجرة مع دول الجوار، وأغلب هؤلاء العائلات يفضلون أن يضعوا أطفالهم في الزوايا لأجل تحفيظهم القرآن الكريم، فتجدهم متوزعين على عدة مدارس قرآنية، على مختلف الولايات الحدودية. فالاستثمار في هؤلاء الصبية بحيث نسعى إلى تكوينهم على الطريقة القادرية السنوية المعتدلة، فيخرج منهم أئمة قادرين على التأثير المباشر في مجتمعات دول الساحل لتحكمهم في لغة مجتمعات الساحل الإفريقي.

لعني أستطرد في الكلام لما أتحدث عن مدى أهمية الجانب الروحي للمجتمعات الإفريقية خاصة لما نلمسه عن إقبال شديد للتصوف، ولا يخفى أن منبع الصوفية في إفريقيا جنوب الصحراء إنما هو من الجزائر وبشكل خاص الطريقتين التيجانية والقادرية، وما يتفرع منهما من زوايا منتشرة في ربوع الوطن، ونشهد تزايداً كبيراً للمريدين عليها من مجتمعات الساحل الإفريقي، وهذا إن دل على شيء فيدل على المنهج المعتدل السليم المتبع اقتداءً بسنة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

واني اعتقد أن الدولة الجزائرية لو أمكنها أن تعتمد الزوايا الرئيسية منها، كمراكز تعهد إليها -وفق ضوابط محددة- تكوين الطلبة الأصاغر من النشأ الإفريقي، وما أكثر المريدين الذين يتمنون لو يتربى أطفالهم على الطريقة الصوفية التي ينتهجونها، وما يحولهم إلا عدم وجود إطار قانوني يمكنهم من ذلك. فلو كان ذلك، لأصبح للدولة الجزائرية تأثير كبير على مجتمعات دول إفريقيا جنوب الصحراء.

الملحق رقم (03)

جامعة غرداية

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الموضوع / مقابلة مع السيد: "صالح كرزبكة"، مدير الإذاعة - تمناست

مقر الإذاعة: حي الوئام، ولاية تمناست، يوم 04 أكتوبر 2023م، من الساعة 10:00 إلى 12:00

في إطار إثراء الدراسة الموسومة ب: أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي"، كمتطلب أساسي للحصول على شهادة الدكتوراه، تأتي هذه المقابلة الرسمية بين الطالب الباحث: بلعور حمزة، مع السيد: يوسف كرزبة مدير الإذاعة الجهوية بتمناست

نتائج المقابلة:

س1: متى تم فتح وإنشاء مركز الإذاعة الإفريقية أف أم بتمناست؟ وأين مقره؟

ج1: تم فتح الإذاعة الإفريقية أف أم في مناسبة اليوم العالمي للصحافة في: 2023/05/03م مديرتها المركزي الأستاذ: صايم ساهل، وبنفس الوقت تم فتح المركز المتواجد بمقر الإذاعة الجزائرية. ومديرتها الأستاذ: عيسى الهمال

س2: لماذا تم فتح المقر الرئيسي لإذاعة إفريقيا أف أم بالعاصمة؟ لماذا لم يكن بتمناست؟

ج2: نحن كإعلاميين نرى ليس المهم أين المقر، بل تهتم الرسالة والهدف، وإن كان من الأفضل لو كان المقر بتمناست، لكن تبقى الإمكانيات عندنا ضعيفة سواء من الناحية اللغات، والقرب من مراكز القرار، فالوزارات كلها بالعاصمة، وأيضا من ناحية الإمكانيات التقنية فالأحسن دائما أن يكون المقر في العاصمة لأسباب التي ذكرناها. وإن كان الأصل ان تكون الإذاعة الإفريقية هنا بتمناست، خاصة لو كانت بالجامعة

على مستوى تـمـنـرـاسـت أساتذة متكونين في اللغات المنتشرة بإفريقيا، وآخرين ملمين بالجانب الاقتصادي والشأن الإفريقي، لو كان ذلك تكون هناك سهولة أكثر في أن يكون مقر الإذاعة بـتـمـنـرـاسـت.

س3: من أين تأتي الأخبار التي تبثونها من الفرع الإذاعي إفريقيا أف أم؟

ج3: جوابه مرتبط بسابقه، إذ يصعب أن يكون المقر الرئيسي بـتـمـنـرـاسـت وكل الأخبار المرتبطة بالساحل تأتي من العاصمة، وكل المعلومات لا يمكن الحصول عليها وأنت بعيد من مراكز صنع القرار، فمثلا الاتفاقيات الإفريقية بشتى مجالاتها، لا يمكن أن تمضي في تـمـنـرـاسـت بل في العاصمة، وهناك لا بد أن يكون الإعلامي ليسجل ويجري لقاءات مع الوفود القادمة من إفريقيا.

من جانب آخر، المستمعون بدول الساحل الإفريقي أو حتى بالجالية الإفريقية المقيمة بالجزائر، يتقون في الأخبار التي تكون من طرف مسؤوليهم، وهؤلاء لا يكونون إلا في العاصمة.

س4: هل مقدمو البرامج التي تبث عبر أثر الإذاعة الإفريقية من جنسيات مختلفة؟

ج4: لا، حاليا كل المقدمين بالإذاعة الإفريقية من الجزائر، غير أنهم يجيدون لغات ولهجات دول الساحل الإفريقي، مثل "الهوسا" و"البامبارا" و"التارقية"، ولإشارة هاته اللغات مقدموها موجودون حصريا بـتـمـنـرـاسـت، بمعنى أن المقر المركزي بالعاصمة يبثون باللغات الفرنسية والإنجليزية والعربية دون اللهجات الإفريقية.

س5: كيف تمكن القائمين على من لغات ولهجات دول الساحل وهم مواطنون جزائريون؟

ج5: أغلبهم اكتسبوا اللغة واللهجة من أسرهم لاعتبار أنهم من عائلات جزائرية تمتن التجارة والتنقل بين الجزائر ودول الجوار، بعبارة أخرى اكتسبوا اللغة منذ صغرهم.

س6: كيف يتم البث الإذاعي لراديو إفريقيا أف أم من تـمـنـرـاسـت؟

ج6: الخط الافتتاحي والشبكة البرمجية تأتي من المقر بالعاصمة، على اعتبار أن سياسة القناة مقرها بالعاصمة، وعلى أساس الشبكة البرمجية ينطلقوا في البرامج المسائية، التي تنطلق من تمام الساعة 16:00

مساءً، أما عن المدى الذي يصله بث الإذاعة الإفريقية أف أم فقد سخرت الدولة إمكانات جعلت مداها يصل إلى أغلب القارة الإفريقية.

س7: كيف ترون تأثير الإذاعة الإفريقية على مجتمعات منطقة الساحل الإفريقي؟

ج7: أعتقد أن الإذاعة الإفريقية سوف تحدث تأثير كبير من خلال برامجها الهادفة التي تعالج مواضيع مهمة ومشتركة خاصة البعدين الديني والاجتماعي، ولكن لو اعتمدت الإذاعة المتخصصة البث اللغوي لكان أحسن، وأعني بذلك أن الإذاعة تبث على ترددات مختلفة بلغات مختلفة، كأن تبث بلغة الطوارق وبنفس الوقت تبث نفس البرامج بلغة الهاوسا، وهكذا. الأمر الذي تضمن به التأثير الدائم للمستمعين إذ تكون بذلك الإذاعة تستهدف فئة اجتماعية بعينها في كل تردد ضمن نفس الباقة البرمجية. فمثلا فرنسا مع بعدها عن الساحل لكن خصصت بث إذاعي دولي بلغة الهاوسا. وتجد في دول مالي ونيجر وغيرها مراكز ثقافية فرنسية تسعى من خلالها إلى بث ثقافتها والتأثير في مجتمعاتها، في المقابل غياب تام لمراكز ثقافية جزائرية بهاته الدول على الرغم من التقارب الثقافي التاريخي بين هاته المناطق.

كما أن هناك اقتراح آخر أعتقد أنه مهم في إطار التواصل بين الإذاعة الإفريقية ومجتمعات دول الساحل، والذي يرتبط بتفعيل مراسلين في هاته الدول، على اعتبار أن المراسل الصحفي يذلل الكثير من الصعاب التي ترتبط بمسألة الثقة وإيصال المعنى الهادف.

س8: ماذا عن الإذاعة الجهوية بتمنراست، هل لها برامج إذاعية ذات تأثير لمجتمعات الدول المجاورة، على اعتبار أن أثير البث الإذاعي يصل مداه إليهم؟

ج8: في الحقيقة في وقت سابق كانت هناك برامج دينية مؤثرة وفتاوى بلغات ولهجات المنطقة، فضلا عن نشرات كانت تقدم بلغة الهاوسا، وإلى وقت قريب قدمت الإذاعة ومضات حول الوقايا من جائحة COVID-19 بالهوسا، كل تلك البرامج كانت تؤثر بشدة على متلقيها من المجتمعات المنتشرة بصحاري دول الساحل

الإفريقي، ومن أبرز تأثير أن أحد المشايخ الذي كان يقدم برنامج فتوى على الإذاعة من تمارست، وهو "الصادقي محمود" أصبح حالياً مفتي دولة مالي يجوب صحاريها يحل المسائل والقضايا الفقهية لمجتمعاتها. س9: على اعتبار تمارست منطقة حدودية ولأن أغلب المجتمعات ذات ثقافة مشتركة، ما المراكز التي تقترحونها أن تنشأ أو تفعل؟

ج9: لا يختلف اثنان في أن إقليم تمارست هو إقليم استراتيجي لو تم استغلاله على الوجه الصحيح، فبالإضافة إلى ما أشرت لك سابقاً، أقترح لو تم إنشاء مركز تكوين للإعلاميين والصحفيين من داخل التراب الجزائري ومن دول الساحل الإفريقي، ومن خلاله يمكن ربط جسور التواصل الوظيفي بين الصحفيين والمراسلين والإعلاميين، بالإضافة إلى استقطاب أبرز أعلام الصحافة في دول الساحل الإفريقي والاهتمام بهم، فتكون الجزائر بذلك حققت التأثير الإعلامي المبتغى.

الملحق رقم (04)

جامعة غرداية

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الموضوع / مقابلة مع السيد: "بن عبد الكريم عبد الكريم"، مدير غرفة التجارة والصناعة الهقار - تمناست

مقر الغرفة: حي قصر الفوقاني ولاية تمناست، يوم 09 أكتوبر 2023م، من الساعة 09:00 إلى 12:00

في إطار إثراء الدراسة الموسومة ب: أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية شراكات استراتيجية بين

الجزائر ودول الساحل الإفريقي"، كمتطلب أساسي للحصول على شهادة الدكتوراه، تأتي هذه المقابلة الرسمية

بين الطالب الباحث: بلعور حمزة، مع السيد: بن عبد الكريم عبد الكريم، مدير غرفة التجارة والصناعة

الهقار - تمناست.

نتائج المقابلة:

س1: ماهي وظيفة غرفة التجارة والصناعة الهقار؟ ومنذ متى وأنتم على رأسها؟

ج1: تضطلع غرفة التجارة والصناعة الهقار بمهمة التمثيل والاستشارة، وتقديم الاقتراحات، وهي هيئة

تابعة لوزارة التجارة، وهي وصية بين المتعامل الاقتصادي والتجاري من جهة والدولة من جهة أخرى، أما

عن الفترة التي قضيتها على رأس غرفة التجارة والصناعة، ترجع لعام 1988 إلى غاية يومنا هذا.

س2: ماهي تجارة المقايضة؟ وما الهدف منها؟

ج2: هي معاهدة أو اتفاقية مع الدولتين المجاورتين مالي والنيجر ترجع إلى أوائل السبعينات الهدف منها

مراعات سكان الشريط الحدودي وخصوصيتهم الحيوية، إذ يبقى النمط المعيشي هو نفسه دون أن يتأثروا

بقوانين التجارة الخارجية الدولية والإجراءات الإدارية والجمركية. ولذا كانت المقايضة استثناء عن القاعدة

العامة التي تسري عليها التجارة الخارجية.

س3: بما أنكم على رأس هيئة مهمتها تقديم الاقتراحات والاستشارة، ماهي أبرز الاقتراحات التي قدمتموها في إطار التجارة الخارجية ومنها المقايضة، وضمن التوجهات الجديدة للدولة الجزائرية اتجاه السوق الإفريقية؟

ج3: قدمنا الكثير من المقترحات التي نرى تطبيقاتها على أرض الواقع، فأنا أول من اقترح موضوع إنشاء بنوك جزائرية في دول الساحل الإفريقي، ولدينا الدليل بأرشيف الغرفة التجارية. ففي الفترة التي كان فيها المرحوم السيد "بختي بلعاب" وزير التجارة، حين زار تمنراست بمناسبة "الأسيهار" وكنت قد تحدثت عن الإمكانيات التي يمكن للجزائر أن تستغلها، وكان الوزير برفقة المدير العام للبنك الجزائري والمديرة العامة للسجل التجاري وبعض الإطارات. ثم استدعاني بعدها إلى العاصمة حيث عرضت أطروحتي في جمع يضم 14 إطارا ممن لهم ارتباط بالتجارة الخارجية من عدة قطاعات كالجمارك وغيرهم. وتم إثراؤها وتبنيها لاعتمادها خارطة طريق للولوج الى أسواق إفريقيا جنوب الصحراء.

س4: ذكرت في معرض كلامك عما يسمى بـ "الأسيهار" وهو تظاهرة اقتصادية عرفت بها المنطقة منذ الستينيات تدخل في إطار تدعيم الروابط الجوارية بين الجزائر ودول الجوار الإفريقية، ما تعليقكم؟

ج4: أجل، الأسيهار هو مصطلح بلهجة الطوارق ويعني "اللقاء" أو "الموعد" والحديث فيه يطول إلا أنه سأضع بين أيديكم البطاقة التقنية عنه فيها تفاصيل ونبذة تاريخية عن الحدث منذ 1968م. كما سنضع بين أيديكم المقرر الأخير الذي يحدد فترة تنظيم تظاهرة "الاسيهار" تمنراست 2022-2023 مع قائمة البضائع المعنية.

غير أننا نرى أن تظاهرة الأسيهار حاليا قد خرجت من الحيز الذي كانت عليه، فقد كان "الأسيهار" سابقا يحمل عدة معاني فقد كان ملتقى تجاري واجتماعي وثقافي، وكانت تتم من خلاله تجارة المقايضة، وأصبحت حاليا مجرد معرض والحديث يطول.

س5: ماهي الخطوط الرئيسية للأطروحة التي قدمتموها بالعاصمة والتي تتوافق مع التوجهات الجديدة للتوجه الجزائري نحو إفريقيا؟

ج5: تحدثت عن أهمية التوجه جنوبا نحو السوق الإفريقية بدل التركيز على الضفة الشمالية، فالأجدر أن تكون وجهتنا هي السوق الإفريقي حيث لنا فيه عدة نقاط قوة ومعطيات طبيعية وتجارب ميدانية والكثير من الإيجابيات الأخرى التي سنكتسح بها السوق الإفريقي بنسبة جد عالية وبدون خوف من أي منافس كان.

ضف إلى ذلك أن المبادرات والعمليات السابقة في حد ذاتها كانت محتشمة مقارنة بالإمكانات الكبيرة والمتعددة التي تزخر بها البلاد وبذلك لم ترق أبدا رغم طول المدة إلى طموحات الدولة الجزائرية. تمارست بحكم موقعها الجيو-استراتيجي وتجربتها الطويلة في تجارة المقايضة بإمكانها ان تلعب الدور الريادي في تحقيق هذا الهدف الذي ترمي إليه الدولة الجزائرية في رؤيتها الإفريقية ... لكن الوضع يحتاج إلى إعادة النظر وخاصة توفير الآليات الضرورية للمتعاملين ومراجعة وتحيين بعض النصوص القانونية للتجارة الخارجية حتى نجعل متعاملنا ينشط في أحسن الظروف وعلى الوجه الأكمل.

إن العامل الإيجابي الكبير بالنسبة إلينا يكمن في القرب الجغرافي والذي لو أستغل كما يجب سيمكننا من مواجهة المنافسة بارتياح. إذ لو افترضنا أن البضائع لدى خروجها من المصانع الآسيوية أو الأوروبية ونظرا للتكنولوجيا العالية المكتسبة لديهم في التصنيع سيكون حتما بأقل تكلفة من بضاعتنا، إلا أن بعد المسافات بينها وبين إفريقيا وما ينجر عنها من تكاليف متعددة وباهظة من شحن وغيره تجعلها تصل الأسواق بأسعار غير تنافسية بالنسبة للبضاعة الجزائرية. خاصة لو أرحنا عن مبادلاتنا التجارية مع البلدان المجاورة في عملية المقايضة التقيد بقائمة معينة ومحدودة. هذا الإجراء الذي لو سلكناه سيعطي من دون شك دفعا قويا لعملية التصدير .. ولقد نجده معمولا به بين الكثير من بلدان العالم.

من العوامل التي ستخدم مسعانا هي تلكم المدة الطويلة التي تستغرقها بواخرهم في البحر لكن في المقابل يكفي للمتعامل الجزائري بضعة أيام لا تفوق الأسبوع الواحد لإيصال بضاعته لأبعد الأسواق الإفريقية.

هناك مجموعة كبيرة ومتنوعة من المنتجات الجزائرية تعبر الحدود وتغرق حاليا أبعد الأسواق الإفريقية لكن ويا للأسف عن طريق التهريب ... وهذا ما يحدث جرحا أليما مدمي للاقتصاد الوطني والذي يمكننا تقاديه لو تجرأنا على مراجعة وحتى سن بعض النصوص والقوانين لجعلها تتلاءم مع الوضع العام للتجارة الخارجية.

ومن أجل هذا اقترحت على الأقل تفعيل أربع طرق التالية:

أ- إنشاء منطقة حرة بولاية تمنراست حيث ستعرض البضائع الجزائرية القابلة للتصدير وذلك لتقليص

مدة إيصال البضائع إلى الأسواق الإفريقية بشكل ملموس؛

ب- إنشاء شباك مشترك حيث تجتمع كل المصالح المتعلقة بالتصدير ومن حيث تنطلق الشاحنات

مباشرة صوب الحدود؛

ت- إنشاء في مدينة أقدس النيجيرية وكذلك كيدال المالية مساحات كبرى تحت مراقبة المصالح الجمركية

لبدانهم وحيث تعرض وتباع البضاعة الجزائرية خارج الرسوم؛

ث- نظرا لكون المبادلات التجارية والاقتصادية الإفريقية تكتسي طابعا خاصا والذي كما يعلم الجميع

لا يخضع إلى النمط المعمول به دوليا ... يحبز لو افتتحنا وكالات بنكية جزائرية بداية بدولة نيامي

عاصمة النيجر، من خلالها سنجنب متعاملينا الوقوع في مصاعب المتعلقة بتحويل الأموال، وتكفل

لهم سرعة استعادة محاصيلهم من العملة الصعبة.

س6: هل تنظم غرفة التجارة والصناعة الهقار ملتقيات مع نظيرتها بدولتي مالي والنيجر؟ وما هي

مخرجاتها؟

ج6: أجل تقام ملتقيات تشاورية بيننا وبين الغرفة التجارة لدولتي النيجر ومالي، وهي تقام بصفة دورية وبدعوة منا أحيانا من أجل التحضير لتظاهرة الآسيهار ومناقشة مواضيع تتعلق بالتبادل التجاري بين البلدين، وسأضع بين أيديكم نسخة من تقرير الملتقى التشاوري المنعقد يوم 2020/03/11م، ويضم أبرز الاقتراحات التي خرجت بها اللقاءات التشاورية للعامين 2019 و 2020م.

الملحق رقم (05)

جامعة غرداية

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الموضوع / مقابلة مع السيد: "وايني محمد"، مدير الشؤون الدينية والأوقاف السابق - تمناست

مقر سكناه: بلدية تيط ولاية أدرار، يوم 27 أكتوبر 2023م، من الساعة 17:20 إلى 18:30

في إطار إثراء الدراسة الموسومة بـ: أهمية الروابط الثقافية والدينية في تنمية شراكات استراتيجية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي"، كمتطلب أساسي للحصول على شهادة الدكتوراه، تأتي هذه المقابلة الرسمية بين الطالب الباحث: بلعور حمزة، مع السيد: وايني محمد، مدير الشؤون الدينية والأوقاف للفترة 2000-2016.

نتائج المقابلة:

س1: كيف كان اهتمام الدولة بالبعد الديني في الفترة التي تلت الاستقلال؟ وكيف توجهت إلى التطوير الخارجي للأفارقة؟

ج1: من المعلوم أن الدولة الجزائرية عشية استقلالها واجهت مشكلة الفراغ المهول الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي بمنهجيته التي سعت إلى مسح هوية المجتمع الجزائري، فقامت الدولة بوضع تعليم ذو طابع ديني موازي للتعليم العام، أسمته "التعليم الأصلي" والذي من خلاله يتم تكوين أطر دينية جزائرية بمرجعية فكرية واحدة، فأنشأت المعاهد الدينية بالأطوار المتوسط والثانوي، وكان الفضل الكبير لتطوير هاته المنظومة للعالم "مولود قاسم ايت بلقاسم" الذي وضع مخططا كاملا للتعليم الديني والاهتمام بالهوية والثقافة الجزائرية.

شهدت فترة السبعينات نجاحا كبيرا ومبهرًا لمنظومة التعليم الأصلي، فكانت المعاهد الدينية تستقطب الكثير من الطلبة وحتى الأجانب من البلدان الإفريقية، وكانت الجزائر تسعى -في إطار رؤيتها ضمن التعليم الأصلي- إلى الوصول إلى تشييد صرح ديني (جامعة إسلامية) على مقاس ومعايير دولية تنافس جامعة الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب وجامع الأزهر بمصر، إلا أن التجربة ككل لم يكتب لها الاستمرار ولم يعطى لها الوقت الكافي لتحقيق الأهداف المنشودة، ففي عام 1977 تم إلغاء التعليم الأصلي وتحويل قاعدته لوزارة التربية الوطنية.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة كان معول عليها لتكون منارة العلم الشرعي بالجزائر، غير أنه كمشروع لازال يراوح مكانه، والعلّة تكمن في أن هذا المشروع لم توضع له أرضية، فعدم وجود أطوار التعليم الابتدائي، الإعدادي والثانوي التي تستند إليه الجامعة الإسلامية، عكس ما تنتهجه الجامعات الإسلامية الكبرى كالأزهر الشريف والزيتونة. وهنا نقول لو بقي التعليم الأصلي لكان رافدا للجامعة الإسلامية وبأطر ذات كفاءة.

س2: ماهي المعاهد التي كانت تشهد إقبال الطلبة الأفارقة فترة السبعينات؟

ج2: المعاهد التي تواجد بها طلبة من البلدان الأفارقة كانت نفسها التي تعلم الطلبة الجزائريين، فالجزائر لم تكتف بتعليم أبنائها بل قدمت منح للدول الإفريقي المستقلة حديثا، فكنّت أعرف الكثير من الطلبة الذين تعلموا معنا من غينيا بيساو، غينيا، النيجر، السنغال، موريتانيا ... الخ، وتجدر الإشارة أن معاهد التعليم الأصلي كانت متساهلة في السن (بمعنى لا ينظر إلى سن الطالب)، وقد أنقذت هاته المعاهد الكثير من الشباب في ذلك الوقت الذين هم الآن إطارات.

في معهد أدرار فقط كان يحوي تقريبا ثلاثة آلاف طالب علم من الأفارقة والجزائريين، وجميع الأطر الذين أطروا هذا المعهد هم أزهيون (سواء أساتذة جزائريين متخرجين من الأزهر الشريف وغيرهم)، وحتى

البرنامج المقرر في اللغات الحية كان تعليم اللغة الإنجليزية وليس الفرنسية في فترة السبعينات. ونفس الأمر كان في المعاهد التعليم الأصلي الأخرى كمعهد تماراست، ومعهد بوسعادة، التي ضمت العديد من الطلبة الأفارقة.

س3: هل هناك نماذج تذكرونها حول الطلبة الأفارقة الذين درسوا معكم ووصلوا مكانة رفيعة في بلده؟

ج3: بعض الذين كان لي بهم احتكاك منهم طالب من السنغال اسمه "مما دو نياغ" كان يجلس بجواري وقد كان مجتهدا في تعلم اللغة العربية، ولما تم إغلاق المعاهد التعليم الأصلي بالجزائر استطاع من بلده أن يكمل دراسته بالأزهر الشريف، لإتمام الثانوية والجامعية. وصار في بلده وزيرا للثقافة فترة الرئيس السنغالي "عبدو ضيوف".

س4: كنتم على رأس مديرية الشؤون الدينية في الفترة التي تم إنشاء وتدشين المعهد الوطني المتخصص بتمنراست، والذي ضم دفعة من الطلبة الأفارقة. ما تعليقكم حول طموح الدولة فيما يتعلق باستقطاب الطلبة الأفارقة؟

ج4: يجب التنبيه إلى أن الطلبة الذين يأتون إلى الجزائر هدفهم التعليم بدرجة أساسية وليس التكوين، فيجدون أمامهم التكوين، وهذا ما حدث في معهد تماراست، الذي كان أمل لأن يكون إشعاعا على دول الساحل الإفريقي تعليما وليس تكوينا.

وفد إلى معهد تماراست بداية عام 2013 عدد من طلاب العلم الشرعي الأفارقة من 18 دولة من جزر القمر، الصومال، مالي، غينيا، ساحل العاج، غانا ... الخ، لكن لعدم وجود برنامج مدروس ونقص الجدية لما كانت تهدف إليه الدولة، لم تسر الأمور كما ينبغي. ولا زالت هناك فرصة لإعادة الهيكلة الوظيفة للمعاهد وتفعيل الرؤية الجزائرية اتجاه تأثيرها الديني والروحي في إفريقيا ودول الساحل الإفريقي خاصة.

والأمر الأهم تفعيل الجامعة الإسلامية الجزائرية (جامعة الأمير عبد القادر) ووضع قاعدة تعليمية لها من خلال ما أشرنا إليه سابقا، فتكون قاعدتها الأطوار الثلاثة (الابتدائي - الإعدادي - الثانوي)، فنضمن بذلك تكوين إطارات دينية أكفاء، وحتما سيستقطب نجاحها الطلبة من كل حدب وصوب، وستكون بذلك منارة علمية في إفريقيا.

الملحق رقم (06) بطاقة تقنية عن تظاهرة الأسيهار

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التجارة وترقية الصادرات

الغرفة الجزائرية للتجارة والصناعة

الغرفة الولائية للهقار تامنغست

بطاقة تقنية عن الأسيهار

نوعاً تاريخية :

الأسيهار مصطلح بلهجة التوارق ويعني " اللقاء " أو "الموعد" وتظاهرة الأسيهار عرس الولاية الذي يقام كل عام منذ 1968 من تنظيم بلدية تمنراست تحت إسم "حفل العرض السنوي للأهقار" وذلك خلال السنوات التالية 1968، 1969، 1970 أي الدورة الأولى، الثانية، الثالثة تحت شعار "تدعيم روابط جوارية" بحي قطع الواد تم إنشاء محلات "بالتاهلي" ثم أصبح بقرار جاري مؤرخ في 1971/12/11 معرضاً دولياً فسميت بالدورة الأولى له ولقد شاركت في معرض الأسيهار مؤسسات جزائرية ودول أجنبية: مالي، نيجر، ليبيا، المغرب، في دورته الثانية 1972 وتلتها دورات أخرى 1973 إلى 1979 لتتوقف التظاهرة من 1980 إلى 1988 ثم أعيد إحياءها في 1989 من طرف بلدية تمنراست نظمتها من 1989 إلى 2000 بمفردها الدورة العاشرة والدورة العشرون.

وفي سنة 1997 أصبحت التظاهرة الإقتصادية نصف شهرية وبرعاية والي الولاية وتحت إشراف مديرية المنافسة والأسعار من 2000 إلى 2005 نظمت تظاهرة من طرف بلدية تمنراست وبالتعاون مع الشركة الجزائرية للمعارض والتصدير بالصنوبر البحري الجزائر العاصمة ومن 2006 إلى 2009 من تنظيم بلدية تمنراست وغرفة التجارة والصناعة "الهقار" إلى غاية سنة 2021 أين توقف تنظيم هذه التظاهرة ، وفي سنة 2019 تمت تهيئة مقر خاص بالأسيهار وأصبح ملائم لتنظيم التظاهرات الدولية بموجب قرار ولائي نظمت تظاهرة الأسيهار لسنة 2019 ابتداءً من 2019/03/10 إلى غاية 2019/03/20 حيث شهد مشاركة 85 مؤسسة وطنية (صناعات غذائية، الكترومنزلية، مواد بناء، مواد تجميل، صناعات حديدية.....) و75 متعامل إقتصادي في مختلف النشاطات مشاركة 11 متعامل أجنبي من دولتي المالي والنيجر بمنتجات (صناعة تقليدية، العطور الأفرقية، وأقمشة من نوع طنفة وباران...) كذلك 15 تاجر مقايضة بمنتجات مختلفة مثل:

(الأناناس، جوز الهند، المونج...)، ثم توقف في السنة الموالية (2020) بسبب جائحة كورونا، ثم اعيد إحياءه سنة 2021 في طبعته 35 حيث شارك في التظاهرة أكثر من 190 شركة وطنية من بينهم 110 مصدر كما شارك أزيد من 23 تاجر مقايضة و 11 متعامل من دولة النيجر رفقة وفد رسمي من الغرف التجارية لهذه الدولة .

الموقع : يقع سوق الأسيهار بقلب مدينة تمنراست وفي أحد أحيائها "قطع الواد" العريقة والشعبية التجارية مما أكسبه الموقع الاستراتيجي وجعله يعج بالزوار على مدار السنة .

الطبيعة القانونية : ملك لبلدية تمنراست

المساحة الاجمالية : 07 هكتار .

المساحة المخصصة للعرض السلع : 19000 م²

التهيئة :

له سور حائط، مزود بمدخلين رئيسيين، وثلاث مداخل ثانوية يتوفر على جميع الشبكات الضرورية (الصرف الصحي، المياه الصالحة للشرب، الكهرباء، اخماد الحرائق ، الخ) ، له أرضية مهيأة.

يتوفر على المرافق التالية :

مركز للشرطة

مركز للجمارك الجزائرية

مراحيض: 06 للرجال + 02 لنساء + 01 ذوي الاحتياجات الخاصة .

أضيفت في الطبعة 35 من تظاهرة الأسيهار لسنة 2021 نقطة ثانية عبارة عن منطقة لوجيترانس LOGETRANSE تبعد عن تمنراست حوالي 11 كلم :

نقطة أولى :

-المساحة الاجمالية 03 هكتار

-تحتوي على : إدارة ، مطعم ، محل تجاري مقهى ومصلى

-دورة مياه : 08 مراحيض ، 08 مرشات

-الأرضية المهيئة والانارة

-المساحة التي يمكن استغلالها للعرض 20.000 م²

نقطة ثانية :

-المساحة الاجمالية 42408 م².

-تتوفر على مكتب خاص بالجمارك و ادارة.

الملحق رقم (07) مقرر تحديد فترة تنظيم تظاهرة آسيهار وقائمة البضائع لعام 2022

09/10 2022 02:31 PM FAX 021890787 CAB/COMMERCE 0001

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التجارة وترقية الصادرات

مقرر رقم 1.9.6. المؤرخ في الموافق 2022 يحدد فترة تنظيم
تظاهرة آسيهار تامنغست 2022 وكذا قائمة البضائع المعنية.

سبتمبر 2022

مقرر رقم 196 المؤرخ في الموافق يحدد فترة تنظيم تظاهرة أسهم تامنغست 2022 وكذا قائمة البضائع المعنية.

لن وزير التجارة وترقية الصادرات،

- بمقتضى المرسوم الرئاسي رقم 22-305 المؤرخ في 11 صفر عام 1444 الموافق 8 سبتمبر سنة 2022 والمتضمن تعيين أعضاء الحكومة،
- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 02-453 المؤرخ في 17 شوال عام 1423 الموافق 21 ديسمبر سنة 2002 الذي يحدد صلاحيات وزير التجارة،
- وبمقتضى القرار الوزاري المشترك مؤرخ في 6 جمادى الأولى عام 1441 الموافق 2 يوليو سنة 2020، يحدد شروط وكميات ممارسة تجارة المقايضة الحدودية وقائمة البضائع موضوع التبادل مع جمهورية مالي وجمهورية النيجر.
- وبمقتضى القرار المؤرخ في 8 جمادى الأولى عام 1433 الموافق 13 ديسمبر سنة 2021، الذي يحدد الكميات الخاصة لممارسة تجارة المقايضة الحدودية بمناسبة تظاهرة أسهم تامنغست وكذا قائمة البضائع المعنية.

يقرر ما يأتي:

المادة الأولى: تطبيقا لأحكام المادة 6 من القرار المؤرخ في 8 جمادى الأولى عام 1433 الموافق 13 ديسمبر سنة 2021، المذكور أعلاه، يهدف هذا المقرر الى تحديد فترة تظاهرة أسهم تامنغست وكذا قائمة البضائع المعنية.

المادة 2 : : تفتح تظاهرة أسهم تامنغست لمدة خمسة عشر (15) يوما تحسب من تاريخ 23 ديسمبر 2022 إلى غاية 6 جانفي 2023، على مستوى النطاق المخصص لهذا الغرض، أو داخل أي مستودع آخر تعينه إدارة الجمارك لولاية تامنغست.

المادة 3: ترفق قائمة البضائع المعنية في ملحق هذا المقرر.

المادة 4: ينشر هذا المقرر في النشرة الرسمية لوزارة التجارة.

حرر بالجزائر في الموافق 2022

وزير التجارة وترقية الصادرات

مصادرات
2022

الملحق

القائمة "أ"

البضائع ذات المنشأ أو تلك القادمة من دول إفريقيا المستوردة و المعفاة من الحقوق والرسوم بمناسبة تظاهرة الأسيوار

- الحناء،
- الشاي الأخضر،
- التوابل،
- الفول السوداني،
- الذرة البيضاء،
- البقول الجافة،
- الأرز،
- الأناناس والمango والموز وجوز الهند،
- السكر المحروط،
- أكواب وأباريق الشاي.
- الخشب الأحمر وخشب البطانة،
- العسل،
- الجلود المعالجة ومنتجات الدباغة،
- منتجات الصناعة التقليدية والحرف،
- منتجات الألبسة الجاهزة ذات الطراز الترقى،
- وعاء الكسكس،
- وعاء مناسيت توارق،
- مرهم جلدي مضاد للبرد،
- عطر بنت السودان،
- عطر دقومة،
- عود القمري،
- الحصائر،
- أقمشة تنفا وأقمشة عائم وأقمشة ترقية وأقمشة نامغست وأقمشة باران،

• السمسم والجرجان،

• مادة القطن،

- منتج الكاكاو،

- قصب السكر.

القائمة "ب"

البضائع المرخصة للتصدير في إطار تجارة المقايضة بمناسبة تظاهرة الأسهمار

- التمور ومشتقاتها، باستثناء الأنواع الأخرى من تمور دقلة نور،
- الملح الخشن و الملح المنزلي (معدا الملح الصناعي)،
- البطانيات بما فيها نوع حنبل بوراج،
- منتجات الصناعة التقليدية الحرفية والفنية،
- الأدوات المنزلية المصنوعة من البلاستيك والألومنيوم والزنك والحديد والفولاذ،
- صفايح كل الأنواع ومن ضمنها الصفايح السوداء والصفايح المموجة،
- طلاء،
- الأفرشة الرغوية،
- عربات اليد،
- مسحوق الصابون،
- المواد النسيجية ماعدا الصوفية والحريرية،
- صابون الغسيل،
- الزرابي ومجاد الصلاة.

الملحق رقم (08) قائمة المنتجات الجزائرية الموجهة للمقايضة الخارجية لعام 2023

1- اسعار المنتجات الجزائرية المقترحة

المنتوج	السعر بدج	الوحدة
التمر الجاف	60	كغ
الملح الخام	5	كغ
الاشياء المنزلية المصنوعة من البلاستيك و الالمنيوم	تخضع لسعر السوق	
البطانيات	تخضع لسعر السوق	
منتجات الصناعة الحرفية التقليدية	تخضع لسعر السوق	
الالبسة الجاهزة	تخضع لسعر السوق	
الصابون	35	وحدة
مسحوق الصابون 320غ	50	وحدة
مسحوق الصابون 800غ	130	وحدة
مسحوق الصابون 1600غ	250	وحدة
زيت الزيتون	600	لتر
العسل الصافي	2500	
العسل الخليط	2500	
الصناعات (الوانى) البلاستيكية	تخضع لسعر السوق	
مواد التنظيف	60	وحدة
مواد التجميل و النظافة الجسدية	تخضع لسعر السوق	

الملحق رقم (09) قائمة المنتجات القادمة من دولتي مالي والنيجر مع الأسعار لعام 2023

2-اسعار المنتجات المقترحة للبضائع القادمة من جمهوريتي المالي و النيجر

المنتج	السعر بـ دج	الوحدة
الحناء	100	كغ
الشاي الاخضر	1400	كغ
التوابل	60	كغ
قماش تاري	1500	متر
قماش العمائم	700	متر
المانجو	70	كغ
لوحة خشبية بلونش من الخشب الاحمر	1000	وحدة
لوحة خشبية مادية من الخشب الاحمر	1500	وحدة
العسل الصافي	500	وحدة
العسل الخليط	500	وحدة
أغذية الاتعام	20	كغ
وعاء تمناست توارق	50	وحدة
العطور	70	وحدة
المرهم الجلدي	100	وحدة
اقمشة نانغا	300	متر
اقمشة تاسغنس	600	وحدة
الصمغ العربي	12	وحدة
اقمشة بازان قطعين نوعية أولى	4000	وحدة
اقمشة بازان قطعين نوعية ثانية	3000	وحدة
اقمشة بازان قطعين نوعية ثالثة	1200	وحدة
اقمشة بازان ثلاثة قطع نوعية أولى	6000	وحدة
اقمشة بازان ثلاثة قطع نوعية ثانية	4000	وحدة
اقمشة بازان ثلاثة قطع نوعية ثالثة	3000	وحدة
كل منتوجات الصناعة التقليدية و الحرف (المهراس)	1500	وحدة
كل منتوجات الصناعة التقليدية و الحرف (المدقة)	100	وحدة
الجلود	80	وحدة
الجلود المعالجة	200	وحدة
الجلود المطبقة	70	وحدة
المنتجات غير مدرجة من الطب التقليدي غير المعتمد	غير معروفة	
الفول السوداني بالقشور	100	كغ
الفول السوداني بدون القشور	150	كغ
عناصر تركيب الخيام	100	وحدة
زبدة الكايري للاستعمال التجميلي	150	كغ
السجادة	1000	وحدة
الاسماك	**	
طحين الاسماك	100	كغ
المكمرات بأنواعها	700	كغ
الفواكه الافريقية	70	كغ
الذرة	30	كغ
طحين الذرة	35	كغ
الكرديّة	140	كغ
الالبسة ذات الاستعمال المحلي (البازان)	350	متر
الالبسة و الاقمشة ذات الاستعمال المحلي (المنان)	60	متر
الالبسة و الاقمشة ذات الاستعمال المحلي (البوبلي)	70	متر
فاكهة الاتاس و جوز الهند	100	كغ
اكواب و اباريق الشاي الحجم الكبير	300	وحدة

وحدة	250	اكواب و اباريق الشاي الحجم المتوسط
وحدة	200	اكواب و اباريق الشاي الحجم الصغير
وحدة	8000	الغنم
وحدة	5000	الماعز
وحدة	45000	الإبل
وحدة	35000	البقر



الملحق رقم (10): الملتقى التشاوري لغرفة التجارة والصناعة بتمنراست مع رئيس غرفة التجارة لدولة
النيجر (أغاديز) ومدير لجنة التبادل التجاري لغرفة التجارة والصناعة (نيامي) عام 2020

الاجتماع المنعقد بغرفة التجارة والصناعة "الهقار" تمنراست مع
رئيس غرفة التجارة والصناعة لدولة النيجر (أغاديز) ومدير لجنة
التبادل التجاري لغرفة التجارة والصناعة (نيامي)

- تحسين القوانين والتنظيمات التي تحكم تجارة المقايضة وتوسيع قائمة المواد التي يتم التبادل بها في هذه التجارة.
 - توطيد أواصل الأخوة والصداقة وحسن الجوار مع هذه الدول بغية تسهيل الإجراءات للحصول على تأشيرة لتنقل الأشخاص والأموال .
 - الشروع في إنشاء مكاتب للصحة البيطرية على مستوى المناطق الحدودية لإمكانية تسهيل عمليات التنقل للثروة الحيوانية .
 - بعث نشاط التوأمة بين غرفة التجارة والصناعة الهقار ونظيرها في الدول المجاورة .
 - تسهيل نقل المعلومة باستعمال الوسائط المختلفة للاتصال .
 - السعي لتبسيط إجراءات الحصول على السجل التجاري لممارسة النشاط التجاري بالنسبة للأفارقة المقيمين على أرض الوطن .
 - القيام بمعارض تجارية في الدول المجاورة للتعريف بالمنتوج الوطني .
 - الشروع في وضع أرضية لعقد اتفاقيات شراكة بين المتعاملين الاقتصاديين الجزائريين ونظرائهم في دولتي المالي ونيجر .
 - توسيع قائمة التبادل لتشمل مواد أخرى غير مدعمة والتي تشكل فائض في المنتوج الجزائري .
 - تطوير تجارة المقايضة من المبادلات التجارية إلى تبادل اقتصادية تتضمن تبادل مختلف المنتوجات .
 - طلب المتعاملين الاقتصاديين الجزائريين بإمكانية تخفيض الرسوم الجمركية من طرف دولة نيجر أثناء التبادلات التجارية .
- هذه الاقتراحات قدمت في أرضية التشاور ضمن اللقاءات المنعقدة في سنة 2019 وتمت إعدادها وإضافة اقتراحات أخرى

المخلص

المخلص:

أفرز تنامي الاهتمام بالمتغيرات الثقافية والدينية في حقل العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة إلى توظيفها كمصادر لقوة ناعمة تعتمد على الفواعل الدولية لتمير أجندها وتحقيق التأثير والنفوذ الإقليمي والدولي لها، وعليه اهتمت العديد من دول العالم إلى تفعيل مصادر قوتها الناعمة لتحقيق النجاح في السياسة الدولية وبتكاليف أقل بكثير مما قد تخسره في حالة اكتفائها بمصادر القوة الصلبة.

والجزائر من بين الدول التي تزخر بالعديد من الإمكانيات والمقومات الثقافية والدينية التي تؤهلها للعب الدور الريادي إقليمي ودوليا، فهي بذلك تمتلك أبرز مقومات القوة الناعمة اتجاه مجالها الحيوي الإفريقي والذي يطلق عليه منطقة الساحل الإفريقي (موريتانيا- مالي- النيجر) وترتبطها معها حدود مباشرة، وتاريخ عريق من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن الثقافية والدينية المتأصلة، وقد أدرك صانع القرار الجزائري منذ أن تحررت المنطقة ككل من الاستعمار الأجنبي، بضرورة بناء علاقات استراتيجية أمنية بالدرجة الأولى من أجل الحفاظ على سلامة الأمن الإقليمي، كما سعى في نفس الوقت إلى الاهتمام بالروابط الثقافية والدينية التي تساهم بشكل كبير في تنمية تلك العلاقات.

إن الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الساحل الإفريقي جعلتها محط أطماع القوى الكبرى بالعالم، فلا زالت تشهد العديد من التدخلات الأجنبية التي تسعى إلى استنزاف خيراتها سواء باستخدام القوة الصلبة تحت ذرائع متعددة أبرزها الحرب على الإرهاب، أو باستخدام القوة الناعمة كما هو الحال عبر استخدام التبعية الثقافية للاستعمار الفرنسي القديم، وكل هاته التحديات وغيرها تعد عائقا كبيرا أمام نمو العلاقات الاستراتيجية البينية بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي.

وعلى الرغم من ذلك، إلا أن الجزائر بالإمكانيات والرصيد الكامن لقوتها الناعمة -القائمة بشكل أساسي على قوة الروابط الثقافية والدينية التي تملك بواورها- يُمكنها تفعيله من خدمة مصالحها العليا ضمن بيئتها الحيوية الإفريقية، إذ أن تفعيل قوتها الناعمة يسهل عليها وبشكل كبير تنمية شراكاتها الاستراتيجية مع دول الساحل الإفريقي، ومن خلال هاته الشراكات الاستراتيجية تكتسب الدولة الجزائرية المكانة والنفوذ الإقليمي والإقليمي الذي تستحقه، وبناءً عليه تستطيع توحيد الجهود لمكافحة كل أشكال التهديد والعنف وعدم الاستقرار في المنطقة ككل، وزرع بواور التنمية الفعالة وخلق مجال حيوي للرفاهية الاقتصادية للدول المشتركة.

Abstract:

The growing interest in cultural and religious variables in the field of international relations after the Cold War led to the use of their dimensions as sources of soft power adopted by international actors to pass their agendas and achieve their regional and international influence and influence Accordingly, many countries of the world were interested in activating their sources of soft power to achieve success in international politics at much lower costs than It may lose it if it is satisfied with solid sources of power.

Algeria is among the countries that are endowed with many cultural and religious capabilities and components that qualify it to play a pioneering role regionally and internationally Thus, it possesses the most prominent components of soft power towards its vital African sphere, which is called the African Sahel region (Mauritania - Mali - Niger), and is linked to it by direct borders and an ancient history From the social and economic relations, as well as the deep-rooted cultural and religious ones. Since the region as a whole was liberated from foreign colonialism, the Algerian decision-maker has realized the necessity of building strategic security relations in the first place in order to maintain the integrity of regional security. Algeria has sought at the same time to pay attention to the cultural and religious ties that contribute to Significantly in developing these strategic relations between them and the countries of the African Sahel region.

The strategic importance of the African Sahel region has made it the focus of the ambitions of the major powers in the world. It is still witnessing many foreign interventions that seek to drain its resources, whether by using hard power under various pretexts, most notably the war on terrorism, or by using soft power, as is the case by using cultural subordination to old French colonialism. All of these challenges and others are a major obstacle to the growth of intra-strategic relations between Algeria and the African Sahel countries.

Despite this, Algeria, with the capabilities and latent balance of its soft power - based mainly on the strength of the cultural and religious ties that it possesses - enables it to activate it to serve its highest interests within its vital African environment, as activating its soft power greatly facilitates the development of its strategic partnerships with The African Sahel countries, and through these strategic partnerships, the Algerian state gains the African and regional status and influence it deserves, and accordingly it can unite efforts to combat all forms of threat, violence, and instability in the region as a whole, plant signs of effective development, and create a vital field for the economic well-being of the participating countries.